

المكتبة هـ
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنيق

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء السابع

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

يطلب من
دار الكتب الإسلامية
١٤ شارع البرقية بجدة - ٩١٦١٠٧

المكتبة هـ
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنيق

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

كتاب

جامعة الكويت
إدارة المكتبات - قسم التزويد المطبوع
رقم التسجيل: ١٧٢٥٦
التاريخ: _____

١٨٥٩

مكتبة

مكتبة جامعة الكويت

١٨٥٩

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مقدمة



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، محمد
صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء السابع من السيرة وشرحها « الروض الأنف »
للإمام السهيلي ، والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن الوكيل

عمرة القضاء

في ذى القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من غدير ، أقام بها شهرى ربيع وجماديين ورجباً وشعبان ورمضان وشوالاً ، بيعت فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم . ثم خرج في ذى القعدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون معتمراً عُمرَةَ القضاء ، مكان عمرته التي صدّوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُوفى بن الأخطب الذبلي .

ويقال لما عمرة القصاص ، لأنهم صدّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة في الشهر الحرام من سنة ست ، فاتتص رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة في ذى القعدة ، في الشهر الحرام الذي صدّوه فيه ، من سنة سبع .

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله في ذلك : ﴿ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صدّه معه في عمرته تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهلُ مكة خرجوا عنه ، وتحدّثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عُسرة وجهد وشدة .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أنهم ، عن ابن عباس ، قال : صدّوا له

.....

عند دار الندوة لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ ، وَإِلَى أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ اضْطَبَعَ بِرِدَائِهِ ، وَأَخْرَجَ عَضُدَهُ الْيَمَنِيَّ ، ثُمَّ قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَسْرَأَ أَرْهَامِ الْيَوْمِ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً ، ثُمَّ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ ، وَخَرَجَ يُهْرُولُ وَيُهْرُولُ أَصْحَابُهُ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا وَارَاهُ الْبَيْتَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ ، مَشَى حَتَّى يَسْتَلِمَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ ، ثُمَّ هَرُولٌ كَذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ ، وَمَشَى سَائِرَهَا . فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : كَانَ النَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ . وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا صَنَعَهَا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِي بَلَغَهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى إِذَا حَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ فَلَزَمَهَا ، فَمَضَتْ السَّنَةُ بِهَا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَجَدَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ فِي تِلْكَ الْمُعْمَرَةِ دَخَلَهَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ أَخَذَهُ بِخَطَامِ نَاقَتِهِ يَقُولُ :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا قَسْلُ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيْلِهِ أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ

* * *

نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : « نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ » إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ ، لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ فِي غَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ ، وَالِدَلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ رَوَاحَةَ إِنَّمَا أَرَادَ الْمُشْرِكِينَ ،

والمُشْرِكُونَ لَمْ يُقِرُّوا بِالتَّزْيِيلِ ، وَإِنَّمَا يُقْتَلُ عَلَى التَّأْوِيلِ مِنْ أَقَرِّ بِالتَّزْيِيلِ .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نعيم ، عن عطاء بن أبي رباح وبجاهد أبي الحجاج ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حَرَامٌ ، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب .

قال ابن هشام : وكانت جمعت أمرها إلى أخيها أم الفضل ، وكانت أم الفضل تحت العباس ، فجمعت أم الفضل أمرها إلى العباس ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأتاه حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ أَبِي قَيْسٍ بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِجَلٍ ، في نفر من قُرَيْشٍ ، في اليوم الثالث ، وكانت قُرَيْشٌ قد وُكِّلَتْه بِإِخْرَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ ؛ فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ قَدْ انْقَضَى أَجَلُكَ ، فَأَخْرِجْنَا عَنْهُ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَا عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكَتُمُونِي فَأَعْرَسْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، وَصَنَعْنَا لَكُمْ طَعَاماً خَضَرْتُمُوهُ ؟ قَالُوا : لَا حَاجَةَ لَنَا فِي طَعَامِكَ ، فَأَخْرِجْنَا عَنْهُ . فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَلَفَ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَاهُ عَلَى مَيْمُونَةَ ، أَتَاهَا بِسَرَفٍ ، فَبَنَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنَاكَ ، ثُمَّ انصرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذى الحجة .

قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل عليه ، فيما حدثني أبو عبيدة :
 ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ، لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ
 تَحْتَسِبُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ﴾ يعنى خير .

ذكر غزوة مؤتة

في جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبدالله بن رواحة
 قال ابن إسحاق : فأقام بها بقية ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ،
 والحرم وصغراً وشهري ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثته إلى الشام الذين
 أصيبوا بمؤتة .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ،
 قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثته إلى مؤتة في جمادى الأولى
 سعة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن
 أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم
 ودّع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم . فلما ودّع
 عبد الله بن رواحة من ودّع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ؛
 فقالوا : ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حُبُّ الدنيا ولا صِباة
 بكم ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله

.....

عز وجل ، يذكر فيها النار ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ مريم : ٧١ ، فليت أدرى كيف لي بالصّدْر بعد الورود ، فقال المسلمون : صَحِبَكُمْ اللهُ ودفع عنكم ، وردّكم إلينا صالحين ؛ فقال عبدُ اللهِ ابن رواحة :

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةَ ذَاتِ فَرْخٍ تَقْذِفُ الزَّيْدَا
أَوْ طَفَنَةَ بَيْدَى حَرَانٍ مُجْهِزَةً بِحَرْبَةِ مُنْفِذِ الْأَحْشَلَةِ وَالْكَيْدَا
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدِّي أُرْشِدَهُ اللهُ مِنْ غَايٍ وَقَدْ رَشَدَا
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ تَهَيَّأُوا لِلْخُرُوجِ ، فَأَتَى عَبْدُ اللهِ ابْنَ رَوَاحَةَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَدَّعَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

خَشِبْتَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَنْثِيَتَ مُوسَى وَتَصْرَأَ كَالَّذِي تُصِرُوا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ الْبَصَرِ
أَنْتَ الرَّسُولُ قَمَنْ يُحَرِّمُ نَوَافِلَهُ وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أُرْزِيَ بِهِ الْقَدَرُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أُنْشِدَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالشُّعْرِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

أَنْتَ الرَّسُولُ قَمَنْ يُحَرِّمُ نَوَافِلَهُ وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أُرْزِيَ بِهِ الْقَدَرُ
فَخَشِبْتَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ فِي الْمُرْسَلِينَ وَتَصْرَأَ كَالَّذِي تُصِرُوا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً فِرَاسَةً خَالَفْتُ فِيكَ الَّذِي نَظَرُوا

يعني المشركين ؛ وهذه الأبيات في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَفَّ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِي وَدَعَتْهُ فِي النَّخْلِ خَيْرٌ مُشِيعٌ وَحَلِيلٌ

ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل
قد نزل ماب ، من أرض البلقاء ، في مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من
نظم وجذام والقيين وبهراء وبلي مائة ألف منهم ، عليهم رجل من بلي ثم أحد
إراشة ، فقال له : مالك من أفاقة فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين
يمكرون في أحرمهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فنخبره بمسدود عدوتنا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ،
فمضى له .

قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التي
تكرهون ، التي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة
ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنا هي
إحدى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن
رواحه . فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رواحة في تخيسهم ذلك :

جَبَبْنَا الْخَلِيلَ مِنْ أَجَا وَفَرَجٍ تُفَرُّ مِنَ الْحَشِيشِ لَهَا الْفُكُومُ
حَدَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَانِ سَبْتًا أَزَلْ كُنْ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ
أَقَمْتَ لَيْدَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ فَأَعْقَبَ يَمِيدَ فَرْتِهَا جُجُومُ

فَرُّحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ تَنْفَسُ فِي مَنَاخِرِهَا الدُّمُومُ
فَلَا وَابِي مَابَ لَتَأْتِيَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
فَعَبَانَا أَعْنَتْنَا فَجَاءَتْ عَوَابِسَ وَالْعُبَارُ لَهَا بَرِيمُ
بَذَى تَجَبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَائِصُهَا الدُّمُومُ
فَرَاخِيَّةُ الْمَعِيشَةِ عَلِمَتْهَا أَسْنَهَا فَتَنْكِحُ أَوْ تَلِيمُ

قال ابن هشام : « ويروى : جانبنا الخيل من أجسام قرح » ، وقوله :
« فعباناً أعنتها » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث
عن زيد بن أرقم : قال : كنت بقميا لعبد الله بن رواحة في حجره ، فخرجت
في سفره ذلك مردي على حقيبة راحله ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو
يشد أبياته هذه :

إِذَا أَدْبَيْتَنِي وَحَلَّتْ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْخِصَاءِ
تَشَانُكَ أَنْعَمَ وَخَلَاكِ دَمٌ وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ وَرَائِي
وَجَاءَ السُّلُومُونَ وَغَادَرُونِي بِأَرْضِ الشَّامِ مُسْتَحْبِي السَّوَاءِ
وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعِ الْإِخَاءِ
هَذَاكَ لَا أَبَالِي مَطْمَعٍ بَقْلٍ وَلَا تَخْضَلِ أَسَافُهَا رِوَاءِ

فلما سمعتهن منه بكيت . قال : تَخَفَتْنِي بِالْأَدْرَاقِ ، وقال : ما عليك بالكَمِّ

أن يرزقني الله شهادة وترجع بين شعبي الرجل !
قال : ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز :
يا زبدُ زبدَ البعَلاتِ الذُّبُلِ تطاول الليلُ هُدَيْتَ فانزِلِ

لقاء الروم

قال ابن إسحاق : فغضى الناس ، حتى إذا كانوا بتُخوم البلقاء لقيهم
جوع هرقل ، من الروم والمرب ، بقرية من قُرى البلقاء يقال لها مَشارف ،
ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤنة ، فالتقى الناسُ عندها ،
فغضباً لهم المسلمون ، فحملوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذرة ، يقال له : قُطبة
ابنُ قَعادة ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عُباية بن مالك .
قال ابن هشام : ويقال عبادة بن مالك .

مقتل ابن حارثة

قال ابن إسحاق : ثم التقى الناسُ واقتتلوا ، فقاتلَ زيدُ بن حارثةَ براهية
رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم .

إمارة جعفر ومقتله

ثم أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألجمه القتال اتنعم عن فرس له شقراء ،
فقتلها ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل . فكان جعفرُ أوَّلَ رجلٍ من المسلمين
عَقَرَ في الإسلام .

وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال :
حدثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مُرّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة .
غزوة مُؤتة قال : والله لكانني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له .
سقراء ، ثم عقرها ثم قاتل حتى قُتل وهو يقول :

يَا حَبْلَ الْجَنَّةِ وَاقْتَرَابُهَا طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رَوْمٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بِمَيْدَةِ أَنْسَابُهَا
عَلَى إِذْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

قال ابن هشام : وحدثني من أتق به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب
أخذ اللواء يمينه فمُطِعَ ، فأخذه بشماله فمُطِعَ ، فاحتضنه بمُضْدِبه حتى قُتل
رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جنّاحين في الجنة .
يطير بهما حيث شاء . ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة ، فقطعه
بتصنيف

استشهاد جعفر وابن رواحة

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد
قال : حدثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مُرّة بن عوف ، قال : فلما
قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدّم بها ، وهو على فرسه ،
فجعل يستنزل نفسه ، ويتردّد بعض التردّد ، ثم قال :

أَقَمْتُ يَانَفْسُ لَتَنْزِلَنَّ لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرِهِنَّ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدَّوْا الرِّثَّةَ مَالِي أُرَاكِ تَكْرَهِيْنَ الْجَنَّةَ
 قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَنْةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا :

يَا نَفْسُ إِلَّا تَفْتَلِيْ تَمَوْنِيْ هَذَا رَحَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتَ
 وَمَا تَعْنَبْتِ قَدْ أُعْظِمْتَ إِنْ تَعْمَلِيْ فَعَلِمَا هُدَيْتِ

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرأ ؛ ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بقرق
 من لحم فقال : شُدْ بهذا صِلَبِكَ ، فإنك قد لقيتَ في أيامك هذه مَالِقِيَتَ ،
 فأخذه من يده ثم اتهمس منه نَهْسَةً ، ثم سمع الخطامة في ناحية الناس ، فقال :
 وَأَنْتِ فِي الدُّنْيَا ! نِمِ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قُتِلَ .

عمل خالد

ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقرم أخو بني العَجْلَانِ ، فقال : يامثُ المسلمين
 اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أَنْتِ ، قال : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ . فاصطاح الناس
 على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشى بهم ، ثم انحاز
 وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

تنبؤ الرسول بما حدث

قال ابن إسحاق : ولما أُصِيبَ الْقَوْمُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 غِيَا بَلْفَنِي : أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا ؛ ثُمَّ أَخَذَهَا

فَقَاتِلْ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً ؛ قَالَ : ثُمَّ صَحَّتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 حَتَّى تَغَيَّرَتْ وَجْوهُ الْأَنْصَارِ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْضُ
 مَا يَكْرَهُونَ ، ثُمَّ قَالَ : ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ
 شَهِيداً ؛ ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ رَفِعُوا إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَا بَرَى النَّاسِ ، عَلَى سُوءِ مَا
 مِنْ ذَهَبٍ ، فَرَأَيْتُ فِي سِرِّرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ لَزُورَ أَرَأَيْتَ عَنْ سِرِّرِي صَاحِبِيَّةً .
 فَقُلْتُ : عَمَّ هَذَا ؟ فَقِيلَ لِي : مَضَى وَتَرَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بِبَعْضِ التَّرَدُّدِ ، ثُمَّ مَضَى .

حزن الرسول على جعفر

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ أُمِّ عَيْسَى الْخَزَاعِيَّةِ .
 عَنْ أُمِّ جَعْفَرِ بِنْتِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَنْ جَدَّتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ .
 قَالَتْ : لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَقَدْ بَنَتْ أَرْبَعِينَ مَنًا - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُرْوَى : أَرْبَعِينَ مَنِيَّةً - وَبَعِثَتْ
 عَجِينِي ، وَغَسَلَتْ بَنِيَّ وَدَهَنَتْهُمْ وَنَظَّفَتْهُمْ . قَالَتْ : فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ائْتِنِي بِنِي جَعْفَرٍ ، قَالَتْ : فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ ، فَتَشَمَّمَهُمْ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ،
 فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَأْسِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا يُبْكِيكَ ؟ أَلْبَلَّكَ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ
 شَيْءٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ . قَالَتْ : فَقُمْتُ أَصِيحُ ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيَّ
 النِّسَاءُ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَالَ : لَا تُغْلُوا
 آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا فَإِنَّهُمْ قَدْ شُفِلُوا بِأَسْرِ صَاحِبِهِمْ .

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : لَمَّا آتَى نَفْسِي جَعْفَرٌ عَرَفْنَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، إن النساء عَنَيْنَنَا وَفَتَنَنَّا ، قال : فارجع إليهن فأسكِتهن . قالت : فذهب . ثم رجع ، فقال له مثل ذلك . قال : تقول وربما ضرت التشكف أهله . قالت : قال : فاذهب فأسكِتهن ، فإن أبين فاحث في أفواههن التراب ، قالت : وقلت في نفسي : أبعدك الله ! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لا يقدر على أن يحثي في أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قطبة بن قتادة المذري ، الذي كان على ميمنة المسلمين ، قد حمل على مالك بن رافلة فقتله ، فقال قطبة بن قتادة :

طعنتُ ابنَ رافلةَ بنِ الإِرا ش برُمحٍ مَنى فيه ثم انْحَطَمَ
ضربتُ على جِدهِ مَرَبَّةً فمال كما مال غصنُ السَّلمِ
وسُقنا نساءَ بني عُمِّه غداةَ رُقُوقَيْنِ سَوَقِ النِّمَةِ
قال ابن هشام : قوله : « ابن الإراش » عن غير ابن إسحاق .
والبيت الثالث عن خلاد بن قرّة ؛ ويقال : مالك بن رافلة :

كاهنة حدس

قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، قد قالت لقومها من حدس - وقومها بطن يقال لهم بنو غنم - أنذرهم قوماً خُزراً ، ينظرون شِزْراً ، ويقودون الخيل تثرى ، ويهرِيقون دماً عسكراً . فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لحم ؛

.

فلم تزل بعدُ أترى حدّس . وكان الذين صلّوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بعض من حدّس ، فلم يزالوا قليلا بعدُ . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً .

كيف تلقى الجيش ؟ !

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن : لما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، ولقيهم الصبيانُ يشتدون ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُقبل معهم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، وأعطوني ابنَ جعفر . فأُتي به . فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحْمُثون على الجيش التراب ، ويقولون : يا فرّار ، فررتَ في سبيل الله ؟ قال : فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بالفرّار ، ولكنهم الكرّار إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله ، عن أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت أمّ سلمة لامرأةٍ سَلَمَة بن هشام بن العاص بن المُغيرة : مالي لأرى سَلَمَة يحضر الصلاة مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فرّار ، فررتَ في سبيل الله ، حتى قعد في بيته فما يخرج .

شعر قيس في الاعتذار عن تقهقر خالد

قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومُخاشاته

.....

بالناس وانصرافه بهم ، قَيْسُ بْنُ الْمُسَخَّرِ الْيَمْرِي ، يعتذر مما صنع يومئذ
وصنع الناس :

فوالله لا تَنفَكُ نفسي تلومني على مَوْفِي والحيل قابضةٌ قُبِلُ
وَقَفْتُ بها لا مُسْتَجِيرًا فَنَاقِذًا ولا مانعًا مَنْ كَانَ حُمُّهُ الْقَتْلُ
على أَنِّي آسَيْتُ نَفْسِي بِخَالِدٍ أَلَا خَالِدٌ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ
وَجِشْتُ إِلَى النَّفْسِ مِنْ نَحْوِ جَعْفَرٍ بِمُؤْتَةٍ إِذْ لَا يَنْفَعُ النَّابِلَ النَّبِيلُ
وَضُمَّ إِلَيْنَا حَجَزَتَيْنِهِمَا كُلَّيْهِمَا مَهَاجِرَةٌ لَامُشْرِكُونَ وَلَا عُزْلُ

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره ، أن القوم حاجزوا
وكرهوا الموت ، وحقَّق الحياز خالد بمن معه .

قال ابن هشام : فأما الزهري فقال فيما بلغنا عنه : أمر المسلمون عليهم خالد
ابن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حق قفل إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان في بكاء قتلى مؤتة

قال ابن إسحاق : وكان مما بُكِيَ به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قول حسان بن ثابت :

تَأَوَّبَنِي إِيْلَ بَيْتِ رَبِّ أَعْسَرُ وَهَمَّ إِذَا مَا نَوَّمَ النَّاسُ مُسْنِرُ
لَذِكْرِي حَبِيبٍ هَمَّجَتْ لِي غَبْرَةٌ سَفُوحًا وَأَسْبَابُ الْبُكَاءِ التَّدَكُّرُ
بَلَى ، إِنْ فَقَدَانَ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَضُرُّ

.....

رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا شَمُوبًا وَخَلْفًا بِمَسَدِهِمْ يَتَأَخَّرُوا
فَلَا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا بِمُؤْتَةٍ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحِينَ جَعَفَرُ
وَزَيْدٌ وَعَبِيدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا جَمِيعًا وَأَسْبَابُ النَّفْسِ تَحْطَرُ
غَدَاةَ مَضَوْا بِالْمُؤْمِنِينَ بِقُودِهِمْ إِلَى الْمَوْتِ مَيِّمُونَ النَّفْقِيَّةُ أَزْهَرُ
أَغْرُ كَضُوءِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَبِي إِذَا سَيِّمَ الظَّلَامَةُ مِجْبَرُ
فَطَاعِنٍ حَتَّى مَالٍ غَيْرِ مُوسَدٍ لِمُعْتَرِكٍ فِيهِ قَنَا مُشَكَّرُ
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ قَوَابِلُهُ جِثَانٌ وَمَلْتَفُ الْخِطَائِقِ أَخْضَرُ
وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ وَفَاءً وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ
فَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَاءُ عَزَّ لَا يَزُلُّنَّ وَمَنْخَرُ
هُمْ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ رِضَامٌ إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَمْتَهَرُ
بِهَالِئِلُ مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلَى وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ لِلتَّخْيِيرِ
وَحِزَّةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ عَقِيلٌ وَمَا الْعُودُ مِنْ حَيْثُ يُقْصَرُ
بِهِمْ تُفَرِّجُ الْأَلْوَاهُ فِي كُلِّ مَآزِقٍ عَمَّاسٍ إِذَا مَاضَاقُ بِالنَّاسِ مَصْدَرُ
هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابِ الْمُطَهَّرُ

شعر كعب في بكاء قتلى

وقال كعب بن مالك :

قَامَ الْعُمَيُّونُ وَدَمَعُ عَيْنِكَ يَهْمُلُ سَجَا كَمَا وَكَّتِ الْعَبَابُ الْمُخْضِلُ
فِي آيَلَتِهِ وَرَدَّتْ عَلَى هُمُومِهَا طَوْرًا أَخِي وَتَارَةً أَمَامِلُ

وَاَعْتَدَنِي حُزْنَ قَبِيْثَ كَانَتِي
 وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَى
 وَجَدَا عَلَى النَّفَرِ الذِّبْنَ تَتَابَعُوا
 صَلَّى الْإِلَٰهَ عَلَيْهِمْ مِنْ فِتْنَةٍ
 صَبَرُوا بِمَوْتَةِ لِلَّٰهَ نُفُوسُهُمْ
 فَمَضَوْا لِمَامِ الْمُسْلِمِينَ كَانَهُمْ
 إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلَوَانِهِ
 حَتَّى تَفَرَّجَتِ الصُّفُوفُ وَجَعْفَرُ
 فَتَغَيَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ لَفَقْدِهِ
 قَرَّمَ عَلَا بُنْيَانَهُ مِنْ هَاشِمٍ
 قَوْمٌ بِهِمْ عَصَمَ الْإِلَٰهُ عِبَادَهُ
 فَضَلُّوا الْمَعَاشِرَ عِزَّةً وَتَسَكَّرُمَا
 لَا يُطْلِقُونَ إِلَى السَّفَاهِ حُبَاهُمْ
 بِيَعْنُ الْوُجُوهُ تُرَى بِطَوْنِ أَكْثَرِهِمْ
 وَبِهِدْيِهِمْ رَضِيَ الْإِلَٰهَ تَخْلُقِيهِ
 بِيَقَاتِ نَفْسٍ وَالتَّمَالِكِ مُوَكَّلِ
 مَا تَأْوَبَتِي شِهَابٌ مُدْخَلِ
 يَوْمًا بِمَوْتَةٍ أَسْنَدُوا لَمْ يُنْقَلُوا
 وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْغَامَ الْمُسْبِلِ
 حَذَرَ الرَّقْدَى وَخَافَةَ أَنْ يَنْسَكَلُوا
 فُنُقَى عَلَيْهِنَ الْحَبِيدَ الْمُرْفَلِ
 قُدَّامَ أَوْلَاهِمُ فَنَقِمَ الْأَوَّلِ
 حَيْثُ النِّقَمَى وَغَثُ الصُّفُوفِ بِجَدَلِ
 وَالشَّمْسُ قَدْ كَسَفَتْ وَكَادَتْ تَأْفَلِ
 قَرَعَا أَشْمَ وَهَزْدَدَا بِهَا يُنْقَلِ
 وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ لِلنَّزَلِ
 وَتَفَعَّلَتْ أَحْلَامُهُمْ مِنْ يَحْمَلِ
 وَيُرَى خَطْبِيُّهُمْ بِحَقِّ يَفْضِلِ
 تَدْبَى إِذَا اعْتَدَرَ الزَّمَانُ الْمُجِلِ
 وَبِحَدِّهِمْ نُصِرَ النَّبِيُّ الْمُرْسَلِ

شعر حسان في بكاء جعفر بن أبي طالب

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه :
 ولقد بكيتُ وعزَّ مُهْلَكُ جَعْفَرٍ حَبُّ النَّبِيِّ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُنْهَا

مواليد جزعت وقلت حين نعت لي من للجلاد لدى المقاب وظلها
 بالبيض حين تسَلَّ من أعقادها ضرباً وإنهال الرماح وعلها
 بعد ابن فاطمة المبارك جعفر خير البرية كلها وأجلها
 رُزماً وأكرمها جميعاً تحداً وأعزها مُتظلماً وأذلها
 للحق حين ينوب غير كَنَحْلٍ كذباً ، وأنداهاً بدأ ، وأقلها
 فحشاً ، وأكثرها إذا ما يُختدى فضلاً ، وأبذلها ندى ، وأبلها
 بالمرء غير محمدٍ لا مثله حتى من أحياء البرية كلها

شعر حسان في بكاء ابن حارثة وابن رواحة

وقال حسان بن ثابت في يوم مؤنة يبكي زيد بن حارثة وعبد الله

ابن رواحة :

عين جودي بدمعك المنزور واذكري في الرغاء أهل القبور
 واذكري مؤنة وما كان فيها يوم راحوا في وقعة التَّنوير
 حين راحوا وغادروا نَمَّ زَيْد نعم ماوى الضربك والمأسور
 حِبَّ خَيْرِ الْأَنَامِ طَرّاً جَمِيعاً سَيِّدَ النَّاسِ حُبُّهُ فِي الصَّدُورِ
 ذَاكُمُ أَحْمَدُ الَّذِي لَا سِوَاهُ ذَاكَ حَزُنِي لَهُ مَعَ وَسْوَورِي
 إِنْ زَيْدًا قَدْ كَانَ مِنَّا بِأَمْرِ لَيْسَ أَمْرَ الْمَكْذَبِ الْمَقْرُورِ
 نَمَّ جُودِي لِلْخَزَرَجِيِّ بِدَمْعٍ سَيِّدًا كَانَ نَمَّ غَيْرَ نَزُورِ
 قَدْ أَنَا مِنْ قَتْلِهِمْ مَا كَفَانَا فَبِحُزْنٍ نَبِيتَ غَيْرَ مُرُورِ

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة :
كُنِي حَزَنًا أَنِي رَجَعْتُ وَجَعْتُ وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ فِي رَمْسٍ أَقْبَرُ
وَقَصَّوْا نَجَبَهُمْ لَمَّا مَضَوْا سَبِيلَهُمْ وَخَلَّفْتُ لِلْبَلَوَى مَعَ الْقَتَبِ
ثَلَاثَةَ رَهْطٍ قَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا إِلَى وَرْدِ مَكْرُوهِهِ مِنَ الْمَوْتِ أَحْمَرُ

شهداء مؤتة

وهذه تسمية من استشهد يوم مؤتة :

من قريش ، ثم من بني هاشم : جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وزيد
ابن حارثة رضي الله عنه .

ومن بني عدى بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة .

ومن بني مالك بن حنبل : وهب بن سعد بن أبي سرح .

ومن الأنصار ثم من بني الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة ،
وعبد بن قيس .

ومن بني غنم بن مالك بن النجار : الحارث بن النعمان بن أساف بن
نضلة بن عبد بن عوف بن غنم .

ومن بني مازن بن النجار : سراقه بن عمرو بن عطية بن خنداء .

قال ابن هشام : ومن استشهد يوم مؤتة ، فيما ذكر ابن شهاب .

من بنى مازن بن النجار : أبو كليب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف
ابن مبدول ، وهما لأب وأم ،
ومن بنى مالك بن أفضى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد
ابن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى .
قال ابن هشام . ويقال أبو كلاب وجابر ، ابنا عمرو .

عمرة القضية

ويرُوى أيضاً : عُمرَةُ الْقَضَاءِ ، ويقال لها : عُمرَةُ الْقِصَاصِ ، وهذا الاسمُ
أولى بها لقوله تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾
البقرة : ١٩٤ وهذه الآية فيها نزات ، فهذا الاسمُ أولى بها ، وسميت عُمرَةُ
الْقَضَاءِ ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشاً عليها ، لأنه قضى العُمرةَ
التي صُدَّ عن البيت فيها ^(١) ، فإنها لم تك قَسَدَتْ بعدُهم عن البيت ، بل كانت
عُمرةً تامةً مُتَقَبَّلَةً ، حتى إنهم حين حَلَقُوا رؤوسَهُم بِالْحِلِّ احتَمَلُوا الرِّيحَ ،
فَالْقَهْأُ فِي الْحَرَمِ ، فهي مَعْدُودَةٌ فِي عُمرَةِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وهي
أربع : عُمرَةُ الْحَدَيْبِيَّةِ ، وعُمرةُ الْقَضَاءِ ، وعُمرةُ الْجِعْرَانَةِ ، والعُمرةُ التي

(١) هذا هو الصواب ، لأن الذين صدوا عن المسجد الحرام كانوا ألفاً
وأربعمائة ، وهؤلاء لم يكونوا معه دس ، في عمرة القضية ، ولو كانت قضاء
لم يتخلف منهم أحد . أما قصصة الشعر التي سيقصها السهيلي . فهي من للطرائف
لا الحقائق .

قرنها مع حجته في حجة الوداع، فهو أصح القولين أنه كان قارئاً في تلك الحجة^(١) وكانت إحدى عمره عليه السلام في سؤال كذلك روى عروة عن عائشة^(٢) ، وأكثر الروايات أنه كن كُلمن في ذي القعدة إلا التي قرَن مع حجته^(٣) ، كذلك روى الزهري ، وانفرد مَعْمَرُ عن الزهري بأنه عليه السلام كان قارئاً ، وأن عمره كن أربعاً بعمره القِمران .

وأما حجاته عليه السلام فقد روى الترمذي أنه حج ثلاث حجّات ثنتين بمكة ، وواحدة بالمدينة وهي حجة الوداع^(٤) ، ولا ينبغي أن يُضاف إليه في الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج مع الناس إذ كان بمكة كما روى الترمذي ، فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج ، وكاله ، لأنه كان مغلوباً على

(١) كان قارئاً لأنه «ص» : جمع بين «المنسكين» ، وكان مفرداً باعتبار اقتضائه على أحد الطوائف والسمين .

(٢) هذا من رواية لما لك في الموطأ أن رسول الله «ص» لم يعتمر إلا ثلاثاً إحداً من في شوال واثنين في ذي القعدة ولكنه مرسل ، وهو غلط إما من هشام وإما من عروة . ورواه أبو داود مرفوعاً عن عائشة . ولا يصح رفعه . ويدل على بطلانه قول عائشة وابن عباس وأنس : لم يعتمر رسول الله «ص» إلا في ذي القعدة .

(٣) بل كانت أيضاً في ذي القعدة . لأن خروجه صلى الله عليه وسلم كان لست لياليتين من ذي القعدة .

(٤) قال عنه الترمذي : حديث غريب . قال : وسألت محمداً يعني : البخاري - عن هذا فلم يعرفه من حديث الثوري ، وفي رواية : لا يعد هذا الحديث محفوظاً ، وليس له «ص» سوى حجة واحدة .

أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ، ويؤخرونه في كل سنة أحدَ عَشَرَ يوماً ، وهذا هو الذي منع النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يُحْجَّ من المدينة ، حتى كانت مكة دارَ إسلام ، وقد كان أراد أن يُحْجَّ مَقْفَلَهُ مِنْ تَبُوكَ ، وذلك بِإِثْرِ فَتْحِ مَكَّةَ بِسِيرٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ بِقَايَا الْمَشْرِكِينَ يُحْجُّونَ ، وَيَطُوفُونَ عُرَاءَةً فَأَجَرَ الْحَجَّ ، حَتَّى تَبْدَأَ إِلَى كُلِّ ذِي عَمْدٍ عَمْدُهُ ، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ ، ثُمَّ حَجَّ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ بَعْدَ انْحَاءِ رُسُومِ الشَّرْكِ ، وَانْحِسَامِ سَيْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ : إِنْ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ .

حكم العمرة :

وَالْعُمْرَةُ وَاجِبَةٌ فِي قَوْلِ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عُمرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ ، وَذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُهَا : ﴿ وَاتَّخِذُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ بِالرَّفْعِ لَا يُعْطَفُ عَلَى الْحَجِّ ، وَقَالَ عطاء : هِيَ وَاجِبَةٌ إِلَّا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، وَيَكْرَهُ مَالِكٌ أَنْ يَتَعَمَّرَ الرَّجُلُ فِي الْعَامِ مَرَاراً ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ ، وَجَهْلُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْإِبَاحَةِ فِي ذَلِكَ ، وَهُوَ قَوْلُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالُوا : يَتَعَمَّرُ الرَّجُلُ فِي الْعَامِ مَا شَاءَ ^(١) .

(١) حَقَّقَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ ، وَانْتَهَى إِلَى نَتِيجَةٍ هِيَ أَنَّ الْمُسْلِمَ يَحُوزُ لَهُ أَنْ يَتَعَمَّرَ فِي الْعَامِ مَا شَاءَ ، فَانْظُرْ ص ٣٦٣ وَمَا بَعْدَهَا ح ١ زَادَ الْمَعَاد .

تفسير شعر عمار :

وذكر قول عبد الله بن رَوَاحَةَ وهو أَخَذَ بِحِطَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ

نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ^(١)
وَيُرْوَى الْيَوْمَ تَضَرُّبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ بِسُكُونِ الْبَاءِ ، وَهُوَ جَائِزٌ
فِي الْضَرُورَةِ نَحْوَ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحَقِّهِ^(٢)

ولا يبعد أن يكون جائزاً في الكلام إذا اتصل بضمير الجمع ، فقد روى
عن ابن عمرٍ و أنه كان يقرأ ﴿ يَا مَعْزُومُ ﴾ وَيَنْصُرُكُمْ ﴿ ۝ وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ
هُمَا لِعَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ ، كَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ ، قَالَهُمَا يَوْمَ صِفِّينَ ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي قُتِلَ
فِيهِ عَمَارُ ، قَتَلَهُ أَبُو الْغَادِيَةِ الْفَزَارِيُّ وَادُّهُ جَزَاءً اشْتَرَا فِيهِ .

حكم الزواج للمعموم :

فصل : وذكر تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لميمونة بنت

(١) يعني : إنكار تنزيله .

(٢) رواية البيت في اللسان هكذا :

فَالْيَوْمَ أَسْتَقِرُّ غَيْرَ مُسْتَحَقِّهِ [نعم] من الله ولا واغل

الحارث الهلالية، وأُمُّها هِنْدُ بنتُ عَوْفٍ الكِنَانِيَّةُ إلى آخر قصتها ، وفيه أن حُوْبَظَبَ بنَ عَبْدِ الْمُزَيِّ ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الثالث : أخرجُ عَنَّا ، وقد كان أراد أن يَبْتَدِي بِمَيْمُونَةَ في مكة ، ويصنع لهم طعاماً ، فقال له حُوْبَظَبُ : لا حاجة لنا بطعامك فأخرجُ عَنَّا ، فقال له سعد : يَا عَاصِمًا يَبْظُرُ أَنَّهُ أَرْضُكَ وَأَرْضُ أَثَمَك ؟ هي دونه ؟! فأسكته النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرج وفاءً لهم بشرطهم ، وابتدئ بها بِسَرَفٍ ، وبسَرَفٍ ، كانت وفاتها رضى الله عنها حين ماتت ، وذلك سنة ثَلَاثٍ وستين ، وقيل : سَفَةَ سِتٍّ وستين ، وصلى عليها ابنُ عَبَّاسٍ ، ويزيدُ بنُ الأصم ، وكلاهما ابنُ أُخْتِهَا ، ويقال : فيها نزلت : ﴿ وَإِمرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ الأحزاب : ٥٠ في أحد الأقوال ، وذلك أن الخاطب جاءها ، وهي على بَعِيرِهَا ، فقالت : البعيرُ وما عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . واختلف الناس في تزويجه إِيَّاهَا أكان مُحْرِمًا أم حَلَالًا ، فروى ابنُ عَبَّاسٍ أنه تزوجها مُحْرِمًا ، واحتج به أهلُ العراق في تجويز نكاح المُحْرِمِ ، وخالفهم أهلُ الحِجَاز ، واحتجوا بنهيهِ عليه السلام عن أن يُنْكَحَ المُحْرِمُ أو يُنْكَحَ ، وزاد بعضهم فيه : أو يُخْطَبُ ^(١) من رواية مَالِكٍ ، وعارضوا حديث ابنِ عَبَّاسٍ بحديث يزيد ابنِ الأصم أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج مَيْمُونَةَ وهو حَلَالٌ ^(٢) وخرج

(١) رواية مسلم عن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا ينكح المحرم ، ولا ينكح ولا يخاطب ، وحديث ابن عباس في الصحيحين والموطأ والسنن .

(٢) رواه مسلم .

الدَّارَقُطْنِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ ، وَهُوَ حَلَالٌ . وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ طَرِيقِ ضَمِيْفٍ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ مُحْرَمٌ كَرَوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَفِي مَسْنَدِ الْبَزَّازِ مِنْ
حَدِيثِ مَسْرُوقٍ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُحْرَمٌ ، وَاحْتَجَمَ ، وَهُوَ مُحْرَمٌ ، وَإِنْ لَمْ تَذْكُرْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ
مَيْمُونَةَ ، فَتَكَاحُهَا أَرَادَتْ ، وَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَخَرَجَ الْبُخَارِيُّ حَدِيثَ ابْنِ
عَبَّاسٍ ، وَلَمْ يَعْلَمْهُ ، وَلَا غَيْرُهُ ، وَرَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّهُ قَالَ : غَلَطَ
ابْنُ عَبَّاسٍ أَوْ قَالَ وَهْمٌ ، مَا تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ حَلَالٌ ،
وَلَمَّا أَجْمَعُوا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَزَوَّجَهَا مُحْرَمًا ،
وَلَمْ يَنْقُلْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْحَدَّثِينَ غَيْرَ ذَلِكَ اسْتَفْرَبْتُ اسْتَفْرَابًا شَدِيدًا مَا رَوَاهُ
الدَّارَقُطْنِيُّ فِي السُّنَنِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْأَسْوَدِ يَتِيمِ عُرْوَةَ ، وَمِنْ طَرِيقِ مَطَرِ
الْوَرَّاقِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ
مَيْمُونَةَ ، وَهُوَ حَلَالٌ ، فَبِهَذِهِ الرِّوَايَةِ عَنْهُ مُوَافَقَةٌ لِرَوَايَةِ غَيْرِهِ ، فَتَقِفُ عَلَيْهَا ،
فَإِنَّهَا غَرِيبَةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ شَيْوْخِنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ مَنْ يَتَأَوَّلُ قَوْلَ
ابْنِ عَبَّاسٍ : تَزَوَّجَهَا مُحْرَمًا ، أَيْ : فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَفِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ ، وَذَلِكَ
أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ فَصِيحٌ ، فَتَسْكُمُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يُرِدِ الْإِحْرَامَ
بِالْحَجِّ ، وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرَمًا وَدَعَا فُلْمَ أَرَمِثْلَهُ بِحُدُولَا

وذلك أن قتله كان في أيام النشريق^(١)، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس، أولاً .

غزوة مؤتة

وهي ميموزة الواو، وهي قرية من أرض البلقاء من الشام، وأما المؤتة - بلا همز، ففُتْرِب من الجنون، وفي الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول في صلاته: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونَفَخِه ونَفَثِه. وفسره راوى الحديث، فقال: نَفَثُه: الشَّمرُ، ونَفَخُه: الكِبَرُ، وهمزه: المؤتة .

تفسير (وإن منكم إلا واردة) :

ذكر في هذه الغزوة قول عبد الله بن رَوَاحَةَ حين ذكر قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ مريم : ٧١ : فلست أدري كيف لي بالصدْر بعد الورود، وقد تكلم العلماء فيها بأقوال، منها أن الخطاب متوجّه إلى الكفار على الخصوص، واحتج قائلوه — هذه المقالة بقراءة ابن عباس : وإن منهم إلا واردة^(٢)، وقالت طائفة : الورود ههنا هو الإشراف عليها ومعايذتها .

- (١) يقال : أحرم الرجل إذا عقد الإحرام، وأحرم : إذا دخل في الشهر الحرام، وإن كان - لالا .
- (٢) لا يصلح هذا القول، فالخطاب للإنسان، بدليل قوله سبحانه (ممن تنجي الذين آمنوا وندر الظالمين فيها جثياً) .

وَحَكَّوْا عَنْ الْعَرَبِ : وَرَدَّتْ الْمَاءَ ، فَلَمْ أَشْرَب . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : الْوُرُودُ
 هَهُنَا هُوَ الْمُرُورُ عَلَى الصَّرَاطِ ، لِأَنَّهُ عَلَى مَتْنٍ جَهَنَّمَ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا ، وَرَوَى أَنَّ
 اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجْمَعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِيهَا ، نَحْمُ بِئَادَى مُسَادٍ : خُذِي
 بِصَحَابِكَ وَدَعِي أَصْحَابِي ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : الْوُرُودُ أَنْ يَأْخُذَ الْعَبْدُ بِحُظَّةٍ مِنْهَا ،
 سَوْفَ يَكُونُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا بِالْحُمَمِيَّاتِ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ :
 الْخُشْيُ كِبَرٌ مِنْ جَهَنَّمَ ، وَهُوَ حُظٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ ^(١) .

شرح شعر ابن رَوَاحَةَ :

يُؤْذِرُ شِعْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ وَفِيهِ :

تَقَرُّ مِنْ ^(٢) الْخُشْيِ لَهَا الْمُكُومُ

تَقَرُّ : أَيْ يَجْمَعُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَالْمُكُومُ : جَمْعُ عِكْمٍ ^(٣)

وَفِيهِ :

مِنَ الْقَبَارِ لَهَا بَرِيمٌ ^(٤)

(١) أَمَا نَظْمُ الْآيَةِ فَيُؤَكِّدُ الْوُرُودَ لِكُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ ، غَيْرَ أَنَّ آيَاتِ الْإِنْجَاءِ
 الْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا ، وَالْقَطْعُ فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهُمْ لَنْ يُعَذِّبُوا فِيهَا آيَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَلِهَذَا يُجِبُّ أَنْ نَفْهَمَ
 فِي الْوُرُودِ هُنَا أَنَّهُ لَيْسَ دَخُولًا فِيهَا وَهِيَ تَكَادُ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَشْبَهُ
 شَيْءٍ بِالْإِشْرَافِ عَلَيْهَا وَشُهُودِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٢) هِيَ فِي السَّيْرَةِ : تَقَرُّ . وَفَسَّرَهَا الْخُشْنِيُّ بِقَوْلِهِ : أَيْ تَهْلِكُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، وَفِي
 الْبِدَايَةِ لِأَنَّ كَثِيرًا : تَعَرُّ بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْعَيْنِ .

(٣) فَسَّرَهَا الْخُشْنِيُّ بِأَنَّهَا الْجَنُوبُ .

(٤) فِي السَّيْرَةِ : الْقَبَارِ لَهَا بَرِيمٌ .

البريم : خيطةٌ تَحْتَرِمُ به المرأةُ ، والبريم أيضاً : لقيفُ الناسِ ،
وأخلاقُهم ، ويقال : هم بريمان ، أى لؤنانٌ مُخْتَلِطَان .
وفيه :

أقامتْ لَيْلَتَيْنِ هَلِ مَعَانٍ

قال الشيخ أبو بحر : مَعَانٍ بضم الميم ، وجَدته في الأصلين ، وأصلحه علينا
القاضي - رحمه الله - حين السماع : مَعَانٍ بفتح الميم ، وهو اسم مَوْضِع ، وذكره
البكري بضم الميم ، وقال : هو اسم جَبَلٍ ، والمَعَانٍ أيضاً : حيث تُحْبَس الخيل
والركاب ، ويجتمع الناس ، ويجوز أن يكون من أَمَعْنَتُ النظر ، أو من الماء
الْمَعِين ، فيكون وزنه فعّالاً ، ويجوز أن يكون من العَوْن ، فيكون وزنه
مفعلاً ، وقد جَنَسَ المَعَرِّي بهذه الكلمة ، فقال :

مَعَانٌ مِنْ أَحَبَبَّتْنَا مَعَانُ تُجِيبُ الصَّاهِلَاتِ بِهَا الْقِيَانُ^(١)

وقوله :

فَرَاضِيَةُ التَّمِيشَةِ طَلَّقَتْهَا

(١) البيت من أول قصيدة له في سقط الزند ، ومعان الأولى موضع والآخرة :
المنزل . تقول العرب : الكوفة معان منا أى منزل . والمعنى : إن هذا الموضع
الذى يقال له معان : هو منزل أحببنا ينزلون به ، ولهم خيول تصهل ، وقيان
تقنى ، وكان المغنيات تهيب الخيل . ويقصد أنهم ملوك عديم أداة الحرب ،
وأسياب الرفاهية . أنظر ص ٥٤ من شرح التنوير على سقط الزند ط ١٣٢٤ هـ .
(٣ م - الروض الأثف ج ٧)

أى : المعيشة المرصية ، وبناها على فاعلة ، لأن أهلها راضون ، لأنها
في معنى صالحة ، وقد تقدم طرف من القول في هذا المعنى .

وقوله : وخَلَاكَ ذَمٌّ ، أى : فارقك الذمُّ ، فليست بأهل له ، وقد أحسن
في قوله :

فَشَأْنُكَ أَنْعَمَ وَخَلَاكَ ذَمٌّ

بعد قوله : إِذَا بَلَغْتَنِي^(١) ، وأحسن أيضاً مَنْ اتَّبَعَهُ في هذا المعنى ، كقول
أبي نُوَاس :

وَإِذَا أَلْعَلُّ بَنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرُّجَالِ حَرَامٌ
وكقول الآخر :

تَجَوَّتِ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ رِحْلَةٍ بَانَاقُ إِنْ قَرَّبْتَنِي مِنْ قُتْمٍ^(٢)
وقد أساء الشَّمَاخُ حيث يقول :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَاشْرَقِي بَدَمَ الْوَتِينِ^(٣)

(١) في السيرة : أدبتني .

(٢) البيت لداود بن سلم التيمي يمدح قثم بن العباس ومنها خمسة أبيات في
في ذيل الأمالى لقالى ص ١٢٩ ط ٢ ومنها :

أصم عن قول الخنا سمعه وما عن الخير به صمم
(٣) يمدح عرابة بن أوس . وغرضه أنه لا يبالى لأن الممدوح يحمله
ويعطيه . وانظر ص ٢١٩ سطر اللال ففيها الموازنة بين هذه الايات .

ويذكر عن الحسن بن هانئ أنه كان يَشْنُوهُ إذا ذكر هذا البيت ،
وذكر مُهْلِلُ بْنُ يَمُوتَ بن الزرع عن أبي تَمَّامٍ أنه قال : كان الحسن يَشْنُو
الشَّامِخَ ، وأنا ألعنه من أجل قوله هذا .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم للغفاريَّة : بئس ما جَزَيْتِيهَا ^(١) يَشْدُ
الغرضَ الْمُتَقَدِّمَ ، ويشهد لصحته .

وقوله : مُسْتَنْهَى الثَّوَاءِ : مُسْتَنْفَعِلٌ مِنَ النَّهْيَةِ وَالْإِنْهَاءِ ، أى حيث انتهى
مَثَوَاهُ ، ومن رواه : مُسْتَمْتَرِ الثَّوَاءِ ، أى لا أريد رجوعا .

وقوله :

حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَّانِ سِنْبَتًا ^(٢)

أى حَذَوْنَاهَا نِعْمَالًا مِنْ حَدِيدٍ جَعَلَهُ سِنْبَتًا لَهَا ^(٣) ، مجازاً . وصَوَّانٌ مِنَ
الصَّوْنِ ، أى : بصون حَوَافِرِهَا ، أو أخفافها ، إن أراد الإِبِلَ ، فهو قَعَالٌ
مِنَ الصَّوْنِ ، فقد كانوا يَحْذَوْنَهَا السَّريِّحَ وهو جلد بصون أخفافها ، وأظهر
من هذا أن يكونَ أراد بالصَّوَّانِ يَبِيسَ الْأَرْضِ ، أى لا سِنْبَتَ لَهُ إِلَّا ذَلِكَ ،
ووزنه قَعَالانٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : نَحْلَةٌ خَاوِيَةٌ أَيْ يَابِسَةٌ ، وأنشد أبو علي :

(١) هاجرت الغفارية إليه من مكة على ناقة ، فقالت : إني نذرت إن بلغتني
إليك أن أنحرها .

(٢) عيب السهيل أنه لا يرتب في شرحه . فهو ينتقل من قصيدة إلى أخرى ،
ثم يعود إلى التي تركها .

(٣) السبت : النعال التي تصنع من الجلود المدبوغة .

قَدَّأَوْ بَيْتَ كُلِّ مَاءٍ فَهِيَ صَاوِيَةٌ [مِمَّا تُصِيبُ أَقْصَامُنَ بَارِقِ تَشِيمِ]^(١)

ويشهد لمعنى الصَّوَّانِ هنا قول النابغة الذبياني :

بَرَى وَقَعَ لِلصَّوَّانِ حَدَّ نُسُورِهَا [فَهِنَّ لَطَافٌ كَالصَّغَادِ الذَّوَابِلِ]

وعينُ الفعلِ في صَوَّانٍ ولامِهِ واوٌ ، وأدخَلَ صاحبُ العينِ في بابِ الصادِ والواوِ والياءِ هذا اللفظَ ، فقال : صَوِيَّ يَصْوِي : إِذَا بَيْسَ ، وَنَحْلَةً صَاوِيَةً ، ولو كانَ مما لَامَهُ ياءٌ ، لَقِيلَ في صَوَّانٍ صَيَّانٌ ، كما قيلَ طَيَّانٌ وَرَيَّانٌ ، ولكن لما انقلبَتِ الواوُ ياءً من أَجْلِ الكثرةِ تَوَهَّم الحرفَ من ذَوَاتِ الياءِ وقول عبد الله :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّةٍ

النُّطْفَةُ : القليلُ من الماءِ ، والشَّنَّةُ : السَّعَاءُ البالي ، فَيُوشِكُ أَنْ تَهْرَاقَ النَّطْفَةُ ، وَيَنْخَرِقَ السَّعَاءُ ، ضَرَبَ ذَلِكَ مَثَلًا لِنَفْسِهِ فِي جَسَدِهِ .

عمر جعفر فرسه ومقتدر :

وَأَمَّا عَقْرُ جَعْفَرٍ فَرَسَهُ ، وَلَمْ يَبْعِبْ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، فَدَلَّ عَلَى جَوَازِ ذَلِكَ إِذَا خِيفَ أَنْ يَأْخُذَهَا الْعَدُوُّ ، فَيُقَاتِلُ عَلَيْهَا الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يَدْخُلْ هَذَا فِي بَابِ النَّهْيِ عَنِ تَعَذِيبِ الْبَهَائِمِ ، وَقِيلَ لَهَا عَيْتًا . غَيْرَ أَنَّ أَبَا دَاوُدَ خَرَّجَ هَذَا الْحَدِيثَ ،

(١) البيتُ لِسَاعِدَةِ يَصِفُ بَقْرَ وَحْشٍ . وَالنَّحْلَةُ الصَّاوِيَةُ الَّتِي إِذَا عَطَشَتْ

وَبَيْسَتْ وَضُمَتْ .

فقال : حدثنا النعماني قال : حدثنا محمد بن مسleme عن محمد بن إسحاق عن ابنه عباد يعني : يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال حدثني : أبي الذي أَرْضَعَنِي ، وهو أحد بني مُرَّة بن عَوْف ، وكان في تلك الغزاة غزاة مُوتَة ، قال : والله لكانني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فَعَقَرَهَا ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل .

قال أبو داود : وليس هذا الحديث بالقوى ^(١) ، وقد جاء فيه نهى كثير عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم في جعفر : فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء . وروى عنك مرة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : دخلت الجنة البارحة ، فرأيت جعفرًا يطير مع الملائكة ، وجناحاه مُضَرَّجَان بالدم ^(٢) . وعن سعيد بن المسيب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مُثِّل لي جعفر وزيد وعبد الله بن رَوَاحَة في خيمة من در على أَمِيرَةٍ ، فرأيت زيدا وعبد الله في أعناقهما صُدُودٌ ، ورأيت جعفرًا مستقيماً ، فقيل لي : إنهما حين غَشِيَهُمَا الموتُ أعرضا بوجوههما ، ومضى جعفر ، فلم يُغْرَضْ ، وسمع النبي - صلى الله عليه وسلم - فاطمة حين جاء نبي جعفر تقول : وأعماد ،

- (١) جزم الحافظ أنه حديث حسن . والاصح أن جعفر مات وقد استوفى أربعين سنة وزاد عليها ، وجزم ابن عبد البر أن سنة كان إحدى وأربعين سنة . وفي رواية للبخاري أنهم وجدوا بجسمه بضعا وتسعين من طعنة رمح ورمية بسهم .
- (٢) رواه الحاكم والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً .

فقال : على مثل جَعْفَرٍ ، قُلْتُ بِكَ الْبَوَاكِي . وكان أبو هريرة يقول :
ما احتذى النمل ، ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل
من جَعْفَرٍ . وقال عبد الله بن جعفر : كنت إذا سألت علياً حاجة ، فنحنى
أُقسِمَ عليه بحق جَعْفَرٍ فيمطيني ^(١) .

معنى الجناحين :

ومما ينبئ الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يَسْتَقِ إلى الوهم
على مثل جَنَاحَيْ الطَّائِرِ وريشه ، لأن الصورة الآدمية أشرفُ الصُّورِ ،
وأكملها ، وفي قوله عليه السلام : إن الله خلق آدمَ على صُورَتِهِ ^(٢) تشریفٌ
له عظيمٌ ، وحاشا لله من الذنبيه والتمثيل ، ولكنها عبارة عن صِفَةِ مَلَكية
وقوة روحانية ، أُعْطِيَهَا جَعْفَرٌ كما أُعْطِيَهَا الْمَلَائِكَةُ ، وقد قال الله تعالى لموسى :
﴿ اصْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾ طه : ٢٣ فعبر عن المُضْدِ بِالْجَنَاحِ تَوْشَعًا ، وليس
تَمَّ طَيْرَانٌ ، فكيف بمن أُعْطِيَ الْقُوَّةَ على الطيران مع الْمَلَائِكَةِ أُخْلِقَ بِهِ
إِذَا : أن يوصفَ بِالْجَنَاحِ مع كمال الصورة الآدمية وتمام الْجَوَارِحِ الْبَشَرِيَّةِ ،
وقد قال أهل العلم في أجنحة الْمَلَائِكَةِ ليست كما يُتَوَقَّعُ من أجنحة الطَّيْرِ ،
ولكنها صفات مَلَكيةٌ لَا تُفْقَهُ إِلَّا بِالْمَعَانِيَةِ ، واحتجوا بقوله تعالى :
﴿ أُولَى أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباع ﴾ فاطر : ١ فكيف تكون كأجنحة

(١) هذا دليل وضحه ، فإكان لعل أن يقبل من امرئ الخلف بغير الله ١١ .

(٢) مخرج في الصحيحين .

«الطير على هذا، ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة، ولا أربعة، فكيف بسمائة جناح، كما جاء في صفة جبريل عليه السلام، فدل على أنها صفات لا تنضبط كيفيةها بتلفيكر، ولا ورد أيضاً في بيانها، خبر، فيجب علينا الإيمان بها^(١)، ولا يفيدنا علماً إعمال الفكر في كيفيةها، وكل امرئ في قريب من معاينة ذلك.

فإنما أن يكون من الذين تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، وإما أن يكون من الذين تقول لهم الملائكة، وهم باسطوا أيديهم: أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون.

فضل ابن رواحة:

روأما عبد الله بن رَوَاحَةَ فقد ذكر ابن إسحاق ما ذكر من فضائله.

«وذكر قوله للنبي صلى الله عليه وسلم:

تُبَّتْ اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ تَنِيَتْ موسى وتَصَرَّأ كالذي نُصِرُوا

(١) لقد بين الله في القرآن أنها أجنحة، فيجب علينا الإيمان بأنها أجنحة لا يمكنها لا تشبه جناح طيور، فكل شيء يناسب خلقه. ولا يجوز بحال تأويلها بأنها صفات، فهو قول على الله بغير علم. ولذا رد الحافظ في الفتح كلام السبيلي بقوله: وهذا الذي جزم به في مقام المنع، والذي نقله عن العلماء ليس صريحاً في الدلالة لما ادعاه، ولأمانع من الحل على الظاهر إلا من جهة ما ذكره من المعبود، وهو من قياس الغائب على الشاهد، وهو ضعيف، وكون الصورة البشرية أشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره لأن الصورة بياقية، ص ٤١٦ - فتح الباري.

وروى غيره أنه عليه السلام قال له : قل شراً تَقْتَضِيهِ اقتضائياً ، وأنا
أنظر إليك ، فقال من غير رَوِيَةٍ :

إني تَفَرَّسْتُ فيك الخير

الآيات ، حتى انتهى إلى قوله :

فَنَبَّأَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : وَأَنْتَ فَتَنَّبْتَكَ اللهُ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ ^(١) .

فضل زبير :

وأما زَيْدٌ فقد تقدم التعريفُ به وبِحُمُلَةٍ من فضائله في أحاديثِ
الْمَبْعَثِ ، وَحَسْبُكَ بِذِكْرِ اللهِ له باسمه في القرآن ، ولم يُذكر أحدٌ من
الصَّحَابَةِ باسمه سواه ، وقد بينا النُّكْتَةَ في ذلك في كتاب التعريف والأعلام ،
فَلْيُنْظَرْ هُنَاكَ .

رموع أهل مؤتة :

فصل وذكر رجوع أهلِ مُؤَتَةَ ، وما لقوا من الناس ، إذ قالوا لهم :
يَا فُرَّارُ ، فَرَزْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، ورواية غير ابنِ إسحاق أنهم قالوا للنبي -
صلى الله عليه وسلم - نَحْنُ الْفَرَّارُونَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فقال : بل أنتم الْكَرَّارُونَ ،
وقال لهم : أَنَا فِتْنَتُكُمْ ، يريد : أن مَنْ قَرَّ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِتْنَةِ الْمُسْلِمِينَ ^(٢) ،

(١) لم يسند قوله هذا .

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن لا نعرفه إلا
من حديث ابن أبي زياد ، وفيه : لا ، بل أنتم العكارون ، أنا فتنتكم ، وأنا فتنة
المسلمين .

فلا حَرَجَ عليه ، وإنما جاء الوعيد فيمن فرَّ عن الإمام ، ولم يتحيز إليه ، أي لم يلجأ إلى حوزته ، فيكون معه ، فالْمُتَحَيِّزُ مُتَقَيِّلٌ من الحوزة ، ولو كان وزنه مُتَقَيِّلًا ، كما يظن بعضُ الناس لِقِيلٍ فيه : مُتَحَوِّزٌ . وروى أن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين بلغه قتلُ أَبِي عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَيَّامِ الْقَادِسِيَّةِ ، قَالَ : هَلَا تَحَيَّزُوا إِلَيْنَا ، فَإِنَّا فِيئَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .

وذكر ابنُ إِسْحَاقٍ مُحَاشَاةَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِالنَّاسِ يَوْمَ مَوْتِهِ . وَالْمُحَاشَاةُ : الْمُحَاجَزَةُ ، وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْحَشْيَةِ ، لِأَنَّهُ خَشِيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِقَاءَ عَدُوِّهِمْ ، فَقَدْ قِيلَ : كَانَ الْعَدُوُّ مَائِيَّتِي أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ ، وَخَمْسِينَ أَلْفًا مِنَ الْعَرَبِ ، وَمَعَهُمْ مِنَ الْخِيُولِ وَالسَّلَاحِ مَا لَيْسَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَفِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقٍ : وَكَانَ الْعَدُوُّ مَائَةً أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا ، وَقَدْ قِيلَ : إِنْ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَبْلُغْ عَدْدُهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَمَنْ رَوَاهُ : حَاشَى بِالْحَاءِ اللَّهْمَلَةِ ، فَهُوَ مِنَ الْحَشْيِ ، وَهِيَ النَّاحِيَةُ ، وَفِي رِوَايَةِ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ : حَاشَى بِهِمْ ، فَقَالَ : مَعْنَاهُ : انْحَازَ بِهِمْ ، وَشَعَرَ قَطْعَةً بِنِ قِتَادَةٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ نَمَّ ظَفَرٌ وَمَغْنَمٌ لِقَوْلِهِ :

وَسُقْنَا نِسَاءَ بَنِي عَمَّةٍ عِدَاةَ رُقُوفَيْنِ سَوَقَ الْمَغْنَمِ

وَفِي هَذَا الشَّعْرِ أَنَّهُ قَتَلَ رَئِيسًا مِنْهُمْ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ رَافِلَةَ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقٍ ، فَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ : فَأَخَذَ خَالِدٌ الرَّايَةَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ نَمَّ فَتَحَ ، وَفِي الرَّايَةِ الْآخَرَى حِينَ قِيلَ لَهُمْ : يَا فُرَّارُ ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ نَمَّ مُحَاجَزَةً ، وَتَرَكْتُ لِلْقِتَالِ ، حَتَّى قَالُوا :

نحن الفرارون ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ماتقدم ، فإله أعلم ^(١) .

طعام التعزية وغيرها :

فصل : وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر أن يُسَنَّعَ لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامٌ ، فإنهم قد شُفِلُوا بأمر صاحبهم ، وهذا أصل في طعام التَّعْزِيَةِ وتُسَمِّيهِ الْعَرَبُ الْوَضِيْعَةَ ، كما تُسَمَّى طعام العُرْسِ الْوَلِيْمَةَ ، وطعام القادم من السفر : النَّقِيْعَةَ ، وطعام البناء الْوَكَيرَةَ ، وكان الطعام الذي صُنِعَ لآلِ جَعْفَرٍ فيما ذكر الزبير ، في حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال : فَعَمَدَتِ سَلَمَى

(١) عند الحاكم أن خالد قاتلهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأصاب غنيمة ، وفي صحيح البخاري عن خالد : لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فابقى في يدي إلا صفيحة يمانية . وعند أحمد ومسلم وأبي داود أن رجلاً من أهل اليمن رافقه ، فقتل رومياً . وأخذ سلبه ، فاستكره خالد ، فشكاه إلى رسول الله ص ، كل هذا بدل على أن خالداً قاتل بالمسلمين الروم قتلاً شديداً . ورواية للصحيح : حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم ، وهذا يؤكد النصر . ولهذا يقول ابن كثير عن رواية ابن إسحاق التي يقول فيها إن المسلمين جعلوا يحثون عليهم بالتراب ويقولون : يا فرار الخ يقول عنها : هذا مرسل من هذا الوجه ، وفيه غرابة ، وعندى أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق ، فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم ، فلم يفروا ، بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ، وهو على المنبر في قوله : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فإنا كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك ، وإنما يلقونهم إكراماً وإعظاماً ، وإنما كان للتأنيب ، وحتى التراب للذين فروا وتركوا

مَوْلَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى شَعِيرٍ ، فَطَاحَتْهُ ، ثُمَّ آدَمَتْهُ بَزِيَّتٌ ، وَجَعَلَتْ عَلَيْهِ ذُلْمُلاً ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَأَكَلْتُ مِنْهُ ، وَحَبَسَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ إِخْوَتِي فِي بَيْتِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

منه سمر حسانه في رثاء جعفر :

وذكر قول حسان يَرثِي جَعْفَرًا :

تَأَوَّ بِنِي لَيْلٍ بِيَثْرَبَ أُعْسَرُ

أُعْسَرُ : بمعنى : عَسِرَ ، وفي التَّنْزِيلِ : ﴿ يَوْمَ عَسِرَ ﴾ ، وفيه أيضاً ﴿ عَسِيرٌ ﴾ والمعنى متقارب ، فن قال : عَسِرُ [بَعْسَر] قال : عَسِيرٌ بالياء ، ومن قال : عَسِرَ بَعْسَر ، قال في الاسم : عَسِرٌ وَأُعْسَرُ ، مثل حَقِيقٌ وَأَحْمَقُ .

وفي هذا الشعر قوله :

بِهَالِ لَيْلٍ مِنْهُمْ : جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ

البهال ليلٌ : بجمعُ بهلولٍ ، وهو الوَضِيُّ الوجه مع طولٍ .

وقوله : منهم أحمد المتخير ، فدعا به بعض الناس لما أضاف أحمد المتخير إليهم ، وليس بعيب ؛ لأنها ليست بإضافة تعريفٍ ، وإنما هو تشریف لهم حيث كان منهم ، وإنما ظهر العيبُ في قول أبي نواس :

كَيْفَ لَا يَدْنِيكَ مَنْ أَمَلِ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ

لأنه ذكر واحداً ، وأضاف إليه ، فصار بمنزلة ما عيب على الأعشى :

شَتَّانَ مَا يَوْنِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ

وكان حَيَّانُ أَسَنَ من جابر، وأشرفَ، فمَضِبَ على الأعشى حيث عرفه -
بجابر، واعتذر إليه من أجل الرِّوْيِّ، فلم يقبل عُدْرَه، ووجدت في رسالة -
المهمل بن يَمُوت بن المزرع، قال: قال على بن الأصغر، وكان من رُوّاقه -
أبي نُوَاسٍ قال: لما عمل أبو نواس:

أَيُّهَا الْمُنتَابُ عَنْ عُفْرِه

أُنشدنيها فلما بلغ قوله:

كَيْفَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَقَرِهِ

وقع لي أنه كلام مُسْتَهْجَنٍ في غير موضعه، إذ كان حقُّ رسولِ الله -
صلى الله عليه وسلم - أن يُضَافَ إليه، ولا يُضَافَ إلى أَحَدٍ، فقلت له: أعرفت
عيبَ هذا البيت؟ قال: ما يعيبه إلا جاهل بكلام العرب، وإنما أردت أن
رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - من القبيل الذي هَذَا الممدوح مِنْهُ،
أما سمعت قول حسان بن ثابت شاعرِ دين الإسلام:

وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَائِمُ عِزٍّ لَا تَرَامُ وَمَفْخَرُ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحَدُ الْمُتَخَيَّرِ

وقوله:

بِهِمْ تُفَرِّجُ اللَّأْوَاهُ فِي كُلِّ مَازِقٍ * عَمَاسٍ

الْمَازِقُ : الْمَضِيقُ مِنْ مَضَائِقِ الْحَرْبِ وَالْخُصُومَةِ ، وَهُوَ مَنْ أَرْقَتْ
الشَّيْءَ إِذَا ضَيَّقَتْهُ ^(١) ، وَفِي قِصَّةِ ذِي الرُّمَّةِ قَالَ : سَمِعْتُ غُلَامًا يَقُولُ لِفُلَانَةٍ ،
قَدْ أَرْقَيْتُمْ هَذِهِ الْأَوْقَةَ حَتَّى جَعَلْتُمُوهَا كَالْمِمْ ، ثُمَّ أَدْخَلَ مَنَاجِمَهُ ^(٢) ، يَعْنِي :
عَقَبَهُ فِيهَا ، فَجَنَنَجَهُ ، حَتَّى أَفْهَقَهَا ، أَيْ حَرَّكَهُ حَتَّى وَسِعَهَا . وَالْعَمَاسُ :
الْمُظْلَمُ ، وَالْأَعْمَسُ : الضَّعِيفُ الْبَصَرِ ، وَحُفْرَةُ مُعَمَّسَةٍ ، أَيْ مُفْطَاةٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَإِنَّكَ قَدْ غَطَّيْتَ أَرْجَاءَ هُوَّةٍ مُعَمَّسَةٍ لَا يُسْتَبَانَ تَرَابُهَا
بَشُوبِكَ فِي الظُّلُمَاءِ ، ثُمَّ دَعَوْتَنِي لِحَنْتٍ إِلَيْهَا سَادِرًا لِأَهَابِهَا
أَنْشَدَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي خَبَرِ لُزْرَارَةَ بْنِ عُدُسٍ .

مول شعر كعب :

وَذَكَرَ شُعْرَ كَعْبٍ وَفِيهِ :

سَحَا كَمَا وَكَفَ الطَّابَابُ الْمُخْضِلُ

الطَّابَابُ : جَمْعُ طِبَابِيَّةٍ ، وَهِيَ سَيْرٌ بَيْنَ خَرَزَتَيْنِ فِي الْمَرَادَةِ ، فَإِذَا كَانَ غَيْرُ
مُحْكَمٍ وَكَفَ مِنْهُ السَّاءُ ، وَالطَّابَابُ أَيْضًا : جَمْعُ طَبِيَّةٍ ، وَهِيَ شَقَّةٌ مُسْتَطِيلَةٌ .

وَقَوْلُهُ : طَوَّرًا أَخِي . الْخَنِينُ بِالْخَاءِ الْمَنْقُوطَةِ حَنِينٌ بِبِكَامٍ ، فَإِذَا كَانَ
بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، فَلَيْسَ مَعَهُ بِكَالٍ وَلَا دَمْعٌ .

(١) فِي الْقَامُوسِ : أَرْقَى صَدْرَهُ كَفَرَحٍ وَضَرْبٍ ، ضَاقَ أَوْ تَضَاقَى فِي الْحَرْبِ
كَتَازَقٍ ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّسَانُ غَيْرَ أَرْقَى كَفَرَحٍ .
(٢) هِيَ عَلَى وَزْنِ مَنْبَرٍ وَمَجْلَسٍ .

الاستسقاء للقبور عند العرب :

وقوله : وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْغَمَامُ الْمُسْبِلُ . يرد قول من قال : إنما استسقت العربُ قبور أحببها لِتَخْصَبَ أَرْضُهَا فلا يحتاجون إلى الانتقال عنها لطلب النُجْمَةِ في البلاد . وقال قاسم بن ثابت في الدلائل : فهذا كَعَبٌ يَسْتَسْقِي لِعِظَامِ الشُّهَدَاءِ بِمُوتَةٍ ، وليس معهم ، وكذلك قول الآخر :

سَقَى مُطَغِيَاَتِ الْمَحَلِّ جُودًا وَدِيمَةً عِظَامِ ابْنِ لَيْلَى حَيْثُ كَانَ رَمِيمُهَا

فوقوله : حيث كان رَمِيمُهَا يدل على أنه ليس مُقْبِلًا معه ، وإنما استسقاؤهم لأهل القبور استرحامٌ لهم ، لأن السَّقَى رحمة ، وضدها عذاب .

وقوله : كَانَهُمْ مُنْقُتٌ ، جمع : فَنَيْقٌ ، وهو الفَحْلُ ، كما قال الآخر ، وهو طخيم :

مَبَى كُلِّ فَضْفَاضٍ الرَّدَاءُ كَأَنَّهُ إِذَا مَامَرَتْ فِيهِ الْعِدَامُ فَنَيْقٌ

وقوله :

فَتَغَيَّرَ الْقَمَرُ الْمَنِيرُ لَفَقْدِهِ وَالشَّمْسُ فِدْكَيفَتْ وَكَادَتْ تَأْفِكُ

قوله حق ، لأنه إن كان عني بالقمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعله قرأً ، ثم جعله شمساً ، فقد كان تغير بالْحُزْنِ لَفَقْدِ جَعْفَرٍ ، وإن كان أراد القمر نفسه ، فعنى الكلام ومغزاه حقٌ أيضاً ، لأن المفهوم منه تعظيمُ الحزن والمصاب ، وإذا فهم مَغْزَى الشاعر في كلامه ، والبالغ في الشيء فليس بكذِّيبٍ ،

ألا ترى إلى قوله عليه السلام : أما أبو جهنم فلا يضع عصاه عن عاتقه ، أراد به المبالغة في شدة أدبه لأهله ، فكلامه كله حق - صلى الله عليه وسلم - وكذلك قالوا في مثل قول الشاعر [طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ] :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَ غَضْبَةً مُقْصِرَةً

هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ ، أَوْ قَطَرَتْ دَمًا^(١) .

قال : إنما أراد قتلنا فعلة شنيعة عظيمة ، ف ضرب المثل بهتك حجاب الشمس ، وفهم مقصده ، فلم يكن كذباً ، وإنما الكذب أن يقول : فعلنا ، وهم لم يفعلوا ، وقتلنا وهم لم يقتلوا .

من شعر صانعه في رثاء جعفر :

وذكر أبيات حسن ، وفي بعضها تضمين ، نحو قوله : وأذلها ، ثم قال في أول بيت آخر : لأحق ، وكذلك قال في بيت آخر : وأقلها ، وقال في الذي بعده : فحشاً ، وهذا يسمى التضمين .

وذكر قدامة في كتاب نقد الشعر أنه عيب عند الشعراء ، ولعمري إن فيه مقالاً ، لأن آخر البيت يوقف عليه ، فيوم الذم في مثل قوله : وأذلها ، وكذلك ، وأقلها ، وقد غلب الزبرقان على المختل السعدي^(٢) ، واسمه : كعب بكلمة قالها المختل أشهر منه ، ولكنه لما قال يهجوهم :

(١) في رواية : مطرت ، وهي الیق .

(٢) هو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة الحمصي . هذا قول محمد بن حبيب . وقال ابن الكلبي : الربيع بن ربيعة بن عوف . وقال ابن رآب : اسمه : كعب .

وأبوك بذر كان يَنْهَزُ الْخَصَى وَأَبَى الْجَوَادُ رِبْعَةُ بْنُ قَتَالٍ^(١)
وَصَلَ السَّكَّامَ بِقَوْلِهِ : وَأَبَى ، وَأَدْرَكَهُ بُهْرٌ أَوْ سُعْلَةٌ ، فَقَالَ لَهُ الزُّبْرَقَانُ :
فَلَا بَأْسَ إِذَا ، فَضَحَكَ مِنَ الْمُخْبَلِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الزُّبْرَقَانُ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا
مَعْمِيكَ فِي وَسْطِ الْبَيْتِ ، فَأَخْرَى أَنْ يُعَابَ فِي آخِرِهِ ، إِذَا كَانَ يَوْمَ الذِّمِّ ،
وَلَا يَنْدَفِعُ ذَلِكَ الْوَمُ إِلَّا بِالْبَيْتِ الثَّانِي ، فَلَيْسَ هَذَا مِنَ التَّحْصِينِ عَلَى الْمَعَانِي
سَوَالِ التَّوَقُّيِّ لِلْإِعْتِرَاضِ^(٢) .
وقول حسان :

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِكَ الْمَنْزُورِ

التَّزَرُّ : الْقَلِيلُ ، وَلَا يَحْسُنُ هُنَا ذِكْرُ الْقَلِيلِ ، وَلَكِنَّهُ مِنْ تَزَرَّتُ الرَّجُلَ
إِذَا أَلْحَتُ عَلَيْهِ ، وَتَزَرَّتُ الشَّيْءَ إِذَا اسْتَنْفَذْتُهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ عُمرَ - رحمه
الله - تَزَرَّتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) - الْأَصَحُّ فِيهِ التَّخْفِيفُ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : قَتَالٌ وَصَوَابُهُ مَا أَثَبَتْ .

(٢) الْمَضْمَنُ مِنَ الشَّعْرِ مَا ضَمِنْتَهُ بَيْتًا ، وَقِيلَ مَا لَمْ تَمَّ مَعَانِي قَوَافِيهِ
إِلَّا بِالْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ . وَلَا يَغِيبُ الْأَخْفَشُ هَذَا ، وَقَالَ ابْنُ جَنِّي : هَذَا الَّذِي رَأَى
أَبُو الْحَسَنِ مِنْ أَنَّ التَّضْمِينَ لَيْسَ بِغَيْبٍ مَذْهَبُ تَرَاهُ الْعَرَبُ ، وَتَسْتَجِزُهُ وَانْظُرْ
الْإِسَانُ مَادَّةَ ضَمْنِ فَقِيهِ الْمَزِيدِ .

(٣) لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ عَنْ شَيْءٍ مَرَارًا فَلَمْ يَجِبْهُ ، فَقَالَ لِنَفْسِهِ :
تَشَكَّلَتْكَ أَمْكُ يَا عَمْرُ : تَزَرَّتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَارًا لَا يَجِيبُكَ .
أَيُّ الْحَمَتِ عَلَيْهِ فِي الْمَسَاقَةِ .

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثته إلى
مؤنة جادى الآخرة ورجباً..

قال الشاعر :

فَخُذْ عَفْوَ مَنْ يَهْوَاهُ لَا تَنْزُرْهُ
فَمَنْدُ بُلُوغِ السَّكْدِ رَنْقُ الْمَشَارِبِ^(١)
وقوله : يوم راحوا في وقعة التَّغْوِيرِ ، هو مَصْدَرُ غَوَّرْتَ إِذَا تَوَسَّطَ
الْقَائِلَةُ مِنَ النَّهَارِ ، ويقال أيضاً : أَغْوَرَ فهو مُغَوَّرٌ ، وفي حديث الإفك :
مُغَوَّرِينَ فِي تَحْرِ الظَّهِيرَةِ ، وإنما صحت الواو في مُغَوَّرٍ ، وفي أَغْوَرَ من هذا ،
لأنَّ الْفِعْلَ بُنِيَ عَلَيْهِ عَلَى الزَّوَادِ ، كما بُنِيَ اسْتَحْوَذَ ، وَأَغْيَمَلَتِ الْمَرْأَةُ ، وليس
كذلك أَغَارَ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَلَا أَغَارَ الْحَبْلُ .

وذكر فيمن استشهد بمؤنة أبا كليب بن أبي صَعَصَعَةَ . وقال ابن هشام : فيه
أبو كلاب ، وهو المعروف عندهم ، وقال أبو عمرو : لا يعرف في الصحابة أحد
يقال له أبو كليب^(٢) .

(١) هو في اللسان وشطرته الأول هكذا : « فخذ عفو ما آتاك لا تنزرنه » .
(٢) يقول الحافظ في الإصابة : يحتمل أن يكون أراد هذا . يعني
أبا كليب بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول الأنصاري أخا جابر شقيقه ،
ويحتمل أن يكون جد عاصم بن كليب . فين لعاصم رواية عن أبيه عن جده .
(٣) ٤ - البروق الأنف - ج ٧

ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوثير ، وكان الذي هاج ما بين بني بكر وخزاعة أن رجلا من بني الحضرى ، واسمه مالك بن عباد - وحلف الحضرى يومئذ إلى الأسود بن رزن - خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة ، عدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدبلى - وهم منخرو بنى كنانة وأشرافهم - سلمى وكنثوم وذؤيب - فقتلوهم بمعرفة عند أنصاب الحرم .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من بنى الدليل ، قال : كان بنو الأسود ابن رزن يؤدون فى الجاهلية دبتين دبتين ، ونودى دية دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق : فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، كان فيما شرطوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط لهم ، كما حدثني الزهرى ، عن عمرو بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الدليل من بنى بكر من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك الغنم الذين أصابوا منهم بنى

الأسود بن رزن ، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الدليل ، وهو يومئذ قائم ، وليس كل بني بكر تابعه حتى بيئت خزاعة وهم على الوثير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت بني بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : يا نوفل ، إنا قد دخلنا الحرم ، إلهك إلهك ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يا بني بكر أصيبوا تارككم ، فلمعري إنكم لتشرقون ، في الحرم ، أفلا تصيبون تارككم فيه ؛ وقد أصابوا منهم ليلة بيئتوهم بالوثير رجلا يقال له منبه ، وكان منبه رجلا مفشودا خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، وقال له منبه : يا تميم ، انهم بنفسك ، فأما أنا فوالله إني لميت ، قتلوني أو تركوني لقد انبئت فزادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منبه فقتلوه ، فلما دخلت خزاعة مكة ، لجئوا إلى دار بديل ابن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع ؛ فقال تميم بن أسد يستنذر من فراره عن منبه :

شعر تميم في الاعتذار من فراره عن منبه

لَمَّا رَأَيْتُ بَنِي مُفَاتَةَ أَقْبَلُوا يَفْشُونَ كُلَّ وَتِيرَةٍ وَحِجَابِ
صَخْرًا وَرَزْنَا لَاعَرِيبَ سِوَاهُمْ يَرْجُونَ كُلَّ مُقَامٍ خِتَابِ
وَذَكَرْتُ دَخْلًا عِنْدَنَا مُتَقَادِمًا فَمَا مَقَى مِنْ سَالِفِ الْأَخْطَابِ
وَنَشِيتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تَلْقَائِهِمْ وَرَهْبْتُ وَقَعَ مُهْتَدٍ قَضَابِ

وعرفت أن من ينفقوه يتركوا لحما لمجربة وشقو غراب
قومت رجلا لا أخاف عثارها وطاحت بالهتين العمراء ثيابي
ونجوت لا ينجو نجائي أخف عليج أقب مشر الأقراب
تلحى ولو شمدت لكان نكيرها بولا يبل مشافر القباب
القوم أعلم ما تركت منبها عن طيب نفس فاسأل أصحابي

قال ابن هشام : وتروى لحبيب بن عبد الله (الأعلم) للهذلي وبديته :
« وذُكرت ذحلا عندنا متقادما » عن أبي عبيدة ، وقوله « خناب » و « عليج »
أقب مشر الأقراب » عنه أيضا .

شعر الأخزر في الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن إسحاق : وقال الأخزر بن لُفط الدبلي ، فيما كان بين كنانة وخزاعة
في تلك الحرب :

ألاهل أتى قصوى الأحابيش أنا رددنا بني كعب بأفوق ناصيل
حبسناهم في دارة العبد رافع وعند بدبل تحبسا غير طائيل
بدار الدليل الأخذ الضيم بعدما سقمينا النفوس منهم بالناصيل
حبسناهم حتى إذا طال يومهم نفجنا لهم من كل شيب بوابل
نذبهم ذبح الثيوس كأننا أسود تبارى فيهم بالقواصيل
هم ظلمونا واعتدوا في مسيرهم وكنوا لدى الأنصاب أول قاتل
كانهم بالجزع إذ بطردونهم قفائور حقان النعام الجوافل

بدیل یرد علی الآخر

فأجابه بُدَیل بن عبد مناة بن سُلَمة بن عمرو بن الأجب ، وكان یقال له بدیل بن أمّ أصرم ، فقال :

لهم سَیِّداً یَندُوهم غیرَ نافلٍ	تَفَاقَدَ قَوْمٌ یَفْخَرُونَ ولم ندع
تُجِیز الوَثیرَ خائفاً غیرَ آیلٍ	أَمِنْ خِیفَةِ القومِ الألی تَزْدَرِیهمُ
لعمَل ولا یُحْجِی لَنَا فی العَمَاقِلِ	وفی کلِّ یَوْمٍ نَحْنُ نَحْبُو حِباءنا
بأسِیافنا یَسْبِقُنَ أَوَّامُ العَوَازِلِ	ونحنُ صَبَحْنَا بِالتَّلَاعَةِ دَارَکُمُ
إِلَى خَیْفِ رَضوی من بَجَرِ القَنَابِلِ	ونحنُ مَنَعْنَا بَینَ بَیضٍ وَعِثودِ
عَبِیسُ جَفَعَناهُ بِجَلَدٍ حُلَاحِلِ	وَبَیْومِ الغَیمِ قَدْ تَکَفَّتْ سَاعِیَا
یَجْعَلُوسِیَا تَنْزُونَ أَنْ لَمْ تُقَاتِلِ	أَنْ أَنْجَرْتَ فی بَیتِها أُمَّ بَعْضِکُمْ
ولَکِنْ تَرَكْنَا أَمْرَکُمْ فی بَلَابِلِ	کَذِبِکُمْ وَبَیتِ اللَّهِ ما إِنْ قَتَلْتُمْ

قال ابن هشام : قوله « غیر نافل » ، وقوله « إلی خیف رضوی » عن غیر ابن إسحاق .

شعر حسان فی الحرب بین کنانة وخزاعة

قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت فی ذلك :

لَما اللَّهُ قوماً لم ندع من سَرَاتِیهم	لهم أَحَدًا یَندُوهم غیرَ نَاقِبِ
أَخْصِی حَارِمَاتِ بِالْأَمْسِ نَوَفَلًا	مَتى کنتَ مِفْلاحاً عَدُوَ الحَقَائِبِ

شعر عمرو الخزاعي للرسول يستنصره ورده عليه

قال ابن إسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وقُريش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خُزاعة ، وكان في عَقْدِهِ وعَهْدِهِ ، خرج عمرو ابن سالم الخُزاعيُّ ، ثم أحد بنى كعب ، حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتَح مَسَكَّة ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظَهْرَانِي الناس ، فقال :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ نَحْمَدُ حَلَفَ أَيْبِنَا وَأَيْبِهِ الْأَثْلَا
قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدًا نُمِتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ بَدَا
فَانصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا إِنْ سِمْ خَسَفَا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا
فِي فَيْلِقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا إِنْ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمَوْكِدَا وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَّارٍ رُصْدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا
فَمُ بَيْتُونَا بِالْوَيْبِ هُجَّدَا وَقَتَلُونَا رُكَّامًا وَسَجَّدَا
بقول : قَتَلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا .

قال ابن هشام : وَيُرْوَى أَيْضًا :

فَانصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَيْدَا

قال ابن هشام : ويُرْوَى أيضاً :

نحن ولدناك فكنت ولدنا

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتَ يا عمرو
ابن سالم . ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَنَانٌ مِنَ السَّمَاءِ ، فقال :
إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ تَدَسَّيْهِلُ بَنَصْرَ بَنِي كَعْبٍ .

ابن ورقاء يشكو إلى الرسول بالمدينة

ثم خرج بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءٍ فِي نَفَرٍ مِنْ خُرَازَةِ حَتَّى قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَصِيبَ مِنْهُمْ ، وَبِمُظَاهَرَةِ قُرَيْشِ بْنِ بَكْرٍ
عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِلنَّاسِ : كَأَنَّكُمْ بَابِي سَفِيَانٌ قَدْ جَاءَ كَمْ لِي شِدَّةُ الْعَقْدِ ، وَيَزِيدُ فِي الْمُدَّةِ . وَمَضَى
بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءٍ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى لَقُوا أَبَا سَفِيَانَ بْنِ حَرْبٍ بَعْثَانِ ، قَدْ بَعَثْتَهُ
قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِيَشُدَّ الْعَقْدَ ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ ،
وَقَدْ رَهَبُوا الَّذِي صَنَعُوا . فَلَمَّا لَقِيَ أَبُو سَفِيَانَ بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءٍ ، قَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟
أَقْبَلْتَ يَا بُدَيْلُ ؟ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ تَسَبَّرْتُ
فِي خُرَازَةِ فِي هَذَا السَّاحِلِ ، وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي ، قَالَ : أَوْ مَا جِئْتَ مُحَمَّدًا ؟ قَالَ :
لَا ؛ فَلَمَّا رَاحَ بُدَيْلٌ إِلَى مَكَّةَ ، قَالَ أَبُو سَفِيَانَ : لَنْتَنَ جَاءَ بُدَيْلٌ لِلدِّينَةِ لَقَدْ
عَلَفَ بِهَا النَّوَى ، فَأَتَى مَبْرُكَ رَاحِلَتِهِ ، فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَنَمَقَّهُ ، فَرَأَى فِيهِ النَّوَى ،
فَقَالَ : أَحْلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلٌ مُحَمَّدًا .

أبو سفيان يحاول المصالحة

ثم خرج أبو سفيان حتى قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على ابنته أمّ حَبِيبَةَ بنت أبي سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوّته عنه ، فقال : يا بُنَيَّةُ ، ما أدرى أرغبتِ بي عن هذا الفراش أم رَغِبْتَ به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأنت رجل مُشْرِكٌ نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : والله لقد أصابك يا بُنَيَّةُ بعمدي شرٌّ . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ، فلم يردّ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبي بكر ، فكلمه أن يُكَلِّمَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عُمرَ بن الخطّاب فكلمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ، وعندها حسنُ بن عليّ ، غلام يَدِيبُ بين يديها ، فقال : يا عليّ ، إنك أمسّ القوم بي رحماً ، وإني قد جئت في حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لي إلى رسول الله ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنةُ مُحَمَّدٍ ، هل لك أن تأمرى بُنَيَّكَ هذا فيُحِيرَ بين الناس ، فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ نبيّ ذاك أن يُحِيرَ بين الناس ، وما يُحِيرُ أحدٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عليه وسام، قال : يا أبا الحسن ، إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ ، فانهضني ؛
 قال : والله ما أعام لك شيئاً يغني عنك شيئاً ، ولكنك سيد بني كِسْفانة ، فقم
 فأجِر بين الناس ، ثم الحق بأرضك ؛ قال : أوترى ذلك مُغنياً عني شيئاً ؟
 قال : لا والله ، ما أظنّه ، ولكني لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سُفْيَان
 في المسجد ، فقال : أيها الناس ، إني قد أجرتُ بين الناس . ثم ركب بعيره .
 فانطلق ، فلما قدم على قُريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئتُ محمداً فكلّمته ،
 فوالله ماردٌ عليّ شيئاً ، ثم جئتُ ابن أبي قُحافة ، فلم أجد فيه خيراً ، ثم
 جئتُ ابن الخطّاب ، فوجدته أدنى العدو .

قال ابن هشام : أعدى العدو .

قال ابن إسحاق : ثم جئتُ عالياً فوجدته ألينَ انقوم ، وقد أشار عليّ بشيء .
 صنعته ، فوالله ما أدرى هل يغني ذلك شيئاً أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال :
 أمرني أن أجير بين الناس ، ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ،
 قالوا : وبلك ! والله إن زاد الرجل على أن يحب بك ، فما يُغني عنك ما قلت .
 قال : لا والله ، ما وجدت غير ذلك .

الرسول صلى الله عليه وسلم يعد لفتح مكة

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهزوه ،
 فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها ، وهي تمرّك بعض جهاز
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أي بُنَيَّة : أأمركم رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز ؛ قال : فأين تريد ؟ قالت : (لا) والله ما أدري . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها . فتجهز الناس .

حسان يحرص الناس

فقال حسان بن ثابت يحرص الناس ، ويذكر مصاب رجال خزاعة :

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم يسألوا سيوفهم وقتل كثير لم نجن ثيابها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي سهيل بن عمرو وخزها وعقابها
وصفوان عود حن من شفر راسه فهذا أوان الحرب شد عصاها
فلا تأمننا يابن أم مجالد إذا احتلبت صرفا وأعصل نابها
ولا تجزعوا منا فإن سيوفنا لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن هشام : قول حسان : « بأيدي رجال لم يسألوا سيوفهم » يعني قريشا ؛ « وابن أم مجالد » يعني عكرمة بن أبي جهل .

كتاب حاطب إلى قريش

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة

كتب حاطبُ بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يُخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، زعم محمد بن جعفر أنها من مُزَيْنَةَ ، وزعم لي غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب ، وجعل لها جُفلاً على أن تبغله قريشاً ، فجعلته في رأسها ، ثم قتلت عليه قُرونها ، ثم خرجت به ؛ وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على بن أبي طالب والزهري بن العوام رضي الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطبُ بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش ، يُخذّرم ما قد أجمعنا له في أمرهم ، فخرجا حتى أدركاها بالحلّةيقة ، خليفة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها ، فالتسّاه في رَحْلِها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها عرو بن أبي طالب : إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كُذِيَ بنا ؛ ولتُخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجِدّة منه ، قالت : اعرض ، فأعرض ، فحلت قُرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً ، فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إني أؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكنني كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل ، فصامتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب ، يا رسول الله ، دعني فلا ضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يذريك يا عمر ، لعل الله قد أطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم . فأنزل الله تعالى في حاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ

أُولَئِكَ يُتْلَقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴿ . . . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ، إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ
مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ . . . إِلَى آخِرِ
الْقِصَّةِ . لِلْمُتَحَنِّةِ .

خروج الرسول في رمضان

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ :
ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَفَرِهِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُحْمٍ ،
كَالثُومِ بْنِ حُصَيْنٍ ، بَنِي نُتْبَةَ بْنِ خَلْفٍ الْغِفَارِيِّ ، وَخَرَجَ لِنَشْرِ مَضْيَعٍ مِنْ
رَمَضَانَ ، فَصَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ
بِالْكَدِيدِ ، بَيْنَ عَسْفَانَ وَأَمَجٍ أَفْطَرَ .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ مَرَّةَ الظَّهْرَانِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ، فَسَبَّحَتْ سُلَيْمٌ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ أَلْفَتْ سُلَيْمٌ ، وَأَلْفَتْ مُزَيْنَةَ .
وَفِي كُلِّ الْقَبَائِلِ عِدَدٌ وَإِسْلَامٌ ، وَأَوْعَبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُمْ أَحَدٌ ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةَ الظَّهْرَانِ ، وَقَدْ عُيِّنَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمْ يَأْتِهِمْ
خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا يَذَرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ ، وَخَرَجَ فِي
تِلْكَ الْأَيَّامِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَانَ ،

يَتَحَسَّرُونَ الْأَخْبَارَ ، وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبْرًا أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ اتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ .

قال ابن هشام : لقيه بالْجُحْفَةِ مُهَاجِرًا بَعِيَالَهُ ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُقِيمًا بِمَكَّةَ عَلَى سِقَابَتِهِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ رَاضٍ ، فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ شُمَابِ الزُّهْرِيُّ .

قال ابن إسحاق : وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الدُّمَيْرَةِ قَدْ لَقِيَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا بِبَنِيكَ الْعُقَابِ ، فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، فَاتَمَسَا الدَّخُولَ عَلَيْهِ . فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهِمَا ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصِهْرُكَ ؛ قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا ، أَمَا ابْنُ عَمِّي فَهِيَ عَمَّتِي وَصِهْرِي فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ . قَالَ : فَلَمَّا خَرَجَ الْخَبْرُ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ ، وَمَعَ أَبِي سُفْيَانَ بُنْيُ لَهُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أُذِنُّ لِي أَوْ لَا أَخْذُنْ بِيَدِي بَنِي هَذَا ، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَمُوتَ عَطْشًا وَجُوعًا ؛ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَّ لَهُمَا ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمَا ، فَدَخَلَا عَلَيْهِ ، فَأَسْلَمَا .

وَأَنشَدَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ قَوْلَهُ فِي إِسْلَامِهِ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مَعَهُ مِنْهُ ، فَقَالَ :

لَقَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحِلَّ رَابَةَ
لِغَلْبِ خَيْلِ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لَكَ الْمُدَّاجِ الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ
فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدَى وَأُهْتَدَى

.....

هداني هادي غير نفسي وقالني مع الله من طردت كل مطرد .
أصد وأناي جاهداً عن محمد وأدعي وإن لم أنتسب من محمد .
ثم ما هم من لم يقل به وأهم وإن كان ذا رأي لم يفند .
أريد لأرضيهم ولست بلائط مع القوم ما لم أهد في كل مقعد .
فقل لتخيف لا أريد قتالها وقل لتخيف تلك غيري أو عدي .
فاكنت في الجيش الذي نال عامراً وما كان عن جرأ لسان ولا يدي .
قبائل جاءت من بلاد بعيدة نزائع جاءت من سهام وسرود .
قال ابن هشام : ويروى « وداني على الحق من طردت كل مطرد » .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « ونالني مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره ، وقال : أنت طردتني كل مطرد .

قصة إسلام أبي سفيان على يد العباس

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة الظهران ، قال للعباس بن عبد المطلب : فقلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلك قريش إلى آخر الدهر . قال : فجلست على بقة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، فخرجت عليها . قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلي أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ليُخْرِجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنُودٌ . قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرُ
عَلَيْهَا ، وَأَنْتَ مَا خَرَجْتَ لَهُ ، إِذْ سَمِعْتَ كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ وَبُدَيْلَ بْنِ وَرْقَانَ ،
وَهُمَا يَتَرَاكِمَانِ وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْأَيْلَةِ نِيرَانًا قَطَّ وَلَا عَسْكَرًا ،
قَالَ : يَقُولُ بُدَيْلُ : هَذِهِ وَاللَّهِ خُرَاعَةٌ كَحَشَشَتِهَا الْحَرْبُ . قَالَ : يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ :
خُرَاعَةٌ أَذْلُ وَأَقْلُ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانًا وَعَسْكَرًا ؛ قَالَ : فَعَرَفْتُ
صَوْتَهُ ؛ فَقُلْتُ : يَا أَبَا حَنْظَلَةَ فَعَرَفَ صَوْتِي ، فَقَالَ : أَبُو الْفَضْلِ ؟ قَالَ : قَالَتْ :
نَعَمْ ؛ قَالَ : مَا لَكَ ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؛ قَالَ : قُلْتُ : وَنَحْمَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، هَذَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ ، وَاصْبَحَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ . قَالَ :
فَمَا الْحَيْلَةُ ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؛ قَالَ : قُلْتُ : وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ ،
فَارْكَبْ فِي هَذِهِ الْبَغْلَةِ حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْتَأْمِنَهُ
لَكَ ؛ قَالَ : فَارْكَبْ خَلْفِي وَرَجِّعْ صَاحِبَاءَهُ ؛ قَالَ : لَجِثْتُ بِهِ ، كَمَا صَرْتُ بِنَارٍ مِنْ
نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَأَنَا عَلَيْهَا ، قَالُوا عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ ، حَتَّى
مَرَرْتُ بِنَارِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَقَامَ إِلَيَّ ،
فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجْزِ الدَّابَّةِ ، قَالَ : أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ ! الْحَدَّ اللَّهُ الَّذِي
أَمَكَّنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَرَكضَتُ الْبَغْلَةُ ، فَسَبَقَتْهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الْبَطِيئَةُ الرَّجُلَ الْبَطِيءُ . قَالَ :
فَانْتَحَمْتُ عَنِ الْبَغْلَةِ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ
عَمْرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ
وَلَا عَهْدٍ ، فَدَعْنِي فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ ؛ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَجْرْتُهُ ،

ثم جلستُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذتُ برأسه ، فقلت : والله لا يُناجيه إلا ليلةَ دُوني رجل ؛ فلما أَكثَرَ عمر في شأنه ، قال : قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله أن لو كان من بني عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف ؛ فقال : مهلاً يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إليّ من إسلام الخطأب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إليّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطأب لو أسلم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به يا عباس إلى رَحْلك ، فإذا أصبحتَ فَأَتِنِي به ، قال : فذهبتُ به إلى رحلي ، فبِاتَ عندي ، فلما أصبحَ غَدَوْتُ به إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يَأْنِ لَكَ أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي أنت وأُمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يَأْنِ لَكَ أن تعلم أني رسولُ الله ؟ قال : بأبي أنت وأُمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله قبل أن تُضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحبُّ هذا الفخر ، فأجعل له شيئاً ، قال : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابَه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهبَ لينصرفَ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا عباس ، احبسه بمَضِيقِ الوادي عند خُطم

الجليل ، حتى تمرّ به جنود الله فيراها . قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي ، حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسّه .

عرض الجيش

قال : ومرّت القبائل على راياتها ، كلما مرّت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالي وسليم ، ثم تمرّ القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مربيّة ، فيقول : مالي ولمربيّة ، حتى غدت القبائل ، ما تمرّ به قبيلة إلا يسألني عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالي وابني فلان ، حتى مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال الحارث بن حلزة البشكري :

ثم حُجِّرَ أعني ابن أمّ قَظَامٍ وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ

يعني الكتيبة ، وهذا البيت في قصيدته له ، وقال حسان بن ثابت الأنصاري :

لَمَّا رَأَى بَدْرًا تَسِيلُ جِلَاحُهُ بِكَتِيْبَةِ خَضْرَاءٍ مِنْ بَلَخَزَرَجٍ

وهذا البيت في أبيات له قد كتبناها في أشعار يوم بدر .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لا يرى منهم إلا الحديد من الحديد ، فقال : سبحان الله : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت :

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد
بهؤلاء قبْل ولا طاقه ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلك ابن أخيك الفداء
عظيماً ، قال : قالت : يا أبا سُفيان ، إنها النبوة . قال : فنعلم إذن .

أبو سُفيان يحذر أهل مكة

قال : قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته :
يا مشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبْل لكم به ، فمن دخل دار أبي سُفيان
فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عُتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : قتلوا الحِمِيَّةَ
الدِّمِيَّةَ الأَحمَسَ ، قُبِّحَ من طَلِيعَةِ قوم ! قال : ويالكم لا تفرّتمكم هذه من
أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبْل لكم به ، فمن دخل دار أبي سُفيان فهو آمن ،
قالوا : قاتلك الله ! وما تُنفى عنا دارك ، قال : ومن أغلق عايه بابه فهو آمن ،
ومن دخل المسجد فهو آمن ، ففترق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته مُعْتَجِراً بِشُقَّةٍ بَرْدٍ حَبَرَةٍ
حمراء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى
ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثْنُونَهُ لِيَسْكَادَ يَمْسُ واسطة الرجل .

إسلام والد أبي بكر

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طوى قال أبو قحافة لابنة من أصغر ولده : أى بنيتي ، اظهري بي على أبي قبيس ، قالت : وقد كف بصره ، قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أى بُنيّة ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخليل ، قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك مُقبِلاً ومُذبراً ، قال : أى بُنيّة ، ذلك الوازع ، يعنى الذى يأمر الخليل ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دُفِعت الخليل ، فأسرعى بي إلى بيتي ، فأنخطت به ، وتلقاه الخليل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفي عنق الجارية طوق من ورق ، فتلقاها رجل فيقطعها من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟ قال أبو بكر ، يا رسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت ، قال : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : أسلم فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر وكان رأسه ثمامةً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غيروا هذا من شعره ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ، فام يُجبّه أحد ، قالت : فقال : أى أُخِيّة ، احتسبي طوقك ، إن الأمانة في الناس اليوم لقليل .

جيوش المسلمين تدخل مكة

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه من ذى طوى ، أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدَى ، وكان الزبير على المَجَنَّبَةِ اليسرى ، وأمر سعد ابن عُبادة أن يدخل في بعض الناس من كَدَاء .

المهاجرون وسعد

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وُجِه دخلاً ، قال : اليومُ يوم الصَّلَاحَةِ ، لِيُزِمَ تُسْتَجَلَّ الحُرْمَةُ ، فسمعها رجلٌ من المهاجرين - قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب - فقال : يا رسول الله : اسمع ما قال سعد ابن عُبادة ، ما نأمن أن يكون له نى قُرَيْشِ صَوْلَةٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن طالب : أدركه ، مُخِذَ الرَايَةِ مِنْهُ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَدْخُلُ بِهَا .

كيف دخل الجيش مكة؟

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد . فدخل من اللَّيْط ، أسفل مكة ، في بعض الناس ، وكان خالد على المَجَنَّبَةِ اليمْنَى ، وفيها أسلمُ وسُنَيْمٌ وغِفَارٌ ومُزَيْنَةُ وجُهَيْنَةُ وتبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عُبَيْدَةَ بن الجراح بالصف من المسلمين يَنْصَبُ لِمَكَّةَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ،

ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أذخر ، حتى نزل بأعلى مكة ،
وضربت له هنالك قُبَّتُهُ .

الذين تعرضوا للمسلمين

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر :
أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا
ناساً بالخدمة ليقاتلوا ، وقد كان حماس بن قيس بن خالد ، أخو بني بكر ، يُمدُّ
سلاحاً قيل دُخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصيح منه ، فقالت له
امراته : لماذا تُمدُّ ما أرى ؟ قال : لحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم
لحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمَكَ بعضهم ، ثم قال :

إِنْ يُقِيلُوا الْيَوْمَ فَأَلِيَّ عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ

وَذُو غِرَارٍ بِنِ سَرِيعِ السَّلَّةِ

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من
أصحاب خالد بن الوليد ، ناوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كُرْز بن جابر ، أحد
بنى محارب بن قنبر ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أضرَم ، حليف بني
مُنَقَذ ، وكانافي خيل خالد بن الوليد فشذأ عنه فسلكا طريقاً غير طريقه
فقتلا جميعاً ، قُتل خنيس بن خالد قبل كُرْز بن جابر ، فجعله كُرْز بن جابر
بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قُتل ، وهو يَرْتَجِزُ ويقول :

.....

قد علمت صفراء من بني فهر نقيصة الوجه نقيصة الصدر
لأضر بن اليوم عن أبي صخر

قال ابن هشام : وكان خنيس يكنى أبا صخر ، قال ابن هشام : خنيس
ابن خالد ، من خزاعة .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن بكر ،
قالا : وأصيب من جبهة سلمة بن الأكلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب
من الشركين ناس قريب من اثني عشر رجلا ، أو ثلاثة عشر رجلا ،
ثم انهزموا ، فخرج حاس منهزماً حتى دخل بيته ، ثم قال لامراته : أغلقى على
بابي ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

لأنك لو شهدت يوم الخلد - دمه إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد قائم كالقومة واستبلمهم بالثيوف المسلمه
يقطن كل ساعد وجنجه ضرباً فلا يسمع إلا غمغه
لهم نهيت خلفنا وهمهم لم تنطقي في اللوم أذني كلمه

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قوله « كالقومة » ،
وتروى لأرعاش الهذلي .

شعار المسلمين يوم الفتح

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

.....

وحنين والطائف، شعار المهاجرين : يابني عبد الرحمن ، وشطار الخزرج : يابني عبد الله ، وشعار الأوس : يابني عبيد الله .

من أصر الرسول بقتلهم

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أسرائته من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد في غير تمام أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بني عامر بن لؤي .

ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، فارتد مشركا راجعا إلى قريش ، ففرّ إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه لارضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمان الناس وأهل مكة ، فاستأمن له : فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ، ثم قال : نعم ؛ فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلى يارسول الله ؟ قال : إن النبي لا يهتل بالإشارة .

قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خطّال ، رجل من بني تميم بن غالب : إنما أمر

• • • • •

بقتله أنه كان مسلماً ، فبعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مصداقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلماً ، فنزل منزلاً ، وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، فيصنع له طعاماً ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فمدا عايه فقتله ، ثم ارتد مشركاً .

وكانت له قنيتان : قَرْنَتَى وصاحبتهما ، وكانتا تغنيان بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

والْحَوْرِث بن مُقَيْد بن وهب بن عبد بن قصى ، وكان ممن يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم ، ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فنخس بهما الْحَوْرِث بن مُقَيْد ، فرمى بهما إلى الأرض .

قال ابن إسحاق : ومِقَيْسُ بن حُبَابَةَ [أَوْصَابَةَ] وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، لقتل الأنصارى الذى كلف قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى رِيَشٍ مُشْرِكاً وسارقه ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب . وعكرمة بن أبى جهل . وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته . أم حَكِيم بنتُ الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنه فخرجت في طلبه إلى اليمن ، حتى أنت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم . وأما عبد الله بن خَطَل ، فقتله سعيد بن حُرَيْث الخزومى . وأبو بَرَزَةَ الأسلمى ، اشتركا في دمه ؛ وأما مِقَيْسُ بن حُبَابَةَ فقتله مُسَيْلَمَةُ .

ابن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مقيس في قتله :

لَمْ تَمُرْ لَقْد أَخْزَى نُمَيْلَةَ رَهْطَهُ وَفَجَّعَ أَضْيَافَ الشَّتَاءِ بِمَقْيَسِ
فَلَيْلَهُ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَقْيَسِ إِذَا النِّسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخْرَسِ

وأما قيننا ابن خطل فقتلت إحداهما ، وهربت الأخرى ، حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمتهما . وأما سارة فاستؤمن لها فأمتهما ، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسأ في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن أبي طالب .

أم هانيء تؤمن رجلين

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هند ، عن أبي مرة ، مولى عقيل بن أبي طالب ، أن أم هانيء بنت أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فرأى رجلان من أحماني ، من بني مخزوم ، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، قالت : فدخل عليّ بن أبي طالب . أخى ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما باب بيتي ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر الدجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ، ثم صلى ثمان ركعات من الضحى ثم انصرف إلى ، فقال : مرحباً وأهلاً يا أم هانيء ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي ، فقال : قد أجرنا من أجرت ، وأمننا من أمنت ، فلا يقتلنهما .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام ، وزهري بن أبي أمية بن المغيرة .

طواف الرسول بالكعبة

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن صنيعة بنت شيبه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة ، وأطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعاً على راحلته ، يستلم الركن يَحْتَجُّنَ في يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمان ابن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حمامة من عيوان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة . وقد استكف له الناس في المسجد .

خطبته على باب الكعبة

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يَدْعَى فهو تحت قَدْحِي هاتين إلاَّ سَدَانَةُ البيت وسِقَايَةُ الحاج ، ألا وقتيل بالخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ، ففيه الدية مُعَاطَّة ، مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها . يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتَعْظُمُهَا بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لَتَمَارُقُوا ، إِنَّ أَكْثَرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَامُ ﴿ الحِجْرَات : ١٣ . الآية كلها .
ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ،
وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فانتم الطللاء . »

إقرار الرسول عثمان بن طلحة على السدانة

ثم جالس رسول الله صلى الله عليه وسلم في السجد ، فقام إليه علي بن
أبي طالب ومفتاح السكبة في يده ، فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحِجَابَةَ مع
السُّقَابَةِ صلى الله عليك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن
طلحة ؟ فدُعِيَ له ، فقال : هالك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بُرٍّ ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سُفَيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
قال لعلي : إني أعطيكم ما ترضون ولا ما ترضون .

لمس الصور التي بالبيت

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم دخل البيت برم التمتع ، فرأى فيه صُورَ الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم
عليه السلام مصوراً في يده الأُزْلَامُ يَسْتَقْسِمُ بِهَا ، فقال : قاتلهم الله ، جملوا
شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ! ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً
ولا نصرانياً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
آل عمران : ٦٧ ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

دخول الكعبة والصلاة فيها

قال ابن هشام : وحدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلف بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى ، فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قبل وجهه ، وجعل الباب قبل ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قدر ثلاث أذرع ، ثم يصلى ، يتوخى بذلك الموضع الذى قال له بلال .

إسلام عتاب والحارث بن هشام

قال ابن هشام ، وحدثني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذّن ، وأبو سُفْيَان بن حَرْب وعتّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتّاب بن أسيد : لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يفيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه مُحِقٌّ لاتبعتّه ، فقال أبو سُفْيَان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى ، فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد علمت الذى قُلتُم ، ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتّاب : نشهد أنك رسول الله ، والله ما أطلع على هذا أحدٌ كان معنا ، فنقول : أخبرك .

خراش وابن الأثوع

قال ابن إسحاق : جدني سعيد بن أبي سندر الأسدي ، عن رجل من قومه . قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأساً ، وكان رجلاً شجاعاً ، وكان إذا نام غطَّ غطيظاً مُنكراً لا يخفى مكانه ، فكان إذا بات في حيه بات مُتَمَنِّزاً ، فإذا بُيِّت الحى صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لا يقوم لسبيله شيء . فأقبل غزى من هذيل يريدون حاضره ، حتى إذا دنوا من الحاضر ، قال ابن الأثوع الهذلي : لاتعجلوا على حتى أنظر ، فإن كن في الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فإن له غطيظاً لا يخفى ، قال : فاستمع ، فلما سمع غطيظه مشى إليه حتى وضع السيف في صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ، وكان الغد من يوم الفتح ، أتى ابن الأثوع الهذلي حتى دخل مكة بنظر ريسأل عن أمر الناس ، وهو على شيركة ، فرأته خزاعة ، فعرّفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جذر مكة ، يقولون : أنت قاتل أحمر؟ قال : نعم ، أنا قاتل أحمر قومه؟ قال : إذ أقبل خراش بن أمية مُشمِلاً على السيف ، فقال : هكذا عن الرجل ، والله ما نزن إلا أنه يريد أن يُفرج الناس عنه . فلما نفر جئنا عنه نحمل عليه ، فطعنه بالسيف في بطنه ، فوالله لكأني أنظر إليه وحشوته تسيل من بطنه ، وإن عينيه لترتقان في رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يا معشر خزاعة ؟ حتى انجمت فوق . فقال رسول الله

• • • • •

صلى الله عليه وسلم : يامعشر خُزَاعَةَ ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثرت القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدينه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن حَرَملة الأسدي ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خِراش بن أُمَيَّة ، قال : إن خِراشا لَقَمال ، يسيبه بذلك .

بين أبي شريح وابن سعد

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي شريح الخُزاعي ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جئته ، فقلت له : يا هذا ، إنا كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خُزاعة على رجل من هُذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً ، فقال : يا أيها الناس ، إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يسفك فيها دمًا ولا يفضد فيها شجراً ، لم تحلل لأحد كان قبلي ، ولا تحل لأحد يكون بعدي ، ولم تحلل لي إلا هذه الساعة ، غضباً على أهلها ألا : ثم قدر جمت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله قتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يحللها لكم ، يامعشر خُزَاعَةَ . ارفعوا أيديكم عن القتل ، ولقد كثرت القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدينه .

فمن قُتِلَ بعد مَقَامِي هذا فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ : إِنْ شَاءُوا فَدَمُ قَاتِلِهِ ،
وِإِنْ شَاءُوا قَعْمُهُ . ثُمَّ وَدَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ الَّذِي
قَتَلْتَهُ خُرَاعَةً ، فَقَالَ عَمْرُو لِأَبِي شُرَيْحٍ : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم
بِحُرْمَتِهَا مِنْكَ ، إِنَّهَا لَا تَمْنَعُ سَافَكَ دَمٍ ، وَلَا خَالَعَ طَاعَةَ ، وَلَا مَانَعَ جِزْيَةَ ،
فَقَالَ أَبُو شُرَيْحٍ : إِنِّي كُنْتُ شَاهِدًا وَكُنْتُ غَائِبًا ، وَلَقَدْ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَلِّغَ شَاهِدُنَا غَائِبُنَا ، وَقَدْ أَبْغَيْتُكَ ، فَأَنْتَ وَشَأْنُكَ .

أول من ودى يوم الفتح

قال ابن هشام . وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الفتح جُنَيْدُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، قَتَلْتَهُ بَنُو كَعْبٍ ، فَوَدَّاهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ .

الأنصار يتخوفون من بقاء النبي صلى الله عليه وسلم في مكة

قال ابن هشام : وبلغني عن يحيى بن سعيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم
حين انفتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحذقت به الأنصار ،
فقالوا فيما بينهم : أترؤن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ فتح الله عليه أرضه
وبلده يقيم بها ؟ فلما قرش من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله ،
فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : معاذ الله !
المَحْيَا مَحْيَا كُمْ ، وَالْأَمَمَاتُ مِمَّا تَكُمُ .

بدء فتح مكة

ذكر فيه الأسود بن رَزْنٍ السكَنَانِي بفتح الراء ، وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر أن أبا الوليد أصاحه : رِزْنًا بكسر الراء^(١) ، قال : والرَّزْنُ : نُقْرَةٌ في حجر يمسك الماء ، وفي كتاب العين : الرَّزْنُ أَكْمَةٌ تَمْسِكُ الْمَاءَ ، والمعنى متقارب ، وذكر أن بني رزن من بني بكر ، وقد قيل فيه : الدُّثْلُ ، وقد أشبهنا القول فيه في أول الكتاب ، وما قاله اللغويون والذَّسَّاءُ ، وذكرنا هنالك كُلَّ دَيْلٍ في العَرَبِ ، وكل دُولٍ والحمد لله .

مول شعر نعيم :

وذكر شعر تميم بن أسد ، وفيه :

يُرْجُونُ كُلَّ مُقَلَّصٍ خِنَابٍ

الخِنَابُ : الطويل من الخيل ، وقع ذلك في الجُمُهرَةِ ، ويقال : الخِنَابُ : المِوَاسِعُ الْمُنْتَخَرَيْنِ ، رَاخِنًا بَهِ^(٢) جانب الأنف ، وفي العين : الخِنَابُ^(٣) الرجل

(١) يروى هنا بكسر الراء ، وفتحها وإسكان الزاء وفتحها ، وقيدته الدارقطني بفتح الزاء ، وإسكان الزاء لا غير ، الخشنى ، ص ٣٦٣ .
(٢) خنابة بكسر الخاء وضمها .

(٣) في التهذيب : هذا مما جاء على أصله شاذاً لأن كل ما كان على فعال من الأسماء أبدل من أحد حرفي تضعيفه ياء مثل دينار وقيراط كراهية أن يلتبس بالمصادر إلا أن يكون بالهاء ، فيخرج على أصله مثل : دنابة وصنارة وخنابة لأنه الآن قد أمن التباسه بالمصادر .

الضَّخْمُ ، وهو الأثقل أيضاً ، والمُقْلَصُ من الخليل المُنْقَمُ البَطْنُ والقوائم ، وإن قلت : المُقْلَصُ بكسر اللام ، فهو من قَنَصَتِ الإبلُ إذا شَمَرَتْ ، قاله صاحبُ العين .

وفيه : ظلُّ عُقَابٍ ، وهي الرّايةُ ، وكان اسمُ رايةِ النبيّ - صلى الله عليه وسلم - العُقَابُ ، والدليل على أنه يقال لكل راية عُقَابٌ قولُ قَطْرِى بن النُّجَاجَةِ^(١) وبُكْنَى أبا نَعَامَةَ رئيس الخوارج :

بَارِبَ ظِلِّ عُقَابٍ قَدْ وَقَّيْتُ بِهَا مُمْرَى مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطَالُ تَجَمُّعًا

وفيه : يَبْلُ مَشَاوِرَ القَبْقَابِ ، القَبْقَابُ : أراد به النَّمْرَجَ ، والقَبْقَابُ : والنَّبْقَابُ : البَطْنُ أيضاً .

مول شعر الأفرز :

وذكر قول الأخرز ، وفيه :

فَنَاتُورِ حَفَانِ النِّعَامِ الْجَوَائِلِ

(١) اختلف في اسم الفجاءة ، ف قيل : اسمها : جمونة ، وقيل : مازن بن يزيد ابن زياد بن خنثر أحد بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، سمي الفجاءة لأنه غاب دهرًا باليمن ، ثم جاءهم فجاءة ، وقد أشد أبو عبيدة قصيدة قطري التي منها هذا البيت لأبي حاتم ، ثم قال : هذا الشعر لا ماتعلون به أنفسكم من أشعار الخنايث . أنظر ص ٢٦٥ > ١ أمالي الفايط ٢ ، ص ٥٩٠ مط "لار الكبرى" . هذا وليس في قصيدة تميم ذكر للعقاب .

(م ٦ — الروض الأث ٧)

قَفَّاتُورٌ ، بمعنى : الجَبَل ، وَقَفَّا ظَرْفٌ لِلْفِعْلِ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَقَالَ : قَفَّاتُورٌ ،
وَلَمْ يَنْوِّنْ لِأَنَّهُ اسْمٌ عَلَّمٌ مَعَ ضَرُورَةِ الشَّعْرِ ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذَا فِيمَا قَبْلَ .
وَلَوْ قَالَ : قَفَّاتُورٌ بِنَصَبِ الرَّاءِ ، وَجَعَلَهُ غَيْرَ مُنْصَرِفٍ ، لَمْ يَبْعُدْ ، لِأَنَّ مَا لَا تَنْوِينَ
فِيهِ ، وَهُوَ غَيْرُ مُعَرَّبٍ بِالْفِ وَا لَامِ ، وَلَا إِضَافَةٍ ، فَلَا يَدْخُلُهُ اخْتِفَاضُ ثَلَاثِ يُشَبِّهُ
مَا يُضَيِّفُهُ التَّسْكَامُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَقَفَّاتُورٌ بِهَذَا اللَّفْظِ تَقَيَّدُ فِي الْأَصْلِ ، وَظَاهِرٌ
كَلَامُ الْبَرَقِ فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّهُ بِقَفَّاتُورٍ ، لِأَنَّهُ قَالَ : الْقَاتُورُ سَبِيكَةُ الْفِضَّةِ ،
وَكَأَنَّهُ شَبَّهَ الْمَكَانَ بِالْفِضَّةِ لِنَقَاتِهِ وَاسْتَوَاتِهِ ، فَإِنْ كَانَتِ الرِّوَايَةُ كَمَا قَالَ ، فَهُوَ
اسْمٌ مُوَضِّعٌ ، وَالْقَاتُورُ : خِوَانٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَيُقَالُ : إِبْرَاقٌ مِنْ فِضَّةٍ ، قِيلَ ذَلِكَ
فِي قَوْلِ جَمِيلٍ :

وَصَدَّرَ كَقَفَّاتُورِ الْأَجِينِ وَجِيدٌ^(١)

وَفِي قَوْلِ أَبِي بَدْرٍ :

حَقَائِبُهُمْ رَاحٌ عَتِيقٌ وَدَرَزَمَكٌ وَمِسْكٌ وَقَاتُورِيَّةٌ وَسُلَاسِلٌ

وَكَمَا قَالَ الْبَرَقُ : أَلَنِيَّتُهُ فِي نَسْخٍ صَحِيحَةٍ سَوَى نُسْخَةِ الشَّيْخِ ، وَإِنْ صَحَّ ،
مَا فِي نُسْخَةِ الشَّيْخِ ، فَهُوَ كَلَامٌ حَذَفَ مِنْهُ وَمَعْنَاهُ : قَفَّاتُورٌ ، وَحَسُنَ حَذْفُ
الْفَاءِ الثَّانِيَةِ ، كَمَا حَسُنَ حَذْفُ اللَّامِ الثَّانِيَةِ فِي قَوْلِهِمْ : غُلَمَاءُ بَنِي فُلَانٍ ، لَا سِيَّيَا

(١) أَوَّلُهُ : سَبَقَنِي بِعَيْنِي جَوْذَرٌ وَسَطَرٌ رَبْرَبٌ . وَالشَّطْرَةُ الْآخَرَى فِي تَرْجُمَةِ
الْأَسْوَاقِ لِدَاوُدِ الْأَدَلِّيِّ ص ٤٠ . وَصَدَّرَ حَكِي لَوْنِ الْأَجِينِ وَجِيدٌ . وَلَمْ أَجِدْهُ
فِي تَرْجُمَةِ جَمِيلٍ فِي الْأَغَانِي .

مع ضُرُورة الشعر ، وترك الصَّرف ، لأنه جملة اسم بُقَّة ، ومن الشاهد :
على أن فانور اسم بُقَّة قول ليبيد :

ويوم طعنتم فاستمعدت وفودكم بأجماد فانور كريم مصابر
أى أنا كريم مصابر ، ولذلك قال البكري ولم يذكر فيه اختلافا ، وقال هو
اسم جبل يعنى فانور وقال ابن مقبل :

حَيْ حَاضِرُهُمْ شَتَّى وَجَمْعُهُمْ دَوْمُ الْإِيَادِ ، وفانور إذا انتجعوا
وقال ليبيد :

وَلَدَى الثُّعْمَانِ مَنِ مَوْطِنٌ بَيْنَ فَاثُورِ أَفَاقٍ فَالْدَّخَلُ
وَحَفَانُ النَّعَامِ : صغارها ، وهو مرفوع لأنه خبر كان .

مول شعر بربيل :

وذكر شعر بُدَيْل بن أمٍ أصرم . وفيه : غير آيل ، هو فاعل من آل إذا
رجع ، ولكنه قلب الهمزة التي هي بدل من الواو ياء ، لثلاث تجمع همزتان ،
وكانت الياء أولى بها لانكسارها .

وفيه ذكر عُيَيْسٍ ، ووقع في بعض روايات الكتاب عُيَيْسٍ بالياء
المنقوطة بواحدة من أسفل^(١) .

(١) اسم زيدا .

وفيه :

إِن أَجْمَرْتَ فِي يَدِهَا أُمَّ بِمَضْمِكُمْ بِجُمُوسِهَا^(١)

أى : رَمَتْ بِهِ بُرْعَةً ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ ضَرْبٍ مِنَ الْخُرْثِ بِسُمُجٍ وَصَفِهِ .

مول سمر عمرو بن سالم :

وذكر أبيات عمرو بن سالم ، وفيها :

قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا

يريد : أَن بَنَى عَبْدٌ مِّنَافٍ أُمَّهُمْ مِنْ خَزَاعَةٍ ، وَكَذَلِكَ : قُتِبَى أُمُّهُ : فَاطِمَةُ بِنْتُ سَعْدِ الْخَزَاعِيَّةِ ، وَالْوَلَدُ بِمَعْنَى الْوَلَدِ .

وقوله : بُنِمَتْ أَسْلَمْنَا ، هُوَ مِنَ السَّلَامِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا آمِنُوا بَعْدَ ، غَيْرَ أَنَّهُ ، قَالَ : رُكَّعًا وَسُجَّدًا ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مَنْ صَلَّى لِلَّهِ ، فَقُتِلَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وذكر فيه الْوَتِيرَ ، وَهُوَ اسْمُ مَاءٍ مَعْرُوفٍ فِي بِلَادِ خَزَاعَةٍ ، وَالْوَتِيرُ فِي اللُّغَةِ الْوَرْدُ الْأَبْيَضُ ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْهُ بَرَّيٌّ ، فَحَتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَاءُ سُمِّيَ بِهِ ، وَأَمَّا الْوَرْدُ الْأَحْمَرُ فَهُوَ الْخَوْجَمُ^(٢) وَيُقَالُ لِلْوَرْدِ كُذُّ جَالٍ^(٣) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ ،

(١) أجمرت : بخرت . والجمعوس : العنزة والبربر أيضاً ، أو هو كما عرفه أبو زيد : ما يطرحه الإنسان من ذى بطنه .

(٢) مفردما : حوجمة .

(٣) وتقال أيضاً على الياسين .

وكان لفظ الخَوْجَم من الحجمة وهي حُمْرَةٌ في العَيْنَيْنِ ، يقال منه رجل أَحَجَمٌ .

ما قال عمر لأبي سفيان ومعه :

وذكر قول عمر رضى الله عنه : فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ، وهو كلام منهمم المعنى ، وقد تقدم أن مثل هذا ليس بكذب ، وإن كان الذر لا يقاتل به ، وكذلك قول عمر في حديث أنموطاً : والله ليمرن به ولو على بطنك ، يعنى الجذول ، وهو من هذا القبيل لا بعد كذاباً ، لأنه جرى في كلامه كالثلث .

شرح قول فاطمة لأبي سفيان :

وذكر قول فاطمة : والله ما بلغ بُنى أن يُجِيرَ بين الناس ، وقد ذكر أبو عبيد هذا مُحْتَجاً به على من أجاز أمان الصبي وجواره ، ومن أجاز جوار الصبي إنما أجازة إذا عَقَلَ الصبي ، وكان كالمراهق .

وقولها : ولا يُجِيرُ أحدٌ على رسول الله ، وقد قال عليه السلام : يجير على المسلمين أدناهم ، فعنى هذا - والله أعلم - كالعبد ونحوه يجوز جواره ، فيما قل ، مثل أن يجير واحداً من العدو ، أو نقرأ يسيراً ، وأما أن يجير على الإمام قوماً يريد الإمام غزوهم وحربهم ، فلا يجوز ذلك عليهم ، ولا على الإمام ، وهذا هو الذى أرادت فاطمة - رضى الله عنها - والله أعلم ، وأما جوار المرأة وتأمينها فجاز عند جماعة الفقهاء إلا سحنون وابن المأجشون ، فإنهما قولا : هو موقوف على إجازة الإمام ، وقد قال عليه السلام لأُم هانئ : قد أجزنا من

أَجَرَتْ يَا أُمَّ هَانِءَ ، وروى معنى قولهما عن عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد .
وأما جوارُ العبد ، فحائز إلا عند أبي حنيفة ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم
يجوز على المسلمين أدناهم يدخل فيه العبد والمرأة .

ماطِب بن أبي بَلْتَعَة وما ظله في كتابه :

فصل : وذكر كتابَ حاطِب إلى قريش ، وهو حاطِب بن أبي بَلْتَعَة
مَوْلَى عبدِ الله بن حميد بن زُهَيْر بن أسد بن عَبْدِ الْمُزَيِّ ، والبَلْتَعَة في اللغة
التظرف ، قاله أبو عُبَيْدٍ ، واسم أبي بَلْتَعَة ، عُمَرُو ، وهو أَخِي ، فيما ذكروا ،
ومن ذُرِّيَّته : زيَادُ بن عبد الرحمن [بن زياد] الأَنْدَلِسِيُّ الذي روى المَوْطَأُ
عن مالك^(١) ، وهو زيَادُ شَبِطُون ، وكان قاضي طَلَيْطَلَة^(٢) ، وكان شَبِطُونُ
زَوْجًا لَأُمِّه ، فَمُرِفَ به رحمه الله ، وقد قيل : إنه كان في الكتابِ أن النبيَّ
صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كَاللَّيْلِ يسير كالنَّيْلِ ، وأُتِسم بالله
لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه مُنْجَز له ما وَعَدَهُ ، وفي تفسير [يحيى]
ابن سَلَام أنه كان في الكتابِ الذي كتبه حاطِبُ أن النبيَّ عَمْدًا قد تَفَرَّ إِمَّا
إِلَيْكُمْ وَإِمَّا إِلَى غَيْرِكُمْ ، فعليكم الْخَذَرُ^(٣) .

- (١) قال عنه ابن حزم في الجمهرة أول من أدخل الموطأ الأندلس .
- (٢) في المراسد : ضبطه الحميدى بضم الطاءين وفتح اللامين ، قال : وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية .
- (٣) ذكر الواقدي بسند له مرسل أن حاطب كتب إلى سهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، - وقد أسلم الثلاثة - أن رسول الله دس ، أذن في الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم : وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد .

صحيف هشيم ثخاف :

وذكر أن علي بن أبي طالب والزبير والسدّاد أدركوا بروضه خاخر بخاء من حنوطتين ، وكان هشيم يرويه : حاج بالخاء والجيم ، وهو مما حُفِظَ من تصحيف هشيم ، وكذلك كان يروي : سدّاداً من عوّن [بن أبي شدّاد] بفتح السين والمغيرة بن أبي بُرْزَة يقول فيه : بُرْزَة بالزاي ^(١) وفتح الباء في تصحيف كثير ، وهو مع ذلك ثبتٌ مُتَّفَقٌ على عدّالته ، على أن البخاري ، قد ذكر عن أبي عوَّانة أيضاً أنه قال فيه : حاج كما قيل عن هشيم ، فله أعلم ، وفي هذا الخبر من رواية الشيباني أن عائشة قالت : دخل علي أبو بكر وأنا أغرّيل حنطةً لنا ، فالتى ، وذكر باقي الحديث ، وفيه من الفقه أكلهم للبر ، وإن كان أغاب أحوالهم أكل الشير ، ولا يقال حنطة إلا للبر .

تفسير (تلقون إليهم بالمودة) :

فصل : وذكر قول الله عز وجل في حاطب (تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ) أي تَبْدُلُونَهَا لَهُمْ ، ودخول الباء وخروجها عند الفراء سَوَاءً ، والباء عند سيبويه لا تُزَادُ في الواجب ، ومعنى الكلام عند طائفة من البصريين : تُلْقُونَ إِلَيْهِم النَّصِيحَةَ بِالْمَوَدَّةِ ، قال النَّحَّاسُ : مِمَّنْهُ تَخْبِرُونَهُمْ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ الرَّجُلُ أَهْلَ

(١) هناك المغيرة بن أبي بردة الكنانى يروى عن أبي هريرة ويروى عنه سعيد ابن سبلة وثقه النسائى ، وهناك المغيرة بن أبي برزة الأسلى يروى عن أبيه ، ويروى عنه جدهان .

مودته ، وهذا التقدير إن نفع في هذا الموضع لم ينفع في مثل قول العرب : ألقى إليه بوسادة أو بثوب ، ونحو ذلك ، فيقال : إذا إن ألقيت تنقسم قسمين ، أحدهما : أن تريد وضع الشيء في الأرض ، فتقول : ألقيت السوط من يده ، ونحو ذلك ، والثاني : أن تريد معنى الرمي بالشيء ، فتقول : ألقيت إلى زيد بكذا : أزميته به ، وفي الآية إنما هو إلقاء بكتاب ، وإرسال به ، فمبتر عن ذلك بالموودة لأنه من أفعال أهل اللودة ، فنتم حسنت الباء لأنه إرسال بشيء فتاممه .

قتل الجاسوس :

وفي الحديث دليل على قتل الجاسوس ، فإن عمر - رضي الله عنه - قال : دعني فلا ضرب عنقه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : وما يذريك يا عمر لعل الله أطع إلى أصحاب بذر ، الحديث ، فعلق حكم النع من قتله بشهود بذر ، فدل على أن من فعل مثل فعله ، وليس ببذري أنه يقتل . زاد البخاري في بعض روايات الحديث ، قال : فاغرورقت عينا عمر - رضي الله عنه - وقال : الله ورسوله أعلم ، يعني حين سمعه يقول في أهل بذر ما قال ^(١) ، وفي مسند الخوارث أن حاطباً قال : يا رسول الله كنت عريراً في قريش ، وكانت أمي بين

(١) يرى مالك جواز قتل كل جاسوس ، وإن كان مسلماً ، أما الشافعي وأبو حنيفة يريان أنه لا يقتل ، ويقول ابن القيم : والصحيح أن قتله راجع إلى رأى الإمام ، فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله ، وإن كان بقاؤه أصلح استبقاه .

ظَهَرُوا أَنَّهُمْ ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَحْفَظُونِي فِيهَا ، أَوْ نَحْوَ هَذَا ، ثُمَّ قَدَّرَ الْعَرِيرَ ، وَقَالَ :
هو الغريب .

عن عبد الله بن أبي أمية :

وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لَأُمِّ سَلَمَةَ حِينَ اسْتَأْذَنَتْهُ فِي أَخِيهَا
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمَيَّةَ : وَأَمَّا أَنْ عَمَّتِي وَصِهرِي فهو الذي قال لي بِمَكَّةَ مَا قَالَ ،
يعني حين قال له : وَاللَّهِ لَا آمَنْتُ بِكَ حَتَّى تَتَّخِذَ سُلَمًا إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَفْرُجَ
فِيهِ ، وَأَنَا أَنْظُرُ ثُمَّ تَأْتِي بِصَكَّ وَأَرْبَعَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ أَنَّ اللَّهَ
قَدْ أَرْسَلَكَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ .

وعبدُ الله بن أبي أمية هو أخو أُمِّ سَلَمَةَ لِأَيِّهَا ، وَأُمُّ عَاتِكَةَ بِنْتُ
عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَأُمُّ سَلَمَةَ أُمُّ عَاتِكَةَ بِنْتُ جَذَلِ الطَّعْمَانِ ، وَهُوَ عَامِرُ بْنُ
قَيْسٍ ^(١) الْفَرَائِصِيُّ ، وَاسْمُ أَبِي أُمَيَّةَ حُذَيْفَةُ ^(٢) وَكَانَتْ عِنْدَهُ أَرْبَعُ عَوَاتِكَ ،
قَدْ ذَكَرْنَا مِنْهُمْ هَهُنَا ثَلَاثَيْنِ ^(٣) .

عنه أبي سفيان بن الحارث وابنه وقصيرته :

وقول أبي سفيان بن الحارث : أَوْ لَا خُذْنَ بِيَدِ بَنِي هَذَا ، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ

(١) في القاموس : علقمة بن فراس وكذلك في المحبر لابن حبيب ص ٢٢٣
ولسب عاتكة عند ابن حبيب هو : بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة
ابن علقمة بن جذل الطمار بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة .

(٢) هو ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

(٣) أنظر العواتك في المحبر لابن حبيب .

بني الأرض . لم يذكر ابن إسحاق اسم ابنه ذلك ، ولعله أن يكون جَعْفَرًا ،
فقد كان إذ ذاك غُلَامًا مُدْرِكًا ، وشهد مع أبيه حُنَيْنًا ، ومات في خلافة
معاوية ، ولا عَقِبَ له .

وذكر الزُّبَيْرُ لَأَبِي سُفْيَانَ وَلَدًا يُكْنَى أبا التَّيَّاجِ في حديث ذكره
ألا أدري : أهو جَعْفَرُ أم غيره ، ومات أبو سفيان في خلافة عُمرَ رَضِيَ اللهُ عنه ،
وقال عند موته : لَا تَبْكُنَّ عَلَيَّ ، فَإِنِّي لَمْ أَنْتَظِفْ بِخَطِيئَةٍ مِنْذُ أَسَلْتُ ، ومات
مِنْ ثَوَائِلِ حَلَقَةِ الْحَلَاقِ فِي حَجٍّ فَقَطَعَهُ مَعَ الشَّعْرِ فَتَزَفَ مِنْهُ ، وقيل في اسم
أَبِي سُفْيَانَ : الْمَغِيرَةُ ، وقيل : بل المغيرة أخوه ، قال الْقَتَيْبِيُّ : إِخْوَتُهُ : الْمَغِيرَةُ
وَنَوْفَلٌ وَعَبْدُ شَمْسٍ وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ^(١) .

وزنه فعلل :

وقوله : تَزَائِعَ جَاءَتْ مِنْ سَهَامٍ وَسُرْدَدَ ، عَلَى وَزْنِ فَعَالٍ بِفَتْحِ الْفَاءِ ،
وَسُرْدَدَ بضم أوله وإسكان ثانيه هكذا ذكره سيبويه ويعقوب ، وبفتح الدال
ذكره غيرهما ، وهما موضعان من أرض عكَّ ، وذلك أن سيبويه من أصله أنه
ليس في الكلام فُعَلَلٌ بِالْفَتْحِ ، وحكاها الكوفيون في جُنْدَبَ وَسُرْدَدَ ،
وغيرهما ، ولا ينبغي أيضاً على أصل سيبويه أن يمتنع الفتحُ في سُردَدَ ، لأنَّ

(١) أولاد الحارث بن عبد المطلب — كما ذكر المصعب — هم : نوفل ،
وأبو سفيان الشاعر واسمه : المغيرة ، وربيعة ، وعبد شمس ، وعبد المطلب ، وأمية ،
وأروى ، ونوفل هو أسن ولد الحارث ص ٨٥ نسب قريش . أما السدوسي
فذكر أن له ثلاثة فقط هم ربيعة ، ونوفل ، وأبو سفيان ص ٢٢ حذف نسب قريش .

يُحْدَى الدالين زائدة من أجل التضعيف ، وإنما الذي يمتنع في الألفية مثل جعفر بضم أوله وفتح ثانيه ، فمثل سُودَدَ والشُّودَدَ والحَوَالِ^(١) جمع حائل ، وما ذكره بعضهم من طَحَلَبَ وبرُقَعَ وجُوذَرَ ، فهو دخيل في الكلام ، ولا يُجْعَل أصلاً ، ولا يمتنع أيضاً جُنْدَبَ بفتح الدال ، لأن النون زائدة^(٢) .

(١) في الأصل والحلل وهو خطأ .

(٢) نقل ابن خالويه عن ابن دريد أنه قال : ليس في كلامهم فعلل - بضم الفاء وفتح اللام إلا سُودَدَ وجُوذَرَ وجُنْدَبَ وطَحَلَبَ كلها مفتوحة ومضمومة . وقال الزبيدي في الاستدراك على العين : ليس في الكلام على مثال فعلل إلا أحرف لا يقول بها البصريون مثل : طاحلب - بضم الطاء واللام - وبرقع وجوذر ص ٦٣ - ٣ المزهري للسيوطي . وفي كتاب التصريف للمازني وشرحه لابن جنى ذكر أن الإجماع وقع على خمسة أمثلة للأسماء الرباعية التي لازيادة فيها ، ثم ذكر مثالا سادسا تمازيه الخلاف وهو فعلل بضم الفاء وفتح اللام ، ثم قال ابن جنى : وأما السادس الذي يتنازع الناس فيه فجندب ومثاله : فعلل - بضم الفاء وفتح اللام - حكاه أبو الحسن وحده بالفتح ، وخالفه فيه جميع البصريين إلا من قال بقواه ، والذي رواه الناس غيره جندب بضم الدال ، وهو اسم لا صفة ، وقد حكى غيره : برقع وبرقع ، وطحلب وطحلب وجوذر وجوذر كلها بضم وفتح إلا أن جوذراً ذكر أبو علي أنه أعجمي ، قال : فلاحجة فيه ، والضم في برقع وطحلب هو الشائع ص ٢٥ ، ٢٧ المنصف في شرح التصريف ص ١ وفي إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن السكيت في باب فعلل بضم اللام وفعلل - بفتحها - بمعنى واحد . الفراء : يقال : برقع وبرقع وبرقع . ابن الأعرابي : عنصل وعنصل للبصل البري ، وهو لثم الغنصر والعنصر أي الأصل ، وهو دخله ودخله ، أي خاصته . ويقال : قنذ وقنذ وجوذر ، وجوذر لولد البقرة ورجل قعد وقعد إذا كان قريب الآباء إلى الجد الأكبر . . . ويقال : طحلب وطحلب ، ويقال في غير هذا الباب منخل ومنخل ، ومنصل ومنصل للسيف .

عُودَ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ :

وكان أبو سفيان رَضِيَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرضعتها
حَلِيمَةً ، وكان آلف الناس له قبل النبوة لابتفاره ، فلما نُبِّئَ كان أبعد الناس
عنه ، وأجهلهم له إلى أن أسلم ، فكان أصحَّ الناس إيمانًا ، وأزهمهم له
صَلَّى الله عليه وسلم ، ولأبي سفيان هذا النبيُّ صلى الله عليه وسلم : أنت
يا أبا سفيان ، كما قيل كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا^(١) ، وقيل : بل قالما لأبي
سفيان بن حرب ، والأول أصح .

وقول بُدْبِلَ : حَمَشْتُهُمُ الْحَرْبُ ، يقال : حَمَشْتُ الرَّجُلَ إِذَا أَغْضَبْتَهُ ،
وَحَمَشْتُ النَّارَ أَيْضًا إِذَا أَوْقَدْتُهَا ، ويقال : حَمَشْتُ بِالسِّينِ .

عن إسلام سفيان بن حرب :

وذكر عَبْدُ بن حميد^(٢) في إِسْلَامِ أَبِي سَفْيَانَ بن حَرْبٍ أَنَّ الْعَبَّاسَ
لَمَّا احْتَمَلَهُ مَعَهُ إِلَى قُبَيْتِهِ ، فَأَصْبَحَ عِنْدَهُ ، رَأَى النَّاسَ وَقَدْ تَارُوا إِلَى ظُهُورِهِمْ ،

(١) الْفَرَا : الْحِمَارُ الْوَحْشِيُّ . ويقول الذين رَوَوْا هذا إن أبا سفيان
استأذن على النبي ﷺ ، فحجب قليلا ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : ما كنت
تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجلبتين - وهما جانب الوادي - فقال ﷺ :
يا أبا سفيان أنت كما قيل : كل الصيد في جوف الفراء ، يتألفه على الإسلام ، وقيل
معناه : إذا حجبك قنع كل محبوب . يضرب المثل لمن يفضل على أقرانه . وانظر
أصل المثل في الأمثال للميداني ص ١٣٦ ط السنة المحمدية .
(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ .

فقال أبو سفيان : يا أبا الفضل ما للناس !! أأمرُوا فيَّ بشيءٍ ؟ قال : لا ، ولكنهم قاموا إلى الصلاة ، فأمره العباس فتوضأ ، ثم انطلق به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه السلام في الصلاة كبر فسكبر الناس بتسكيره ، ثم ركع فركعوا ، ثم رفع فرفعوا ، فقال أبو سفيان : مارأيت كالיום طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ، ولا فارس الأكرام ، ولا الروم ذات القرون بأطوع منهم له ، وفي حديث عبد بن حميد أن أبا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، حين عرض عليه الإسلام : كيف أصنع بالمرءى ؟ فسمعه عمر رضي الله عنه من وراء القبة ، فقال له : تنحراً بماها ، فقال له أبو سفيان : ونحك يا عمر !! إنك رجل فاحشٌ دعني مع ابن عمي ، فإني أأكلهم .

وذكر قول أبي سفيان : لقد أصبح ملكٌ ابن أخيك الفداء عظيماً ، وقول العباس له : إنها النبوة ، قال شيخنا أبو بكر رحمه الله : إنما أنكر العباس عليه أن ذكر الملك مجرداً من النبوة مع أنه كان في أول دخوله في الإسلام ، وإلا فجاز أن يُسمَى مثل هذا ملكاً ، وإن كان نبيّاً فقد قال الله تعالى في داود ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ وقال سليمان : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكاً ﴾ غير أن الكراهية أظهر في تسمية حال النبي صلى الله عليه وسلم ملكاً لاجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبياً عبداً ، أو نبياً ملكاً ، فالتفت إلى جبريل ، فأشار إليه أن تواضع ، فقال : بل نبياً عبداً أشيع يوماً ، وأجوع يوماً . وإنكار العباس على أبي سفيان يقوى هذا المعنى ، وأمر الخلفاء الأربعة بعده بكره أيضاً أن يُسمَى ملكاً ، لقوله عليه السلام في حديث آخر : يكون بعده خلفاء ،

ثم يكون أسراء ، ثم يكون ملوك ، ثم جبابرة ، ويُروى : ثم يعود الأمر بزيّريّاته وهو نصيف ، قال الخطابي : إنما هو زيّريّ ، أى قتل وسلب .

قول هند عن أبي سفيان :

وقول هند : اقتلوا الخميّة الدّيم الأحمس . الخميّة : الزّق ، نسبة إلى الصّخّم والسّمن ، والأحمس أيضاً الذى لاخير عنده ، من قولهم : عام أحمس إذا لم يكن فيه مطر ، وزاد عبّيد بن حميد فى حديثه أنها قالت : يا آل غالب اقتلوا الأحمق ، فقال لها أبو سفيان : والله لكّسليّن أو لأضربن عنقك ، وفى إسلام أبى سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عدّتها ، ثم استقرّا على نكاحهما وكذلك حكيم بن حزام مع امرأته حُجّة الشافعيّ ، فإنه لم يفرق بين أن تُسلم قبله ، أو يسلم قبلها ، مادامت فى العدة . وفرّق مالك بين المسألين على ما فى الموطأ وغيره .

اسم أبى قحافة :

وذكر إسلام أبى قحافة ، واسمه : عثمان بن عامر ، واسم أمّه : قَيْلَة بنت أذاة .

وقوله لبنت له : وهى أصغر ولده ، يريد والله أعلم أصغر أولاده الذين أصلهم ، وأولادهم ، لأن أبا قحافة لم يمش له ولد ذكر إلا أبو بكر ، ولا يُعرف له بنت إلا أمّ قُرّة التى أنكحها أبو بكر رضى الله عنه من الأشعث بن قيس ، وكانت قبّله تحت تميم الدارىّ ، فهى هذه التى ذكر

ابن إسحاق والله أعلم . وقد قيل : كانت له بنت أخرى تُسَمَّى قُرَيْبَةً نَزَّوْجَهَا قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فالذكرورة في حديث أبي قحافة هي إحدى هاتين على هذا ، والله أعلم .

وفي الحديث : وكان رأسه نِغَامَةً ، وَالنِّغَامُ من نبات الجبال ، وهو من الجَنْبَةِ ، وأشد ما يكون بياضاً إذا انحَلَّ ، والخلِثُ مِنْهُ يُشَبِّه به الشَّيْبُ ، قال الراجز :

وَلَقِي كَأَنهَا حَلِيَّةٌ^(١)

حكم الخضاب :

وقول النبيّ - صلى الله عليه وسلم - في شَيْبِ أَبِي قُحَافَةَ غَيَّرُوا هذا من شَعْرِهِ ، هو على التَّدْبِ ، لا على الوُجُوبِ ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يُغَيَّرْ شَيْبُهُ ، وقد روى من طريق أبي هُرَيْرَةَ أنه خَضَبَ . وقال مَنْ جَمَعَ بين الحديثين : إنما كانت شَيْبَاتُ بَيْرَةِ يَغَيِّرُهَا بِالطَّيْبِ . وقال أَنَسٌ : لم يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم حَدَّ الْخِضَابِ ، وفي البخاري عن عثمان بن مَوْهَبٍ قال : أَرَتْنِي أُمَّ سَلَمَةَ شَعْرًا مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وفيه أيضاً عن ابن مَوْهَبٍ قال : بعثني أهلي بـدَحٍ إلى أُمِّ سَلَمَةَ ، وذكر

(١) الرجز هكذا :

لما رأت حليتي عينيهِ
ولم تني كأنها حليهِ
نقول : هذى قرّة عليه

الحديث ، : وفيه اطلعت في الجبل فرأيت شمرات حمرأ ، وهذا كلام مُشكّل وشرحه في مُسند وكيع بن الجراح قال : كان جُلجُلًا من فِضة صُنع صِيوانًا لشمرات كانت عندهم من شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن قيل : فهذا يدلُّ على أنه كان مخضوب الشَّيب ، وقد صح من حديث أنسٍ وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يخضب إنما كانت شمرات تُعَدُّ .

فالجواب : أنه لما توفى خضب مَنْ كان عنده شيء من شعره تلك الشمرات ليكون أبقى لها ، كذلك قال الدارقطني في أسماء رجال الموطأ له ، وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم ، وكان عمر يخضب بالصفرة ، وكذلك عثمانٌ وعبدُ الله بن عمر ، وكان فيهم من يخضب بالخطير ، وهو الوسم ، وأما للصفرة ، فكانت من الوز ، أو الكركم وهو الزعفران ، والوزسُ يَنْبُت باليمن يقال لجيده : بادرّة الوزس ، ومن أنواعه : السف والحبيشي وهو آخره ، ويقال من الحناء : حنأ شيبه ورقته ، وجمع الحناء حنان على غير قياس ، قال الشاعر :

ولقد أروحُ بِلَمّةٍ فينانهِ سَوْدَاءٍ قد رُوِيَتْ من الحِنانِ

من كتاب أبي حنيفة ، وبعضُ أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحاق في شيب أبي قحافة : وجنبوه السَّوَادَ ، وأكثرُ العلماء على كراهة الخضاب بالسَّوَادِ من أجل هذا الحديث ، ومن أجل حديث آخر جاء فيه الوعيد والنهي لمن خضب بالسَّوَادَ ، وقيل : أول من خضب بالسَّوَادِ فرعونُ ، وقيل : أول

من خَضَبَ به من العرب عبدُ المطلب ، وترَخَّص قومٌ في الخِضَابِ بالسَّوَادِ منهم محمد بن علي ، وروى عن عُمرَ أنه قال : أَخْضَبُوا بالسَّوَادِ ، فإنه أنْكِى الله - دو ، وأَحَبُّ للنساء . وقال ابن بطَّال في الشرح : إذا كان الرجل كَهْمَلًا لم يبلغ الهرم جاز له الخِضَابُ بالسَّوَادِ ، لأن في ذلك ما قال عمر رضى الله عنه من الإِزْهَابِ على العَدُوِّ والتَّحْيِيهِ إلى النساء ، وأما إذا قَوَّسَ واحدٌ ودَبَّ فَيُتَنَذَرُ له السَّوَادُ ، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أبي خَافَةَ : غَيْرُوا شَيْعَةَ ، وَجَنَّبُوا السَّوَادَ ^(١) .

(١) عن ثابت قال : سئل أنس عن خضاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : لو شئت أن أعد شيطات كن في رأسه فعلت ، قال : ولم يختضب ، زاد في رواية : وقد اختضب أبو بكر بالخناء والكتم ، واختضب عمر بالخناء بحتاً - أى : حرقاً - ومعضاً ، متفق عليه .

وعن ابن عمر أنه كان يصفر لميته بالصفرة حتى تمتلئ ثيابه من الصفرة ، فقيل له : لم تصبغ بالصفرة ؟ قال : إني رأيت رسول الله يصبغ بها ، ولم يكن شيء أحب إليه منها ، وقد كان يصبغ بها ثيابه كلها حتى حمامته - أبو داود والبيهقي .

وعن عثمان بن عبد الله بن موهب ، قال : دخلت على أم سلمة - فأخرجت إلينا شعراً من شعر النبي - صلى الله عليه وسلم - مضمواً - البخاري .

وهي أحاديث أقوى مما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون قوم يعضون في آخر الزمان بالسَّوَادِ ككروا صل الظلم لا يريحون رائحة الجنة - أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

(م ٦٠ - الزود الألف - ٧)

كداء وكدي :

فصل : وذکر کدّاء بفتح الـکاف والد ، وهو بأعلى مكة ، وكدي : وهو من ناحية عرفة ، وبمكة موضع ثالث يقال : كدّا بضم الـکاف والقصر ، وأنشدوا في كدّاء وكدي (١) :

أَقْفَرْتُ بِسَدِّ عَبْدِ شَمْسٍ كَدَّاءَ فَسَكَدَيْتُ فَالْوَكْنِ وَالْبَطْحَاءِ
وَالْيَتُ لَابْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ يَذْكُرُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بَنِ عَبْدِ وَدٍّ (٢)
الْعَامِرِيِّنَ رَهْطُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو .

سوقف إبراهيم بكداء :

وبكدّاء وَقَفَ إبراهيمُ عليه السلام حين دعا لقرينه بالحرم ، كذلك روى سميد بن جبّير عن ابنِ عَبَّاسٍ ، فقال : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ .

(١) هناك خلاف واسع في هذه المواضع الثلاث وأوضح الأقوال ما ذكره البكري في معجمه منسوباً إلى علي بن أحمد بن سميد بن حزم الأندلسي : كدّاء بالضم والتنوين مقصور بأسفل مكة بقرب شعب الشافعيين وشعب ابن الزبير عند قمية مان ، وأما كدي مصغر فإنما هو لمن خرج من مكة إلى الين ، أما هو فقال عن كدي بالتصغير في معجمه وفي السمع : إنه جبل قريب من كدّاء ، وأما كدّاء فقال البكري : جبل بمكة . وكدّاء هذا الجبل هو عرفة بعينها . وفي المراصد عن كدّاء : ثنية بأعلى مكة عند المحصب دار النبي عليه السلام من ذي طوى إليها ، وكدّا بالتنوين بأسفل مكة . وانظر النهاية في المفردات لابن الأثير ص ٣٩٩ السمط .

(٢) ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب :

تَهْوِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَجِيبَتْ دَعْوَتُهُ ، وَقِيلَ لَهُ : أَدْنِ فِي النَّاسِ بِالْخَيْجِ يَا تَوَكُّ
رِجَالًا ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ : يَا تَوَكُّ ، وَلَمْ يَقُلْ يَا تَوَكُّنِي ، لِأَنَّهَا اسْتِجَابَةٌ لِدَعْوَتِهِ ،
فَمَنْ تَمَّ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - اسْتَحَبَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى لِمَسْكَةٍ أَنْ
يَدْخُلَهَا مِنْ كَدَّاءَ ، لِأَنَّهُ لِلْوَضْعِ الَّذِي دَعَا فِيهِ إِبْرَاهِيمُ بِأَنْ يَجْعَلَ أَفْتَدَةً مِنَ
النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ .

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من سعد :

فصل : وذكر نزع الرابية من سعد حين قال : اليوم يوم المَلَحَمَةِ . وزاد غير
ابن إسحاق في الخبر أن ضِرَارَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ يَوْمَئِذٍ شِمْرًا حِينَ سَمِعَ قَوْلَ
سَعْدٍ اسْتَعْطَفَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قُرَيْشٍ ، وَهُوَ مِنْ أَجُودِ
شُعَيْرٍ لَهُ :

يَا نَبِيَّ الْهُدَى إِلَيْكَ لَجَأٌ ^(١) - ي قُرَيْشٍ ، وَلَاتَ حِينَ لَجَأٌ ^(٢)
حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ سَعَةُ الْأَرْضِ ضِ وَعَادَاهُمْ إِلَهُ السَّمَاءِ

(١) ترك همز لجأ للوزن .

(٢) أثبت الألف في لجأ للضرورة ، وإلا فاجأ ميموز من بابي نفع وتعب .
وفي الاستيعاب في ترجمة ضرار : وأنت خير لجاء . وقد روى ابن عساکر من
طريق أبي الزبير محمد بن مسلم المكي عن جابر قال : لما قال سعد بن عبادَةَ ذَلِكَ
عَارَضَتْ امْرَأَةً رَسُولَ اللَّهِ ص ، فَقَالَتْ ، مِمَّ ذَكَرَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ . وَعِنْدَ الْوَاقِدِيِّ
وَالْأَمَوِيِّ أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَضَرَّارٍ . قَالَ الْحَافِظُ : فَكَأَنَّ ضَرَّارًا أَرْسَلَ بِهِ الْمَرْأَةَ
أَيْ كَوْنُ أَبْلَغَ فِي انْعِطَافِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قُرَيْشٍ .

وَالْتَقَتْ حَلَقَتَا الْبِطَانِ عَلَى الْقَوْمِ وَنُودُوا بِالصَّيْلِمِ الصَّلَمَاءِ
 إِنْ سَفَدًا يَرِيدُ قَاصِمَةَ الظَّنِّ بِأَهْلِ الْحُجُونِ وَالْبَطْحَاءِ
 خَزَرَجِيٍّ لَوْ يَسْتَطِيعُ مِنَ الْقَيْطِ رَمَانًا بِالذَّنْشِرِ وَالْعَوَاءِ^(١)
 فَلَنْ أَقْحَمَ اللَّوَاءَ ، وَنَادَى بِأُحْمَاءِ اللَّوَاءِ أَهْلَ اللَّوَاءِ^(٢)
 لَتَكُونَنَّ بِالْبِطَاحِ قَرِيشٌ بَقْعَةٌ^(٣) الْقَاعِ فِي أُكْفٍ الْإِبَاءِ^(٤)

(١) جاء بعد هذا البيت :

دَغَرُ الصَّدْرِ لَا يَهْمُ بِشَيْءٍ غَيْرُ سَفَكِ الدِّمَا وَسَبِي النِّسَاءِ
 قَدْ تَلَطَّى عَلَى الْبِطَاحِ وَجَاءَتْ عَنْهُ هُنْدٌ بِالسُّوءِ الْوَاءِ
 إِذْ يَنَادِي بِذَلِكَ حَيُّ قَرِيشٍ وَابْنُ حَرْبٍ بِذَا مِنَ الشَّهَادِ

(٢) بعده :

ثم ثابت إليه من بهم الخزرج والالوس أنجم الهيجاء
 (٣) في رواية : بقعة بكسر الفاء وسكون القاف وفتح العين جمع ققع بفتح
 الفاء وكسرها وسكون القاف ضرب من الكأء ، وهي الرخوة البيضاء يشبه به
 الرجل الدليل ، لأن الدواب تنحله بأرجلها . وأما البقعة فكان يستنقع فيه
 الماء ، وبضم الباء وفتحها أيضاً القطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها .

(٤) وبعده :

فأنهينه فإنه أسد الأسد لدى الغاب والغب في الدماء
 إنه مطرق يريد لنا الأمر سكوتاً كالحية الصماء

من مفردات القصيدة : البطان = حزام يجعل تحت بطن البعير يقال ذلك
 إذا اشتد الأمر . الصيلم = الداهية أو الأمر الشديد . الصلماء : الداهية ، وقد
 حذف حرف العطف بينها وبين الصيلم لتنظيم وهو جائز في غيره أيضاً . قاصمة
 الظهر = الخصلة المانعة لهم من كل الأمور حتى كأنها كسرت ظهورهم . النسر =
 نجم . العواء = سياتى شرحه ، دغر = اسم فاعل من دغر والدغرة = شدة =

فحينئذٍ انتزع النبي صلى الله عليه وسلم الراية من سعد بن عبادَةَ
فما ذكروا ، والله أعلم ، ومدّ في هذا الشعر العواء ، وأنكر الفارسي في بعض
كتبه مدّها ، وقال : لومدت لقيط فيها العيَاء ، كما قيل في العلياء ، لأنها ليست
بصفة كالعشواء ، قال : وإنما هي مقصورة كالشروى والنَجْوَى ، وغفل عن
وجه ذكره أبو هلى القالى ، فإنه قال : من مدّ العواء فهي عنده فعّال من عَوَيْتِ
الشىء إذا لويت طَرَفَه ، وهذا حسن جداً لاسيّما ، وقد ضح مدّها في الشعر
الذى تقدم ^(١) ، وغيره ، والأصح في معناها : أن العواء من العوّة ، والعوّة هي
الدُّبُرُ ، فكأنهم سمّوها بذلك ، لأنها دُبُرُ الأسد من البروج ^(٢) .

خُنَيْسُ بْنُ خَالِدٍ :

فصل : وذكر خُنَيْسُ بْنُ خَالِدٍ ، وقول ابنِ هِشَامٍ : خُنَيْسُ مِنْ
خُرَاعَةٍ ، لم يختلفوا عن ابنِ إسحاق أنه خُنَيْسُ بالخاء المنقوطة والنون ،
وأكثر من ألف في الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ يقول : للصواب فيه : خُنَيْشُ بالخاء

= توقد الحر . بهم = بضم الباء وفتح الهاء جمع بهمة الفارس الذى لا يؤتى من
شدة بأسه . ويقال أيضاً للجيش : الهجاء = الحرب . القاع : المكان المستوى
الواسع . أنظر ص ٣٠٦ - ١٢ المواهب اللدنية ، ٢٩٥ - ٤ ، البداية لابن كثير .
(١) قال الأزهري : من قصر العوا شبهها بإست الكلب ، ومن مداها جعلها
تعوى كما يعوى الكلب والقصر فيها أكثر ، وقول الفارسي الذى ذكره السهيلي
موجود في اللسان بتفصيل في مادة عوا وكذلك الرد عليه فراجع .

(٢) في اللسان : تدعى وركى الأسد وعرقوب الأسد ، والعواء : منزل من
منازل القمر ، وقيل : نجم من أنواء البرد ، وقيل غير هذا .

المهمة والباء والشين المنقوطة ، وكذلك في حاشية الشيخ عن أبي الوليد أن الصواب فيه حُبَيْش ، وأبوه خَالِد هو الأشعر بن حُنَيْف ، وقد رفعنا نسبه عند ذكر أم مَعْبِد ، لأنها بذته ، وهو بالشين المنقوطة ، وأما الأُسْعَرُ بالسین للمهمة ، فهو الأُسْعَرُ الجعفي ، واسمه : سمرقند بن عمران^(١) ، ونسب الأُسْعَرُ لقوله :

فلا يدْعني قومي لسعد بن مالك
بمعنى مالك : مذهب .

وذكر الرجز الذي لسكروز :

قد عَمِتَ صَفْرَاهُ من بنى فِهْرٍ

أشار بقوله : صَفْرَاءُ إلى صُفْرَةِ الخُلُقِ ، وقيل : بل أراد معنى : قول

أمرئ القيس :

كَبِكرُ مُقَانَاةِ البَيَاضِ بَصْفَرَةٍ غَذَاهَا تَمِيرُ المَاءِ غَيْرُ مُحَلَّلٍ^(٢)

وكقول الأعشى :

[رُضِيكَ مِنْ دَلٍّ وَمِنْ حُسْنٍ مُحَايَلَةٍ غَرَارَةٍ^(٣)]

صَفْرَاءُ غَدَوْهَا ، وَصَفْرَاءُ العَشِيَّةِ كَالْغَرَارَةِ^(٤)

(١) ابن حمران في السمط ص ٩٤ ، وفي المؤلف للآمدی : ابن أبي حمران ، وكذلك في الإكمال والاشتقاق . وقد سبق .

(٢) سبق البيت وشرحه ، وفي المعلقة واللسان : المقاناة . وقد أضاف البكر إل وصفها ، وقيل : أراد كبكر الصدف المقاناة الخ . وانظر شرح الوزني للمعلقات ص ١٥ ط ١٢٨٨ . والزيادة من المعلقة .

(٣) هذا البيت زده من السمط .

(٤) رواية البيت هكذا في السمط : بيضاء ضحوتها الخ .

وقوله : من بنى فِهْرًا بكسر الهاء ، وكذلك الصَّدِيز في البيت الثاني ،
 سواء صَخِرَ هذا على مذهب العرب في الوقف على ما أوسطه ساكن ، فإنَّ
 منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى حين الفعل في الوقف ، وذلك إذا كان
 الاسم مرفوعاً أو مخفوضاً ، ولا يفعلون ذلك في النصب ، وعِلَّةُ مُسْتَقْصَاةٍ
 في النحو .

حول : لماذا وموتمة :

وذكر خَبَرِ حِمَاسٍ وقول امرأته له : لماذا تُعِدُّ السلاح بإثبات الألف ،
 ولا يجوز حذفها من أجل تركيب ذا متعها ، والمعروف في ما إذا كانت استغناءً
 - مجزورة أن تحذف منها الألف ، فيقال : لِمَ ، وَحِمَ ، قال ابن السراج : الدليل
 على أن ذا جُمِلَتْ مع ما اسماً واحداً أنهم اتفقوا على إثبات الألف مع حرف
 الجر ، فيقولون : لماذا فعلت ، وبماذا جئت ، وهو معنى قول سيبويه .

حول رمزي صماس :

وقوله : وذو غِرَارَيْنِ سريع السَّهْل بكسر السين هو الرواية ، يريد الحالة
 من سَلِّ السيف ، ومن أراد المصدر فَتَح .

وقوله : وأبو يزيد قائم كالموتمة ، يريد : المرأة لها أبتام ، والأعراف
 في مثل هذا موتيم مثل مُطِيل ، وجمعها ميَّيم ، وقال ابن إسحاق في غير هذه
 الرواية : الموتمة : الاسطوانة ، وهو تفسير غريب ، وهو أصح من التفسير الأول ،
 لأنه تفسير راوى الحديث ، فعلى قول ابن إسحاق هذا يكون لفظ الموتمة

من قولهم : وَتَمَّ وَأَتَمَّ إِذَا ثَبِتَ ، لأنَّ الاسطوانة تثبت ما عليها ، ويقال فيها على هذا مُوْتَمَّةٌ بالهمز ، وتجمع مَاتَمَ ، وموْتَمَّةٌ بلا همز ، وتجمع : مواتم .

وقوله : وأبو يزيد بقلب الهمزة من أبو ألفاً ساكنة ، فيه حجة لوزن [واسمه : عثمان بن سعيد بن عبد الله] حيث أبدل الهمزة ألفاً ساكنة ، وهي متحركة ، وإنما قياسها عند النحويين أن تكون بين بين .

ومثل قوله : وأبو يزيد ، قول الفرزدق :

فَارَعَى فَرَازَةً لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ^(١)

وإنما هو هَنَّاكَ بالهمز وتسهيلها بين بين ، فقلبها ألفاً على غير القياس المعروف في النحو ، وكذلك قولهم في المِنْسَاءِ ، وهي المصا ، وأصلها الهمز ، لأنها مِفْعَلَةٌ من نَسَأْتُ ، ولكنها في التنزيل كما ترى^(٢) ، وأبو يزيد الذي عني في هذا البيت ، هو سُهَيْلُ بْنُ عُثَيْرٍ وَخَطِيبُ قُرَيْشٍ .

وقوله : لَمْ نَهَيْتُ : النَّهَيْتُ : صَوْتُ الصَّدْرِ ، وأكثر ما توصف به الأسدُ ، قال ابن الأَست : .

كَانَهُمْ أَسَدٌ لَدَى أَشْبَلٍ يَنْهَيْنَ فِي غِيَمٍ وَأَجْزَاعٍ

(١) شطرته الأولى : راحت بمسلة البقال عشية . وهو من شواهد سيبويه .

٢٠ ص ١٧٠ .

(٢) أي ميموزة في سورة سبأ في قصة موت سليمان .

وَالْعَمَلَةُ : أصواتٌ غيرُ مفهومةٍ من اختلافها .

طرف من أمطام أرض مكة :

ونذكر هاهنا طرفاً من أحكام أرض مَكَّة ، فقد اختلف : هل افتتحها النبي صلى الله عليه وسلم عَنوةً أو صلحاً ، ليعتني على ذلك الحكم : هل أرضها ملكٌ لأهلها أم لا ؟ وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاجُّ ، وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله بمكة أن ينهى أهلها عن كراء دورها إذا جاء الحاجُّ فإن ذلك لا يحل لهم . وقال مالك - رحمه الله - إن كان الناسُ لَيَضْرِبُونَ فَسَاطِيطَهُمْ بدُور مكة لا ينههم أحدٌ ، وروى أن دور مَكَّة كانت تُدْعَى السَّوَابِ (١) ، وهذا كله منتزع من أصليْن أحدهما : قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَالسَّجْدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ الحج : ٢٥ وقال ابنُ عمر وابنُ عباس : الحَرَمُ كُلُّهُ مسجد . والأصل الثاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم دخلها عَنوةً غير أنه من على أهلها بأنفسهم وأموالهم ، ولا يُقاس عليها غيرها من البلاد ، كما ظن بعضُ الفقهاء فإنها مخالفة لغيرها من وجوهين ، أحدهما : ما خص الله به نبيه ، فإنه قال : ﴿ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الأنفال : ١ والثاني : ما خصَّ الله تعالى به مَكَّة فإنه جاء : لَا تَحِلُّ غَنَائِمُهَا ، وَلَا ثَلَاثَةُ طُلُقَطْهَا ، وهي حرم الله تعالى وأمنه ،

(١) روى الإمام أحمد عن علقمة بن نضلة قال : وكانت رِباع مكة تدعى السوائب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ، من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن .

فكيف تكون أرضها أرض خراج ، فليس لأحدٍ افْتَتَحَ بلداً أن يَسْلُكَ به سَبِيلَ مكة ، فأرضها إذاً ودورها لأهلها ، ولكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحبيج إذا قدموها ، ولا يأخذوا منهم كِراءَ في مساكنها ، فهذا حكمها فلا عليك بعد هذا ، فُتِحَتْ عَنُوةٌ أو صلحاً ، وإن كانت ظواهر الحديث أنها فُتِحَتْ عَنُوةٌ (١) .

الهذلي القليل :

وذكر الهذلي الذي قُتِلَ ، وهو واقف ، فقال : أَقْدَ فَعَلْتُمُوهَا يامُفْشِرْ خُرَاعَةَ ، وروى الدارقطني في الشنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو كنت مقاتلٌ مُسْلِمٌ بكافرٍ لقتلت خِرَاشاً بالهذلي ، يعنى بالهذلي : قاتل ابن أنوع ، وخِرَاشٌ هو قاتله ، وهو من خُرَاعَةَ .

هل تعبذ السكبة عاصباً ؟

فصل : وذكر قِصَّةَ ابن خَطَلٍ ، واسمه : عبدُ الله ، وقد قيل في اسمه :

(١) يقول الإمام ابن القيم عن مكة : « إنها لا تملك ، فإنها دار للنسك ، ومتعبد الخلق ، وحرَّم الرب سبحانه وتعالى الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ، فهي واقف من الله تعالى على العالمين ، وهم فيه سواء . ومنى مناخ من سبق ، ثم يقول : « ذهب جمهور الأئمة من السلف والخلف إلى أنه لا يجوز بيع أراضي مكة ، ولا إجارة بيوتها . هذا مذهب مجاهد وطلحة في أهل مكة ، وماك في أهل المدينة ، وأبي حنيفة في أهل العراق ، وسفيان الثوري والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه . ثم فصل الأمر في أسلوب جميل فانظره ص ٤١٣ وما بعدهما في زاد المعاد ط السنة المحمدية .

هَلَال ، وقد قيل : هلال كان أخاه ، وكان يقال لها الخَطْلَان ، وهما من بنى تيم
ابن غالب^(١) بن قنبر ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتله ، فقُتِل وهو
متملق بأستار السكبية ، ففي هذا أن السكبية لا تُعِذ عاصياً ، ولا تَمْنَع من
إقامة حَدٍّ واجب^(٢) ، وأن معنى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمَنًا﴾ إنما معناه
الخبر عن تعظيم حُرْمَةِ الْحَرَم في الجاهلية نعمة منه على أهل مكة ، كما قال تعالى :

(١) هو من قریش الظواهر . وذكر ابن دريد أن ابن خطل كان اسمه هلال ،
وأن أخاه كان عبداً لله . وفي المقرئ أنه هلال . أنظر ص ١٠٦ ، ٧٩ الاشتقاق ،
ص ٣٧٨ إمتاع الأسماع .

(٢) في المسألة خلاف طويل . ولقد كان العربي في الجاهلية يرى قاتل أبيه
أو ابنه في الحرم فلا يبيحه . وروى الإمام أحمد عن عمر أنه قال : لو وجدت
فيه قاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ، وذكر عن عبد الله بن عمر أنه قال :
لو وجدت فيه قاتل عمر ما بدته . وروى مثله عن ابن عباس ، وهذا قول جمهور
التابعين ومن بعدهم ، بل لا يحفظ عن تابعي ولا صحابي خلافة . وإليه ذهب
أبو حنيفة ومن وافقه من أهل العراق ، والإمام أحمد ومن وافقه من أهل
الحديث : أما مالك والشافعي فيريان أنه يستوفى منه في الحرم ، كما يستوفى منه
في الحل ، وهو اختيار ابن المنذر . وقد وفي ابن القيم هذه المسألة بحثاً ، وذكر
بالفصيل أدلة الفريقين في زاد المعاد ص ٢٠٤ وما بعدها ج ٢ . وأقوى دليل
لن قال باستيفاء الحد منه في الحرم قوله سبحانه (ولا تأكلوا أموالكم عند المسجد الحرام ،
حتى يقاتلوك فيه ، فإن قاتلوك فاقتلوه) البقرة : ١٩١ وقد روى الإمام أحمد
عن ابن عباس قوله : «من سرق أو قتل في الحل ، ثم دخل الحرم ، فإنه
لا يجالس . ولا يكلم ، ولا يؤوى حتى يخرج ، فيؤخذ ، فيقام عليه الحد ، وإن
سرق أو قتل في الحرم أقيم عليه الحد» ففرق بهذا بين الاجيء إلى الحرم ، وبين
الاجاني فيه . وهذا رأى بينه وبين هدى القرآن نسب متين .

﴿ جَعَلَ اللَّهُ السَّكْمَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾ إلى آخر الآية ، المائدة : ٩٧ .
فكان في ذلك قِوَامٌ للناس ، ومصلحةٌ لذريةِ إسماعيلَ - صلى الله عليه وسلم -
ومم قُطَانُ الْحَرَمِ ، وإجابةٌ لدعوة إبراهيم عليه السلام حيث يقول : اجْعَلْ
أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، وعندما قَتَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم
ابْنَ خَطَلٍ قَالَ : لَا يَقْتُلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ هَذَا ، كذلك قال يونس في روايته ..

صلاة الفتح :

فصل : وذكر صَلَاةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في بيت أم هانئ ، وهي صَلَاةُ
الْفَتْحِ ، تُعْرَفُ بِذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَكَانَ الْأَمْرَاءُ يَصَلُّونَهَا إِذَا افْتَتَحُوا
بِلَدًا . قَالَ الطَّبْرِيُّ : صَلَّى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، حِينَ افْتَتَحَ الْمَدَائِنَ ، وَدَخَلَ
إِيوَانَ كَسْرَى ، قَالَ : فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةَ الْفَتْحِ ، قَالَ : وَهِيَ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ
لَا يُفْصَلُ بَيْنَهَا ، وَلَا تُصَلَّى بِإِمَامٍ ، فَبَيْنَ الطَّبْرِيِّ سُنَّةَ هَذِهِ الصَّلَاةِ وَصِفَتَهَا ،
وَمِنْ سُنَّتِهَا أَيْضًا أَنْ لَا يُجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ ، وَالْأَصْلُ مَا تَقْدَمُ مِنْ صَلَاةِ النَّبِيِّ
- صلى الله عليه وسلم - في حديث أم هانئ وذلك ضحى ^(١) .

(١) عن أم هانئ أنه لما كان عام الفتح أتت رسول الله ص ، وهو بأعلى
مكة ، فقام رسول الله ص ، إلى غسله ، فسترت عليه فاطمة ، ثم أخذ ثوبه
فالتحف به ، ثم صلى ثمان ركعات سبحة الضحى ، متفق عليه ، ولكن في
رواية البخاري ومسلم أنها قالت إن النبي ص ، دخل بيتها يوم فتح مكة
فأغسل وصلى ثمان ركعات ، وقد قيل في الجمع بين الروایتين أن يكون قد نزل
في بيتها بأعلى مكة ، وكانت في بيت آخر بمكة ، فجاءت إليه ، فوجدته يغتسل .
وفي حديث لابي داود أنه ص ، كان يسلم بين كل ركعتين ، وكذلك ذكر =

أسم هانيء :

وأُم هانيء اسمها : هِنْدُ تَسْكُنُ بِابْنِهَا هَانِيءِ بْنِ هُبَيْرَةَ ، وَلَهَا ابْنٌ مِنْ هُبَيْرَةَ اسْمُهُ يَوْسُفُ ، وَثَالِثٌ وَهُوَ الْأَكْبَرُ اسْمُهُ : جَعْدَةُ ، وَقِيلَ : إِبَاءُ عَنَتٌ فِي حَدِيثِ مَالِكٍ ، زَعَمَ ابْنُ أُمَى عَلَى أَنَّهُ قَاتِلُ رَجُلٍ أَجْرَنَهُ فُلَانُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَقَدْ قِيلَ فِي اسْمِ أُمِّ هَانِيءٍ : فَاخِتَةُ ^(١) .

عمر الله بن عمر :

فصل : وذكر عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي يُكْنَى أبا يحيى ، وكان كاتب النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم ارتد ولحق بمكة ،

== ابن خزيمة . وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين ، وفي هذا رد على من زعم أن الصلاة هذه موصولة هذا وقد حقق الإمام ابن القيم رضى الله عنه الصلاة المسماة بصلاة الضحى ، تحقيقاً عظيماً ، وجمع أكثر ما قيل فيها من أحاديث ، ومنها ما رواه البخارى : . لم يكن رسول الله - ص - ، يصلى الضحى إلا أن يقدم من مغيبه ، ثم قال ابن القيم : فالذى أثبتته فعلها بسبب كقدومه من سفر ، وفتحها وزيارته لقوم ونحوه ، وكذلك إتيانه مسجد قباء للصلاة فيه . . ولم يكن من هديه فعلها لغير سبب وقد أوصى بها وندب إليها وحض عليها ، وكان يستغنى عنها بقيام الليل ، فإن فيه غنية عنها ، وهى كالبدل منه . . وابن عباس كان يصلها يوماً ويدعها عشرة ، وكان ابن عمر لا يصلها ، فإذا أتى مسجد قباء صلاها . أما صلاة الفتح فهى هذه التى مر ذكرها ، وكانت ضحى ، فظننا من ظننا صلاة الضحى .

(١) هى أُم هانيء بنت أبي طالب ابنة عم النبي - ص - ، وقد اختلف في اسمها ، فقيل فاخنة ، وقيل فاطمة ، وقيل هند ، والاول أشهر ، وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي .

ثم أسلم وحسن إسلامه ، وعُرف فضله وجهاده ، وكان على مَيِّمَنَة عمرو ابن العاصي حين افتتح مصر ، وهو الذي افتتح إفريقيا بَقِيَّة سَفَةِ سَمِيعٍ وعَشْرِينَ ، وغزا الأساودَ من الثوبَةِ ، ثم هادهم الهدنةَ الباقية إلى اليوم ، فلما خالف محمد بن أبي حُذَيْفَةَ على عُثْمَانَ - رضى الله عنه - اعتزل الفتنةَ ، ودعا الله عز وجل أن يقبضه ، ويجعل وفاته بائراً صلاحِ الصبح ، فصلى بالناس الصبح ، وكان يسلم تسليمين عن يمينه ، وعن شماله ، فلما سلمَ النساءُ الأولى عن يمينه ، وذهب ليسلم الأخرى ، قُبِضَتْ نفسه ، وكانت وفاته بمُتَغَان ، وهو الذي يقول في حِصَارِ عُثْمَانَ :

أرى الأمر لا يَزْدَادُ إِلَّا تَقَاوُماً وَأَنْصَارُنَا بِالْمَكَّةَيْنِ قَلِيلُ
وَأَسْلَمْنَا أَهْلُ الدِّينَةِ وَالْهَوَى إِلَى أَهْلِ مِصْرٍ وَالذَّلِيلُ ذَلِيلُ
نَجْمَةٌ :

وأما تُمَيْمَةُ بن عبد الله الذي ذكره ابن إسحاق فهو ليثي أحد بني كعب بن عامر بن ليث ، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد كثيراً من مشاهدته وغزواته .

عن ابن نمير والقينتين :

وأما الحُوَيْرِثُ بن نُفَيْذٍ^(١) الذي أَمَرَ بقتله مع ابن خَطَلٍ ، فهو الذي

(١) بقية لسه : ابن بجير بن عبد قصى .

نَحْسِ بَرِّئَتِ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَدْرَكَهَا ، هُوَ وَهَبَارُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، فَسَقَطَتْ عَنْ دَابَّتِيهَا ، وَأَلْقَتْ جَنِينَهَا .

وَأَمَّا الْقَيْنَتَانِ الْأَتَانِ أَمْرَ بَقْتَلَمَا ، وَهِيَ سَارَّةُ (١) وَفَرَّتَنِي فَأَسْلَمْتُ فَرَّتَنِي ، وَآمَنْتُ سَارَّةُ وَعَاشَتْ إِلَى زَمَنِ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ وَطَّيْتُهَا قَرَسًا ، فَقَتَلْتُهَا .

عن الربيات في خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

فصل : وذكر خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيها ذكر الدِّبَاتِ ، وذكر قَتِيلِ الْخَطَا ، وذكر شِبْهِ الْعَمْدِ وَتَمَایِظِ الدِّبَةِ فِيهِ ، وَهِيَ أَنْ يُقْتَلَ الْقَتِيلُ بَسَوطٍ أَوْ عَصَا ، فَيَمُوتَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ : أَنْ لَا قَوْدَ (٢) فِي شِبْهِ الْعَمْدِ ، وَالْمَشْهُورُ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّ فِيهِ الدِّبَةَ مُغْلَظَةً أَثْلَانًا (٣) ، وَلَيْسَ

(١) فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْقَيْتَيْنِ ، وَإِنَّمَا هِيَ مَوْلَاةُ عُمَرَ بْنِ هِشَامٍ ، وَقِيلَ مَوْلَاةُ ابْنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تُوْذِي رَسُولَ اللَّهِ فِي مَكَّةَ ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا الَّتِي تَحْمَلَتْ الْكِتَابَ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ ، وَكَانَهَا عَنِ عِنَّا ، أَوْ مَرَبِيتٍ ، ثُمَّ أَهْدَرَ دَمَهَا ، فَهَرَبَتْ حَتَّى اسْتَوْتَمَنَ لَهَا مِنَ الرَّسُولِ ، ص . . وَقِيلَ قَتَلَهَا عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ وَقِيلَ غَيْرُهُ وَأَمَّا الْجَارِيتَانِ فَهُمَا قَرَتَنَا وَقَرْيَةُ ، أَوْ فَرَتَنَا ، وَأَرْبَةُ وَقَدْ قَتَلَتْ أَرْبَابَ أَوْ قَرْيَةَ . أَنْظَرُ ص ٢٩٨ - ٤ : الْبَدَايَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ ص ٣٧٨ ، ٣٩٤ : إِمْتِنَاعُ الْأَسْمَاعِ لِلْمَقْرِزِيِّ .

(٢) الْقَوْدُ : الْقَصَاصُ وَقَتْلُ الْقَاتِلِ بِدَلِّ الْقَتِيلِ .

(٣) أَيْ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ حَقَّةً ، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ جَذْعَةً ، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ ثَنِيَّةً . الثَّنِيَّةُ مِنَ الْغَنَمِ ، مَا دَخَلَ فِي الثَّالِثَةِ ، وَمِنَ الْبَقَرِ كَذَلِكَ ، وَمِنَ الْإِبِلِ فِي السَّادِسَةِ ، وَالْجَذْعَةُ مَا دَخَلَ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ . مِنَ الْإِبِلِ ، وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ مَا دَخَلَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ . وَقِيلَ الْبَقَرُ فِي الثَّالِثَةِ ، وَمِنَ الضَّأْنِ مَا تَمَّتْ لَهُ سَنَةٌ . وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ . وَحَدِيثُ شِبْهِ الْعَمْدِ أَخْرَجَهُ الْخُصَّةُ إِلَّا التِّرْمِذِيُّ .

حدث فقهاء الحجاز إلا قَوْدَ في عَمْدٍ أو دِيَّةٍ في خَطَأٍ تَوَخَّذَ أَخْمَاسًا^(١) عَلَى مَا تَسَّرَ الْقَهَاءَ . وهو قول الليث ، وكذلك قول أهلُ العِرَاقِ إِنْ الْقَوْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالسَّيْفِ ، وَاحْتَجَّوا بِأَثَرِ يُرْوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا أَنَّ لِقَوْدَ إِلَّا بِمَحْدِيدَةٍ ، وَعَنْ عَلِيٍّ مَرْفُوعًا أَيْضًا : لَا قَوْدَ إِلَّا بِالسَّيْفِ ، وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا قَوْدَ إِلَّا بِمَحْدِيدَةٍ ، وَهُوَ يَدُورُ عَلَى أَبِي مُعَاذٍ سُلَيْمَانَ بْنِ أَرْقَمَ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ بِإِجْمَاعٍ ، وَكَذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ يَدُورُ عَلَى الْمُعَالِي بْنِ هِلَالٍ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ مَثْرُوكُ الْحَدِيثِ ، وَكَذَلِكَ حَدِيثُ عَلِيٍّ لَا تَقُومُ بِإِسْنَادِهِ حُجَّةٌ ، وَحُجَّةُ الْآخَرِينَ فِي أَنَّ الْقَاتِلَ يُقْتَلُ بِمَا قُتِلَ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَمِّنْ ااعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ الْبَقَرَةُ : ١٩٤ ، وَحَدِيثُ الْيَهُودِيِّ الَّذِي رَضَخَ رَأْسَ الْجَارِيَةِ عَلَى أَوْضَاحٍ^(٢) لَهَا ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرَضَخَ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ .

الصلوة في النكبة :

وأما دخوله عليه السلام النكبة وصلاته فيها ، فحديث بلالٍ أَنَّهُ صَلَّى

(١) عشرون حقة ، وعشرون جذعة ، وعشرون بنات لبون ، وعشرون غير لبون ، وعشرون بنات مخاض . ابن اللبون أو بنت اللبون : ما دخل من الإبل في الثالثة . والمخاض : اسم للنوق الحوامل ، وبنت المخاض ما دخلت في السنة الثانية . وفي بني اللبون خلاف . بل في نفس الندية خلاف .

(٢) الأوضاح نوع من الحلبي يعمل من القنصة وهو من حديث متفق عليه ، فقد وجدوا جارية رضى رأسها ، فسألوها : من صنع بك هذا ، حتى ذكروا يهودياً ، فأومأت برأسها ، فأخذ اليهودي ، فأقر ، فأمر الرسول دس ، برضى رأسه بين حجرين .

فيها ، وحديثُ ابن عباس أنه لم يُصَلَّ فيها ، وأخذ الناسُ بحديث بلال ، لأنه أثبت للصلاة وابن عباس نفى ، وإنما يؤخذ بشهادة المثبت ، لا بشهادة النافي ، ومن تأوَّل قول بلال أنه صلى ، أى دعا ، فليس بشيء ، لأن في حديث عمر أنه صلى فيها ركعتين ، ولكن رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان ، لأنه عليه السلام دخلها يوم النحر فلم يُصَلِّ ، ودخلها من الغد فصلى ، وذلك في جبة الوداع ، وهو حديث مروي عن ابن عمر بإسناد حسن ، خرجه الدارقطني ، وهو من فوائده ^(١) .

(١) عن ابن قال : دخل رسول الله ﷺ البيت هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، فأغلقوا عليهم الباب ، فلما فتحو اُكِّت أول من ولج ، فخلعت بلالا ، فسأله : هل صلى فيه رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، بين العمودين اليمانيين ، متفق عليه ، وفي حديث البخاري وأحد أنه ﷺ ، صلى ركعتين بين السارين عن يسارك إذا دخلت وأنه خرج ، فصلى في وجهة الكعبة ركعتين . وحديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كبر في البيت ولم يصل فيه قد أخرجه البخاري ، وقال إن إثبات بلال أرجح ، لأنه كان مع النبي ، ولم يكن ابن عباس معه ، وإنما استند في نفيه إلى أسامة تارة ، وإلى الفضل تارة . وقد روى نفي الصلاة مسلم عن أسامة من طريق ابن عباس ، ووقع إثبات صلاته في الكعبة أيضاً عن أسامة من رواية ابن عمر ، ولهذا ترجح رواية بلال إذ ليس فيها مثل هذا التعارض ، وعن عائشة قالت : خرج رسول الله ﷺ من عندي وهو قريء العين طيب النفس ، ثم رجع إلى ، وهو حزين ، فقلق له ؟ فقال : إني دخلت الكعبة ، ووددت أني لم أكن فعلت ، إني أخاف أن أكون أتعبت امتي من بعدى . والخسة إلا الفساق وصحبه الترمذي ، وعن إسماعيل ابن أبي خالد قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى : أدخل النبي ﷺ البيت في عمرته ؟ قال : لا ، متفق عليه ، وهذا استدلال الجمهور على أن دخول الكعبة ليس من مناسك الحج .

(٨ م — الروض الآف ج ٧)

كسر الأصنام

قال ابن هشام : وحدثني من أنفق به من أهل الرواية في إسناده ، عن
 قال ابن هشام : وحدثني من أنفق به من أهل الرواية في إسناده ، عن
 ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : دخل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحته ، فطاف عليها وحول
 البيت أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب
 في يده إلى الأصنام ويقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)
 ، يده إلى الأصنام ويقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)
 أشار إلى صنم مهيا في وجهه إلا وقع نقاه ، ولا أشار إلى قناه إلا وقع
 لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع ؛ فقال عيسى بن أسد الخزازي في ذلك :
 وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاب
 وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاب

قصة إسلام فضالة

قال ابن هشام : وحدثني : أن فضالة بن عمر بن الملوحة اللامي أراد قتل
 قال ابن هشام : وحدثني : أن فضالة بن عمر بن الملوحة اللامي أراد قتل
 النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله ؛ قال :
 ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال لا شيء ، كنت أذكر الله ، قال : فضحك
 الذي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره ،
 فكان قلبه ؛ فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من
 خلق الله شيء أحب إلي منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلي ، فرديت بأسرأة
 لقي الله شيء أحب إلي منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلي ، فرديت بأسرأة

كنت أتحدث إليها ، فقالت : هَلَمْ إِلَى الْحَدِيث ، فقلت : لا ، وانبت
فضالة يقول :

قَالَ هَلَمْ إِلَى الْحَدِيث فَقُلْتُ لَا يَا أَبَى عَمْرٍو إِنَّكَ وَالْإِسْلَامُ
لَوْ مَا رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكْشُرُ الْأَصْنَامُ
لَرَأَيْتَ دِينَ أَضْحَى بَيْنَنَا وَالشِّرْكَ يُغْشَى وَجْهَهُ الْأُظْلَامُ

أمان الرسول لصوان بن أمية

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير ، قال :
خرج صفوان بن أمية يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عُصَيْرُ بْنُ وَهَبٍ :
يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمِّيَّةٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ ، وَقَدْ خَرَجَ هَارِبًا مِنْكَ لِيَقْذِفَ نَفْسَهُ
فِي الْبَحْرِ ، فَأَمْنُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ؛ قَالَ ، هُوَ آمَنَ ؛ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
فَأَعْطَى آيَةً يَعْرِفُ بِهَا أَمَانُكَ ؛ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِمَامَتَهُ
الَّتِي دَخَلَ فِيهَا مَكَّةَ ، فَخَرَجَ بِهَا عُصَيْرٌ حَتَّى أَدْرَكَهُ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَرْكَبَ
فِي الْبَحْرِ ، فَقَالَ : يَا صَفْوَانُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، اللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ أَنْ تَهْلِكَهَا ،
فَهَذَا أَمَانٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جِئْتُكَ بِهِ ؛ قَالَ : وَيْحَكَ !
اغْرُبْ عَنِّي فَلَا تَكَلِّمْنِي ؛ قَالَ : أَيُّ صَفْوَانَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، أَفْضَلُ
لِلنَّاسِ ، وَأَبْرَأُ النَّاسِ ، وَأَحْلَمُ النَّاسِ ، وَخَيْرُ النَّاسِ ، ابْنُ عَمِّكَ ، عَزَّاهُ عَزَّكَ ،
وَشَرَفَهُ شَرَفُكَ ، وَمُلْكُهُ مُلْكُكَ ؛ قَالَ : إِنِّي أَخَافُهُ عَلَى نَفْسِي ، قَالَ : هُوَ
أَحْلَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْرَمُ : فَرَجَعَ مَعَهُ ، حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم ، قال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمّنتني ، قال : صدق ، قال :
فاجعلني فيه بالخيار شهرين ؛ قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثني رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لعُمَيْرِ
وَيْلَكَ اغْرُبْ عني ، فلا تكلمني ، فإنك كذاب ، لما كان صنع به ،
وقد ذكرناه في آخر حديث يوم بدر .

إسلام عكرمة وصفوان

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري : أن أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام
وفاخته بنت الوليد - وكانت فاخنة عند صفوان بن أمية ، وأمّ حكيم عند
عكرمة بن أبي جهل - أسدنا ؛ فأما أمّ حكيم فاستأمنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعكرمة فأمنه ؛ فلحقته به باليمن ، فجاءت به ، فلما أسلم عكرمة
وصفوان أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الأول .

إسلام ابن الزبيري وشعره في ذلك

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :
قال : رمى حسانُ ابنَ الزُّبَيْرِ وهو بنجرانَ ببيت واحد ما زاده عليه :
لَا تَمْدَنَّ مِنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُقْضُهُ نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَتَيْمٍ
فلما بلغ ذلك ابنَ الزُّبَيْرِ خرج إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم
فأسلم ، فقال حين أسلم :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقَتَ إِذْ أَنَا بُورٌ
إِذْ أَبَارَى الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ النَّوَى وَمَنْ مَالَ مَيْلُهُ مَشْبُورٌ
أَمِنْ اللَّعْنِ وَالْعِظَامِ لِرَبِّي ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إِنِّي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيًّا مِنْ لَوْيَ وَكُلُّهُمْ مَفْرُورٌ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبغري أيضا حين أسلم :

مَنْعَ الرُّقَادَ بِلَابِلٍ وَمُحْمُومٌ وَاللَّيْلُ مُغْتَلِبُ الرُّوَاقِ يَسِيمُ
مِمَّا أَتَانِي أَنْ أَحْدَ لَامِنِي فِيهِ فَبِتُّ كَأَنِّي نَحْمُومٌ
بِاخِيرَ مَنْ حَمَلْتُ عَلَى أَوْصَالِهَا عَيْرَانَةَ سُرُحِ الْيَدَيْنِ غَشُومٌ
إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ لِمَلِكٍ مِنْ الَّذِي أَسَدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الصَّلَالِ أَهِيمُ
أَيَّامَ تَأْمَرُنِي بِأَغْوَى خُطَاةٍ سَهْمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا نَحْزُومٌ
وَأُمْدُ أَسْبَابِ الرُّدَى وَيَقُودُنِي أَمْرُ النُّوَةِ وَأَسْرُهُمْ مَشْهُومٌ
فَالْيَوْمَ آمَنْ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَلْبِي وَغَطِيءَ هَذِهِ مَحْرُومٌ
مَضَتْ الْعِدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا وَدَعَتْ أَوَامِرُ بَيْنَنَا وَحُلُومٌ
فَاغْفِرْ فَنَدَى لَكَ وَالَّذِي كَلَاهَا زَلَى ، فَاكُ رَاحِمٌ مَرْحُومٌ
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ الْمَلِكِ عَلَامَةٌ نَوْرٌ أَغْرَ وَخَانِمٌ مَخْخُومٌ
أَعْطَاكَ بِعَدِّ حَبَّةِ بَرَهَانِهِ شَرْقًا وَبَرَهَانَ الْإِلَهِ عَظِيمٌ
وَأَقْدَ شَهِدْتُ بِأَنْ دِينَكَ صَادِقٌ حَقٌّ وَأَنْكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمٌ
وَأَلَّهُ يَشْهَدُ أَنْ أَحَدَ مُصْطَفَى مُسْتَقْبَلٌ فِي الصَّالِحِينَ كَرِيمٌ

قَرَّمٌ عَلَا بُنْيَانُهُ مِنْ هَاشِمٍ فَرَزَعُ تَمَكَّنَ فِي الذَّرَا وَأُرُومُ
قال ابن هشام : وبمض أهل العلم بالشعر يُسَكِّرُهَا لَهُ :

بقاء هبيرة على كفره وشعره في إسلام زوجه أم هانيء

قال ابن إسحاق : وأما هبيرة بن أبي وهب الخزومي فأقام بها حتى مات
كافراً ، وكانت عنده أم هانيء بنت أبي طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين
بلغه إسلام أم هانيء :

كذلك النوى أسنابها وانفتاها	اشافتك هند أم أذاك سواها
بنجران يسرى بعد ليل خيالها	وقد أركت في رأس حصن تمنع
وتغذلي بالليل ضل ضلالها	وعاذلة هبت بليل تلوومي
ساردي وهل يردن إلا زبائها	وتزعم أني إن أطعت عشيرتي
على أي حال أصبح اليوم حالها	فإني لمن قرم إذا جد جد هم
إذا كان من تحت العوالي مجالها	وإني لحام من وراء عشيرتي
مخارق ولدان ومنها ظلالها	وصارت بأيديها السيوف كأنها
على الله رزق نفسها وعيالها	وإني لأقلى الحاسدين وفعلهم
لكا النبيل تهوى ليس فيها نصالها	وإن كلام الرء في غير كنهه
وعطيت الأرحام منك حبالها	فإن كنت قد تابعت دين محمد
مئة لمة غبراء ينس بلالها	فكوني على أعلى سحيق بهضة

قال ابن إسحاق : وبروي : « وقطعت الأرحام منك حبالها » .

عدة من شهد فتح مكة من المسلمين

قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف . من بنى سُلَيْمٍ سبع مائة ، ويقول بعضهم : ألف ؛ ومن بنى غِفَارٍ أربع مائة ، ومن أسلم أربع مائة ؛ ومن مَزِينَةَ ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قُرَيْشٍ والأنصار وحلفائهم ، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

شعر حسان في فتح مكة

وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصاري :

نَعَتِ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاهِرُ	إِلَى عَذْرَاءَ مَزَلَهَا خَلَاهُ
دَبَارٌ مِنْ بَنَى الْحَسْحَاسِ قَفَرٌ	تُعَقِّبُهَا الرُّوَامِسُ وَالشَّاهِرُ
وَكَاثَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أُنَيْسٌ	بِخِلَالِ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاهِرُ
فَدَعِ هَذَا وَلَسْكَنَ مَنْ لَطِيفٌ	يُورِقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لِشَعْنَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمَتْهُ	فَقَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَأَنَّ خَبِيثَةً مِنْ يَدِ رَأْسٍ	يَكُونُ مِرَاجِمَا عَسَلٍ وَمَاءُ
إِذَا مَا الْأَفْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا	فُهِنَّ لَطِيبُ الرَّاحِ الْفِدَاءُ
فَوَلَّيْهَا التَّلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا	إِذَا مَا كَانَ مَفْتًى أَوْ خَلَاهُ
وَنَشَرَبَهَا فَتَتْرَكُنَا مُلُوكَا	وَأَسْدًا مَا يُنْهِنُنَا الْقَاءُ
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	تُنِيرُ النِّعَمَ مَوْعِدَهَا كَدَاءُ

يُنَازِعُنَ الْأَعْيَنَةَ مُضْنِيَّاتٍ عَلَى أَكْتَفِهَا الْأَسْلُ الْظُلْمَاءُ
تَقْلُ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ
فَلَمَّا تُمْرَضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَالَا فَاصْبِرُوا لِحِلَادِ يَوْمٍ يُعِينُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِيْنَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صِدْقُهُ قُلْتُمْ : لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الْأَنْصَارُ عُرِضَتْهَا الْأَقْيَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدَّةٍ سِيَابٍ أَوْ قِتَالٍ أَوْ هِجَاءٍ
فَنَحْكُمُ بِالْقَوَائِي مَنْ هَجَانَا وَتَضْرِبُ حِينَ تَخْطُطُ الدَّمَاءُ
أَلَا أَبْلَغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي مُغْلَقَلَةً فَقَدْ بَرَحَ الْخَلَاءُ
بَانَ سَيُوفُنَا تَرَكَتْ عَبْدًا وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتْهَا الْإِمَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرُّكَ كَا خَيْرِكَ الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينَ اللَّهُ شَيْتَهُ الْوَفَاءُ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ ؟
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
لَانِي صَارَ لَا عَيْبَ فِيهِ وَيَحْرَى لَا تُكْذِرُهُ الدَّلَاءُ

قال ابن هشام: قالها حسان يوم الفتح . ويروى : « لسانى صارم لا اعتبد فيه » وبلغنى عن الزهرى أنه قال : لما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النساء يَلَطِّنُ الخليلَ بِالْحِمْرِ تبسم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

شعر أنس بن زعيم

فى الاعتذار إلى الرسول مما قال ابن سالم

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زَنِمٍ الدَّيْلَى يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى :

أَنْتَ الَّذِى تُهْدِى مَمَدًا بِأَمْرِهِ	بَلِ اللهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ أَشْهَدُ
وَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا	أَبْرًا وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ
أُحِثَّ عَلَى خَيْرٍ وَأُسْبِغَ نَائِلًا	إِذَا رَاحَ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ الْمُهَنْدِ
وَأَكْسَى لُبُودِ الْخِلَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ	وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ التَّجَرُّدِ
تَعْلَمُ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ مُذْرِكِي	وَأَنْ وَعَيْدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ
تَعْلَمُ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ قَادِرٌ	عَلَى كُلِّ مِرْمٍ مُتَّهِمِينَ وَمُنْجِدِ
تَعْلَمُ بَأَنَّ الرَّكْبَ رَكْبُ عَوَيْمِرٍ	هُمُ الْكَاذِبُونَ الْمُخْلَفُونَ كُلُّ مَوْعِدِ
وَنَبَّوْا رَسُولَ اللهِ أَنَّى هَجَوْنَهُ	فَلَا حَمَاتَ سَوْطِي إِلَى إِذْنِ يَدِي
سِوَى أَنِّى قَدَقَلْتُ وَبِلُأَمٍ فِتْيَةٍ	أُصِيبُوا بِنَحْسٍ لَا يَطْلُقُ وَأَسْتَدِ
أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ	كَفَاءً فَعَزَّتْ عَصْرَتِي وَتَبَلَّدِي

عِزُّكَ قَدْ أَخْفَرْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِيًا بَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةُ مَهْرُودٍ
ذُؤِيبٌ وَكُلْتُمُومٌ وَسَلَمَى تَتَابَعُوا جَمِيعًا فَإِلَّا تَدْمَعُ الْعَيْنُ أَكْدُ
وَسَلَمَى وَسَلَمَى لَيْسَ حَتَّى كَيْثْلَهُ وَإِخْوَتِهِ وَهَلْ مُلُوكُ كَأَعْبُدُ
فَإِنِّي لَا دِينَكَ فَتَقَّتْ وَلَا دَمًا هَرَقْتُ تُبَيِّنُ عَالَمَ الْحَقِّ وَاقْصِدُ

شعر بديل في الرد على ابن زعيم

فَأَجَابَهُ بِدَيْلُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنُ أُمٍّ أَضْرَمَ ، فَقَالَ :
بَكِي أَنْتَ رَزْنَا فَأَعْوَلُهُ الْبُسْكَ قَالًا عَدِيًّا إِذْ تُظَلُّ وَتُبْعَدُ
بَكَيْتَ أَبَا عَبْسٍ لِقُرْبِ دِمَائِهَا فَتَعَذَّرَ إِذْ لَا يَوْقُدُ الْحَرْبُ مُوقِدُ
أَصَابَهُمْ يَوْمَ الْخُنَادِمِ فِتْيَةً كِرَامٌ فَسَلْ : مِنْهُمْ نَفِيلٌ وَمَعْبَدُ
هَنَالِكَ إِنْ تَسْفَحْ دَمُوعُكَ لَا تُلَمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ تَدْمَعْ الْعَيْنُ فَاكْدُوا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

شعر بجير في يوم الفتح

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ فِي يَوْمِ الْفَتْحِ :
نَحْنُ أَهْلَ الْخَلْقِ كُلِّ فَسَجَّ مُزَبْنَةٌ غُدُوَّةٌ وَبَنُو خَفَافٍ
ضَرَبْنَاَهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحِ النَّبِيِّ الْخَيْرِ بِالْيَيْسِ الْخِفَافِ صَبَحْنَاَهُمْ بِسَبْعٍ مِنْ سَكَنِمْ
وَأُفٍّ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ وَافٍ

نظا أكتافهم ضرباً وطعنًا ورشقا بالريشة اللطاف
ترى بين الصفوف لما حقيقاً كما انصاع الفواق من الرصاف
فرحنا والجياد تجول فيهم بأرماع مقومة الثقاف
فأبنا غامض بما اشتبهنا وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا موافقنا على حسن التصاف
وقد سموا مقاتلنا فهموا غداة الروع منا بانصراف

شعر ابن مرداس في فتح مكة

قال ابن هشام : وقال ابن مرداس السلي في فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسهيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وأشهدا أيامه وشعارهم يوم اللقاء مقدم
في منزل ثبتت به أقدامهم ضحك كأن الهام فيه الختم
جرت سناجكها بنجد قبلها حتى استقاد لها الحجاز الأدم
الله مسكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرئاسة شامخ عرنيته متطلع نمر السكارم خضرم

إسلام عباس بن مرداس

قال ابن هشام : وكان إسلام عباس بن مرداس ، فيما حدثني بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبده ، وهو حجر كان

يقال له ضمار ، فلما حضر مرداس قال لعباس : أى بنى ، اعبد ضمار فإنه
ينفعك ويضرك ، فبينما عباس يوماً عند ضمار ، إذ سمع من جوف ضمار
منادياً يقول :

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذى ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قریش مهتدى
أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب إلى النبی محمد
فحرق عباس ضمار ، ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأسلم .

شعر جملة في يوم الفتح

قال ابن هشام : وقال جملة بن عبد الله الخزاعي يوم فتح مكة :

أكعب بن عمرو دعوة غير باطل حين له يوم الحديد متباح
أتيت له من أرضه وسماؤه لتقتله ليلاً بغير سلاح
ونحن الألى سدت غزال خيولنا ولفتنا سدودنا وفوج طلاح
خطرنا وراء المسلمين بحفلى ذوى عضد من خيلنا ورماح
وهذه الأبيات في أبيات له .

شعر مجيد في يوم الفتح

وقال مجيد بن عمران الخزاعي :

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا ركام صحاب الهيدب المتراكب

وهجرتنا في أرضنا عندنا بها كتاب آتى من خير عمل وكاتب
ومن أجلنا حلت بمكة حرمة اندرك نأراً بالسيوف القواضب
هسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة
ومسير على لتلافى خطأ خالد

قال ابن إسحاق : وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول
مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث
خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، فوطىء
بني جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمي في ذلك :

فإن تك قد أمرت في القوم خالداً وقدمته فإنه قد تقدم
بميسر هداة الله أنت أميره نصيب به في الحق من كان أظلاماً

قال ابن هشام : وهذان البيتان في قصيدة له في حديث يوم حنين ،
سأذكرها إن شاء الله في موضعها .

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن
أبي جعفر محمد بن علي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
حين افتتح مكة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب : سليم بن
منصور ومدلج بن مرة ، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ،

.....

فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا :

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جندم : ويلكم يا بني جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار ، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً . قال : فأخذ رجال من قومه ، فقالوا : يا جندم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح ، ووُضعت الحرب وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

براعة الرسول صلى الله عليه وسلم من عمل خالد

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكثفوا ، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم ؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم ، أنه حدث عن إبراهيم بن جعفر الحمودي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت كاتى لقيت نعمة من حنين ، فالتذذت طعمها ، فاعترض في حلقى منها شيء حين ابتلعها ، فأدخل حلى يده فنزعه ؛ فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

رسول الله يا رسول الله فلهذا سري أيتها من سهل أياك غير تبعثها من أياك فليكن منكم ما تحب ،
يكون في ذلك ما يغني عنكم من أياك فليكن منكم ما تحب .

قال ابن مسعود بن هشام أنو اخذتني رأجل انظرت الويل فليكن القوم لقا في رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليه ما يعلم اما فاجرة النعم سوا فقالوا لولا انك على الله نعيمك وانك كن هل أنكر
ليه أحد منكم فقال قد أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه ،
كنت عنفسك كن أنكرت ، أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه ،
أحسبها مواجعة لهم ، فقال لهم ابن مسعود أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه ،
أما الآذول المأخوذ فليكن منكم ما تحب .

قال ابن مسعود بن هشام أنو اخذتني رأجل انظرت الويل فليكن القوم لقا في رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليه ما يعلم اما فاجرة النعم سوا فقالوا لولا انك على الله نعيمك وانك كن هل أنكر
ليه أحد منكم فقال قد أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه ،
كنت عنفسك كن أنكرت ، أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه ،
أحسبها مواجعة لهم ، فقال لهم ابن مسعود أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه ،
أما الآذول المأخوذ فليكن منكم ما تحب .

قال ابن مسعود بن هشام أنو اخذتني رأجل انظرت الويل فليكن القوم لقا في رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليه ما يعلم اما فاجرة النعم سوا فقالوا لولا انك على الله نعيمك وانك كن هل أنكر
ليه أحد منكم فقال قد أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه ،
كنت عنفسك كن أنكرت ، أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه ،
أحسبها مواجعة لهم ، فقال لهم ابن مسعود أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه أنكرت عليه ،
أما الآذول المأخوذ فليكن منكم ما تحب .

حتى إنه ليُرى مما تحت منكبَيْهِ ، يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد
ابن الوليد ، ثلاث مرّات .

الاعتذار عن خالد

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال : ما قاتلت حتى
أمرني بذلك عبدُ الله بن حذافة السهمي ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدني : لما أتاهم خالد ، قالوا : صَبَأْنَا صَبَأَنَا .

بين خالد وبين ابن عوف

قال ابن إسحاق : وقد كان جَعَدَمٌ قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى
ما يصنع خالد يبنّي جَذِيمة : يا بني جَذِيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم
ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغني ، كلام
في ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عَمِلْتَ بأمر الجاهلية في الإسلام .
فقال : إنما فُأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلتُ قاتل أبي ،
ولس كذلك فُأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شرٌّ . فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلاً يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله
لو كان لك أحدٌ ذهباً نُم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غَدَوَةَ رجل من أصحابي
ولا روحته .

بين قريش وبنى جذيمة

وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زهرة ، وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تجاراً إلى اليمن ، ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر ، كان هلك ، باليمن ، إلى ورثته ، فادّعه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه ، وقتلوه ، فقتل عوف بن عبد عوف ، والفاكه بن المغيرة ، ونجا عفان بن أبي العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهتت قريش بفرو بنى جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملائنا ، إنما عدا عليهم قوم بجيلة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن ننقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال ، فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

شعر سلمى فيما بين بنى جذيمة وقريش

وقد قاتل من بنى جذيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سلمى :
 ولولا مقال القوم للقوم أسلموا للاقى سليم يوم ذلك ناطحا
 لما صبههم بسير وأحلب جحدم ومرة حتى يتركوا البرك ضابحا

فَكَانَ تَرَى يَوْمَ الْفُتُوحِ مَنْ قَتَلَ أَصِيبَ وَلَمْ يَجْرَحْ وَقَدْ كَانَ جَارِحًا:
أَلْظَتْ بِخُطَّابِ الْأَيَّامِ وَطَلَّعَتْ غَدَاتِنْدِ مَنْهْنٍ مَنْ كَانَ نَاكِحًا
قال ابن هشام: قوله «يُسِر» «وَأَلْظَتْ بِخُطَّابِ» عن غير ابن إسحاق.

شعر ابن مرداس في الرد على سلمى

قال ابن إسحاق: فأجابه عباس بن مرداس، ويقال: بل الجعاف بن
حكيم السلمى:

دعى عنك نقوال الضلال كفى بنا
لكبش الوغى في اليوم والامس ناطحا
نخالد أولى بالتعذر منكم غداة علا نهجاً من الأمر واضحا
مُعَانَا بِأَمْرِ اللَّهِ يُزْجِي إِلَيْكُمْ سَوَاحٍ لَا تَكْبُرُ لَهُ وَبَوَارِحَا
نَعْمُوا مَالَكُمْ كَالسَّهْلِ لَمَّا هَبَطْنَاهُ عَوَابِسَ فِي كَابِي الْغُبَارِ كَوَالِحَا
فَإِنْ نَكَ أُنْكَلْنَاكِ سَلَمَى فَمَالَكْ تَرَكْتُمُ عَلَيْهِ نَائِحَاتٍ وَنَائِحَا

الجعاف يرد على سلمى

قال الجعاف بن حكيم السلمى:

شَهِدَنْ مَعَ النَّبِيِّ مَسْوَمَاتٍ حُنَيْنًا وَهِيَ دَامِيَّةُ الْكَلَامِ
وَعَزْوَةُ خَالِدٍ شَهِدَتْ وَجَرَتْ سَنَابِكُنَّ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ
نَعْرَضُ لِلطَّامَانِ إِذَا التَّقَيْنَا وَجُوهَهَا لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ

وَأَنْتَ بِمَخَالِجٍ عَنِّي نِيَابِي إِذَا هَزَّ السَّكَاةَ وَلَا أَرَامِي
وَلَكِنِّي يَجُولُ الْمُهْرُ تَحْتِي إِلَى الْعَلَوَاتِ بِالْعَضْبِ الْحَسَامِ

حديث ابن أبي حدرد يوم الفتح

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ،
عن الزهري ، عن ابن أبي حدرد الأسلمي ، قال : كنت يومئذ في خيل
خالد بن الوليد ، فقال لي فتى من بني جذيمة ، وهو في سني ، وقد جُمِعَتْ يداه
إلى عُنُقِهِ بِرُمَّةٍ ، ونِسوةٌ مجتمعاتٌ غيرَ بعيد منه : يافتي ؛ فقلت : ماتشاء ؟
قال : هل أنت آخذ بهذه الرُمَّةِ ، فقائدِي إلى هؤلاء النِّسوةِ حتى أَقْضَى إِلَيْهِنَّ
حاجةً ، ثم تردُّنِي بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لَكُم ؟ قال : قلت : والله لَيْسَ بِرِ
ماطلبت . فأخذت برُمَّتِهِ فَقُدَّتْهُ بِهَا ، حتى وقف عليهن ، فقال : اسلمي
حُبَيْش ، على نَفَدٍ مِنَ الْعَيْشِ :

أَرَبْتُكَ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِحَلْيَةٍ أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ
أَمْ يَكُ أَهْلًا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ نَسَكَلَفَ إِذْ لَاحَ الشَّرَى وَالْوَدَائِقِ
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلَكْنَا مَعَا أُنْبِي بُوْدَ قَبْلِ إِحْدَى الصَّفَائِقِ
أُنْبِي بُوْدَ قَبْلِ أَنْ تَشْجَطَ النَّوَى وَيَنْأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ
فَلَيْتِي لَا ضَيِّعْتُ سِرًّا أَمَانَةً وَلَا رَاقَ عَيْنِي عَنْكَ بَعْدَكَ رَائِقِ
سَوَى أَنْ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ عَنْ الْوَدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامِقِ

قال ابن هشام : وأكثراهل العلم بالشعر يُنْكَرُ الْبَيْتَيْنِ الْآخِرَيْنِ مِنْهَا لَهُ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المنيرة بن الأخنس ، عن الزهري عن ابن أبي حذرد الأسلي قالت :
وَأَنْتِ مُخَيِّتٌ سَبْعًا وَعَشْرًا وَثَرَا وَثَانِيًا تَتَرَى
قال : ثم انصرفتُ به . فَضْرَبْتُ عُنُقَهُ .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو قراس بن أبي سُدَيْلَةَ الأسلي ، عن أشياخ منهم ، عن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، فَأَكْبَتْ عَلَيْهِ ، فَازَالَتْ تَقْبَلُهُ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهُ .

شعر جذيمي في الفتح

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بني جَذِيمَةَ :

جَزَاءُ بُوَيْسَى حَيْثُ سَارَتْ وَحَلَّتْ جَزَى اللَّهُ عَنَّا مُذْ لَجَا حَيْثُ أَصْبَحَتْ
أَقَامُوا عَلَى أَقْضَا ضَنَا بِنَفْسِهِ وَنَهَا وَقَدْ نَهَكْتُ فِينَا الرِّمَاحَ وَعَلَّتْ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا دِينُ آلِ مُحَمَّدٍ لَقَدْ هَرَبْتُ مِنْهُمْ خِيُولَ فَشَلَّتْ
وَمَا ضَرَّهمْ أَنْ لَا يُعِينُوا كِتَابِيَّةً كَرِجْلٍ جَرَادٍ أَرْسَلَتْ فَاشْتَمَّاتِ
فَأَيُّهَا يَنْبُوا أَوْ يَشُوبُوا لِأَمْرِهِمْ فَلَا نَحْنُ نَجْزِيهِمْ بِنَا قَدْ أَضَلَّتْ

وهب يرد على الجذيمي

فأجابه وهب ، رجل من بني ليث ، فقال :

دَعَوْنَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْحَقِّ عَامِرًا فَمَا ذَنْبُنَا فِي عَامِرٍ إِذْ تَوَاتَرَ
وَمَا ذَنْبُنَا فِي عَامِرٍ لَا أَبَالَهْمُ لِأَنَّ سَفَهَتْ أَحْلَامُهُمْ ثُمَّ ضَلَّتْ

وقال رجل من بني جذيمة :

ليهنى بنى كعب مُقَدِّم خالد وأصحابه إذ صَبَعْنَا الْكُتَابُ
فَلَا تَرَى يَسَى بها ابن خُوَيْلِدٍ وقد كنت مكفياً لو أنك غائبُ
فلا قومنا يَنْهَوْنَ عَنَّا غَوَاتِهِمْ ولا الداء من يوم الفَيْصَاءِ ذَاهِبُ

شعر غلام جذى هارب أمام خالد

وقال غلام من بني جذيمة ، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب
بهن من جيش خالد :

رَخِينْ أَذْبَالَ المُرُوطِ وَاذْبَعْنِ مَشَى حَيَّيَاتٍ كَانَ لَمْ يُفَزَعَنَّ
إِنْ تُنَمَّسَجِ اليَوْمَ نِسَالَا تُنَمَّعَنَّ

ارتجاز بنى مساحق حين سمعوا بخالد

وقال غنمة من بني جذيمة ، يقال لهم بنو مُسَاحِقٍ ، يرتجزون حين سمعوا بخالد
فقال أحدهم :

قَدْ عَلِمْتَ صَفْرَاءُ بَيْضَاءُ لِإِطْلِئِ يَحْوُزُهَا ذُو نَلَّةٍ وَذُو إِبِلِ
لَا غَنِينَ اليَوْمَ مَا أَغْنَى رَجُلُ

وقال الآخر :

قَدْ عَلِمْتَ صَفْرَاءُ مُتَاهِي العِرْسَا لَا تَلَا الْخَيْزُومَ مِنْهَا نَهْسَا
لَا ضَرِبَنَّ اليَوْمَ ضَرًّا وَعَسَا ضَرَبَ الْمُجِلِّينَ تَحَاضًّا قُوسَا

.....

وقال الآخر :

أَقْسَمْتُ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لَيْدَةٍ شَتْنُ الْبَنَانِ فِي غَدَاةٍ بَرْدَةٍ
جَنَّهُمُ الْمُحْيَا ذُو سِبَالٍ وَرَدَةٍ يُرْزَمُ بَيْنَ أَيْكَةٍ وَجَعْدَةٍ
ضَارٍ بِنَأْكَالِ الرِّجَالِ وَخَدَةٍ بِأَصْدَقِ الْفِدَاةِ مِنْ نَجْدَةٍ

مسير خالد بن الوليد لهدم العزى

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزَّى ،
وكانت بنخلة ، وكانت بيتاً يعظمه هذا الحي من قُرَيْش وكفانة ومُضَرَ كَلَمَ ،
وكانت سَدَاتُهَا وَحُجَّابُهَا بَنِي شَيْبَانَ مِنْ بَنِي مُسْلِمٍ حُلَفَاءَ بَنِي هَاشِمٍ ، فلما سمع
صاحبها السَّلْمَى بِمَسِيرِ خَالِدٍ إِلَيْهَا ، عَلَّقَ عَلَيْهَا سَيْفَهُ ، وَأَسْتَفَدَ فِي الْجَبَلِ الَّذِي
هِيَ فِيهِ وَهُوَ يَقُولُ :

أَبَا عَزْزٍ شُدِّي شِدَّةً لَأَشَوِي لَهَا عَلَى خَالِدٍ أَلْقَى الْقِنَاعَ وَشَمَرِي
يَا عَزْزَ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْمَرْءَ خَالِدًا فَيُبُوئِي بِإِيْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنْقُصِرِي

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها
خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة .

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليالٍ بقين من شهر رمضان
سنة ثمان .

عنه إسلام أبي سفيان وصاحبه :

فصل : وذكر كثر الأصنام ، وطمس التماثيل ، ومقالة الحارث بن هشام حين اجتمع هو وأبو سفيان ، وعتاب بن أسيد ، فتكلموا فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أخبره جبريل عليه السلام بالذي قالوه ، فصح بذلك بقيتهم وحسن إسلامهم ، وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر قال : لمن النبي صلى الله عليه وسلم الحارث وأبا سفيان بن حرب وصقوان بن أمية فأنزل الله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم ﴾ الآية آل عمران : ١٢٨ قال : فتابوا بعد ، وحسن إسلامهم ، وروينا بإسناد متصل عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - على أبي سفيان ، وهو في المسجد ، فلما نظر إليه أبو سفيان قال في نفسه : ليت شعري بأي شيء غلبتني ، فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى ضرب يده بين كتفيه ، وقال : بالله غلبتك يا أبا سفيان ، فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسول الله . من مسند الحارث بن أبي أسامة ، وروى الزبير بإسناد يرفعه إلى من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يمازج أبا سفيان في بيت أم حبيبة وأبو سفيان يقول له تركتك ، فتركك العرب ، ولم تبتطع بمدهاجاه ولا قرناه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يضحك ، ويقول : أنت تقول هذا يا أبا حنظلة . وقال مجاهد في قوله جل وعز : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ المتحفة : ٧ قال هي معاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان . وقال أهل التفسير : رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام أسيد بن أبي العيص والياً على مكة

مسلمًا ، فات على الكُفْر ، فكانت الرُّبُوبُيا لولته عَتَابٍ حين أسلم ، فولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، ورزقه كل يوم دِرْهَمًا ، فقال : أيها الناس أجاج الله كَيْدَ مَنْ جاع على دِرْهَمٍ ، الحديث ، وقال عند موته : والله ما اكتسبْتُ في ولايتي كُلِّها إلا قِصَصًا مُعَقَّدًا^(١) كَسَوْتُهُ غُلَامِي كَيْسَانَ ، وكان قد قال قبل أن يُسَلِّمَ وسمع بلالا يُؤذِّنُ على السكبة ، لقد أكرم الله أَسِيدًا ، يعني : أباه أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يفيظه ، وكانت تحت عَتَابٍ جُوبَرِيَّةُ بنتُ أَبِي جَهْلٍ بنِ هِشَامٍ ، وهي التي خَطَبَهَا عَلِيٌّ عَلَى فَاطِمَةَ ، فَشَقَّ ذَاكَ عَلَى فَاطِمَةَ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا آذن ثم لا آذن ، إن فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي ، الحديث^(٢) ، فقال عَتَابٌ : أنا أَرِيحُكُمْ مِنْهَا فتزوجها ، فولدت له عبد الرحمن المقتول يوم الجمل ، يُروى أن عَتَابًا طارت بكفِّه يوم قُتِلَ ، وفي السكف خاتمه ، فطرحتها باليَمَامَةِ في ذلك اليوم ، فَعُرِفَتْ بالخاتم..

الخفاء بنت أبي جهل ::

وكانت لأبي جهل بنت أخرى ، يقال لها الخنفاء كانت تحت سَهْلٍ

(١) ضرب من برود هجر .

(٢) قصة جوبرية في الصحيحين من حديث المسور بن مخرمة عن غير أن تسمى .. وفيها قوله صلى الله عليه وسلم : لا تجتمع بنت رسول الله وبنت صدر الله عند رجل واحد أبدًا .. والسبب خوفه من أن تفنن فاطمة في دينها .. كما جاء مصرحًا به في الحديث ..

ابن عمرو ، يقال : إنها ولدت له ابنة أنس الذي كان يضمف^(١) ، وفيه جرى
المثل : أساء سمعاً فأساء إجابة^(٢) ويقال : إنه نظر يوماً إلى رجلٍ على ناقه
ينبمها خرُوفٌ فقال : يا أبتِ أذاك انخرُوفُ من تلك الناقة ؟ فقال أبوه :
صدقتِ هندُ بنتُ عُمَيَّةَ ، وكانت حين خطبتها قالت : إن جاءت منه حليلته بوند
أُحَمِّتُ ، وإن أُنجِبتِ مِن خَطَأٍ ما أُنجِبتُ ، وقد قيل في بنت أبي جهل :
الخنفاء : إن اسمها صَفِيَّةُ^(٣) فالله أعلم .

اسم الحارث بن هشام :

وقال الحارثُ بنُ هشامٍ ، وقد قيل له : ألا ترعى ما يصنعُ مُحَمَّدٌ من
من كَسِرِ الآلهة ، ونداء هذا العبد الأسود على الكعبة^(٤) فقال : إن كان الله
يكره هذا ، فسيمِّره ، ثم حَسُنَ إسلامُهُ رضى الله عنه بعد ، وهاجر إلى الشام ،
فلم يزل جَاهِداً مُجَاهِداً ، حتى استشهد هنالك رحمه الله .

(١) من الضعفة ضمف الفزاد وقلة الفطنة .

(٢) في اللسان : جابة وقال هكذا يتكلم به ، لأن الامثال تحكى على موضوعاتها .
وهي اسم وضع موضع المصدر مثل الطاعة والطاعة والغارة والمارة ، وأصل
المثل أن الاخفس بن شريق لقيه مع أبيه ، فقال له : ابن أمك يا فتى و أمك
مصدر الفعل أم ، أى أين قصدك ، فظن أنس أنه يسأل عن أمه . فقال : انطلقت إلى
أم حنظلة تطحن دقيقاً ، فقال أبوه : أساء سمعاً فأساء جابة . أنظر اللسان مادة جروب
والامثال للديدانى ص ٣٣٠ ط السنة المحمدية .

(٣) وفي الامثال أن اسمها صفية .

(٤) وفي رواية أنه قال : وائسكلاه ليتنى مت قبل هذا اليوم ، قبل أن أسمع
بلا لا يذوق فوق الكعبة .

اسم بنت أبي جهل :

وأما بنتُ أبي جهل ، فقالت حين سُمعت الأذان على السكبة ، فلما قال المؤذنُ : أشهد أن مُحَمَّدًا رسولُ الله ، قالت : عمرى لقد أكرمك الله ورفع ذِكْرَكَ ، فلما سمعت : حيَّ على الصلاة ، قالت : أمّا الصلاةُ فسَنُودٌ ليها ، ولكن والله ما تحب قلوبنا مَنْ قَتَلَ الأَحَبَّةَ ، ثم قالت : إن هذا الأمرُ لحَقٌّ ، وقد كان الملكُ جاء به أبى ، ولكن كره مُخَالَفَةَ قومِهِ ودينَ آبائِهِ .

وأما أبو مُحَمَّدُ وَرَّةَ الجَمَحِيِّ ، واسمُهُ : سَلَمَةُ بنُ مَعْبَرٍ ، وقيل سَمُرَةٌ^(١) ، فإنه لما سَمِعَ الأذانَ ، وهو مع فِتْيَةٍ من قُرَيْشٍ خارج مكة أقبلوا يستهزئون ، ويحكون صوت المؤذن غيظًا ، فكان أبو مُحَمَّدُ وَرَّةَ من أحسنهم صوتًا ، فرفع صوته مُستهزئًا بالأذان ، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر به فمَثَلَ بين يديه ، وهو يظن أنه مقتول ، فسح النبي صلى الله عليه وسلم ناصيته و صدره بيده ، قال : فامتلاً قأبى والله إيماناً و يقيناً و علمت أنه رسولُ الله ، فألقى عليه النبي صلى الله عليه وسلم - الأذانَ ، وعَلَّمَهُ إِيَّاهُ ، وأمره أن يؤذِّنَ لأهل مكة ، وهو ابن سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً ، فكان مؤذِّنُهُمْ حتى مات ثم عَقِبُهُ بعده بتوارثون الأذانَ كالأب عن كالأب ، وفي أبى مُحَمَّدُ وَرَّةَ يقول الشاعر :

(١) في الإصابة عند البلاذرى عن اسمه : لا ثبت أنه آدمس ، وجزم ابن حزم في أن سمرة أخوه . وخالف أبو اليعقظان لجزم بأن آدمس بن معبر قتل يوم بدر كافرًا وأن اسم أبى مُحَمَّدُ وَرَّةَ سلمان بن سمرة ، وقيل غير ذلك .

أَمَّا رَبُّ الْكَفَّةِ الْمَسْتُورَةِ وَمَاتِلَا مُحَمَّدٍ مِنْ سُورَةِ
وَالنَّمَاتِ مِنْ أَبِي مُحَمَّدُورَةٍ لَا قَمَلَنَ فَهَلَةَ مَذْكُورَةٍ

هذه بنت عتبة :

وَأَمَّا هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ أَمْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ ، فَإِنْ مِنْ حَدِيثِهَا يَوْمَ الْفَتْحِ
أَنهَا بَايَعَتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ عَلَى الصَّفَا ، وَعُمَرُ دُونَهُ بِأَعْلَى
الْعَقْبَةِ ، فَجَاءَتْ فِي نِسْوَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُبَايِعُنَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَعُمَرُ يَكْلَمُهُنَّ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا
قَالَتْ هِنْدُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَأَغْنَى عَنَّا ، فَلَمَّا قَالَ :
وَلَا تَسْرِقْنَ قَالَتْ : وَهَلْ تَسْرِقُ الْحُرَّةُ ، لَكِنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبُو سُفْيَانَ
رَجُلٌ مُسِيكٌ رَجِمَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ مَا يُصْلِحُ وَلَدَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خَذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدُكِ بِالْمَعْرُوفِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّكَ لَأَنْتِ
هِنْدُ ؟ (١) قَالَتْ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْفُ عَنِّي ، عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ
حَاضِرًا ، فَقَالَ : أَنْتِ فِي حِلٍّ مِمَّا أَخَذْتِ ، فَمَا ظَلَّ : وَلَا يَزْنِي ، قَالَتْ : وَهَلْ تَزْنِي
الْحُرَّةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَمَّا قَالَ : وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ ، قَالَتْ : يَا أَبَى أَنْتِ
وَأُمِّي مَا أَكْرَمَكَ ، وَأَحْسَنَ مَا دَعَوْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا سَمِعَتْ : وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ ،

(١) هذا لأنها كانت متسكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورواية الصحيحين : وإن أبا سفيان رجل شحيح لا يطين من النفقة ما يكفيني ،
ويكفي بني فهل على جناح إن أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال رسول الله ص .
خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بئيك .

قالت : والله قد ربّيتناهم صِغاراً ، حتى قتلهم أنتَ وأصحابك بيدركباراً ،
قال : فضحك عُمرُ من قولها حتى مال .

عمر بن سعيد لا عمرو به الزبير :

فصل : وذكر حديث أبي شُرَيْحٍ الْخَزَاعِي ، واسمه : خُوَيْلِدُ بْنُ عَمْرٍو ،
وقيل : عَمْرُو بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وقيل : كعب بن عمرو ، وقيل : هانيء بن عمرو ،
قال : لما قدم عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير بمكة ، هذا وهم من
ابن هشام ، وصوابه : عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي بْنِ أُمَيَّة ، وهو الْأَشَدُّ ،
ويكنى أبا أُمَيَّة ، وهو الذي كان يسمى لَطِيمَ الشَّيْطَانِ ، وكان جَبَّاراً شديداً
البأس ، حتى خافه عبدُ الملك على مكة ، فقتله بحيلة في خبر طويل ، ورأى
رجل عند موته في المنام قائلاً يقول :

أَلَا يَا قَوْمِي لِسَفَاهَةٍ وَالْوَهْنِ وللمأجزِ الموهونِ والرأيِ ذِي الْأَفْنِ
ولا بنِ سَعِيدٍ بَيْتاً هُوَ قَائِمٌ على قَدَمَيْهِ خَرٌّ لَوَجْهِهِ وَالْبَطْنِ
رَأَى الْحِصْنَ مَنجَاةً مِنَ الْمَوْتِ فَالتَجَا إليه ، فزارته الْمَنِيَّةُ فِي الْحِصْنِ

فقصَّ رؤياه على عبد الملك ، فأمره أن يكتُمها ، حتى كان مِنْ قَتْلِهِ ما كان ،
وهو الذي خَطَبَ بِالْمَدِينَةِ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَعَفَ
حتى سال الدمُ إلى أسفله فَعُرِفَ بِذَلِكَ معنى حديثه عليه السلام الذي يُرَوَى
عنه كَأَنِّي بِجَبَّارٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يَرْعَفُ عَلَى مِنْبَرِي هَذَا حتى يسيلَ الدمُ إلى

أسفله^(١) ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فعُرف الحديث فيه . فالصوابُ إذاً
عَمْرُو بن سَعِيدٍ لا عَمْرُو بن الزبير ، وكذلك رواه يونسُ بن بكير عن
ابن إسحاق ، وهكذا وقع في الصحيحين . ذكر هذا التنبيه على ابن هشام
أبو عَمْرٍ - رحمه الله - في كتاب الأجوبة عن المسائل المُستَفَرِّية ، وهي
مسائل من كتاب الجامع للبخارى تكلم عليها في ذلك الكتاب ، وإنما دخل
الوهمُ على ابن هشام أو على البَـسْكَائِي في روايته من أجل أن عَمْرُو بن الزُّبَيْرِ ،
كان معادياً لأخيه عبدِ الله ومُعِيناً لبني أُمَيَّةٍ عليه في تلك الفتنة ، والله أعلم .

أُم حَكِيم بنت الحارث :

فصل : وذكر أُم حَكِيم بنت الحارث ، وكانت تحت عِكْرَمَةَ بن
أبي جهل^(٢) ، وأنها اتبعته حين فرَّ من الإسلام ، فاستأمنت له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، واستشهد عِكْرَمَةُ بالشام ، فخطبها يزيدُ بن أبي سُفْيَانَ
وخالدُ بن سعيد ، فخطبت إلى خالد ، فزوجها ، فلما أراد البناء بها ، وجوعُ
الروم قد احتشدت ، قالت له : لو أُمِّتْ حتى يَفُضَّ الله بجمعهم ، قال : إن

(١) من الأحاديث التي ابتدعتها الأهواء السياسية .

(٢) روى أبو دارود والانسائي أنه ركب البحر فأصابتهم ريح عاصف فنادى
عكرمة اللات والهزى ، فقال أهل السفينة : اخلصوا فأألفتمكم لا تغنى عنكم شيئاً
ها هنا ، فقال عكرمة واقف لم ينجنى من البحر إلا الإخلاص لا ينجنى في البر غيره اللهم
لك عهد إن أنت عافيتني بما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلا جدته
عفواً غفوراً كريماً ، فجاء فأسلم . وقد روى البيهقي قصة إسلامه مطولة .

نفسى تمدننى أنى أصاب فى جُوعهم ، فقالت : دونك ، فابتدئ بها ، فلما أصبح التقت الجوع وأخذت السيوف من كلِّ فريقٍ مأخذها فقتل خالد ، وقالت يومئذ أم حَكِيم ، وإن عليها للردع الخملوق^(١) ، وقتلت سبعة من الروم بعمود السُّنْطَاطِ بِقَنْطَرَةٍ تُسَمَّى إلى اليوم بقنطرة أم حَكِيم وذلك فى غزوة أجنادين^(٢) .

دم ربيعة بن الحارث :

وذكر فى خطبة النبي صلى الله عليه وسلم : أَلَا كُلُّ مَأْتِرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى ، فهو تحت قدميَّ هاتين ، وفى بعض روايات الحديث : وأول دمٍ أضعه دمُ ربيعةَ بن الحارث . كان لربيعة ابنٌ قُتيل فى الجاهلية اسمه آدم ، وقيل تمام ، وهو ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، مات فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة ثلاث وعشرين .

مول التخيير بين الفصاح وبين البرية :

فصل : وذكر فى حديث ابن شُرَيْب^(٣) قوله عليه السلام : فَن قَتِيل

(١) يعنى : كانت متطية حديثاً .

(٢) فى الإصابة : فى معركة مرج الصفر .

(٣) أصل حديث أبى شريح فى الصحيحين عن أبى هريرة : من قتل له قتل ، فهو بخير النظرين ، إما أن يقتدى ، وإما أن يقتل . وقد رواه الجماعة لكن لفظ الترمذى ، إما أن يعفو وإما أن يقتل . وقد رواه أبو داود والنسائى . وقد رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه هكذا : من أصيب بدم أو خيل - والخيل الجراح - فهو بالخيار بين إحدى ثلاث : إما أن يقتص أو يأخذ العاقبة ، أو يعفه ، =

بعد مقامى هذا ، فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ ، إِنْ شَاءُوا قَدِمُ قَاتِلُهُ ، وَإِنْ شَاءُوا قَعَقَلُهُ ، وهو حديث صحيح ، وَإِنْ اختلفت فيه أَلْفَاظُ الرُّؤَاةِ وظاهره على هذه الرواية أَنَّ وَلِيَّ الدِّمِّ ، هو الْخَيَّرُ إِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَةَ ، وهو الْعَقْلُ ، وَإِنْ شَاءَ قَتَلَ ، وقد اختلف الفقهاء فى فصلٍ من هذه المسألة ، وهو أن يختار وَلِيُّ الْمَقْتُولِ أخذ الدية ، ويأبى القاتل إلا أن يُقْتَصَّ منه ، فقالت طائفة بظاهر الحديث ولا اختيار للقاتل ، وقالت طائفة يقتل القاتل ، ولا يُجْبَرُ على إعطاء المال ، وتناولوا الحديث ، وهى رواية ابن القاسم ، وقال بها طائفة من السَّافِ ، وقال آخرون بظاهر الحديث ، وهو قولُ الشافعى ، وأشهب ، وَمَنْشَأُ الاختلاف من الاحتمال فى قوله تعالى : ﴿ فَنُغْفِرْ لَهُ مِنْ خِطِيئِهِ ﴾ ، فإِتِّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ ، فاحتملت الآية عند قوم أن تكون من واقعة على وَلِيِّ الْمَقْتُولِ ، ومن أخيه أَى مِنْ وَلِيِّهِ الْمَقْتُولِ ، أَى : من ديتة ، وعُفِيَ له أَى : يُبَدَّرُ له شئ من المال ، واحتمل أن تكون من واقعة على القاتل وعُفِيَ من العفو عن الدم ، ولا خلاف أن التَّبَعِ بِالْمَعْرُوفِ ، هو وَلِيُّ الدِّمِّ ، وأن المأمور بأداء بإحسان هو القاتل ، وإذا تدبرت الآية ، عرفت مَنْشَأُ الخلاف منها ، ولاح من سِيَّاقَةِ الكلام أَى القولين أولى بالصواب .

وأما ما ذكرت من اختلاف أَلْفَاظِ النُّقْلَةِ فى الحديث ، فيحصرها سبعة أَلْفَاظٍ :

== فإن أراد رابعة ، فخذوا على يديه ، أى أراد زيادة على القصاص أو الدية أو العفو . وقد فسر ابن عباس . (فن عفى له) . الآية : العفو أن يقبل فى العمدة الدية ، والاتباع بالمعروف : يتبع الطالب بمعروف ، ويؤدى إليه المطالب بإحسان . البخارى والنسائى والدارقطنى .

أحدها : إما أن يُقْتَلَ وإما أن يُفَادَى .

والثاني : إما أن يُنْقَلَ أو يُقَادَ .

الثالث : إما أن يُفْدَى وإما أن يُقْتَلَ .

الرابع : إما أن تُنْعَلَى الدِّبَةُ أو يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ .

الخامس : إما أن يُغْفَوْ أو يُقْتَلَ .

السادس : يُقْتَلَ أو يُفَادَى .

السابع : من قَتَلَ مُتَمَمِّدًا دُفِعَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ ، فَإِنْ شَاءُوا قَتَلُوهُ وَإِنْ شَاءُوا أَخَذُوا الدِّبَةَ . خَرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ . وَرَوَايَةُ ابْنِ إِسْحَاقٍ فِي السِّيَرَةِ ثَامِنَةٌ ، وَفِي بَعْضِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ قُوَّةٌ لِرَوَايَةِ ابْنِ الْقَاسِمِ ، وَفِي بَعْضِهَا قُوَّةٌ لِرَوَايَةِ أَشْهَبَ قَتَأَمَلَهَا (١) .

النَّهْجِيُّ عَنِ اسْتِخْلَالِ السَّمَاءِ وَالْإِذْمَاءِ :

وخطبته عليه السلام أطول مما ذكره ابنُ هِشَامٍ ، وَفِيهَا مِنْ رَوَايَةِ الشَّيْبَانِيِّ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ نَهْيُهُ عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ ، وَصَلَاةِ سَاعَتَيْنِ : بِمَعْنَى طُلُوعِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا ، وَأَنْ لَا يَتَوَارَثَ أَهْلُ مِلَّةَيْنِ ، وَعَنْ لُبْسَتَيْنِ وَطُعْمَتَيْنِ ،

(١) وَفِي رَوَايَتِهِ : وَإِنْ أَحْبَبُوا أَخَذُوا الْعَقْلَ ثَلَاثِينَ حَقَّةً وَثَلَاثِينَ جَذْعَةً ، وَأَرْبَعِينَ خَلْفَةً فِي بَطُونِهَا أَوْلَادَهَا ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ . وَيَقُولُ الشُّوْكَانِيُّ فِي نَيْلِ الْإِرْطَارِ عَنْ حَدِيثِ أَبِي شُرَيْبٍ : فِي إِسْنَادِهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَقَدْ أوردته معنعناً ، وهو معروف بالتدليس . فإِذَا عَنِ مَضْعَفٍ حَدِيثِهِ ، ص ٧ ج ٧ .

وُفْسِرَتَا فِي الْحَدِيثِ ، فَقَالَ : الْأُغْبَسَتَانِ : اشْتِمَالُ الْقَمَاءِ ، وَأَنْ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ ^(١) .
وَلَيْسَ بَيْنَ عَوْرَتِهِ وَالسَّمَاءِ حِجَابٌ . وَالطُّعْمَتَانِ : الْأَكْلُ بِالشَّمَالِ ، وَأَنْ يَأْكُلَ
مُنْبَاطِحًا عَلَى بَطْنِهِ .

شعر ابن الزبير :

فصل : وذكر شعر ابن الزبير : الزبيرى : البعير الأرب ^(٢) مع
قصر ، وفيه :

رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذَا أَنَا بَوْرٌ

قوله : فتقت يعنى : فى الدين ، فكل إنم فتق وتزيق ، وكل توبة ،
رتق ، ومن أجل ذلك قيل للتوبة : نصح من نصحت الثوب إذا خيطته ،
والنصاح : الخيط ^(٣) ، وبشهادة لصحة هذا المعنى قول إبراهيم بن أدهم :

(١) اشتمال السماء : أن يتجمل الرجل بثوبه ، ولا يرفع منه جانباً ، وإنما قيل
لها صماء لأنه يسد على يديه ورجليه المنافذ كلها كالصخرة الصماء . والفقهاء يقولون :
هو أن يتغطى بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه ، فيضعه
على منكبيه ، فتتكشف عورته .

والاحتباء : أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ،
ويشده عليهما ، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب ، وإنما نبه عنه ، لأنه
إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك أو زال الثوب فتبدو عورته .

(٢) الزب فى الإبل كثرة شعر الوجه والعنق . وابن دريد يقول هو من
قولهم : رجل زبيرى إذا كان غليظاً كثير الشعر .

(٣) النصاح كشداد ، والناصح والناصحى : الخياط .

(م ١٠ - الروض الأث ج ٧)

تَرْقَعُ دُنْيَانَا بِتَرْيِقِ دِينِنَا فَلَاحُ دِينِنَا يَبْقَى ، وَلَا مَا تَرْقَعُ

وقوله : إِذَا أَنَا بُورٌ ، أَيْ : هَالِكٌ ، يقال : رَجُلٌ بُورٌ وَبَائِرٌ ، وقومٌ بُورٌ ، وهو جمعُ بَائِرٍ كَانَ الْأَصْلُ فِيهِ فُعْلٌ بِتَحْرِيكِ الْوَاوِ ، وَأَمَّا رَجُلٌ بُورٌ ، فوزنه فُعْلٌ بِالسَّكُونِ ، لِأَنَّهُ وَصِفٌ بِالْمَصْدَرِ ، وَمِنْهُ قِيلَ : أَرْضٌ بُورٌ مِنَ الْبَوَارِ ، وَهُوَ هَلَاكُ الْمَرْغَى وَيُبْسُهُ .

وقولُ ابنِ الزُّبَيْرِ :

وَاللَّيْلُ مُعْتَلِجُ الرُّوَاقِ بِهِم

الاعتلاج : شِدَّةٌ وَقُوَّةٌ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهَا . وَالْبَهِيمُ : الَّذِي لَيْسَ فِيهِ لَوْنٌ يَخَالُطُ لَوْنَهُ .

وقوله : سُرْحُ الْيَدَيْنِ غَشُومٌ . الْغَشُومُ : الَّتِي لَا تُرَدُّ عَنْ وَجْهِهَا ، وَيُرَوَّى : سَعُومٌ ، وَهِيَ الْقُوَّةُ عَلَى السَّيْرِ .

هول شعر حسنه :

فصل : وَذَكَرَ شَعْرَ حَسَّانَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَأَوَّلَهُ :

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءِ

ذَاتُ الْأَصَابِعِ : مَوْضِعُ بِالشَّامِ ، وَالْجَوَاءُ كَذَلِكَ ، وَبِالْجَوَاءِ كَانَ مَنْزِلُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمِيرٍ ، وَكَانَ حَسَّانُ كَثِيرًا مَا يَرِدُ عَلَى مُلُوكِ غَسَّانَ بِالشَّامِ . يَدْعُهُمْ ، فَلِذَلِكَ يَذْكُرُ هَذِهِ الْمَنَازِلَ .

وقوله : إلى عَذْرَاءَ ، هي قرية عند دِمَشْقَ ، فيها قُـعْلُ حُجْرُ بنِ عَدِيٍّ وأصحابه .

وقوله : نَعَمُّ وشَاءَ . النَّعَمُ : الإِبِلُ ، فإذا قيل أنعام دخل فيها الغنم والبقر والإِبِلُ . والشَّاءُ والشَّوِيُّ : اسمٌ للجميع كالضَّان والضَّيْن والإِبِل والإِبِيل ، والتَّغْزِ والتَّغْيِزِ ، وأما الشَّاءُ ، فليست من لفظ الشَّاء ، لأن لام الفعل منها هاء . وبنو الحُشَحَاسِ : حَيٌّ من بني أَسَدٍ .

وقوله : الرَّوَامِسُ والسَّمَاءُ ، يعني : الرياح والمطر . والسَّمَاءُ لفظٌ مشترك يقع على المطر ، وعلى السماء التي هي السَّقْفُ ، ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَدَّيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(١)

لأنه يحتمل أن يُريد مطر السماء ، فحذف المضاف ، ولكن إنما عرفناه من قولهم في جمعه : سُمِّيَ وهم يقولون في جمع السماء : سَمَارَاتٍ وَأُسْمِيَّةٌ ، فعلمنا أنه اسمٌ مُشْتَرَكٌ بين شَيْئَيْنِ .

وقوله : وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٍ . اللَّطِيفُ : مصدر طاف الخيالُ بِطَافٍ طَيفَاءً وَلَكِنْ لا يقال للخيال : هو طَائِفٌ على وزن اسم الفاعل من طاف ، لأنه

(١) الشعر لمعاوية بن مالك معرود الحكماء ، وبعده :

بكل مقلص عبل شواه إذا وضعت أعنتهن ثابا
ومحفزة الحزام بمرقيا كشاة الوبل أفلتت الكلابا

لاحقيقة للخيال ، فيرجع الأمر إلى أنه هو الطَّيْفُ ، وهو تَوَهُّمٌ وَتَخَيُّلٌ ، فإن كان شيء له حقيقة قلت فيه : طائف ، وفي مصدره : طَيْفٌ كما في التنزيل ﴿ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ الأعراف : ٢٠١ وقد قرئ أيضاً طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لأن غُرُورَ الشَّيْطَانِ وأمانيه تُشَبِّهُ بالخيال ، وما لا حقيقة له . وأما قوله : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ن : ١٩ فليس فيه إلا اسمُ الفاعل دون المصدر ، لأن الذي طاف عليها له حقيقة ، وهو فاعل معروف بالفعل ، يقال إنه جَبْريلُ عليه السلام ، فتحصل من هذا ثلاثُ مَرَاتِبَ : الخيالُ ولا حقيقة له ، فلا يُعَبَّرُ عنه إلا بالطَّيْفِ ، وحديثُ الشيطانِ وَوَسْوَستُهُ ، يقال فيه : طَائِفٌ وَطَيْفٌ ، وكل طائف سوى هذين فهو اسمُ فاعل ، لا يُعَبَّرُ عنه بطَّيْفٍ ، ولا بِطَوَافٍ ، فقف على هذه النكتة فيه .

وقوله : يورقني إذا ذهب العشاء ، أي : يسهرني ، فيقال : كيف يسهره الطيفُ ، والطيفُ حُلُمٌ في المنام ؟ .

فالجواب : أن الذي يورقه لوعةٌ يجدها عند زواله كما قال [حبيب بن أوسٍ أبو تمام] الطائي :

طَيْفِي تَقَنَّنَصْتُهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَثْرًا كَأَنَّ الْخُلُمَ
نَمِ انْدَنَى ، وَنَنَا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ بَاقٍ ، وَإِنْ كَانَ مَعْسُولًا مِنَ السَّقَمِ ^(١)

(١) من قصيدة له يمدح بها مالك بن طوق . أولها :
سلم على الربع من سلم بندي سلم عليه وسم من الأيام والقدم =

وقد أحسن في قوله من آخر الليل تنبيهاً على أنه سهر آيئله كله ، إلا ساعة
جاء الخيال من آخره ، فكانه مُسْتَرْقٍ من قول حسان :

وخيال إذا تقوم النجوم

ونظير قوله : يورقني ، أي يورقني بزواله عن قول البحتري :

أَلَّتْ بنا بعد الهدوء فساحت بوصل متى تطلبه في الجدد تَمْنَعُ
وَوَلَّتْ كأن البين يملج شخصها أو ان تولت من حشائي وأضلني^(١)

وقوله : لِسَعْنَاءَ التي قد تيممت . سَعْنَاءُ التي يُشَبَّبُ بها حَسَّانُ هي بنت
سَلَامَ بنِ مِشْكَمَ الْيَهُودِي ، وروى أنه قال : يَا مَعْشَرَ يَهُودٍ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ ،
وَلَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَ بِهَا سَعْنَاءُ ابْنَتِي لَتَبِعْتُهُ ، وقد كان تحت حَسَّانَ أَيْضاً امرأة
اسمها سَعْنَاءُ بنتُ كَاهِنٍ الْأَسْلَمِيَّةِ ، ولدت له أُمُّ فِرَاسٍ .

== وقبل البيتين قوله :

زار الخيال لها لابل أزاركه فسكر إذا نام فذكر الخاق لم ينم
وانظر نقدة الأمدى لهذا البيت ، ثم اعتذاره عنه ، وما قاله الشريف المرتضى
في طيف الخيال ص ٧ ط ١٩٦٢ بتحقيق الأستاذ الصيرفي ، ص ٦ > ٣ آمالي
المرتضى والسعادة .

(١) ذكر معهما المرتضى في أماليه ستة أبيات ص ٦ > ٣ وفيه : نطلبه وهو
الصواب بدلاً من نطلبه . ويقول المرتضى عن البحتري ولولاني عبادة البحتري في
وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر ، فإنه تامل في أوصافه ، واهتدى من
معانيه إلى ما لا يوجد غيره ، المصدر السابق

وقوله : كَانَ خَبِيْثَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ إِلَى آخِرِهِ ، خَبِرَ كَانَ فِي هَذَا الْبَيْتِ
مَحْذُوفٌ ، تَقْدِيرُهُ : كَانَ فِي فِيْهَا خَبِيْثَةً ، وَمِثْلُ هَذَا الْمَحْذُوفِ فِي النَّسِكِرَاتِ
حَسَنٌ كَقَوْلِهِ :

إِنَّ نَحْلًا وَإِنَّ مُرْتَحَلًا^(١)

أى : إِنْ لَنَا نَحْلًا ، وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَلَكِنْ زَنْجِيًّا طَوِيْلًا مَشَافِرُهُ^(٢)

وَفِي صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ فِي صِفَةِ الدَّجَالِ : أَعْوَرَ كَانَ عَيْنُهُ طَائِفَةً ، أَى : كَانَ
فِي عَيْنِهِ ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ يَبْتَأُ فِيهِ الْخَبَرُ وَهُوَ :
عَلَى أَنْيَاسِهَا أَوْ طَعْمُ غَضٍّ مِنْ التَّقْفَاحِ هَضْرَهُ اجْتِنَاءً^(٣)

(١) هُوَ الْأَثَشَى ، وَالشُّطْرَةُ الْآخَرَى : وَإِنْ فِي السَّفَرِ مَا مَضَى مَهْلًا .

(٢) رَوَى سَيِّبُوهُ لِلْفَرَزْدَقِ بَيْنَهُمَا هُوَ :

فَلَوْ كُنْتُ ضَبِيًّا عَرَفْتُ قِرَابَتِي وَلَكِنْ زَنْجِيًّا عَظِيمُ الْمَشَافِرِ
هَكَذَا بَرَفَعُ زَنْجِيًّا . ثُمَّ قَالَ : وَالنَّصَبُ أَكْثَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَأَنَّهُ قَالَ : وَلَكِنْ
زَنْجِيًّا عَظِيمُ الْمَشَافِرِ لَا يَعْرِفُ قِرَابَتِي ، وَلَكِنَّهُ أَضْمَرَ هَذَا كَمَا يَضْمُرُ مَا يَبْنِي عَلَى
الْإِبْتِدَاءِ . انْتَهَى .

وَعَلَى رَفْعِ زَنْجِيٍّ يَكُونُ اسْمُ لَكِنْ مَحْذُوفًا وَالتَّقْدِيرُ : وَلَكِنْكَ زَنْجِيٌّ ، وَقَدْ
أَشْهَدَ اللِّسَانُ بِنَصْبِ زَنْجِيٍّ بِإِضْمَارِ الْخَبَرِ ، وَهُوَ أَفَيْسُ . وَالْبَيْتُ فِي هِجَاءِ رَجُلٍ
مِنْ ضَبَّةٍ ، فَنَفَاهُ عَنْهَا ، وَلَسَبَهُ إِلَى الزَّلْجِ . أَنْظَرُ ص ٢٨٢ ١٠ كِتَابُ سَيِّبُوهُ
وَاللِّسَانُ مَادَّةُ شَفَرٍ .

١ (٣) هُوَ فِي دِيْوَانِهِ الْمَطْبُوعِ فِي أَوْرَبَا .

وهذا البيت موضوع لا يشبه شعر حسان ولا لفظه.

وقوله : نُولِيهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا ، أَيْ : إِنْ أَتَيْنَا بِهَا مُنْلَامَ عَلَيْهِ صَرْفَنَا
الْيَوْمَ إِلَى الْخَمْرِ وَاعْتَذَرْنَا بِالشُّكْرِ . وَالْمَعْنَى : الضَّرْبُ بِالْيَدِ ، وَاللَّحَاءُ : الْمَلَا حَاءُ
بِاللسان ، وَيُرْوَى أَنْ حَسَنًا مَرَّةً بِفَتْحَةٍ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ فِي الْإِسْلَامِ ، فَيُهَامُّ ،
فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَقَدْ أَرَدْنَا تَرْكَهَا فَيُزَيِّئُهَا لَنَا قَوْلُكَ :

وَنَشْرَبُهَا فَتَرْكُنَا مُلُوسًا

فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ قَلَبْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا شَرِبْنَا بِهَا مِنْذُ أَسْلَمْتُ ، وَكَذَلِكَ قِيلَ :
إِنْ بَعْضَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَالَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَالَ آخَرُهَا فِي الْإِسْلَامِ .

معنى التفضيل في شر كما :

وفيهما يقول لأبي سفيان : فَشَرُّ كَمَا تَحْيِرُكُمَا الْفِدَاءُ . وَفِي ظَاهِرِ الْفَرْقِ
بَشَاعَةٌ ، لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ أَنْ لَا يُقَالَ هُوَ شَرُّهَا إِلَّا وَفِي كِلَيْهِمَا تَشْرُ ، وَكَذَلِكَ :
شَرُّ مِنْكَ ، وَلَكِنْ سَبِيوِيَّةٌ قَالَ فِي كِتَابِهِ : تَقُولُ مَرَرْتُ بِرَجُلٍ شَرُّ مِنْكَ ،
إِذَا نَقَصَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ ، وَهَذَا يَدْفَعُ الشَّنَاعَةَ عَنِ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ ، وَنَحْوُ
مِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « شَرُّ صُفُوفِ الرِّجَالِ آخِرُهَا » يَرِيدُ : نُفْصَلَانِ حَظَّهُمْ
عَنِ حَظِّ الْأَوَّلِ ، كَمَا قَالَ سَبِيوِيَّةٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ التَّفْضِيلَ فِي الشَّرِّ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

يَلْطَمُ أَوْ يَلْطَمُ :

وفيهما قوله في صفة الخيل : يُلْطَمُهُنَّ بِالْخُمْرِ الذَّنَاءُ . قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ

في الجمهرة: كان الخليلُ رحمه الله يروى بيت حسان يُطْلَمُهُنَّ بِالْخُمُرِ ، وَيَسْكِرُ
يُطْلَمُهُنَّ وَيَجْعَلُهُ بِمَعْنَى : يُنْفَضُ النِّسَاءُ بِخُمُرِهِنَّ مَا عَلِيَهُنَّ مِنْ غُبَارٍ أَوْ نَحْوِ
ذَلِكَ ، وَأَتَّبَعَ بِذَلِكَ ابْنُ دُرَيْدٍ قَوْلَهُ : الطَّلْمُ ضَرْبُكَ خُبْرَةَ الْعَلَّةِ بِيَدِكَ لِتَنْفُضَ
مَا عَلَيْهَا مِنَ الرَّمَادِ ، وَالطَّلْمَةُ : الْخُبْرَةُ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ : مَرَرْنَا بِقَوْمٍ
يُعَاجِلُونَ طُلْمَةَ لَهْمٍ ، فَتَفَرَّقْنَا مِنْهَا ، فَاقْتَدْنَا مِنْهَا ، فَأَصَابَتْ بَنِيَّ مِنْهَا كَثْرَةً ،
وَكُنْتُ أَسْمَعُ فِي بَلَدِي أَنَّهُ مَنْ أَكَلَ الْخُبْزَ سَمِينًا ، فَجَعَلَتْ أَنْظَرَ فِي عِطْفِي : هَلْ
ظَهَرَ فِي السَّمَنِ بَعْدَ . وَمِمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ رَوَى بِمَسْحِ وَجْهِ قَرَسِهِ بِرِدَائِهِ ، فَقَالَ : عَوَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْخَلِيلِ .

وفيهما :

وَتَحْكِمَ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا

تَحْكِمَ : أَيْ تَرُدُّ وَتَفَرِّغُ ، هُوَ مِنْ حَكَمَةِ الدَّابَّةِ ، وَهُوَ الْجَامِهَا ، وَيَكُونُ
الْمَعْنَى أَيْضًا : نَفَحِمُهُمْ وَنُخْرِسُهُمْ ، فَتَسْكُونُ قَوَافِينَا لَهُمْ كَالْحَكَمَاتِ لِلدَّوَابِّ .
قَالَ زُهَيْرٌ :

قَدْ أَحْكَمْتَ حَكَمَاتِ الْقَدِّ وَالْأَبْقَا^(١)

وفي هذه القصيدة : مَوْعِدُهَا كَدَاءُ ، وفي رواية الشَّيْبَانِي : يَسِيلُ بِهَا ،
كُدَيٌّْ أَوْ كَدَاءُ .

(١) أوله : القائد الخيل منكوبا دوائرها . والقَد : السير . بقدر من جلده غير
مدبورغ . والابقي : القنب ..

وقد ذكرنا كُذِّبًا وكَدَّاءَ ، وذكرنا معهما كُدِّي ، وزاد الشيباني
في روايته أبياتاً في هذه القصيدة وهي :

وهاجت دُونَ قَتْلِ بَنِي لُؤَيٍّ جَذِيْمَةً إِنْ قَتَلْتُمْ شِفَاءُ
وَحِنْفُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ وَحِنْفُ قُرَيْظَةٍ فِينَا سَوَاءُ
أُولَئِكَ مَفْشَرُ أَلْبَوَاءِ عَلَيْنَا فِي أَطْفَالِنَا مِنْهُمْ دِمَاءُ
سَتُنَبِّصُ كَيْفَ نَفْعَلُ بَابِنِ حَرْبٍ بِمَوْلَاكَ الَّذِينَ مُمْ الرَّدَاءُ

مول شعر أنس بن سليم :

فصل : وذكر شعر أنس بن سليم ^(١) الدَّيْلِي وفيه :

وَأَكْسَى لُبُزٍ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ

الْخَالُ : من بُرُودِ الْيَمَنِ وهو من رَفِيعِ الثِّيَابِ . وَأَحْسَبُهُ مَنَى بِالْخَالِ الَّذِي
بِمَعْنَى الْخَيْلَاءِ كما قال زيد بن عمرو بن نفيل : الْبَرُّ أَبْنَى لَا الْخَالُ ، وفيه :

تَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنْ وَعِيداً مِنْكَ كَلَّاخْذٍ بِالْيَدِ

وهذا البيت سقط من رواية أبي جعفر بن الوردة ، كذا ألفيته في حاشية
كتاب الشيخ ، رحمه الله ، ومعناه من أحسن المعاني ينظر إلى قول النابغة :
فَإِنَّكَ كَالْيَسِيلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنْ أَلْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعِ

(١) في السيرة : زعيم وهو الصواب ، ولعله سهو من السهيل .

خَطَاظِيفُ حُجْنٍ فِي حِجَالٍ مَتِينَةٍ تُمَدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ
فَالْقَسِيمُ الْأَوَّلُ كَالْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ ، وَالْقَسِيمُ الثَّانِي كَالْبَيْتِ الثَّانِي ،
لَكِنَّهُ أَطْبَعُ مِنْهُ ، وَأَوْجَزُ . وَقَوْلُ النَّابِغَةِ كَاللَّيْلِ فِيهِ مِنْ حُسْنِ التَّشْبِيهِ مَا لَيْسَ
فِي قَوْلِ الذِّبْلِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَسْمُجُ مِثْلُ هَذَا التَّشْبِيهِ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
لَأَنَّهُ نَوْرٌ وَهُدًى ، فَلَا يُشَبَّهُ بِاللَّيْلِ ، وَإِنَّمَا حَسُنَ فِي قَوْلِ النَّابِغَةِ أَنْ يَقُولَ
كَاللَّيْلِ ، وَلَمْ يَقُلْ كَالصُّبْحِ ، لِأَنَّ اللَّيْلَ تَرْهَبُ غَوَائِلُهُ ، وَيُحْذَرُ مِنْ إِدْرَاكِهِ
مَالًا يُحْذَرُ مِنَ النَّهَارِ ، وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُ الْأُنْدَلُسِيِّينَ هَذَا الْمَعْنَى ، فَقَالَ فِي هَرَبِهِ
مِنْ ابْنِ عَبَّادٍ :

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ تَشُدُّ بِأَفْصَاهَا عَلَى الْأَنْامِ
فَإِنْ مَرَّ الْمَرْءُ عَنْكَ بِفَنَفْسِهِ إِذَا كَانَ يَطْوِي فِي يَدَيْكَ التَّارِاحِلَ
وَهَذَا كَلِمَةٌ مَعْنَى مُنْزَعٍ مِنَ الْقَدَمَاءِ . رَوَى الطَّبْرِيُّ أَنَّ « مَنُوشَهَرَ بْنَ
إِيرَجَ بْنَ أَفْرِيدُونِ بْنِ أَثَرِيَّانَ » وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي زَمَانِهِ
أَعْنَى زَمَانِ مَنُوشَهَرَ قَالَ حِينَ عَقَدَ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ فِي خُطْبَةٍ لَهُ طَوِيلَةٍ :
« أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ الْخَلْقَ لِلْخَالِقِ ، وَإِنْ الشُّكْرَ لِلْمُنْعِمِ ، وَإِنْ التَّسْلِيمَ لِلْقَادِرِ ،
وَإِنَّهُ لَا أَوْفَى مِنْ تَخْلُوقِ طَالِبًا أَوْ مَطْلُوبًا ، وَلَا أَفْوَى مِنْ ظَالِمٍ طَلِبَتُهُ
فِي يَدِهِ ، وَلَا أَعْجَزَ مِنْ مَطْلُوبٍ هُوَ فِي يَدِ طَالِبِهِ .

مول شعر بجبر بن زهير :

وَأَنشد لبجبر بن زهير :

نَفَى أَهْلَ الْحَبَاقِ كُلِّ فَجَعِ مَرْبَعَةٌ غُدْوَةٌ وَبَنُو خُفَافٍ

الْخَبْلَقُ : أَرْضُ يَسْكُنُهَا قِبَائِلُ مِنْ مُزَيْنَةَ ، وَقَيْسٍ ، وَالْخَبْلَقُ : الْغَنَمُ ،
الصَّغَارُ ، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : أَهْلَ الْخَبْلَقِ أَصْحَابَ الْغَنَمِ ، وَبَنُو عُثْمَانَ مِنْ مُزَيْنَةَ
وَهُمْ بَنُو عُثْمَانَ بْنِ لَاطِمٍ بْنِ أَدِ بْنِ طَالِحَةَ ، وَمُزَيْنَةُ أُمُّهُمْ بِنْتُ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةَ
ابْنِ تَغْلِبَ بْنِ حُلَوَانَ بْنِ الْخَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ، وَأَخْتُهَا : الْخَوَّابُ الَّتِي عُرِفَ
بِهَا مَاءُ الْخَوَّابِ الْمَذْكُورِ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ ، وَأَصْلُ الْخَوَّابِ فِي اللُّغَةِ : الْقَدْحُ
الصَّخْمُ الْوَاسِعُ ، وَبَنُو خُفَافٍ : بَطْنٌ مِنْ سُلَيْمٍ ، وَقَوْلُهُ :

ضَرَبْنَاكُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحِ النَّبِيِّ الْخَيْرِ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ

فِي الْبَيْتِ مَدَاخِلَةٌ وَهُوَ انْتِهَاءُ الْقَسَمِ الْأَوَّلِ فِي بَعْضِ كَلِمَةٍ مِنَ الْقَسَمِ
الثَّانِي ، وَهُوَ عَيْبٌ عِنْدَهُمْ إِلَّا فِي الْخَفِيفِ وَالْهَزَجِ ، وَمَعْنَى الْخَيْرِ أَيْ ذُو الْخَيْرِ ،
وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ الْخَيْرَ الْخَفِيفَ ، كَمَا يُقَالُ هَيْنَ وَهَيْنَ . وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ خَيْرَاتٍ
حِسَانٍ ﴾ الرَّحْمَنُ : ٧٠ .

وَقَوْلُهُ : كَمَا انْصَاعَ الْفُؤَاقُ مِنَ الرُّصَافِ ، أَيْ : ذَهَبَ ، وَالرُّصَافُ :
عُصْبَةٌ تُتَلَوَّى عَلَى فَوْقِ السَّهْمِ ، وَأَرَادَ بِالْفُؤَاقِ الْفُوقَ ، وَهُوَ غَرِيبٌ .

وَذَكَرَ صَاحِبُ الْمَعِينِ فِي الْفُؤَاقِ صَوْتَ الصَّدْرِ ، وَهُوَ بِالْمَدِّ فِي قَوْلِ ابْنِ
الْأَعْرَابِيِّ ، لِأَنَّهُ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ .

عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ وَالذَّبِينُ هَرَمُوا الْخُمُرَ :

وَذَكَرَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ ، وَيَكْنَى أَبَا الْفَضْلِ ، وَقِيلَ : أَبَا الْهَيْثَمِ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ فَقِيهُ الْأَنْدَلُسِ ، وَنَسَبُهُ : عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بْنِ جَارِيَةَ

ابن عبد بن عباس^(١) بن رفاعَة بن الحارث^(٢) بن بهثة بن سليم الشلحي
كان أبوه حاجباً لحرب بن أمية ، وقتلتهما الجن في خبر مشهور^(٣) وعباس
من حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية ، وحرّمها أيضاً على نفسه قبل الإسلام
أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وقيس بن عاصم ، وقبل هؤلاء
حرّمها على نفسه عبد المطلب بن هاشم وورقة بن نوفل وعبد الله بن جدعان
وشيبه بن ربيعة والوليد بن المغيرة ، ومن قدماء الجاهلية عامر بن الظرب
العدواني .

وذكر في سبب إسلام عباس ما سمع من جوف الضم الذي كان يعبد ،
وهو ضمّار بكسر الراء وهو مثل حذام ورقاش ، ولا يكون مثل هذا البناء
إلا في أسماء المؤنث ، وكانوا يحملون آلهتهم إناثاً كاللات والعزى ومناة ،
لاعتقادهم الخبيث في الملائكة أنها بنات . وفي ضمّار لغة أهل الحجاز ، وبني
تميم البناء على الكسر لا غير من أجل أن آخره راء ، ومالم يكن في آخره
راء كحذام ورقاش ، فهو مبنّى في لغة أهل الحجاز ومُعَرَّبٌ غير مُجَرَّبٍ
في لغة غيرهم^(٤) كذلك قال سيبويه .

(١) في الإصابة : ابن حارثة بن عبد بن عباس .

(٢) في الإصابة : ابن الحارث بن يحيى بن الحارث بن بهثة .

(٣) خرافة أخرى مما يقال عن الجن .

(٤) أي يجرّونه مجرى ما لا ينصرف فيرفع بالضم بدون تنوين ، وينصب
ويجر بالكسرة . وقد جاءت الأشعار على لغة أهل الحجاز . وقد ضبط

وذكر ابن أبي الدنيا في سبب إسلام عباس حديثاً أسنده عن رجاله عن الزُّهْرِيِّ عن عبد الرحمن ، بن أنس السلمي عن عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ أَنَّهُ كَانَ فِي لِقَاحٍ لَهُ نِصْفَ النَّهَارِ ، فَاطْلَعَتْ عَلَيْهِ نَعَامَةٌ بِيضَاءُ عَلَيْهَا رَاكِبٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيَاضٌ فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّعَامَ كَفَتْ أَحْرَاسَهَا ، وَأَنَّ الْخُرْبَ جَرَعَتْ أَنْفَاسَهَا ، وَأَنَّ الْخَيْلَ وَضَعَتْ أَحْصَاسَهَا ، وَأَنَّ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الْبُرْ وَالْتَقَى يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لَيْلَةَ الْاِثْلَاءِ صَاحِبَ النَّاقَةِ الْقَصَوَاءِ . قَالَ : فَخَرَجْتُ مَرَعُوبًا قَدْ رَاغَى مَا رَأَيْتُ ، وَسَمِعْتُ ، حَتَّى جِئْتُ وَتَسَنَّا لِي ، يُقَالُ لَهُ الضَّمَارُ كُنَّا نَعْبُدُهُ وَنُكَلِّمُ مِنْ جَوْفِهِ ، فَكُنْتُ مَاحُولَهُ ، ثُمَّ تَمَسَّحَتْ بِهِ ، فَإِذَا صَاحِبٌ بِصِيحٍ مِنْ جَوْفِهِ :

قُلْ لِلْقِبَائِلِ مِنْ قُرَيْشٍ كُلِّهَا هَلَاكَ الضَّمَارُ وَفَازَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ^(١)
هَلَاكَ الضَّمَارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَدَّةً قَبْلَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النَّبُوَّةَ وَالْهُدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُنْتَهَدِي

قَالَ فَخَرَجْتُ مَذْعُورًا حَتَّى جِئْتُ قَوْمِي ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ ، وَأَخْبَرْتَهُمْ الْخَبَرَ فَخَرَجْتُ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ قَوْمِي مِنْ بَنِي جَارِيَّةٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ ، فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَسَّمَ ، وَقَالَ : إِلَيَّ يَا عَبَّاسُ ، كَيْفَ إِسْلَامُكَ ؟ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ :

== موضع للعرب به وقعة . أما البكري فضبط ضمائر بفتح الصاد وقال : حجر كان ابنه سليم يعبدونه . كان سبب إسلام عباس بن مرداس .
(١) في السيرة والبكري : من سليم . وأردى ضمائر وعاش أهل المسجد .

صدقت ، فأسلمت أنا وقومي ^(١) .

شعر جعرة :

فصل : وذكر في شعر جَعْدَةَ الْخَزَاعِيَّ غَزَالَ ، وهو اسم طريق غير مصروف ، وقال كثير في قصيدته المشهورة يذكر غزال :

أناديك ماحجّ الحجاجُ وكبرتُ بَنِيْفًا غَزَالَ رُفْقَةً وَأَهْلَتِ ^(٢)
وكذلك لَفَتِ اسم موضع ، وفي لَفَتِ ^(٣) يقول مَعْقِلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ :
لَعَمْرُكَ مَاخَشَيْتُ وَقَدْ بَلَغْنَا جِبَالَ الْجُوزِ مِنْ بَلَدِ تَهَامِ
نزيمًا ^(٤) مُحَلِّيًا مِنْ أَهْلِ لَفَتِ لِحَى بَيْنِ أَثْلَةٍ وَالنَّجَامِ
وقد تقدم هذا البيت الأخير في باب الهجرة ^(٥) .

سرية خالد إلى بني جذيمة :

وذكر سَرِيَّةَ خَالِدٍ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ ، وتعرف بغزوة الغميط ، وهو اسم ماء لبني جَذِيمَةَ .

-
- (١) الشعر مصنوع ولا شك ، فليس فيه نفحة من عصره ، والقعة كذلك موضوعة ولا شك أو لعلها رؤيا كما فهم ابن حجر في الإصابة .
(٢) القصيدة بطولها كلها في الأمالى ص ١٠٧ ط ٢ ط ٢ .
(٣) لفت قيدها البكرى بكسر اللام وفتحها . وقيدها القاضي عياض — كما في المراسد بثلاثة أوجه منها ما ذكرنا ، وبفتح اللام والغاء ، وقد سبق الكلام عنها .
(٤) سبق الكلام عن البيتين في باب الهجرة .
(٥) بل تقدم البيتان .

وذكر شعر امرأة ، اسمها : سلمى ، وفيه :

ومرّة حتى يتركوا البرّك ضابحا

البرّك : جماعة الإبل ، وما صنع : جالد وقاتل ، وضابحا من الضبح ، وهو نفس الخيل والإبل إذا عُييت ، وفي التنزيل ﴿ والعاديات ضبحاً ﴾ وفي الخبر : من سمع ضبحةً بليلاً ، فلا يخرج مخافة أن يصيبه شرٌّ . قال الراجز :

نحن نطحنهم غداة الجُمعين
بالضابحات في غبارِ النُقعين
نطحاً شديداً لا كَنطحِ الطورين

والضبحُ والضبي مصدر ضبحت وضبيت أى شويت وقليت ، قاله أبو حنيفة . قال : والمضابى والمضابح هو المةآلى .

وذكر تبرأ النبي - صلى الله عليه وسلم - مما فعل خالد ، وهذا نحوه مما روى عن عمرّ حين قال لأبي بكر الصديق رضى الله عنهما : إن في سيف خالد رهقاً . إن في سيف خالد رهقاً فاقته ، وذلك حين قتل مالك بن نويرة ، وجعل رأسه تحت قدر حتى طُبِخ به ^(١) ، وكان مالك ارتد ، ثم راجع الإسلام ، ولم يظهر ذلك لخالد ، وشهد عنده رجلان من الصحابة برجوعه إلى الإسلام ، فلم يقبلهما ، وتزوج امرأته ، فذلك قال عمر لأبي بكر : اقتله ، فقال : لا أفعل لأنه متأول ،

(١) لا يظن برجل مجده التاريخ كخالد أن يقترب مثل هذه القسوة والمثلة
لأن نهاه عنها دينه .

فَقَالَ : اغْزِلْهُ ، فَقَالَ : لَا أَتَعْمِدُ سَيْفًا سَلَّهَ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَلَا أُغْزِلُ وَالِيًا .
وَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وذكر قول الرجل للمرأة : اسْلَمِي حُبَيْشُ عَلَى نَفْدِ الْعَيْشِ ^(١) النَّفْدُ
مصدر نفد إذا فني ، وهو النَّفَادُ ، وَحُبَيْشُ مُرَحَّمٌ مِنْ حُبَيْشَةٍ .

سُعر أبي هريرة :

وَحَلِيئَةٌ وَانْخَوَانِقُ : مَوْضِعَانِ ، وَالْوَدَائِقُ : جَمْعُ وَدِيقَةٍ ، وَهُوَ شِدَّةُ
الْحَرِّ فِي الظَّهْرِ ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ مِنَ الْوَدَقِ ، لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَسِيلُ لِعَابُ
الشَّمْسِ ، وَهُوَ مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ كَالسَّرَابِ وَمَحْوِهِ ، وَقَالَ الرَّاجِزُ :

وَقَامَ مِيزَانُ النَّهَارِ ، فَاعْتَدَلَ وَسَالَ لِلشَّمْسِ لُعَابُ فَنَزَلَ .

وَقَالَ : الْأَحُولُ : يُقَالُ : وَدَقَ إِذَا دَنَا مِنَ الْأَرْضِ ، وَيُقَالُ : هُوَ وَادِقٌ
لِلسَّيْرِ إِذَا كَانَتْ مَائِلَةً إِلَى جِهَةِ الْأَرْضِ وَأُنْشِدَ :

وَادِقًا مُسْرَاهَا

فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْوَدِيقَةُ مِنْ وَدَقَتِ الشَّمْسُ إِذَا دَنَتْ مِنَ الْأَفَقِ ، فَاشْتَدَّ
حَرُّهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَوْلُهُ : فَهَمَّهُ خَالِدٌ ، أَيْ : زَجَرَهُ ، وَجَبَّهَ ، وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي قِصَّةِ
الْمَرْأَةِ الَّتِي مَاتَتْ مُكَبَّهَةً عَلَى الرَّجُلِ الْمَقْتُولِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَرْبٍ

(١) فِي السَّيْرِ : مِنَ الْعَيْشِ .

نخوة حنين في سنة ثمان بعد الفتح

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النَّصْرِي ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلُّها ، واجتمعت نَصْر وجُشَم كلُّها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدوا من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدوا منهم أحده اسم ، وفي بني جُشَم دُرَيْد بن الصِّمَّة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التَّيْمَن برأيه ومعرفة بالحرب ، وكان شيخاً مُجَرَّباً ، وفي ثقيف سيدان لهم . في الأحلاف : قاربُ بن الأسود

عن علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النَّحْوِي عن عِكْرِمَةَ عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سَرِيَّةً ، قال : ففتموا وفيهم رجل ، فقال لهم : إني لست منهم ، عشقت امرأة فلحقها ، فدعوني أنظر إليها نظرة ، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم ، قال : فإذا امرأة طويلة أذناء ، فقال لها : اسلمي حبَّيشُ قبل نَقْدِ العَيْشِ ، وذكر البيتَيْن الأولين من القطعة القافية أول هذا الخبر ناقِصِي الوزن ، وبمدها قالت : نَعَمْ فَدَيْتُكَ ، فقدموه فصرَّوا عُنُقَهُ ، فجاءت المرأةُ فوقفت عليه ، فَشَمَّتْ شَمَّةً أو شَمَمَتَيْنِ ، ثم ماتت ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما كان فيكم رجلٌ رحيم . خرَّجه النَّسَوِيُّ في باب قتل الأسارى من مُصَنَّفِهِ .

ابن مسعود بن مُعْتَب ، وفي بني مالك : ذو الحِجَارِ سُبَيْع بن الحارث بن مالك ،
وأخوه أحر بن الحارث ، وجميعُ أسر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْرِي .
فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم
وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس ، وفيهم دُرَيْدُ بن الصَّمَّة
في شَجَارٍ له يُقَاد به ، فلما نزل قال : بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال :
نعم بحال الخليل ! لا حزنٌ ضرسٍ ، ولا سهلٌ دَهِسٍ ، مالى أسمع رُغَاء البعير ،
ونُهَاق الحمير ، وبُكَاء الصغير ، ويُعَار الشَّاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع
الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ودعى
له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ، وإن هذا يوم كأنَّ له
ما بعده من الأيام . مالى أسمع رُغَاء البعير ، ونُهَاق الحمير ، وبُكَاء الصغير ،
ويُعَار الشَّاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولمَ ذاك ؟
قال : أردت أن أجعل خلف كلِّ رجلٍ منهم أهله وماله ، لِيُقَاتِلَ عنهم ،
قال : فَأَنقَضَ به . ثم قال : راعى ضأنٍ والله ! وهل يرُدُّ النهرُ شىء ؟ إنما
إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحت
في أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلتُ كعبٌ وكِلاب ؟ قالوا : لم يشهدا منهم
أحد ، قال : غاب الحدُّ والجُد ، ولو كان يومَ غلاء ورفعة لم تغب عنه كعب
ولا كِلاب ، ولودِدْتُ أنَّكمُ فعلتم ما فعلتُ كعبٌ وكِلاب ، فمن شهداها
منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذاك الجذعان من
عامر ، لا ينفعان ولا يضران ، يا مالك ، إنك لم تصنع بقةً بديم البيضة بيضة
هو وزن إلى نحور الخليل شيئاً ، أرَفَعُهم إلى مُتَمَنِّعٍ بلادهم وعليها قومهم ، ثم

التي الصُّبَاءُ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ سَلْقُ بَكٍ مِنْ وَرَاءِكَ ،
وإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ أُنْفَاكَ ذَلِكَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ
ذَلِكَ ، إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَكَبِرَ عَقْلُكَ . وَاللَّهُ لَتَطِيعُنِي يَوْمَ مِثْرٍ هَوَازِنٍ أَوْ
لَأَتَّبِيعَنَّ عَلَى هَذَا السَّيْفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي . وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ لِدُرَيْدِ
ابْنِ الصَّعْمَةِ فِيهَا ذِكْرٌ أَوْ رَأْيٌ ؛ فَقَالُوا : أَطْعَمْنَاكَ ؛ فَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّعْمَةِ : هَذَا
يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدْهُ وَلَمْ يَقْتَنِى :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ أَخْبُ فِيهَا وَأَضَعُ
أَقُودُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعُ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَنْشَدَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ قَوْلَهُ :

« يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ »

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ قَالَ مَالِكٌ لِلنَّاسِ : إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاكْتَبِرُوا جُفُونُ
سَيُوفِهِمْ ، ثُمَّ شُدُّوا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي أُمِّيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ أَنَّهُ حَدَّثَ : أَنَّ مَالِكَ
ابْنَ عَوْفٍ بَعَثَ عِيُونًا مِنْ رَجَالِهِ ، فَأَتَوْهُ وَقَدْ تَفَرَّقَتْ أَرْصَالُهُمْ ، فَقَالَ :
وَيْدَكُمُ إِمَّا شَأْنُكُمْ ؟ فَقَالُوا : رَأَيْنَا رَجُلًا بَيْضًا عَلَى خَيْلٍ يُبْلَقُ ، فَوَاللَّهِ
مَا تَمَاسَكْنَا أَنْ أَصَابَنَا مَا تَرَى ، فَوَاللَّهِ مَارَدَهُ ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ أَنْ مَضَى
عَلَى مَا يَرِيدُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ

ابن أبي حذرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم
علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم . فانطلق ابن أبي حذرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ،
حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع
من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فأخبره الخبر (فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ،
فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبي حذرد . فقال ابن أبي حذرد : إن
كذبتني فربما كذبت بالحق يا عمر ، فقد كذبت من هو خير مني . فقال عمر :
يا رسول الله ، ألا تسمع ما يقول ابن أبي حذرد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر)

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذكر له
أن عند صفوان بن أمية أدراعا له وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك ،
فقال : يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نأق فيه عدونا غدا ، فقال صفوان :
أغصباً يا محمد ؟ قال : بل عارية ومضمونة حتى تؤديها إليك ؛ قال : ليس بهذا
جأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم سأل أن يكفيهم حملها ، ففعل .

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه أنفان من أهل مكة مع
عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا
اثني عشر ألفاً ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتّاب بن أسيد بن
أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخاف عنه من

الناس ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن .

قصيدة ابن مرداس

فقال عباس بن مرداس الشلمي :

أصابني العام ريغاً غول قومهم وسط البيوت ولون الدول ألوان
بالهف أم كلاب إذ تبييتهم خيل ابن هوزة لا تنهي وإنسان
لا تلتفظوها وشدوا عقد ذمكم أن ابن عكم سمعد ودهان
لن ترجعوها وإن كانت مجللة مادام في النعم للأخوذ ألبان
شعنا جمل من سواتها حصن وسال ذو شوغر منها وسلوان
ليست بأطيب مما يشعوى حذف إذ قال : كل شواء العير جوفان
وفي هوازن قوم غير أن بهم داء اليماني فإن لم يغدروا خانوا
فيهم أخ لو وفوا أو برّ عندهم ولو نهكناهم بالطعن قد لانوا
أبلغ هوازن أغلاها وأسفلها مني رسالة نصح فيه نبيان
أني أظن رسول الله صاحبكم جيشاً له في فضاء الأرض أركان
فيهم أخوكم سليم غير تارككم والسليمون عباد الله غسان
وفي عضادته اليماني بنو أسد والأجربان بنو عيسى وذبيان
تكاد ترجف منه الأرض رهبتة وفي مقدمه أونس وعثمان

قال ابن إسحاق : أونس وعثمان : قبيلة مزينة .

.....

قال ابن هشام : من قوله « أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها » إلى آخرها ،
في هذا اليوم ، وما قبل ذلك في غير هـ - هذا اليوم ، وهما مفصولتان ، ولكن
ابن إسحاق جعلهما واحدة .

ذات أنوط

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري ، عن سنان بن أبي سنان
الدؤلي ، عن أبي واقد الليثي ، أن الحارث بن مالك ، قال : خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى حُنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال : فسرنا معه
إلى حُنين ، قال : وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة
عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة ، فيمْلَقون أسلحتهم
عليها ، ويذبحون عندها ، ويمسكون عليها يوماً . قال : فرأينا ونحن نسير
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرَةَ خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من
جَنَبَاتِ الطَّرِيقِ : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، قَلَمٌ ، والذي نفسي محمد بيده ،
كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِمَامًا كَمَا لَهُمْ آلِيَةٌ ﴾ ، قال إِنَّكُمْ
قَوْمٌ مَجْهَلُونَ ﴿ إِنهَا السَّنَنُ ، لَتَرْكِبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ .

ثبات الرسول

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قنادة ، عن عبد الرحمن بن
جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادى حُنين انحدرنا

في وادي من أودية تهامة أجوف حَطُوط ، إنما نتحدر فيه انحداراً ، قال :
وفي عمّاية الصَّبْح ، وكان القومُ قد سبقونا إلى الوادي ، فكَمَنُوا لنا في شِعبه
وأحنائه ومضايقه وقد أجمعوا وتَهَيَّئُوا وأعدّوا ، فوالله ماراعنا ونحن منخطون
إلا السكتائبُ قد شدّوا علينا شدّة رجل واحد ، وانشمر الناس راجعين ،
لا يُلَوِي أحدٌ على أحد .

وانحاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟
هَلُّثُوا إلى أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلا شيء ، تحلّت الإبل
بعضُها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقي مع رسولِ الله صلى الله عليه
وسلم نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

الذين هبّوا

وفيمَن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته عليُّ بن
أبي طالب والعباسُ بن عبد المطلب ، وأبو سفيانُ بن الحارث ، وابنه ،
والفضلُ بن العباس ، وربيعَةُ بن الحارث ، وأسامةُ بن زيد . وأيمَنُ بن عُبيد ،
قُتِلَ يومئذ .

قال ابن هشام : اسم ابن أبي سفيان بن الحارث جعفر ، واسم أبي سفيان
المغيرة ، وبعض الناس يَعدّ فيهم قُتْمَ بن العباس ، ولا يعد ابنَ أبي سفيان .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن
ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له

أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل ، أمام هوازن ، وهوازن خلفه ،
إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن وراه فاتبه .

الشماتة بالمسلمين

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُفَاء أهل مكة الهزيمة ، تسكَّم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا فقهى هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزام لمعة في كفائته . وصرخ جبلة بن الحنبل - قال ابن هشام : كلدة ابن الحنبل - وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطل السَّحَرُ اليوم ! فقال له صفوان : اسكت فضَّ الله فاك ، فوالله لأن يرُبِّي رجلٌ من قُرَيْش أحبُّ إليَّ من أن يرُبِّي رجل من هوازن .

شعر حسان في هجاء كلدة

قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت يهجو كلدة :

رَأَيْتُ سَوَادًا مِنْ بَعِيدِ فِرَاعِي أَبُو حَنْبَلٍ يَنْزُو عَلَى أُمِّ حَنْبَلٍ

كَانَ الَّذِي يَنْزُو بِهِ فَوْقَ بَطْنِهَا ذِرَاعُ قُلُوصٍ مِنْ نِتَاجِ ابْنِ عَزِهلٍ

أَنشَدَنَا أَبُو زَيْدٍ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ هَجَا بِهِمَا صَفْوَانَ بْنَ أُمِيَّةَ .

وكان أخا كلدة لأُمِّه .

شبهة يحاول قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وقال شبيعة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار . قلت : اليوم أدركُ نأري من محمد ، وكان أبوه قُتِل يوم أُحُد ، اليوم أقتلُ محمداً . قال : فأدركتُ رسول الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تنفّس فؤادي ، فلم أطق ذلك ، وعلمت أنه ممنوع مني .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل مكة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فصل من مكة إلى حنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن يُغلبَ اليومَ من قِلّة .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلاً من بني بكر قالها .

الاتصار بعد الهزيمة

قال ابن إسحاق : وحدثني الزُّهري . عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إني لَمَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخِذٌ بحسكمة بغاتة البيضاء قد شَجَرَتْهَا بها ، قال : وكنت اسراً جَسِيماً شديد الصوت ، قال . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أرَ الناسَ يَلُومُونَ على شيء ، فقال : يا عباس ، اضْرُخْ ، يامعشر الأنصار : يامعشر أصحاب السُّمرة ، قال : فأجابوا : لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ ! قال : فيذهب الرجل لينثني بعيره ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعَهُ ، فيقذفها في عنقه ؛ ويأخذ سيفه وترسه ، ويقتحم عن بعيره ، ويحُلِّي سبيله ، فيؤتم

.

الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس ، فاقبلوا ، وكانت الدعوى أول ما كانت : يا لأنصار . ثم خلصت أخيراً : يا للخزرج . وكانوا صُبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه . فنظر إلى مُجْتَلِدِ القوم وهم يُجْتَلِدُونَ ، فقال : الآن حِمَى الوطيس .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جملة يصنع ما يصنع ، إذ هوى له علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه ، فضرب عُرْقُوبِي الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصاري على الرجل ، فضربه ضربة أطنَّ قَدَمَهُ بنصف ساقه ، فانجعف عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله مارِجَت راجسة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطاب ، وكان ممن صَبَرَ يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بشفر بغاته ، فقال من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك يا رسول الله .

رأى أم سليم

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم التفت ، فرأى أمّ مُسَلِّم بنت مِاحان ، وكانت مع زوجها أبي طَلْحَةَ وهي حازمة وسطها يُبرِّد لها ، وإنها الحامل بعبء الله بن أبي طلحة ، ومعهما جملُ أبي طلحة ، وقد خَشِيتُ أن يَمُرَّها الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها في خِزَامته مع الخِطَام ، فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّ مُسَلِّم ؟ قلت : نعم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أَقْتُلْ هؤلاء الذين يَهْزِمُونَ عَنْكَ كما تقتل الذين يُقَاتِلُونَكَ ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفى الله يا أمّ مُسَلِّم ؟ قال : ومعهما خِنْجَرٌ ، فقال لها أبو طلحة : ماهذا الخِنْجَرُ معك يا أمّ مُسَلِّم ؟ قالت : خِنْجَرٌ أَخَذْتُهُ ، إن دنا مني أحدٌ من المُشْرِكِينَ بَعَجْتُهُ بِهِ . قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمعُ يا رسول الله ما تقول أمّ مُسَلِّم الرُّمِيصَاءُ .

شعر مالك بن عوف في الهزيمة

قال ابن إسحاق : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين وَجِهَ إلى حُنَيْنٍ ، قد ضمَّ بنى مُسَلِّم الضحَّاك بن سُفْيَانَ الْكِلَابِي ، فكانوا إليه ومعه ، ولما هُزِمَ النَّاسُ قال مالك بن عوف يَرْتَجِزُ بفرسه :

أَقْدِمُ مُحَاجُ إِنَّهُ بَوْمٌ نُسْكُرُ	مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يَنْحَى وَيَكُرُ
إِذَا أَضْيَعُ الصَّفِّ يَوْمًا وَالذُّبُرُ	نَمِ احْزَأَتْ زُمَرٌ بَعْدَ زُمَرُ
كَتَّابٌ يَكُلُّ فِيهِنَّ الْبَصَرُ	قَدْ أَطْعُنَ الطَّامِنَةَ تَقْدِي بِالشُّبُرِ
حِينَ يُدْثَمُ الدُّسْتُكِينُ الْمُنْجَحَرُ	وَأَطْعُنُ النَّجْلَاءُ تَقْوَى وَتَهَرُ

لَهَا مِنَ الْجَوْفِ رَشَاشٌ مُنْهَمِرٌ تَفْقَهُ تَارَاتٍ وَحِينًا تَنْفَجِرُ
وَنَعَابُ الْعَامِلِ فِيهَا مُنْكَسِرٌ يَازِيدُ يَا بَنِي هَمَّهِمْ أَيْنَ تَهْرُ
قَدْ نَفِدَ الضَّرْسُ وَقَدْ طَالَ الْعُمُرُ قَدْ عَلِمَ الْبَيْضُ الطَّوِيلَاتُ الْخُمْرُ
أَتَى فِي أَمْثَالِهَا غَيْرُ غَيْرٍ إِذْ تُخْرِجُ الْحَاصِنُ مِنْ تَحْتِ السُّتْرِ
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ أَيْضًا :

أَقْدِمُ مُحَاجٍ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ وَلَا تَغْرُنَاكَ رَجُلُ نَادِرِهِ

قال ابن هشام : وهذان البيتان لغير مالك بن عوف في غير هذا اليوم .

من قتل قتيلًا فله سلبه

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن أبي قتادة الأنصاري قال : وحدثني من لائهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بني غفار أبي محمد عن أبي قتادة ، قال : قال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين يقتلان : مسلماً ومشرکاً ، قال : وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأتيته فضربت يده فقطعتها ، واعتنقني بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم - ويروى : ريح الموت ، فيما قال ابن هشام . وكاد يقتلني ، فلو لا أن الدم نزفه لقتلني ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضني عنه القتال ، ومصر به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلًا فله سلبه ، فقلت : يا رسول الله ، والله لقد قتلت قتيلًا ذا سلب ، فأجهضني عنه

الْقِتَالِ ، فَمَا أَدْرَى مَنْ اسْتَلَبَهُ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ : صَدَقَ بِأَرْسُولِ اللَّهِ ،
وَسَلَبُ ذَلِكَ الْقَتِيلِ عِنْدِي ، فَأَرْضِيهِ عَنِّي مِنْ سَلْبِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا وَاللَّهِ ، لَا يَرْضِيهِ مِنْهُ ، تَعَمَّدَ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ ، يَقَاتِلُ
عَنِ دِينِ اللَّهِ ، تَقَاسَمَهُ سَلْبِهِ ! أَرَدَدَ عَلَيْهِ سَلْبَ قَتِيلِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدَقَ فَارَدَدَ عَلَيْهِ سَلْبِهِ . فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ : فَأَخَذْتَهُ مِنْهُ ، فَبِعْتَهُ ،
فَاشْتَرَيْتُ بِهِ نَخْرَفًا ، فَإِنَّهُ لِأَوَّلُ مَالٍ اعْتَقَدْتُهُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَمُّ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَقَدْ اسْتَلَبَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَ
حُنَيْنٍ وَحْدَهُ عَشْرِينَ رَجُلًا .

نزول الملائكة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقَ بْنُ يَسَارٍ ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ جُبَيْرِ
ابْنِ مُطْعِمٍ ، قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ قَبْلَ هَزِيمَةِ الْقَوْمِ ، وَالنَّاسَ يَقْتَتِلُونَ مِثْلَ الْجِبَادِ
الْأَسْوَدِ ، أَقْبَلَ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى سَقَطَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ ، فَنظَرْتُ ، فَإِذَا أَمَلُ
أَسْوَدَ مَبْثُوثٌ قَدْ مَلَأَ الْوَادِي ، لَمْ أَشْكُ أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ إِلَّا هَزِيمَةُ
الْقَوْمِ .

هزيمة المشركين من أهل حنين

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ حُنَيْنٍ ، وَأَمَكَّنَ
رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ ، قَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ :

.....

قد غلبت خَيْلُ اللَّهِ خَيْلَ اللَّاتِ وَاللَّهُ أَحَقُّ بِالنَّبَاتِ

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالرواية للشعر :

غَلَبَتْ خَيْلَ اللَّهِ خَيْلَ اللَّاتِ وَخَيْلُهُ أَحَقُّ بِالنَّبَاتِ

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوارن استحرَّ القتل من تقيف في بني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة ابن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى النخار فلما قُتِل أخذها عثمان ابن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرني عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله ، قال : أبعد الله ! فإنه كان يُبغضُ قريشاً .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس . أنه قُتل مع عثمان بن عبد الله غلامٌ له نصرانيٌّ أغرلُ ، قال : فبينما رجل من الأنصار يسأُب قَتْلِي تقيف ، إذ كشف العبدَ يسلبُهُ ، فوجده أغرل . قال : فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب : يعلم الله أن تقيفاً غرل . قال المغيرة ابن شعبة : فأخذتُ بيده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت : لا تنقل ذلك ، فإني أرى وأمي ، إنما هو غلام لنسا نصراني . قال : ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم محتنين كما ترى !

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنوه وقومه من الأحلاف ،

فلم يُقتل من الأحلاف غيرُ رجائين : رجلٍ من غَيْرَةِ ، يقال له وهب ، وآخر من بني كُتَيْبَة ، يقال له الجُلاح ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجُلاح : قُتِلَ اليومُ سيّدُ شبابِ ثَقِيفَ ، إلّا ما كان من ابنِ هُنَيْدَة ، يعنى بابنِ هُنَيْدَة الحارث بن أُويس .

رأية ابن مرداس

فقال عباس بن مرداس السّامي يذكر قارب بن الأسود وفِرَارَهُ من بني أبيه وذا الخمار وحَبْسَهُ قَوْمَهُ للموت :

أَلا مِنْ مُبْلَغِ غَيْلَانَ عَنِّي	وَسَوْفَ - إِخَالُ - بَأْتِيهِ أَخْبِيرُ
وَعُرْوَةَ إِنَّمَا أَهْدَى جَوَابًا	وَقَوْلًا غَيْرَ قَوْلِ كَمَا يَسِيرُ
بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ رَسُولٍ	لَرَبِّ لَا يَخْلُ وَلَا يَجُورُ
وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى	فَكُلَّ قَتَى يُخَايِرُهُ بِخَيْرِ
وَبِئْسَ الْأَمْرُ أَمْرُ بَنِي قَيْسٍ	بَوَجِّ إِذْ تُنْقَسَمَتِ الْأُورُ
أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ	أَمِيرٌ وَلِدَوَائِرُ قَدِ تَدُورُ
فَجِئْنَا أَمْدَ غَابَاتِ إِلَيْهِمْ	جُنُودُ اللَّهِ ضَاحِيَّةَ نَسِيرُ
يَوْمَ اجْتَمَعَ جَمْعُ بَنِي قَيْسٍ	عَلَى حَنْقٍ نَكَدُ لَهُ نَظِيرُ
وَأَقْسَمُ لَوْ هُمْ مَكَّنُوا لِسِرْنَا	إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا
فَكُنَّا أَمْدَ رِيَّةٍ نَمُّ حَتَّى	أَتَيْنَاهَا وَأَسَامَتِ النُّجُورُ
وَيَوْمَ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ	فَأَقْبَحَ وَلَدَمَاءُ بِهِ تَمُورُ

مِنْ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيْوَمٍ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورُ
 قَتَلْنَا فِي الْغَبَارِ بَنِي حُطَيْطٍ عَلَى رَايَاتِهَا وَالْخَيْلُ زُورُ
 وَلَمْ يَكْ ذُو الْخِيَارِ رَيْدِسَ قَوْمٍ لَمْ عَقَلُ يُعَاقِبُ أَوْ مَكِيدُ
 أَقَامَ يَوْمٍ عَلَى سَنَنِ التَّمَايَا وَقَدْ بَانَ لِمُبْصِرِهَا الْأُمُورُ
 فَأَقْلَتَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ جَرِيضًا وَقُتِلَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرُ
 وَلَا يُبْنِي الْأُمُورَ أَخُو التَّوَانِي وَلَا الْفَلَقِ الثَّرِيرَةُ الْخُصُورُ
 أَحَانَهُمْ وَحَانَ وَمَلَكُوهُ أُمُورُهُمْ وَأَقْلَتَ الصُّفُورُ
 بَنُو عَوْفٍ تَمِيحَ بِهِمْ جِيَادُ أَهِنَ لَهَا الْفَصَافِصُ وَالشَّمِيرُ
 فَلَوْلَا قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيهِ تُقَسِّمَتِ الْمَزَارِعُ وَالْقُصُورُ
 وَلَكِنِ الرِّيَاسَةُ عُمُومُهَا عَلَى يَمْنِ أَشَارَ بِهِ الْمُشِيرُ
 أَطَاعُوا قَارِبًا وَلَهُمْ جَدُودُ وَأَحْلَامُ إِلَى عِزِّ تَصِيرُ
 فَإِنْ يَهْدُوا إِلَى الْإِسْلَامِ يُنْفَقُوا أَنْوَفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ
 وَإِنْ لَمْ يُسَلِّمُوا فَهُمْ أَذَانٌ بِحَرْبِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
 كَمَا حَكَّتْ بَنِي سَعْدِ وَحَرْبُ بَرَهْطِ بَنِي غَزِيَّةَ عَنَقْفِيرُ
 كَانَ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ إِلَى الْإِسْلَامِ ضَائِنَةٌ نَحُورُ
 فَقُلْنَا اسْلُبُوا إِنَّا أَخُوكُمْ وَقَدْ بَرَأْتَ مِنَ الْإِحْنِ الصُّدُورُ
 كَانَ الْقَوْمُ إِذْ جَاءُوا إِلَيْنَا مِنْ الْبَغْضَاءِ بِمَدِّ السَّلْمِ عُورُ

قال ابن هشام : غَيْلان : غَيْلان بن سَلَمَةَ الثَّقَفِي ، وعُروة : عروة بن

مسمود الثَّقَفِي .

مصرع درید

قال ابن إسحاق : ولما انهزم للشركون ، أتوا الطائف ومهم مالك
ابن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن
فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعته خيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بن رُفَيْع بن أُمَيَّان بن ثعلبة بن ربيعة بن ربوع بن سَمَّان
ابن عوف بن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن الدُّعْنَة وهي أمه ، فغلبت
على اسمه ، ويقال : ابن لُذَعَة فيما قال ابن هشام - دُرَيْد بن الصَّمَّة ، فأخذ بخطام
جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه في شَجَارٍ له ، فإذا برجله ، فأُلخ به ،
فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دُرَيْد بن الصَّمَّة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دُرَيْد :
ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال أنا ربيعة بن رُفَيْع
السُّلَمي ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يُغن شيئا ، فقال : بئس ما سلحتك أمك !
خذ سيفي - هذا من مؤخر الرجل ، وكان الرجل في الشَّجَار ، ثم اضرب به ،
وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فإني كنت كذلك أضرب الرجال ،
ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْد بن الصَّمَّة . فُرب والله يوم
قد منعت فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوق تكشَّف ،
فإذا عِجَانَه وبطون فخذه مثل القِرطاس ، من ركوب الخيل أعراء ؛ فلما رجع
ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات
لك ثلاثا .

فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ دُرَيْدٍ فِي قَتْلِ رَبِيعَةَ دُرَيْدًا :

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى دُرَيْدٍ بَيِّطُنْ مُنْمَوِّزَهُ حَبِيشَ الْعَنَاقِ
جَزَى عَنْهُ الْإِلَهُ بَنَى سُلَيْمٍ وَعَقَّتْهُمْ بِمَا قَعَلُوا عَقَاقِ
وَأَسْتَفَانَا إِذَا قُدْنَا إِلَيْهِمْ دِمَاءَ خِيَارِمٍ عِنْدَ التَّمْلَاقِ
فَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعَتْ عَنْهُمْ وَقَدْ بَلَغَتْ نَفْسُهُمُ التَّرَاقِ
وَرُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقَتْ مِنْهُمْ وَأُخْرَى قَدْ فَكَّكَكَتَ مِنَ الْوَتَاقِ
وَرُبَّ مُنْمَوِّزٍ بِكَ مِنْ سُلَيْمٍ أَجَبْتَ وَقَدْ دَعَاكَ بِلا رَمَاقِ
فَكَانَ جَزَاؤُنَا مِنْهُمْ عُقُوقًا وَهَمَّا مَاعَ مِنْهُ مُخٌ سَاقِ
دَفَعْتَ آثَارَ خَيْلِكَ بَعْدَ أَنْ بَذَى بَقَرٍ إِلَى تَيْفٍ النَّمَاقِ
وَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ دُرَيْدٍ أَيْضًا :

قَالُوا قَتَلْنَا دُرَيْدًا قُلْتُ قَدْ صَدَقُوا فَظَلَّ دَمِي عَلَى السَّرْبِ بَالٍ يَنْحَدِرُ
لَوْلَا الَّذِي قَهَرَ الْأَقْوَامَ كُلَّهُمْ رَأَتْ سُلَيْمٌ وَكَذَبَ كَيْفَ تَأْمُرُ
إِذَنْ لَصَبَّحَهُمْ غِيًّا وَظَاهِرَةً حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ نَوَافِلُ جَحْفَلٍ ذَفَرِ

قال ابن هشام : ويقال اسم الذي قتل دُرَيْدًا : عبد الله بن قُتَيْبٍ بن
أُهْبَانٍ بن ثعلبة بن رَبِيعَةَ

مصرع أبي عامر الأشعري

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه
قَبِلَ أَوْطَاسٍ أَبَا عامر الأشعري ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ،

فناوشوه القتال ، فرمى أبو عامر بسهم فقتل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعري ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ، ففتح الله على يديه ، وهزمهم . فيزعمون أن سلمة بن دُرَيْد هو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم ، فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال :

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ ابْنُ سَمَادِرٍ لِمَنْ تَوَسَّيْتُهُ
أَضْرَبُ بِالسَّيْفِ رُؤُوسَ الْمُسْلِمِينَ
وسمادير : أمه .

حال بني رثاب في المعركة

واستحضر القتل من بني أنهر في بني رثاب ، فزعموا أن عبد الله بن قيس - وهو الذي يُقال له ابن القوراء ، وهو أحد بني وهب بن رثاب - قال : يا رسول الله ، هلكت بنو رثاب فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم أجبر مُصِيبَتَهُمْ .

موقف قوم مالك بن عوف

وخرج مالك بن عوف عند المزيمة ، فوقف في قوَارِس من قومه ، على نِزْيَةٍ من الطَّارِيق ، وقال لأصحابه : قِفُوا حَتَّى تَمْضِيَ ضُفَّةٌ وَكَمْ ، وَتَلْحَقَ أَخْرَاكُمْ . فوقف هناك حتى مضى مَنْ كَانَ لِحَقِّ بِهِمْ مِنْ مُنْهَزِمَةِ النَّاسِ ؛ فقال مالك بن عَوْف في ذلك :

ولولا كَرَّانٍ على مُحاجٍ لَضاق على المَضاربِ الطَّريقُ
ولولا كَرُّ دُهَّانٍ بنِ نَصْرٍ لَدَى النِّخْلَاتِ مُنْدَفَعِ الشَّدِيقِ
لَآبَتْ جَعْفَرُ وبنو هِلَالٍ خَزَايَا مُحْتَبِينَ على شُقُوقِ

قال ابن هشام : هذه الأبيات للمالك بن عوف في غير هذا اليوم . وما يدُلُّك على ذلك قولُ دُرَيْدِ بن الصَّمَّةِ في صدر هذا الحديث : ما فعلت كعب و كلاب ؟ فقالوا له : لم يشهدا منهم أحد . وجعفر بن كلاب . وقال مالك ابن عوف في هذه الأبيات : « لَآبَتْ جَعْفَرُ وبنو هِلَالٍ » .

قال ابن هشام : وبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثَّنِيَّةِ ، فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ فقالوا : نرى قوماً واضى رِماحهم بين آذان خيلهم ، طويلةً بواڈهم ؛ فقال : هؤلاء بنو سُليم ، ولا بأس عليكم منهم ، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي . ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى قوماً عارضى رِماحهم ، أغفالا على خيلهم ؛ فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى أصل الثَّنِيَّةِ سلكوا طريق بنى مُسلم . ثم طلع فارس ؛ فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى فارساً طويل الباد ، واضعاً رمحاً على عاتقه ، عاصباً رأسه بملاء حراء ، فقال هذا الزُّبير بن العوام وأحلف باللات ليخالطنكم ، فأنبئوا له . فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثَّنِيَّةِ أبصر القوم ، فصمَّد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها .

شعر سلمة في فرارة

قال ابن إسحاق : وقال سلمة بن دُرَيْد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نَسَيْتَنِي مَا كُنْتُ غَيْرَ مُصَابَةٍ ولقد عرفتِ غَدَاةَ نَعْفِ الْأَطْرُبِ
أَنِّي مَنَعْتُكَ وَالرَّكُوبُ مُحَبَّبٌ ومَشَيْتُ خَافَكَ مِثْلَ شَيْءِ الْأَنْكَبِ
إِذْ فَرَّ كُلُّ مُهَذَّبٍ ذِي إِمَّةٍ عَنْ أُمِّهِ وَخَلِيلِهِ لَمْ يَغْتَابِ

عود إلى حديث مصرع أبي عامر

قال ابن هشام : وحدثني من أئق به من أهل العلم بالشعر ، وحديثه :
أن أبا عامر الأشعريّ لقي يرم أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل
عليه أحدهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم
اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو
يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر . ثم جعلوا
يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ،
وبقي العاشر ، فحمل على أبي عامر ، وحل عليه أبو عامر ، وهو يدعو إلى
الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ؛ فقال الرجل : اللهم لا تشهد على ، فكف
عنه أبو عامر ، فأقلت ؛ ثم أسلم بعـدُ فحسن إسلامه . فكان رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : هذا شريدُ أبي عامر . ورمى أبا عامر
أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث ، من بني جُشَم بن معاوية ، فأصاب أحدهما
قلبه ، والآخر رُكْبته ، فقتلهم . وولى الناس أبو موسى الأشعريّ فحمل

• • • • •

عليهما فقتلها ، فقال رجل من بني جُشَم بن معاوية يرثيها :
 إِنَّ الرِّزِيَّةَ قَتَلُ الْعَلَاءِ وَأَوْزَى جَمِيعًا وَلَمْ يُسْنَدًا
 هُمَا الْقَاتِلَانِ أَبَا عَمِيرٍ وَقَدْ كَانَ ذَا هَبَّةٍ أَرْبَدًا
 هُمَا تَرَكَاهُ لَدَى مَنْزِلِكِ كَأَنَّ عَلَى عِظْفِهِ مُجَسَّدًا
 فَلَمْ تَرَ فِي النَّاسِ مِثْلَهُمَا أَقَلَّ عِثَارًا وَأَزْمَى هَدَا

النهى عن قتل الضعفاء

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مُتَقَهِّمُونَ عليها ، فقال :
 ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لِمَ مَضَ مِنْ مَعَهُ : أَدْرِكُ خَالِدًا ، فَقُلْ لَهُ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ يَنْهَاكَ أَنْ تَقْتُلَ وَلِيدًا
 أَوْ امْرَأَةً أَوْ عَسِيفًا .

شأن الشبياء وبجاء

قال ابن إسحاق ، وحدثني بعض بني سعد بن بكر : أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : إِنْ قَدَّرْتُمْ عَلَى بَجَائِدٍ ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ
 ابْنِ بَكْرٍ ، وَلَا يَفْلِحَنَّكُمْ ، وَكَانَ قَدْ أَحْدَثَ حَدَنًا ، فَلَمَّا ظَهَرَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ سَاقُوهُ
 وَأَهْلَهُ ، وَسَاقَوْا مَعَهُ الشَّيْءَ ، بَنَتْ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمُزَيِّ أُخْتُ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، فَعَفُّوا عَلَيْهَا فِي السِّيَاقِ ، فَقَالَتِ الْمُسْلِمِينَ :
 تَعْلَمُوا وَاللَّهِ أَنِّي لِأُخْتِ صَاحِبِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ ؛ فَلَمْ يَصْطَقُوا حَتَّى أَنْوَأَ بِهَا
 إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : لحدثني يزيد بن عبيد السعدي ، قال : فلما انتهى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : يا رسول الله ، إني أختك من الرضاة ؛ قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عضة عضضتها في ظهري وأنا مقورة كتمك ؛ قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه ، وخبرها ، وقال : إن أخبيت فيندي محبة مسكرمة ، وإن أخبيت أن أمتك وترجمي إلى قومك فمكت ؛ فقالت : بل نمتني وتردني إلى قومي ، فتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردّها إلى قومها . فرمى بنو سعد أنه أعطاهم غلاماً له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوّجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نساها بقية .

قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل في يوم حنين : ﴿ أَقَدْ تَعْرَكُ كُفُّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ .

شهداء يوم حنين

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين : من قريش ثم من بني هاشم : أيمن بن عبيد .

ومن بني أسد بن عبد المزني : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد ، جمع به فرس له يقال له الجناح ، فقتل .
ومن الأنصار : سرة بن الحارث بن عدي ، من بني العجلان .

ومن الأشعرين : أبو عامر الأشعري .

سبايا حنين يجمعون

ثم جُمِعَتْ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سبايا حُنَيْنٍ وأموالُها ،
وكان على المغانم مسمودُ بن عمرو الففاري ، وأمر رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم بالسبايا والأموال إلى الجمرانة ، فُخِصَتْ بها .

شعر بجير يوم حنين

وقال بُجَيْر بن زُهَيْر بن أَبِي سُلتَى في يوم حُنَيْن :

لولا الإله وعَبْدُهُ وَلَيْتُمْ حين استخفَّ الرُّعبُ كُلَّ جَبَانٍ
بالجزعِ يَوْمَ حَبَا لَفَا أَفْرَانَا وسَوَّاحُ يَكْبُونُ لِلْأَذْقَانِ
مِنْ بَيْنِ سَاعِ نَوْبُهُ فِي كَفِّهِ ومَقَطَرٍ بِسَنَابِكِ وَلَبَانِ
واللهُ أَكْرَمَنَا وَأَظْهَرَ دِينَنَا وَأَعَزَّنَا بِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ
واللهُ أَهْلَكَهُمْ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ

قال ابن هشام : وَيَرَوَى فِيهَا بَعْضُ الرُّوَاةِ :

إِذْ قَامَ عَمَّ نَبِيُّكُمْ وَوَرِثِيهِ يَدْعُونَ : لَكِتَابَةِ الْإِيمَانِ
أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ أَجَابُوا رَبَّهُمْ يَوْمَ الْمَرِيضِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

شمر لعباس بن مرداس في يوم حنين
قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس في يوم حنين :

إني والسَّوَابِجُ يَوْمَ تَجْجَجُ وما يَقُولُ الرَّسُولُ مِنَ الْكِتَابِ
لَقَدْ أَحْبَبْتُ مَا لَقَيْتُ تَقِيْفُ بِحُفْنِ الشَّعْبِ أَمْسٌ مِنَ الْعَذَابِ
مُمْرَأُسُ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ النَّجْدِ فَتَقْتُلُهُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّرَابِ
هَزَمْنَا الْجَمْعَ جَمَعَ بَنِي قَيْسٍ وَحَكَّتْ بَرَكَهَا بَيْنِي رِثَابِ
وَمِزْمًا مِنْ هِلَالٍ غَادَرْتَهُمْ بِأَوْطَاسٍ تُعْفَرُ بِالتُّرَابِ
وَلَوْلَا قَيْنَ جَمَعَ بَنِي كِلَابٍ لَقَامَ نِسَاؤُهُمُ وَالنُّفْعُ كَلْبِ
رَكَضْنَا الْخَيْلَ فِيهِمْ بَيْنَ بُسْ إِلَى الْأَوْدَالِ تَنْحِطُ بِالتَّهَابِ
بَذَى تَلَبَّى رَسُولُ اللَّهِ فِيهِمْ كَتَبَتْهُ تَعْرِضُ لِلضَّرَابِ

قال ابن هشام : قوله « تُعْفَرُ بِالتُّرَابِ » : عن غير ابن إسحاق .

ابن عفيف يرد على ابن مرداس

فأجابه عطية بن عفيف النضري ، فيما حدثنا ابن هشام ، فقال :

أَفَاخِرَةَ رِفَاعَةٍ فِي حُنَيْنٍ وَعَبَّاسُ بْنُ رَاضِيَةِ الْجَبَابِ
فَبَيْتِكَ وَالْفِجَارَ كَذَاتِ مِرْطٍ لَرَبَّتِيهَا وَتَرْفُلُ فِي الْإِهَابِ

قال ابن إسحاق : قال عطية بن عفيف هذين البيتين لما أكثر عباس

على هَوازِنٍ في يوم حنين ورفاعة من جُمينة

شعر آخر لعباس بن مرداس

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

يا خاتم النبأ إنك مُرْسَلٌ بالحق كلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُداكا
 إنَّ الإلهَ بنى عليكَ محبَّةً فى خَلْقِهِ ومُحمَّداً سَمَكا
 ثُمَّ الَّذِينَ وَقَوْا بما عاهدَهم جُنْدٌ بَعَثَتْ عَلَيْهِمُ الضَّمَاكا
 رَجُلًا بهِ ذَرَبُ السَّلاحِ كَأَنَّهُ لما تَكَنَّفَهُ العَدُوُّ يَرَاكا
 يَفْشَى ذَوَى النِّسَبِ القَرِيبِ وإِنا يَفِى رِضا الرِّحْمَنِ نَمِ رِضاكا
 أَنبِيكَ أنى قَدِ رَأَيْتُ مَكْرَهُ نَحْتِ المِجَاجَةِ يَدْمَغُ الإِشْراكا
 طَوَّراً يُمانِقِ باليَدَيْنِ وَنارَةً يَفْرِى الجَواجِمِ صارِماً بَناكا
 يَفْشَى بِهِ هَامَ السَّكَاةِ وَلَوْ تَرَى مِنْهُ الَّذى عَايَنْتُ كانَ شِفاكا
 وَبَنُو سُلَيْمٍ مُنْعِقُونَ أَمامَهُ ضَرْبًا وطَمَنًا فى العَدُوِّ دِراكا
 يَمْشُونَ نَحْتِ لَوَائِدِهِ وَكَأَنَّهُمْ أَسَدُ القَرِيبِ أَرْدَنَ شَمِّ عِراكا
 ما يَرْتَجِحُونَ مِنَ القَرِيبِ قِرابَةً إِلاَّ لَطائِفِ رِجِيمٍ وَهَواكا
 هَذِى مَشايدُنا الَّتى كانَتْ لَنا مَعْرُوفَةً وَوَلِئِنا مَولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

إِنا تَرَى يا أُمَّ فِرْوَةَ خَيلِنا مِنْها مُعْطَلَةٌ تُقادُ وظَلَمَ
 أَوْهى مُقارَعَةِ الأَعادِى دَمَها فيها نَوائِدُ مِنْ جِراحِ نَفْجِ

فَلَربَّ قَائِلَةٍ كَفَاهَا وَقَمْنَا أَرَمَ الْحَرْبُ نِسْرُهَا لَا يُفْزَعُ
 لَا وَفَدَ كَالْوَفْدِ الْآلَى عَقَدُوا لَنَا سَبِيًّا بِحَبْلِ مُحَمَّدٍ لَا يُقْطَعُ
 وَفَدَ أَبُو قَطَنِ حُزَابَةٍ مِنْهُمْ وَأَبُو الْغُيُوثِ وَوَارِسُ الْفَنَعِ
 وَالْقَائِدُ الْمَثَّةُ الَّتِي وَفَى بِهَا تَسَعَ لِلثَّيْنِ قَمَمُ أَلْفٍ أَقْرَعُ
 جَمَعَتْ بَنُو عَوْفٍ وَرَهْطُ مُخَاشِنِ سَتًّا وَأَحْلَبَ مِنْ خُفَافٍ أَرْبَعُ
 فَمِنْكَ إِذْ نُصِرَ النَّسَبِيُّ بِالْفِنْسَا عَقَدَ النَّسَبِيُّ لَنَا لَوَاءً يَدْمَعُ
 فُزْنَا بِرَابِعِهِ وَلَوْرَثَ عَقْدُهُ تَجَدَّ الْحَيَاةُ وَسُودَدَا لَا يُفْزَعُ
 وَغَدَاةٍ نَحْنُ مَعَ النَّسَبِيِّ جَنَاحُهُ يَبْطَاحُ مَكَّةَ وَالْقَنَا يَتَهَزَّعُ
 كَانَتْ إِبَابُنَا لِدَاعَى رَبِّنَا بِالْحَقِّ مَنَا حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ
 فِي كُلِّ سَابِقَةٍ تَحْيِيرَ سَرْدَا دَاوُدُ إِذْ نَسَجَ الْحَدِيدَ وَتُبِعُ
 وَلَنَا عَلَى بَرَى حُنَيْنٍ مَوْكِبُ دَمِغَ النِّفَاقِ وَهَضْبَةَ مَا تُقْلَعُ
 نُصِرَ النَّسَبِيُّ بِنَا وَكُنَّا مَغْشَرَا فِي كُلِّ نَائِبَةٍ تَصْرُ وَتَنْفَعُ
 ذُنَا غَدَاتِنَا هَوَازِنَ بِالْقَنَا وَالْخَلِيلُ يَغْمُرُهَا عَجَاجٌ يَسْطَعُ
 إِذْ خَافَ حَدَّهمُ الْإِنْبَى وَأَسْنَدُوا جَمْعًا تَكَادُ الشَّمْسُ مِنْهُ تَخْشَعُ
 تُدْعَى بَنُو جُثْمٍ وَتُدْعَى وَنَطَه أَفْنَاهُ تَصْرِ وَالْأَسِنَّةُ تُثْرَعُ
 حَتَّى إِذَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدُ أَبِي سُلَيْمٍ قَدْ وَقِفْتُمْ فَارْفَعُوا
 رُحْنَا وَلَوْلَا نَحْنُ أَجْهَفُ بِأَسْمِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ وَأَحْرَزُوا مَا جَمَعُوا
 وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ أَيْضًا فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ :

عَفَا بِجَدَلٍ مِنْ أَهْلِهِ قُمْتَائِمُ فَمِطْلَا أَرِيكَ قَدْ خَلَا قَالِمَصَانِعُ

ديارٌ لنا يا مُجَلِّ إذْ جُلَّ عَيْشِنَا رَحَىَّ وَصَرَفَ الدَّارَ لِلْحَيِّ جَامِعُ
حُبِّيَّةُ أُلُوتِهَا غُرْبَةُ النَّوَى ابْنِ فَمَلٍ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعُ
فَإِنْ تَبَتَّقَى السَّكْفَارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ
دَعَانَا إِلَيْهِمْ خَيْرٌ وَقَدْ عَلِمْتُهُمْ خَزِيمَةُ وَالْمَرَارِ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
فَجِئْنَا بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمُ لَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ رَائِعُ
نُبَايَعُهُ بِالْأَخْشَبِينَ وَإِنَّمَا يَدَ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ نُبَايَعُ
فَجِئْنَا مَعَ الْمَهْدِيِّ مَكَّةَ عَنُودَ بِأَسْيَافِنَا وَالنَّفْعُ كَابٍ وَسَاطِعُ
عَدْنِيَّةَ وَالْحِلْجُلُ يَغْشَى مُتُونَهَا حَمِيمٌ وَأَنْ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ
وَبُيُومَ حُنَيْنٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنُ إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالنَّفُوسِ الْأَضَالِعُ
صَبْرُنَا مَعَ الضَّحَّاكِ لَا يَسْتَفِزُّنَا قِرَاعُ الْأَعَادِي مِنْهُمْ وَالْوَقَائِعُ
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَخْفِقُ فَوْقَنَا لَوْلَا كَخُذْرُوفِ السَّحَابَةِ لَامِعُ
عَشِيَّةَ ضَحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ مُعْتَصٍ بِسَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَوْتُ كَانِعُ
نَذُودُ أَخَانَا عَنْ أُخْيَيْنَا وَلَوْ نَرَى مَصَالًا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ تَتَابِعُ
وَلَكِنْ دِينَ اللَّهِ دِينَ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهُدَى وَالشَّرَائِعُ
أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ أَمْرُنَا وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمْدِهِ اللَّهُ دَائِعُ

وقال عباس بن مرداس أيضاً في يوم حنين :

تَقَطَّعَ بَاقِي وَصَلِ أَمُّ مُؤَمِّلٍ بِمَاقِبَةٍ وَاسْتَبَدَّلَتْ نِيَّةَ خُلَفَا
وَقَدْ حَلَفَتْ بِاللَّهِ لَا تَقَطَّعُ الْقَوَى فَمَا صَدَقَتْ فِيهِ وَلَا بَرَّتْ الْخُلَفَا

خُفَايَيسَةَ بَطْنُ الْعَقِيقِ مَعِيهِمَا
فَإِنْ تَنَبَّجَ الْكَفَّارُ أَمْ مُؤَمَّلٌ
وَسَوْفَ يُبَيِّبُهَا الْخَلِيرُ بَانًا
وَأَنَا مَعَ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
بِثْنَيْنِ صِدْقٍ مِنْ سُلَيْمٍ أَعِزَّةٍ
خُفَافٌ وَذِكْرَانُ وَعَوْفٌ لَمْخَالِمٍ
كَانَ النَّسِيجَ الشَّهْبَ وَالْبَيْضَ الْمُدَبَّسَ
بَنَا عَزَّ دِينُ اللَّهِ غَيْرَ تَنْجُلٍ
بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَأَنَّ لِيَاءَنَا
عَلَى شُخْصِ الْأَبْصَارِ تَحْسِبُ بَيْنَهَا
غَدَاهُ وَطِئْنَا الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ نَحْذِ
بِمَعْتَرِكٍ لَا يَشْمَعُ الْقَوْمُ وَسَطَاهُ
بِبَيْضِ نَطِيرٍ الْهَامِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا
فَسَكَتُنْ تَرْكُنَا مِنْ قَتِيلٍ مُلَحَّبٍ
رِضَا اللَّهِ نَنْوِي لَارِضَا النَّاسِ نَبْذِي
وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ أَيْضًا :

مَا بِالْأَعْيُنِ فِيهَا عَائِرٌ سَهْرٌ
عَيْنٌ تَأْوِيهَا مِنْ شَجْوِهَا أَرْقُ
مِثْلُ الْحَاطَةِ أَعْصَى فَوْقَهَا الشُّفْرُ
فَالْمَاءُ يَغْمُرُهَا طَوْرًا وَيَنْحَدِرُ

كَأَنَّهُ نَظْمٌ دُرٌّ عِنْدَ نَاطِلَةٍ تَقَطَّعَ السَّلَاطُ مِنْهُ فَهُوَ مُشْتَرِ
 بِأُبْعَدَ مَنْزِلٍ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَمَنْ أَتَى دُونَهُ الْعِمَانُ فَالْحَقُورُ
 دَعَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ فَقَدْ وَلَى الشَّبَابُ وَزَارَ الشَّيْبُ وَالزُّهْرُ
 وَاذْكُرْ بَلَاءَ سُلَيْمٍ فِي مَوَاطِنِهَا وَفِي سُلَيْمٍ لِأَهْلِ الْفَخْرِ مُفْتَخِرُ
 قَوْمٌ هُمْ تَقَرُّوا بِالرَّحْمَنِ وَاتَّبَعُوا دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ
 لَا يَفْرِسُونَ فَسِيلَ الْفَخْرِ وَسُطُحَهُمْ وَلَا تَخَاوَرُ فِي مَشْتَاهِمِ الْبَقَرِ
 إِلَّا سَوَاجِحَ كَالْعِقَبَانِ مَقْرَبَةً فِي دَارَةٍ حَوْلَهَا الْأَخْطَارُ وَالْعَمَكُ
 تَدْعَى خُفَافٌ وَعَوَفٌ فِي جَوَانِبِهَا وَحَيْثُ ذَكَوَانَ لَا مِيلَ وَلَا ضَجْرُ
 الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشُّرْكِ ضَاحِيَةً بِيْطْنِ مَكَّةَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْبَتِدِرُ
 حَتَّى دَفَنَّا وَقَتْلَانَهُمْ كَأَنَّهُمْ نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْقَعِرُ
 وَنَحْنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَأَنَّا مُشْهَدُونَ لِلدِّينِ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ مُدْخَرُ
 إِذْ نَرَكِبُ الْمَوْتَ مَخْضَرًا بِطَائِنِهِ وَالْخَيْلُ بِنَجَابِ عَنْهَا سَاطِعُ كَدِيرُ
 تَحْتَ اللَّوَاءِ مَعَ الضُّعَاكِ يَقْدُمْنَا كَأَمْشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الْخَدِيرُ
 فِي مَازِقٍ مِنْ تَحْزَنِ الْحَرْبِ كَسَلِكُلْمَا نَسْكَادُ تَأْفِلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَدَرُ
 وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسٍ أَسَلَقْنَا لِلَّهِ نَفْصُورُ مَنْ شِئْنَا وَنَلْقِصُرُ
 حَتَّى تَأْوَبَ أَقْوَامٌ مَنَازِلَهُمْ لَوْلَا الْمَلِيكُ وَلَوْلَا نَحْنُ مَا صَدَرُوا
 فَمَا تَرَى مَفْشَرًا قَلُّوا وَلَا كَثُرُوا إِلَّا قَدْ أَصْبَحَ مِنَّا فِيهِمْ أَرُ
 وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ أَيْضًا :
 يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهْوَى بِهِ وَجَنَاهُ مُجْمَرَةُ الْعَنَاسِ عِرْمِيسُ

إِنَّمَا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ قَتْلَ لَهُ
يَاخِيْرَ مِنْ دَكِيبِ الْمَطِيِّ وَمِنْ مَشَى
إِنَّمَا وَفَيْنَا بِالَّذِي عَاهَدْنَا
إِذْ سَلَّ مِنْ أَفْنَاءِ بُهْتَةٍ كُلِّهَا
حَتَّى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ قَتِيْمًا
مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِنْ سُلَيْمٍ فِرْقَةٍ
يُرْوَى الْقَنَاءَ إِذَا تَجَامَرَ فِي الْوَعَى
يَفْشَى السَّكَنِيَّةَ مُطْلَمًا وَبِكَمَّةٍ
وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا
كَانُوا أُمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيْثَةً
تَمْضِي وَبِحَرْسُنَا إِلَاهُ بِحِفْظِهِ
وَلَقَدْ حُبِسْنَا بِالْمَنَاقِبِ مَحْبِسًا
وَعُدَّةَ أَوْطَاسٍ شَدَدْنَا شِدَّةً
نَدْعُو هَوَازِنُ بِالْإِخَارَةِ بَيْنِنَا
حَتَّى تَرَكَنَا جَمْعَهُمْ وَكَأَنَّهُ

حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ
فَوْقَ الزَّرَابِ إِذَا تُقَسَّدُ الْأَنْفُسُ
وَالْخَلِيلُ تُقَدِّعُ بِالْكُمَاةِ وَتُفْرَسُ
جَمْعٌ تَنْظَلُ بِهِ الْخَارِمِ تَرْجُسُ
شَهْبَاءَ يَقْدُهُهَا الْهَمَامُ الْأَشْوَسُ
بِيضَاهُ مُخَيَّمَةُ الدَّخَالِ وَقَوْنَسُ
وَتَخَالُهُ أَسَدًا إِذَا مَا يَمْبِسُ
عَظْبُ يَقْدُّ بِهِ وَلَذَنُ مِدْعَسُ
أَلْفَ أُمِدَّ بِهِ الرَّسُولُ عَرَنْدَسُ
وَالشَّمْسُ يَوْمُئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمَسُ
وَاللَّهُ لَيْسَ بِضَائِعٍ مِنْ يَحْرُسُ
رَضِيَ إِلَاهُ بِهِ فَنِعَمَ الْحَبِيسُ
كَفَّتِ الدَّوَى وَقِيلَ مِنْهَا: يَا أَحْبِسُوا
كُنْدَى تَمُدُّ بِهِ هَوَازِنُ أَيْبَسُ
عَبْرٌ تَعَاقِبُهُ السَّبَاعُ مَقَرَسُ

قال ابن هشام : أنشدني خلف الأحر قوله : « وقيل منها يا أحبسوا » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

نَصَرَ نَارِسُولَ اللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ بِأَلْفِ كَمَى لَا تُقَدُّ حَوَاسِرُهُ

حَمَلْنَا لَهُ فِي عَامِلِ الرَّمْحِ رَايَةً يَذُودُ بِهَا فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ نَاصِرُهُ
وَنَحْنُ خَضَبُنَاهَا دَمًا فَهُوَ لَوْنُهَا غَدَاةَ حَنِينٍ يَوْمَ صَفْوَانٍ شَاجِرُهُ
وَكُنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ مَيِّمَةً لَهُ وَكَانَ لَنَا عَقْدُ الْأَوَاءِ وَشَاهِرُهُ
وَكُنَّا لَهُ دُونَ الْجُنُودِ بِطَانَةً يُشَاوِرُنَا فِي أَمْرِهِ وَنُشَاوِرُهُ
دَعَانَا فَسَمَانَا الشُّعَارَ مُقَدِّمًا وَكُنَّا لَهُ عَوْنًا عَلَى مَنْ يُبَاكِرُهُ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ وَاللَّهُ نَاصِرُهُ

قال ابن هشام : أنشدني من قوله : « وكُنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ » إلى آخرها ،
بعضُ أهل العلم بالشعر ، ولم يعرف البيت الذي أوتاه : « حملنا له في عامِلِ
الرمح راية » . وأنشدني بعد قوله : « وكان لنا عقدُ الأواء وشاهرُهُ » ،
« ونحن خضبناه دماً فهو لونه » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

مَنْ مُبْلِغِ الْأَقْوَامِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الْإِلَهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَّمَا
دَعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَحْدَهُ فَأَصْبَحَ قَدْ وَفَّى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا
مَرَيْنَا وَوَاعَدْنَا قَدْ يَدَا مُحَمَّدًا بَوَّءَ بِنَا أَمْرًا مِنَ اللَّهِ مُحْكَمًا
تَمَارَوْا بِنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا مَعَ الْفَجْرِ فَنِيَامًا وَغَابًا مُقَرَّمَا
عَلَى الْخَلِيلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَا دُرُوعُنَا وَرَجُلًا كَدْفَاعِ الْأَيْتِ عَرْمَرَمَا
فَإِنْ سَرَا الْحَيَّ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا سَلِمْتَ وَفِيهِمْ مِنْهُمْ مَنْ تَسَلَّمَا
وَجَنْدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَخْذُلُونَهُ أَطَاعُوا فَمَا يَفْصُوهُ مَا تَكَلَّمَا

فَإِنْ تَكُ قَدْ أَمَرْتَ فِي الْقَوْمِ خَالِدًا
نَجْدًا هَدَاهُ اللَّهُ أَنْتَ أَمِيرُهُ
حَلَفْتُ يَمِينًا بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ
وَقَالَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقَدَّمُوا
وَبَنَّا بَنِي الْمُسْتَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ
أَطْعَمْنَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ
بِعِزِّ الْحِصَانِ الْأَبْلَقِ الْوَرْدِ وَسَطِهِ
سَمَوْنَا لَهُمْ وَرَدَ الْقَطَا زَفَّهُ ضَحَى
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى تَرَ كُنَّا عَشِيَّةً
إِذَا شِئْتَ مِنْ كُلِّ رَأَيْتَ طَيْرَةً
وَقَدْ أَحْرَزْتَ مَنَّا هَوَازِنُ مَرَبِّهَا

وَقَدَّمْتَهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَا
تُصِيبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا
فَاكْمَلْتُهَا أَلْفًا مِنَ الْخَلِيلِ مُلْجَمًا
وَحُبًّا إِلَيْنَا أَنْ نَسْكَونَ الْمُقَدَّمَا
بَنَا الْخَوْفُ إِلَّا رَغْبَةً وَتَحْزُمَا
وَحَتَّى صَبَحْنَا الْجَمْعَ أَهْلَ يَلْمَلَمَا
وَلَا يَطْمَئِنُّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسَوَّمَا
وَكُلَّ تَرَاهُ عَنْ أَخِيهِ قَدْ احْجَمَا
حُنَيْنًا وَقَدْ سَالَتْ دَوَافِقُهُ دَمًا
وَفَارَسَهَا يَهْوَى وَرُحْمَا مُحْطَمَا
وَحُبًّا إِلَيْهَا أَنْ نَخِيبَ وَتُحْزَمَا

شعر ضمضم في يوم حنين

قال ابن إسحاق : وقال ضَمْضَمُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ جُشَمِ بْنِ عَبْدِ بْنِ حَبِيبِ
ابْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ بَقَطَةَ بْنِ عَصِيْمَةَ السَّلْمِيِّ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ ، وَكَانَتْ ثَقِيفُ
أَصَابَتْ كِنَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الشَّرِيدِ ، فَقَتَلَ بِهِ مِجَنَّمًا وَابْنَ عَمِّ لَهُ ،
هُمَا مِنْ ثَقِيفٍ :

نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَلِيلَ مِنْ غَيْرِ تَجَلَّبَ
نُقَلُّ أَشْبَالَ الْأَسُودِ وَنَبْتَنِي
إِلَى جُرُشٍ مِنْ أَهْلِ زَبْيَانَ وَالْقَمِ
طَوَاغِي كَانَتْ قَبْلَنَا لَمْ تُهْدَمْ

فإن تَقْضُوا بَابِن الشَّرِيدِ فإِنِّي
أَبَاتُهُمَا بَابِن الشَّرِيدِ وَغَرَّة
نُصِيبُ رَجَالًا مِنْ تَقِيفِ رِمَاحُنَا
وَقَالَ ضَمَنَ بِن الْحَارِثِ أَيْضًا :

أَبْلُغْ لَدَيْكَ ذَوِي الْحَلَالِ آيَةً
بَعْدَ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَةِ بَيْتِهَا
لَمَّا رَأَتْ رَجُلًا لَا تَسْفَعُ لَوْنَهُ
مُشْطَ الْعِظَامِ تَرَاهُ آخِرَ كَلِيلِهِ
إِذَا لَا أَزَالَ عَلَى رِحَالِهِ نَهْدَةً
يَوْمًا عَلَى أَثَرِ النَّهَابِ وَتَارَةً
وَزُهَاءَ كُلِّ خَيْمَةٍ أَزْهَقَتْهَا
كَيْمَا أَغْيَرَ مَا بَهَا مِنْ حَاجَةٍ

لَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ ذَاتَ خِيَارٍ
قَدْ كُنْتُ لَوْ لَيْتَ الْغَزَى بِدَارٍ
وَعَرُّ الْمَصِيفَةِ وَالْعِظَامِ عَوَارِي
مُنْتَسِرِبِلَا فِي دِرْعِهِ إِفْوَارٍ
جُرْدَاءَ مُنْجَحِقٍ بِالنَّجَادِ إِزَارِي
كُتِبَتْ مُجَاهِدَةً مَعَ الْأَنْصَارِ
مَهَلًا تَمَهَّلَهُ وَكُلَّ خَبَارٍ
وَتَوَدُّ أَنِي لَا أُوَوِّبُ فُجَارٍ

رثاء أبي خراش لابن المعجوة

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة ، قال : أسير زهير بن المعجوة الهذلي .
يوم حنين ، فكتف ، فرآه جميل بن مغمّر الجمعي ، فقال له : أنت للماشي .
لنا بالمعابض ؟ فضرب عنقه ؛ فقال أبو خراش الهذلي يرثيه ، وكان ابن عمه :

عَجَفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَغْمَرٍ بَذَى فَجَرَ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ

طوبل نجاد السيف ليس بجيدر
تسكاد يدها تسلمان إزاره
إلى بيته بأوى الضربك إذا شتا
تروح مقروراً وهبت عشيّة
فما بال أهل الدار لم يتصدّعا
فأنقم لو لافيته غير مؤثّق
وإنك لو واجهته إذ أقيمه
لظلّ جميل أخشّ النجوم صرّة
فليس كعميد الدار بآثم ثابت
وعاد الفتى كالشّيخ ليس بفاعل
وأصبح إخوان الصفاء كأنما
فلا تحسبي أنّي نسيت لياليا
إذ الناس ناس والبلاؤ بغيرة
إذا اهتز واسترخت عليه الحائل
من الجود لماً أدلّقت الشّمال
ومستفبح بالي الدريسين عائل
لها حدب تحمّته فيوائل
وقد بان منها اللوذعي الخلاجل
لأبك بالنعف الضباع الجيائل
فنازله أو كنت ممن يُنازله
ولكن قرّن الظهر للمرء شاغل
ولكن أحاطت بالرفاب السلاسل
سوى الحق شيئاً واستراح العواذل
أهال عليهم جانب التّربّ هائل
بمكة إذ لم نعد عمّا نحاول
وإذ نحن لا تُثنى علينا المدخل

ابن عوف يعتذر عن فراره

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره :
مَمَّعَ الرَّفَادَ فَمَا أَعْمَضُ سَاعَةً نَعَمَ بِأَجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُخَضَّرَمَ
سَائِلَ هَوَازِنَ هَلْ أَضْرُّ عَدُوَّهَا وَأَعَيْنُ غَارِمَهَا إِذَا مَا يَغْرَمُ
وَكَتَبْتِهَا لَبَسْتُهَا بَكْتَبْتِهَا فَتَمْتِنُ مِنْهَا حَاسِرٌ وَمُلَاقَمُ

وَمُقَدِّمٌ تَغْيَا الثُّفُوسُ لَضِيْقِهِ قُدِّمَتْهُ وَشُهُودُ قَوْمِي أَعْلَمُ
فَوَرَدَتْهُ وَتَرَكَتُ إِخْوَانًا لَهُ يَرِدُونَ غَمْرَتَهُ وَغَمْرَتُهُ الدَّمُ
فَإِذَا انْجَلَّتْ غَمْرَاتُهُ أَوْزَنْتَنِي مَجْدَ الْحَيَاةِ وَمَجْدَ غُفْمٍ يُقَسِّمُ
كَلَّفْتُمُونِي ذَنْبَ آلِ مُحَمَّدٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَنْ أَعَقُّ وَأُظْلَمُ
وَخَذَلْتُمُونِي إِذَا أَقَاتِلُ وَاحِدًا وَخَذَلْتُمُونِي إِذَا تُقَاتِلُ خَنَقَمُ
وَإِذَا بَنَيْتُ الْمَجْدَ يَهْدِمُ بَعْضُكُمْ لَا يَسْتَوِي بَانٍ وَآخِرُ يَهْدِمُ
وَأَقْبَ مِخْطَاصِ الشِّتَاءِ مُسَارِعُ فِي الْمَجْدِ يَنْمَى لِلْعُلَى مُتَكَرِّمُ
أَكْرَهْتُ فِيهِ أَلَّةَ يَزْنِيَّةٍ سَجَاءُ يَقْدُمُهَا سِنَانُ سَدَجَمُ
وَتَرَكَتُ حَنْتَهُ تَرُدُّ وَلِيهِ وَتَقُولُ لَيْسَ عَلَيَّ فُلَانَةٌ مُقَدَّمُ
وَنَصَبْتُ نَفْسِي لَارْمَاحِ مُدَجَّجًا مِثْلَ الدَّرِيثَةِ تُسْتَحَلُّ وَتُشْرَمُ

هوازن يذكر إسلام قومه

قال ابن إسحاق : وقال قائل في هوازن أيضاً ، يذكر مسيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أَذْكُرُ مَسِيرَهُمْ لِلنَّاسِ إِذَا جَعَمُوا وَمَالِكُ فَوْقَهُ الرَّاياتُ تَخْتَفِقُ
وَمَالِكُ مَالِكُ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَيْهِ النَّاجُ يَأْتِلِقُ
حَتَّى لَقُوا الْبَاسَ حِينَ الْبَاسِ يُقَدِّمُهُمْ عَلَيْهِمُ الْبَيْضُ وَالْأَبْدَانُ وَالْدَّرَقُ
فَضَارَبُوا النَّاسَ حَتَّى لَمْ يَرَوْا أَحَدًا حَوْلَ النَّبِيِّ وَحَتَّى جَنَّهُهُ الْفَسَقُ

مُتَّ نَزَلَ جَبْرِيلُ بَنَفْسِهِمْ مِنْ السَّمَاءِ فَهَزَمُوا وَمُتَّ نَقِ
مَنَا وَلَوْ غَيْرُ جَبْرِيلَ يُقَاتِلُنَا لَمُنَعْتُنَا إِذَنْ أَسْيَأُنَا الْعُقُقُ
وَقَاتِنَا عَمْرَ الْفَارُوقِ إِذْ هَزَمُوا بَطْمَنَةً بَلَّ مِنْهَا سَرْجُهُ الْعَاقُ

جشمية ترى أخويها

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي جُشَمٍ تَرَى أَخَوَيْنِ لَهَا أُصِيبَا يَوْمَ حَنْبِنِ :
أَعْيَنِي جُودًا عَلَى مَالِكٍ مَعَا وَالْمَلَاءِ وَلَا تَجْمُدَنَّ
هُمَا الْقَاتِلَانِ أَمَا حَامِرٍ وَقَدْ كَانَ ذَا هَبَّةٍ أَرْبَدَا
هَما تَرَكَاهُ لَدَى مُجَسَّدٍ يَنْوِي تَزِينَا وَمَا وَسَّدَا

أبو نواب يهجو قريشاً

وَقَالَ أَبُو نَوَابٍ زَيْدُ بْنُ صُحَّارٍ ، أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ :
أَلَا هَلْ أَتَاكَ أَنْ غَلَبْتَ قُرَيْشٌ هَوَازِنَ وَالْخَطُوبُ لَهَا شُرُوطُ
وَكُنَّا يَا قُرَيْشَ إِذَا غَضِبْنَا يَحْيَى مِنَ الْغَضَابِ دَمٌ عَبِيطُ
وَكُنَّا يَا قُرَيْشَ إِذَا غَضِبْنَا كَأَنَّ أَنْوَفَنَا فِيهَا سَعُوطُ
فَأَضْبَحْنَا نُسُوقُنَا قُرَيْشٌ سِيَاقَ الْعِيرِ يَخْدُوهَا النَّبِيطُ
فَلَا أَنَا إِنْ سُمِّلْتُ الْخَسْفَ آبٍ وَلَا أَنَا أَنْ أَلِينَ لَهُمْ نَشِيطُ
سَيُنْقَلُ لَحْمُهَا فِي كُلِّ فَجٍّ وَتَسَكَّتَبَ فِي مَسَامِعِهَا الْقَطُوطُ

وَيُرْوَى «الخطوط» ، وهذا البيت في رواية أبي سعد .

.....

قال ابن هشام : ويقال : أبو ثواب زياد بن ثواب . وأنشدني خلف الأحمر قوله : « يحيى من الفضاب دم عبيط » وآخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق .

ابن وهب يرد على ابن أبي ثواب

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بني تميم ، ثم من بني أسيد ، فقال :

بشرط الله نضرب من لقينا كأفضل ما رأيت من الشروط
وكفنا ياهوازن حنين نلقى نبلى الهام من علق عبيط
يجمعكم وجمع بني قسي نحك البرك كالورق الخبيط
أصبنا من سرائكم وملنا بقعل في المباين والخليط
به الملتأت مفترش يديه يمجج الموت كالسكر الفحيط
فلان تك قيس عيلان غضاباً فلا ينفك يرغمهم سموطى

شعر خديج في يوم حنين

وقال خديج بن العوجاء النضري :

لما دنونا من حنين ومائه رأينا سواداً منكراً اللون أخصفا
بلمومة شهباء لو قد فوا بها شمرايح من عزوى إذن عاد صففا
ولو أن قومي طوعتني سرائهم إذن ما لقينا العارض المتكسفا
إذن ما لقينا جند آل محمد ثمانين ألفاً واستمدوا بخدفا

.

ذكر غزوة حنين

وَحُنَيْنٌ الَّذِي عُرِفَ بِهِ الْمَوْضِعُ هُوَ : حُنَيْنٌ بْنُ قَانِيَةَ بْنِ مِهْلَإِيلَ^(١)
كَذَا قَالَ الْبَكْرِيُّ ، وَقَدْ قَدِمْنَا أَنَّهُ قَالَ فِي خَيْرٍ مِثْلَ هَذَا أَنَّهُ ابْنُ قَانِيَةَ ،
فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

من البراءة النبوية :

ويقال لها أيضاً غَزْوَةُ أُوطَاسٍ سَمِيَ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ الْوَقْعَةُ وَهُوَ
مِنْ وَطَسَتْ الشَّيْءَ وَطَسًا إِذَا كَدَرْتَهُ ، وَأَثَرَتْ فِيهِ . وَالْوَطِيسُ : نُقْرَةٌ فِي حَجَرٍ
تَوْقَدُ حَوْلَهُ النَّارُ ، فَيَطْبَخُ بِهِ الْأَحْمَمُ ، وَالْوَطِيسُ التَّنُورُ ، وَفِي غَزْوَةِ أُوطَاسٍ
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْآنَ حَجَى الْوَطِيسُ^(٢) ، وَذَلِكَ حِينَ اسْتَعَرَتْ
الْحَرْبُ ، وَهِيَ مِنَ السَّكَلِمِ الَّتِي لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَفَنَهَا هَذِهِ ،
وَمِنْهَا : مَاتَ حَتَفَ أَنْفِهِ ، قَالَهَا فِي فَضْلِ مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ ، قَالَ : ابْنُ عَتِيكَ : وَمَا سَمِعْتُ هَذِهِ السَّكَلِمَةَ بِعَنِي :
حَتَفَ أَنْفِهِ مِنْ أَحَدِ الْعَرَبِ قَبْلَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمِنْهَا لَا يُلْدَغُ
الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ^(٣) قَالَهَا لِأَبِي عَزَّةَ الْجُمَحِيُّ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقَدْ مَضَى
حَدِيثُهُ .

(١) فِي الْبَكْرِيِّ : قَانِيَةُ بْنُ مِهْلَإِيلَ .

(٢) قِيلَ ابْنُ الْوَطِيسِ - غَيْرُ التَّنُورِ - لِأَنَّهُ الضَّرَابُ فِي الْحَرْبِ . وَالْوَطِيسُ
الَّذِي يَطَسُ النَّاسَ أَيْ يَدْفَعُهُمْ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ حِجَارَةٌ مَدْرُورَةٌ إِذَا حَمَيْتَ لَمْ
يَقْدِرْ أَحَدٌ بِطَوْرٍ مَا . وَقَدْ عُبِّرَ بِهِ عَنْ اشْتِدَاكِ الْحَرْبِ وَقِيَامِهَا عَلَى سَاقٍ .

(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
« السُّيُوطِيُّ » .

ومنها : لا يَنْتَطِحُ فيها عِزْرَان ، وسيأتى سببهما .

ومنها : قوله عليه السلام : يا خَيْلَ اللَّهِ اِزْكَبِي ، قالها يوم حُسَيْنٍ أيضاً في حديث خَرَجَهُ مُسْلِمٌ ، وقال الجاحظ في كتاب البيان عن يُونُسَ بن حبيب : لم يَبْلُغْنَا من روائع الكلام ما بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) ، وغلط في هذا الحديث ، ونُسِبَ إلى التَّضَحُّيفِ ، وإنما قال القائل : ما بلغنا عن النَّبِيِّ ، يريد عثمان النَّبِّيَّ ^(٢) فصَحَّفه الجاحظُ ، قالوا : والنبي - صلى الله عليه وسلم - أَجَلٌ من أن يخلط مع غيره من الفُصَّحاء ، حتى يقال : ما بلغنا عنه من الفصاحة أكثر من الذي بلغنا عن غيره ، كلامه أَجَلٌ من ذلك ، وأهمل ، صلوات الله عليه وسلامه .

ابن الصمة والخنساء :

فصل : وذكر دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ الْجُشَمِيُّ أَحَدَ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ ، وفيه تقول الخنساء حين خطبها : ما كنت تاركةً بَنِي عَمِي ، كأنهم صُدُورُ الرِّماحِ ومِمراتُ شَيْخَانِ من بَنِي جُشَمِ ^(٣) ، وهو دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ بْنِ بَكْرِ

(١) في البيان : ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم د ص ١٨ > ٢ البيان والتبيين ط ١٩٤٨ .

(٢) نسبة إلى بت موضع بنو حاحي البصرة . رأى عثمان أنساً وروى عن الحسن البصري .

(٣) العبارة في الأغاني في ترجمة دريد بن الصمة : يا أبت أتراني تاركة بني عَمِي مثل عوالي الرماح ، وناكحة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غد ، وفي الإصابة : د أدع بني عَمِي الطوال مثل عوالي الرماح ، وأنزوج شيخاً .

ابن علقمة بن خُزاعة بن غزيرة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ،
يكنى أبا قرّة ، ويروى عن ابن إسحاق من غير رواية زياد يقال : كان يومئذ
ابن ستين ومائة ، وروى أبو صالح كاتب الليث عن الليث قال : كان دُرَيْدُ
يومئذ ابن عشرين ومائة .

وقوله : في شجاره ، الشَّجَارُ : مثل اليهودج ، وفي العين : للشَّجَارُ خَشَبُ
اليهودج .

وقوله : فَأَنْقَضَ بِهِ ، أى : صَوَّتْ ، بلسانه في فيه من النقيض ، وهو
الصوت ، وقيل : الإنقاضُ بالإضْماعِ الوُسْطَى والإِنْهَامُ ، كأنه يدفع بهما شيئاً
وهو معنى قول البرقي .

وقوله : راعى ضأن ، يُجَهِّلُهُ بذلك ، كما قال الشاعر :
أَصْبَحْتُ هُزْءَ الرَّاعِي الضَّانَ أَحَبُّهُ ماذا يُرِيْبُكَ مِنِّي رَاعِي الضَّانِ
وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لرجل : قم فما نَفَعَكَ صَدَاغُ
ولا راعى ضأن . والذَّرْبُ في اللغة : تصغير أَدْرَدَ ، وهو تصغير الترخيم ، والصَّمَّةُ :
الشجاع ، وجمعه : صَمَمٌ .

مالك بن عوف وابن مردد :

وذكر مالك بن عوف النَّضْرِيَّ رئيس المشركين يوم حَنْزَلٍ ، وهو
مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يَرْبُوع بن وائلة بن دُهْمَان بن أنصر
ابن معاوية بن بكر بن هوازن النَّضْرِيَّ .

وذكر بعث النبي ﷺ - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن أبي حذرد عينا
إلى هوازن ، وهو عبد الله بن سلامة بن سعد ، وسلامة هو أبو حذرد ،
وهو من بني هوازن بن أسلم بن أفضى بن حارثة ، وهم إخوة الأوس
والخزرج ، أعنى بنى أسلم بن أفضى ، مات عبد الله سنة إحدى وسبعين ، وهو
العام الذى قتل فيه مصعب بن الزبير .^(١) شهد ابن أبي حذرد مع النبي -
صلى الله عليه وسلم - الحديبية ، وما بعدها ، وفاته ما كان قبل ذلك .

مول قصيدة عباس النونية :

وذكر شعر عباس وفيه :

أصابَتِ العامَ رَعْلًا

وهى قبيلة من سليم ، وفى الحديث : قَتَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
شَهْرَينَ يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكَوَانَ وَعُصَيَّةَ ، وهم الذين غدروا بأصحاب
بئر معونة .

وقوله :

خَيْلُ ابْنِ هَوْذَةَ لَا تُنْهَى وَإِنْسَانُ

إِنْسَانُ : قبيلة من قيس ، ثم من بنى نصر ، قاله البرقى ، وقيل : هم من بنى
جشم بن بكر ، ومن بنى إنسان : شَيْطَانُ بْنُ مُدْأَجٍ صاحب حميدة^(١) وهى

(١) فى الامثال للبديانى : حميدة . وقد قال شيطان يذكر شومها .

فَغَرَسَ لَهُ تَضَرَّبَ بِهَا الْعَرَبُ الْمَثَلَ فِي الشُّؤْمِ ، فَيُقَالُ أَشْأَمُ مِنْ حَمِيدَةٍ ، وَسَبَبَ ذَلِكَ خَبَرُ يَطُولُ ، ذَكَرَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْأَمْثَالِ .

سمر ودرهمان :

وسعدٌ ودُهمانُ ابنا تَصَرَّ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ بَكْرٍ ، كَذَا وَجَدْتُهُ فِي بَعْضِ الْمَعْلُقاتِ ، وَالْمَعْرُوفُ فِي قَيْسٍ : دُهمانُ بنُ أَشْجَعِ بنِ رَبِيعِ بنِ غَطَفَانَ وَالِدِ تَصَرَّ ابنِ دُهمانِ الَّذِي عاشَ مائةَ وَتَسْعِينَ سَنَةً ، حَتَّى تَقُومَ ظَهْرُهُ بَعْدَ انْحِفَاءِ ، وَأَسْوَدَ شَعْرُهُ بَعْدَ أَبْيَضَاضِهِ ، فَكَانَ أَعْجُوبَةً فِي الْعَالَمِ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لِتَصَرَّ بنِ دُهمانِ الْهَنْئِيدَةِ عاشِمَا وَتَسْعِينَ حَوْلًا ثُمَّ قَوْمٌ فَأَنْصَانَا
وَعَادَ سِوَادُ الرَّأْسِ بَعْدَ أَبْيَضَاضِهِ وَلَكِنَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قَدْ مَانَا^(١)

وَمَنْ ذَكَرَ هَذَا الْخَبَرَ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارُقُطَنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَحُنَيْنٌ : اسْمُ جَبَلٍ ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ : أَنْ تَجِدَ مَنْ رَأَى حُنَيْنًا .

وَقَوْلُهُ : مِمَّا يَشْتَوِي حَذَفٌ . الْحَذَفُ : غَمٌّ سَوْدٌ صِفَارٌ تَكُونُ بِالْيَمَنِ ، وَفِي الْحَدِيثِ سَوَّادُ صُفُوفِكُمْ ، لَا تَخْلُدُكُمْ الشَّيَاطِينُ كَأَنَّهَا بَنَاتُ حَذَفٍ^(٢) .

(١) سَبَقَ هَذَا الشَّعْرُ ، وَالْهَنْئِيدَةُ : الْمَاتَةُ .

(٢) رِوَايَةُ أَحْمَدَ : دَسَّوْا صُفُوفَكُمْ ، وَحَادِثُوا بَيْنَ مَنَاكِبِكُمْ ، وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ ، وَسَدُّوا الْخَلْلَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِيهَا بَيْنَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْحَذَفِ ، وَقَالَ الْمُنْذَرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ فِي بَابِ دَسَّ عَلَى تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ ، وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمَرَ ، وَأَخْرَجَا نَحْوَهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ .

يعنى فى العَصْفُ فى الصلاة ، هـكذا قال البرقى فى تفسير هذا البيت ، والذى أراد الشاعر : إنما هو رَجُلٌ ، فلهله كان يسمى بِحَذَفٍ ، وَلَحَذَفُ هِىَ النَّمَمُ السُّودُ التى ذكرنا .

وقوله :

كُلُّ شِوَاءِ الْعَيْرِ جُوفَانُ^(١)

يقال : إنه سُوى له غُرْمُولُ حِمَارٍ ، فأكله فى الشَّوَاءِ فوجده أَجُوفَ ، وقيل له : إنه القُنبُ ، أى : وعاء القَضِيبِ ، فقال : كُلُّ شِوَاءِ الْعَيْرِ جُوفَانُ ، فُضِرَبَ هذا الكلامُ مَثَلًا ، وقيل : كان فَزَارِيٌّ وَتَغْلِيٌّ رَكْلَبِيٌّ اجتمعوا فى سَفَرٍ ، وقد اشْتَرَوْا حِمَارَ وَحْشٍ ، فغاب الفَزَارِيُّ فى بعض حاجاته ، فأكل صاحبه العَيْرَ واختَبَأَ له غُرْمُولَهُ ، فلما جاء قال له : هذا خَبُونَا لَكَ ، فجعل يأكل ، ولا يُسِغُهُ ، فضحكَا منه ، فاخترط سَيْفُهُ ، وقال : لا قَمَلْتُكُمَا إِنْ لَمْ تَأْكُلَاهُ ، فأبى أَحَدُهُمَا فضربه بالسيف ، فأبان رأسَهُ ، وكان اسمُهُ : مِرْقَمُهُ ، فقال صاحِبُهُ طَاحَ مِرْقَمُهُ ، فقال الفَزَارِيُّ ، وأنت إِنْ لَمْ تَلْقَمَهُ أَرَادَ : تَلْقَمُهَا ، فَطَرَحَ حَرَكَهَ الهاء على الميم ، وحذف الألف كما قد قيل فى الحيرة .

أى رجال به أى بها ، وقد عيرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة :

لا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ ، واكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ
لا تَأْمَنَنَّهْ وَلَا تَأْمَنْ بَوَائِقَهُ بَعْدَ الَّذِي أَمْتَلَّ أَيْزَ الْعَيْرِ فِي النَّارِ

(١) يضرب فى تساوى الشئ فى الشرارة ، والمثل فى بجمع الامثال للبيداني ولكن ليس فيه القتل الذى سيذكر ، وفيه الرجال : عبسى وفزاري وغطفاني .

أَطْعَمْتُمُ الضَّيْفَ غُرْمُولًا مُخَاَنَلَةً فَلَا سَقَامَ كُمْ إِلَهِي الْخَالِقُ الْبَارِي
من كتاب الأمثال للأصبهاني . فهذا الفزاري هو حَدَفُ المذكور
في البيت ، والله أعلم .

وقوله :

وَالْأَجْرَبَانِ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ
سماهما بالأجربين تشبيهاً بالأجرب الذي لا يُقَرَّبُ ، وقال مجذومٌ من
العرب :

بَأَيِّ فِعَالٍ رَبٌّ أَوْتَيْتُ مَا أَرَى أَظَلُّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ أَجْرَبُ
أى : يُفَرِّقُنِي ، وفي الخبر أن عمر لما نهى الناسُ عن مُجَاسَسةِ صَبِيغِ بن
عَسَلٍ كان كُلُّمَا حَلَّ موضعاً تَهَرَّقَ الناسُ عنه كأنه بعيرٌ أَجْرَبٌ ^(١) ، ومن

(١) في القاموس : عسيل بالتصغير ، وفي غيره : عسل . وقصة صبيغ مع عمر
أنه سأله عن الداربات ، ثم عن المقسمات ، ثم عن الجاريات ، فأجابه عمر ، ثم
أمر بضربه ، فضرب مائة ، وجعل في بيت ، فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى ،
وحمله على قنب ، وكتب إلى أبي موسى : امنع الناس من مجالسته ، فلم يزل كذلك
حتى أتى أبا موسى . فحلف بالآيمان المغلظة ما يجد في نفسه بما كان يجد شيئاً ،
فكتب في ذلك إلى عمر ، رضى الله عنه ، فكتب عمر : ما إخاله إلا قد صدق ،
فخل بينه وبين مجالسة الناس . ويقول للزارع عن أبي بكر بن أبي سبرة راوى
الحديث : إنه لين ، وعن سعيد بن سلام راوى الحديث عن أبي سبرة : ليس من
أصحاب الحديث : ويقول ابن كثير : الحديث ضعيف رفعه . وأقرب فيه أنه
موقوف على عمر رضى الله عنه ، فإن قصة صبيغ بن عمل مشهورة مع عمر ، =

فصل: وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - أين أيها الناس ؟ !
 أنا محمد ، أنا رسول الله ، وفي غير هذه الرواية :

وهو كلام موزون ، وقد تقدم الكلام في مثل هذا ، وأنه ليس بشعر حتى يقصد به الشعر . وللخطابي في كتاب الأعلام تنبيه على قوله : أنا ابن عبد المطلب ، قال : إنما خص عبد المطلب بالذكر في هذا المقام ، وقد انهمز الناس تشبيهاً لنبوته ، وإزالة للشك لما اشتهر ، وعرف من رؤيا عبد المطلب المبشرة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكرها ، ولما أنبأت به الأخبار والرفقاء ، فاشكوا في قول : أنا ذاك ، فلا بد مما وعِدت به لئلا ينهمزوا عنه ،

== وإنما خبره لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تمنعنا وعناداً . وأقول : وشيئاً آخر
قد يكون ارتباطاً ، أو معلولة للشك . وقد روى الحافظ ابن عساكر قصة
مسبغ مطولة .

(١) المقرضان ، واحدهما : جلم ، والجلم : اسم يقع على الجلمين .

(٢) في رواية البخاري ومسلم .

ويظنوا أنه مقتول ومغلوب ، فالله أعلم أ أراد ذلك رسوله أم لا .

شَيْبَةُ وَمَحَاوِرُ قَتْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وذكر قصة شَيْبَةَ بْنِ عُمَانَ حِينَ أَرَادَ قَتْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
قَالَ لِحَاجَةٍ شَيْءٌ ، حَتَّى تَمُوتَ فَوَادِي ، وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْخَبِيرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ
فِي تَارِيخِهِ ، قَالَ شَيْبَةُ : الْيَوْمَ أَخَذَ بِنَارِي ، فَجِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
خَلْفِهِ ، فَلَمَّا تَهَمَّتُ بِهِ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقٌ مِنْ نَارٍ وَسُورٌ مِنْ حَدِيدٍ ، قَالَ :
فَالْتَفَتَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَبَسَّمَ ، وَعَرَفَ الَّذِي أَرَدْتُ ،
فَسَحَّ صَدْرِي ، وَذَهَبَ عَنِّي الشُّكُّ ، أَوْ كَمَا قَالَ ، ذَهَبَ عَنِّي بَعْضُ أَنْفَاطِ
الْحَدِيثِ ^(١) .

أُمُّ سَلِيمٍ وَالْفَرَارُ بِرُومٍ هُنَيْنٍ :

وذكر أُمُّ سَلِيمٍ وَهِيَ مَلِيكَةُ بِنْتُ مِلْحَانَ ، وَقَالَ فِي اسْمِهَا رُمَيْلَةٌ ،
وَيُقَالُ : سُهَيْلَةٌ ، وَتَعْرِفُ بِالْأُنْمِصَاءِ وَلِلْأُنْمِصَاءِ لَرَمٍ كَانَ فِي عَيْنَيْهَا ،
وَأَبُو طَلْحَةَ بَعْلُهَا هُوَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ حَرَامٍ وَهُوَ الْقَاتِلُ :

(١) فِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ قَالَ شَيْبَةُ : فَذَهَبَتْ لِأَجِيئَتِهِ عَنْ يَمِينِهِ فِإِذَا بِالْعَبَّاسِ
ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَائِمٍ عَلَيْهِ دَرْعٌ بَيْضَاءُ كَأَنَّمَا أَضْءُ يَنْكَشِفُ عَنْهَا الْهَجَاجُ ، فَقَالَتْ :
عَمَهُ وَلَنْ يَخْذُلَهُ ، قَالَ : ثُمَّ جِئْتُهُ عَنْ يَسَارِهِ فِإِذَا أَنَا بِأَبِي سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ
ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَتْ : ابْنُ عَمَةٍ وَلَنْ يَخْذُلَهُ ، قَالَ : ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ خَلْفِهِ ، فَلَمَّ يَبْقَى
إِلَّا أَنْ أَسَاوَرَهُ سَوْرَةٌ بِالسَّيْفِ لِذَرْفَعِ شَوَاطِئِ نَارٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّهُ بَرَقَ ،
فَخَفْتُ أَنْ يَحْشَنِي ، فَوَضَعَتْ يَدِي عَلَى بَصْرِي ، وَمَشَيْتُ الْقَهْقَرَى فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ -

أَنَا أَبُو طَلْحَةَ ، واسمى : زَيْدٌ وكل يوم في سِلَاحِي صَيِّدٌ
وقول أمِّ سُلَيْمٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْتُلْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْهَزُونَ عَنْكَ .

إِنْ قِيلَ : كَيْفَ فَرَّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ
مَعَهُ مِنْهُمْ إِلَّا ثَمَانِيَةٌ ، وَالْفَرَارُ مِنَ الزَّحْفِ مِنَ الْكِبَارِ ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى
فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ مَا أَنْزَلَ . قُلْنَا : لَمْ يَجْمَعْ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْكِبَارِ إِلَّا فِي يَوْمٍ
بَدْرٍ ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ وَنَافِعٌ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ يَدُلُّ
عَلَى هَذَا ، فَإِنَّهُ قَالَ : ﴿ وَمَنْ يُؤْلَمْ بِيَوْمِئِذٍ دُبْرَهُ ﴾ فَيَوْمِئِذٍ إِشَارَةٌ إِلَى
يَوْمٍ بَدْرٍ ، ثُمَّ نَزَلَ التَّحْقِيقُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِي الْفَارِسِينَ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ قَوْلُهُ :
﴿ وَاقْدِرْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلَ فِي يَوْمِ حَنْزَلِينَ : ﴿ وَيَوْمَ حَنْزَلِينَ
إِذَا عَجَبْتَكَمْ كَثَرْتُكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ سَلَامٍ :
كَانَ الْفَرَارُ مِنَ الزَّحْفِ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْكِبَارِ ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ مِنَ الْكِبَارِ
فِي مَلْحَمَةِ الرُّومِ الْكُبْرَى ^(١) ، وَعِنْدَ الدَّجَّالِ ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَنْهَزِينَ عَنْهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ رَجَعُوا لِحَيِّهِمْ ، وَقَاتَلُوا مَعَهُ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

== صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : يَا شَيْبَ ادْنِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنْهُ الشَّيْطَانَ ،
قَالَ : قَرَفَتْ إِلَيْهِ بَصْرِي وَلَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سَمْعِي وَبَصْرِي ، فَقَالَ : يَا شَيْبَ قَاتِلِ
الْكُفَّارَ .

لَا (١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى
يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ ، فَيُخْرِجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ
الْأَرْضِ يَوْمِئِذٍ ، فَإِذَا تَصَافَوْا قَاتَلَ الرُّومُ : خَلَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْنَا
نَقَاتَلَهُمْ ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : لَا وَاللَّهِ لَا نَخْلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا ، فَيَقَاتِلُونَهُمْ ==

مول رجز مالك :

وقول مالك في رَجَزِهِ :

قد أظعن الطَّفَنَةَ تَقْذِي بالسَّيْرِ

== فينهرزم تلك لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح ثلاث لا يرتون أبداً . فيفتحون قسطنطينية . فيبناهم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلاصكم في أهليكم ، فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا ج'وا الشام خرج ، فيبناهم يطدون لاقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى بن مريم ، فأمرهم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لا نذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده ، فيريهم دمه في حربته . مسلم .

وفي مسلم نفسه ولكن عن عبد الله بن مسعود أن ملحمة الروم تكون بين أهل الشام وبين الروم ، وأن المعركة تستمر أربعة أيام ، وأن صريخ الدجال يجيئهم ، فيترك المسلمون ما بأيديهم .

وفي مسلم نفسه أن صريخ الدجال يظهر حين يغزو سبعون ألفاً من بني إسحاق مدينة جانب منها في البر ، وجانب منها في البحر وأن هؤلاء السبعين ألفاً تقابلونها بغير سلاح !!

وعند أبي دأود عن معاذ : عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ، وفتح قسطنطينية خروج الدجال .

وفي رواية لأبي دأود والترمذي ، الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر .

وفي رواية لأبي داود أن المسلمين نبيصا لحوون الروم ، وأن الروم والمسلمين يغزون معاً عدواً ، وأن نصرانياً سيصيح : غلب الصليب . فيغضب رجل من المسلمين ، ==

(١٤٢ — الروض الأخرى ٧٠)

السُّبْرُ : جمع سابر ، وهو القَتِيلُ الّٰى يُسَبَّرُ به الجُرْحُ أَيْ : يُخْبَرُ .

وقوله في الرَّجَزِ الآخر :

أُقَدِّمُ مُحَاجُّ إِنْهَا الْأَسَاوِرَةَ

وقولُ ابن هشام : هما لغير مالك في غير هذا اليوم ، يعنى يوم الفنادسية ، وكانت الدولة فيه للمسلمين على الفُرس ، والأَسَاوِرَةُ : مُلُوكُ الفرس ، وقُتِلَ في ذلك اليوم رُسُتَمُ مَلِكُهم دون المَلِكِ الأكبر ، وكان على المسلمين يومئذ سعد بن أبى وقَّاص ، وقد ذكرنا قبل : بمُسمَّيت الفنادسية .
وذكر حديث أبى قتادةَ في سَلْبِ القَتِيلِ ، قال : فاشتريت بِثَمَنِهِ تَخْرُفًا فَإِنَّهُ لَأَوَّلُ مالٍ اعتقدته ، يقال : اعتقدت مالى ، أَيْ : اتخذت منه عُمْدَةً ، كما نقول : نُبْذَةً ، أو قِطْمَةً ، والأصل فيه من العَقْد ، وأن من مَلَكَ شيئاً عَقَدَ عليه ، وأنشد أبو على [الغالى] :

ولما رأيتُ الدَّهْرَ أَنْحَتَ صُرُوفُهُ عَلَى وَأَوْدَتَ بِالذَّخَائِرِ وَالْعَمَدِ

== ويكسر الصليب ، فتغدر لروم ، وتجمع للملحمة ، ويستشهد الذين يحملون السلام من المسلمين . هكذا الروايات ، وفيها اضطراب واضح كما ترى .
ويحدثنا التاريخ أن معاوية حاول فتح القسطنطينية في سنة ٦٢٥ هـ ٦٥٥ م وأنه هزم بأسطوله العربى قسطنطين هزيمة ماحقة ، لكنه لم يدخل المدينة التى كانت عاصمة الدولة البيزنطية ، ولم تفتح القسطنطينية إلا في عهد محمد الثانى العثمانى وذلك في أواخر ٨٥٦ هـ - ١٤٥١ م أى في القرن التاسع الهجرى فلنعتصم بهدى القرآن حين تضطرب بنا الشعاب .

حَذَفْتُ فُضُولَ الْمَيْشِ حَتَّى دَدَتْهَا إِلَى الْقُوْتِ خَوْفًا أَنْ أَجَاءَ إِلَى أَحَدٍ^(١)
ويروى : كَأَنَّكُنَّه ، وَهِيَ رَوَايَةُ الْمَوْطَأِ ، وَيُقَالُ : تَخَرَّفَ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسْرِهَا ،
وَأَمَّا كَسْرُ الْمِيمِ فَإِنَّمَا هُوَ الْمَخْرَفُ ، وَهِيَ الْآلَةُ الَّتِي تَخْتَرَفُ بِهَا الْقَمَرَةُ أَيْ تُجْتَنَّبُ^(٢)
بِفَتْحِ الْمِيمِ مَعْنَاهُ الْبُشْتَانُ مِنَ النَّخْلِ ، هَكَذَا فُسِّرُوهُ ، وَفُسِّرَهُ الْحَرَبِيُّ ، وَأَجَادَ فِي
تَفْسِيرِهِ ، فَقَالَ : الْمَخْرَفُ : نَخْلَةٌ وَاحِدَةٌ أَوْ نَخْلَاتٌ بِسِيرَةٍ إِلَى عَشْرِ ، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ ،
فَهُوَ بَسْتَانٌ أَوْ حَدِيقَةٌ ، وَيَقْوَى مَا قَالَهُ الْحَرَبِيُّ مَا قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : الْمَخْرَفُ :
مِثْلُ الْخَرُوفَةِ ، وَالْخَرُوفَةُ : هِيَ النَّخْلَةُ يَخْتَرِفُهَا الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ وَلِعَمَالِهِ ، وَأَنْشُدُ :
مِثْلَ الْمَخَارِفِ مِنْ خَيْلَانٍ أَوْ هَجَرَةٍ

قَالَ : وَيُقَالُ لِلْخَرُوفَةِ : خَرِيفَةٌ أَيْضًا .

السَّبُّ لِلْفَائِلِ :

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَقْهِ أَنَّ السَّبَّ لِلْقَائِلِ حُكْمًا شَرْعِيًّا جَمَلَ ذَلِكَ
الْإِمَامُ لَهُ ، أَوْ لَمْ يَجْعَلْهُ ، وَهَذَا قَوْلُ الشَّافِعِيِّ^(٣) ، وَقَالَ مَالِكٌ : إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى

(١) بَعْدَهُمَا :

وَقَالَتْ لِنَفْسِي : ابْتَرِي وَتَوَكَّلِي عَلَى قَاسِمِ الْأَرْزَاقِ وَالْوَاحِدِ الصَّمَدِ
فَإِنْ لَا تَكُنْ عِنْدِي دِرَاهِمُ جَمَّةٍ فَمَعْنَدِي بِحَمْدِ اللَّهِ مَا شِئْتَ مِنْ جِلْدٍ
ص ١٢٧ ج ٢ الْأَمَالِيُّ لِلْقَالِي . وَقَدْ قَالَ : أَنْشَدْنَا أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : أَنْشَدْنَا
عَبْدَ الْأَوَّلِ : قَالَ : أَنْشَدَنِي حَمَادٌ ، قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبِي لِنَفْسِهِ .

(٢) فِي الْقَامُوسِ : زَنْبِيلٌ صَغِيرٌ يَخْتَرِفُ فِيهِ أَطْيَابُ الرُّطْبِ .

(٣) وَهِيَ لِأَحَدِي الرَّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحَدٍ . وَيُرَى أَبُو حَنِيفَةَ أَيْضًا أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ إِلَّا
بِشَرَطِ الْإِمَامِ بَعْدَ الْقِتَالِ ، فَلَوْ نَصَّ قَبْلَهُ لَمْ يَجُزْ .

الإمام له أن يقول بعد مَقَمَةِ الحرب : مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَكْبُهُ^(١) ، وبكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لئلا يخالط النية غرض آخر غير احتساب نفسه لله تعالى ، وقد ذكرنا في غزوة بدر في هذه المسألة ما هو أكثر من هذا .

نزول الملائكة :

وقول جُبَيْر بن مُطْعِم : لقد رأيت مثل البجَاد ، يعني السكباء من النمل مَبْثُوثًا ، يعني رآه ينزل من السماء . قال : لم أشك أنها الملائكة ، وقد قدم ابنُ إسحاق قول الآخر : رأيت رجالا بيضا على خيل مُبْلَقِي ، وكانت الملائكة فأراهم الله لذلك الموازي على صُور الخيل والرجال ترهيبا لاسدو ، ورآهم جُبَيْر على صورة النمل المبعوث إشعارا بكثرة عددها ، إذ النمل لا يُسْتَطَاع عَدُّهَا مع أن النملة يُضْرَب بها المثل في القوة ، فيقال : أقوى من النملة ، لأنها تحمل ما هو أكبر من جِرمِها بأضعافٍ ، وقد قال رجلٌ لبعض الملوك : جعل الله قوتك قوة النملة ، فأنكر عليه ، فقال : ليس في الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلا النملة^(٢) ، وهذا المثل قد ذكره الأصبهاني في كتاب الأمثال مَقْرُونًا بهذا الخبر ، وقد أَهْلِكَ بالمثل أمة من الأمم ، وهم جُرُوم .

(١) حديث : من قتل قتيلا فله سلبه حديث منفق عليه من حديث أبي قتادة . وقد قال مالك : لم يبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا يوم حنين ، وإنما نفل النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد أن برد القتال . وللإمام ابن القيم تفصيل في منشأ النزاع في هذا الأمر وغيره فانظره ص ٥٧ ج ٢ زاد المماد .

(٢) النملة بضم النون : النيمة . وكنية النمل : أبو مشغول ، والنملة : أم نوبة .

والنملة بضم النون : النيمة . وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها . يقول =

مول قصيدة ابن مرداس :

فصل : وذكر قول عباس :

وسوف إخال يأتيك ^(١) الظهير

الفعل المستقبل هو : يأتيك ، وإن كان حرفٌ سوف داخلاً على إخال
في اللفظ ، فإن ما يدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثاني كما قال :

وما أدري وسوف إخال أدري ^(٢)

وذلك أن إخال في معنى : أظن ، وليس يريد أنه بظن فيما يستقبل ،
وإنما يريد أن يحال الآن أن سيكون ذلك ، وقوله :

فإن يهتدوا إلى الإسلام يلقوا أنوفَ الناسِ مآثرَ السَّيرِ

أنوفَ الناسِ انتصب على الحال ، لأنه نسكرة لم يتعرف بالإضافة ، لأنه
لم يرد الأنوفَ بأعيانها ، ولكن أشرفاً ، وهذا كقوله :

بمنجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ ^(٣)

= الدميري : وليس في الحيوان ما يحمل ضعف بدنه مراراً غيره ، على أنه
لا يرضى بأضعاف الأضعاف حتى إنه يتكلف حمل نوى التمر ، حياة الحيوان .
(١) في السيرة : يأتيه .

(٢) بقية البيت : أقوم آل حصن أم نساء ، وبعده :

فن في كفه منهم خضاب كمن في كفه منهم قاء

(٣) من معلقة امرئ القيس في وصف فرسه .

لأنه جملة كالقيد ، ومثله ما ذكرناه قَبْلُ في : نصب غنائم الأَبْصَارِ ، على الحال ، وليس هذا من باب ممانعه سيبويه حين قال معترضاً على الخليل : لو قلت سررت بقصير الطويل ، تريد : مثل الطويل ، لم يجز ، والذي أراده الخليل هو ما ذكرناه في غير موضع من استعارة الكلمة على جهة التشبيه ، نحو قيد الأوابد ، وأنوف الناس تريد : أشرافهم ، فنل هذا يكون وصفاً للذكورة وحالا من المعرفة ، وقد ألحق بهذا الباب : له صَوْتٌ صَوْتُ الحارِ ، على الصِّفة ، وضعفه سيبويه في الحال ، قال : وهو في الصفة أَقْبَحُ ، وإنما ألحقه الخليل بما تنكَّرَ ، وهو مضاف إلى معرفة من أجل تكرار اللفظ فيه ، فحسن لذلك .

وقوله : وَأُسَلِّمَتِ النَّصُورُ . ذكر البرقي أن النَّصُورَ هاهنا جمع : ناصر ، وليس هو عندي كذلك . فإن فاعلاً قَلَّ ما يجمع على فُعُول ، وإن مُجْمَعٌ فليس هو باقياص المُطَرِّدِ ، وإنما هم بنو تَصَرٍّ من هَوَازِن رَهْطٍ مَالِكِ بن عَوْفٍ النَّصْرِيِّ يقال لهم النَّصُورُ ، كما يقال لِبَنِي الْمُهَلَّبِ الْمُهَالِبَةُ ، وَلِبَنِي الْمُنْذِرِ : الْمُنْذِرَةُ ، وكما يقال الْأَشْعَرُونَ ، وهم بنو أَشْعَرِ بن أَدَدَ ، وَالتَّوَنِّيَّاتُ لِبَنِي تَوَيْتِ بن أَسَدَ .

صمغ أخ وابن :

وقوله : أنا أخوكم ، جمع أخاً جمعاً مسلماً بالواو والنون ، ثم حذفت النون للإضافة ، كما أشدوا :

ولما تَبَيَّنَ أصواتنا بَكَيْنَ وفَدَّيْنًا بالأَيْدِينَا^(١)

ويجوز أن يكون وَضَعَ الواحدَ موضعَ الجميع ، كما تقدم في قوله : أنتم
الوالدُ ، ونحن الولدُ .

من وصف الزبير :

وقوله في صفة الزبير : طويلُ البَدِّ ، أَمَى : الفَخْرُ ، والبَدَدُ : تباعدُ ما بين
الْفَضِيْنِ .

من أعظم القتال :

وقوله في المرأة المقتولة : أدركَ خَلِيداً ، فقل : إن رسولَ الله صلى الله عليه
وسلم ينهاك أن تقتلَ وإيداً ، أو امرأةً ، أو عَسِيفاً العَسِيفُ : الأجيرُ ، وهذا
مُنْتَبِزٌ من كتاب الله تعالى ، لأنه يقول : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ فافتضى دليلُ الخطاب ألا تُقتلَ المرأةُ إلا أن تقاتلَ ، وقد أخطأ
من قاس مَسْأَلَةَ المُرْتَدَّةِ على هذ المسألة ، فإن المرتدَّةَ لا تُسْتَرْقَى ولا تُنْسَبُ ،

(١) نقل سيديويه عن الخليل قوله : ه إن ألحقت فيه النون والزيادة التي قبلها
قلت : أبون ، وكذلك أخ تقول : أخون لا تغير البناء ، إلا أن تحدث العرب شيئاً
كما يقولون : دمون ، ولا تغير بناء القرب عن حال الحرفين لأنه بنى عليه إلا أن
تحدث العرب شيئاً ، كما بنوه على غير الحرفين ، ثم استشهد بالبيت ، وقال : إنه
جاهلي . وإن شئت كسرت ، فقلت آباء وآباء . ويقول السيرافي عن البيت إنه
لزياد بن واصل السلمي . أنظر خزائن البغدادى ص ٣٦٢ ج ٤ ط الدار الفية .

كما تُسَبِّحُ نساءَ الحربِ وذُراريهم ، فتسكون مالاَ للمسلمين ، فهي عن قَتْلِهِنَّ لذلك .

هكـم رفع اليـد في الدعاء :

وذكر فيمن استشهد أبا عامر ، واسمه : عُبَيْدُ بن سُلَيْم بن حَصَّار ، وهو عم أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، وهو الذي استغفر له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قُتِلَ رافعاً يديه جِداً ، يقول : اللَّهُمَّ اغفر لعبيد أبي عامر ثلاثاً ، وفيه من الفقه رفعُ اليدين في الدعاء ، وقد كرهه قوم ، روى عبد الله بن عمر أنه رأى قوماً يرفعون أيديهم في الدعاء ، فقال : أَوْ قَدْ رَفَعُوها ؟ قطعها الله ، والله لو كانوا بأعلى شاطئ ما ازدادوا من الله بذلك قُرْباً . وذكر لمالك أن عامراً بن عبد الله بن الزُّبَيْر كان يدعو بآثر كلِّ صلاة ، ويرفع يديه ، فقال : ذلك حَسَنٌ ، ولا أرى أن يرفعهما جِداً . وحجة من رأى الرفع أحاديث منها ما ذكرناه آنفاً ، ومنها حديث تقدم في سَرِيَّةِ الغُمَيْصَاء حين رفع النبي - صلى الله عليه وسلم - يديه ، وقال : اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بن الوليد ثلاثَ مراتٍ ولا سأل شيئاً وجهه ، فنكرهه ، فإنما كرهه الإفراط في الرفع كما كرهه رفع الصوت بالدعاء جِداً . قال صلى الله عليه وسلم : أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمٌّ وَلَا غَائِبٌ ، وهو معنى قول مالك الذي قدمناه في رفع اليدين .

الخُفَّةُ وَسَالَتِ الرُّجُومُ :

فصل : وما ذكر في غَزْوَةِ حُنَيْنٍ من غير رواية ابن إسحاق الخُفَّةُ التي

أخذا النبي صلى الله عليه وسلم من البطحاء ، وهو على بَعْلَتِهِ ، فرمى بها أوجه الكُفَّارِ ، وقال : شأنت الوجوه^(١) ، فانهزموا . والمستقبل من شأنت : تشأه ، لأن وزنه فَعِل ، وفيه أَنَّ البَغْلَةَ حَضَجَتْ به إلى الأرض حين أخذ الخفنة ، ثم قامت به ، وفسروا حَضَجَتْ ، أى : ضربت بنفسها إلى الأرض ، وأصقت بطنها بالتراب ، ومنه الحِضَاجُ ، وهو زِقٌّ مملوء قد أُسْنِدَ إلى شيء ، وأميل إليه ، والبَغْلَةُ التي كان عليها يَوْمَئِذٍ هي التي تُسَمَّى الْبَيْضَاءُ^(٢) ، وهي التي أهداها إليه قُرُوءُ بْنُ نُفَّاتَةَ ، وقد تقدم ذكر الأخرى ، واسمها : دُلْدُلٌ وذِكْرُ من أهداها إليه .

نراء أصحاب الشجرة :

وذكر نداء العباس : باممشم أصحاب السمرّة ، وكان العباسُ صَيِّتًا جَهِيرًا . وأصحاب السمرّة : هم أصحابُ بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة ، وكانت الشجرة سمرّة .

(١) في رواية لمسلم أنهم لما غشوا النبي ﷺ ، نزل عن البغلة ، ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل به وجوههم ، فقال : شأنت الوجوه فاخلق الله منهم لساناً إلا ملأت عينه تراباً تلك القبضة فولوا منهزمين . وفي رواية أخرى أنه تناول حصيات من الأرض ، وأنه لم ينزل من على البغلة . والله أعلم . (٢) عن ابن سعد وجماعة عن صفوان في السيرة أنها دلدل ، وفيه نظر ، لأن دلدل أهداها له المقوقس ، وقد روى مسلم أنه كان على بغلة له بيضاء كما ورد في الروض ولكن في مسلم أيضاً أنه كان على بغلته الشباه ، وقد زعم النووي أن البيضاء والشباه واحدة ، ولا يعرف له غيرها ، ولكن ذكر غير واحد بغلته دلدل ، غير أن ابن الصلاح زعم أن دلدل والبيضاء اسمان لبغلة واحدة .

الضحاك بن سفيان :

فصل : وذكر الضحَّاكُ بن سُفْيَانَ السِّكَلَابِيُّ ، وهو الضَّحَّاكُ بن سُفْيَانَ
ابن عَوْف بن كَعْب بن أَبِي بَكْر بن كِلَابِ السِّكَلَابِيِّ ، يكنى أبا سَعِيد ، وكان يقوم
على رأس النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - مُتَوَشِّحًا بالسَّيْف ، وكان يُعَدُّ وَحْدَهُ
بِمَائَةِ فَارِسٍ ، وكانت بنو سُلَيْمٍ يوم حُزْنِ تَسْمَانَةَ ، فَأَمَرَهُ عَلَيْهِمُ رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم ، وأخبره أَنَا قَدْ تَمَّعْتُهُمْ بِهِ أَلْفًا ، وإِيَّاهُ أَرَادَ عَبَّاسُ بْنُ
مِرْدَاسٍ بِقَوْلِهِ :

جُنْدٌ بَعَثَ عَلَيْهِمُ الضَّحَّاكَا

وقال البرقي : ليس الضَّحَّاكُ بن سفيان هذا بالسِّكَلَابِيِّ ، إِنَّمَا هُوَ الضَّحَّاكُ
ابن سُفْيَانَ السُّلَمِيُّ .

وذكر من غير رواية البُكَائِيِّ عن ابن إِسْحَاقَ نَسَبَهُ مَرْفُوعًا إِلَى بُهْشَةَ
ابن سُلَيْمٍ ، ولم يذكر أَبُو عُمَرَ فِي الصَّحَابَةِ إِلَّا الْأَوَّلَ ، وهو السِّكَلَابِيُّ ، فَاللهُ أَعْلَمُ .

قصيدة ابنه مِرْدَاسٍ الْعَيْنِيُّ :

وذكر شِعْرَ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ الَّذِي أَوَّلَهُ :

عَفَا مِجْدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فُتْمَاتِلُ

الْمِجْدَلُ : الْقَصْر ، وهو فِي هَذَا الْبَيْتِ اسْمٌ عَلَّمُ اسْكَنْ .

وفيه :

فَطَلَا أَرْبَكَ

الِطَّلُ : يُمَدُّ وَيُقَصَّر ، وهى أرض تَنْعَقِلُ لِرَجُلٍ عن الشئ ، فقيل : إنها
مِفْعَالٌ مِنَ الطَّلَى وهو الجرى يُطَالَى ، أى تُنْعَقِلُ رِجْلُهُ ، وقيل : إن المِطْلَاءَ
فَعْلَاءٌ مِنْ مَطَلْتُ إِذَا مَدَدْتُ ، وجمعه : مَطَالٌ فى الأمالى :

أَمَا تَسْأَلَانِ اللَّهَ أَنْ يَسْتَقِيَ الْحِمَى أَلَا فَسَقَى اللَّهُ الْحِمَى فَالْمَطَأُ لِيَا^(١)

وفيه :

تَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَخِينَا ، ولو نرى مَصَالًا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ نتابع
يريد أنه من بنى سُلَيْمٍ ، وسُلَيْمٌ من قَيْسٍ ، كما أن هَوَازِينَ من قَيْسٍ ،
كلاهما ابن منصور بن عَكْرِمَةَ بن خَصَدَةَ بن قَيْسٍ ، فعنى البيت : نقابل
إخوتنا ، ونذودهم عن إخوتنا من سُلَيْمٍ ، ولو نرى فى حكم الدين مَصَالًا
مُتَعَلِّقًا مِنَ الصَّوْلَةِ ، لَكُنَّا مَعَ الْأَقْرَبِينَ هَوَازِينَ :

وَلَكِنْ دِينَ اللَّهِ دِينُ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهُدَى وَالشَّرَائِعَ

وفيه قوله :

دَعَانَا إِلَيْهِ خَيْرٌ وَفَدٍ عَلَيْهِمْ خُزَيْمَةٌ وَالْمَدَارُ^(٢) مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
هَؤُلَاءِ وَفَدِ بْنِ سُلَيْمٍ وَفَدُوا عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَأَسْلَمُوا ،

(١) فى الأمالى أن هذا الشعر لرجل طلق امرأتين من أهل الحمى ص ١٩١

ج ١ ط ٢ . ومن الشعر :

وإني لآستسقى لثقتين بالحمى ولو تملكنا البحر ماسقنا نيا

(٢) فى رواية : المرار .

ثم دعوا قومهم إلى الإسلام ، فذكر فيهم المَدَّارُ السَّلْمِيُّ ، واسمُ السَّلْمِيِّ ،
وخَزِيمَةُ ، وهو خَزِيمَةُ بن جَزِيٍّ أخو حَبَّانَ بن جَزِيٍّ ، وكان الدَّارُ قُطْنِي يقول
فيه : جَزِيٌّ بكسر الجيم والزاي .

وفيها :

بَدَّ الله بين الأخشبين مُبَايَع

من قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾
أَقَامَ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقامَ يَدِهِ ، كما قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
فِي الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ : هُوَ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ^(١) ، أَقَامَهُ فِي الْمُصَافَحَةِ وَالتَّقْيِيلِ
مَقَامَ يَمِينِ الْمَلِكِ الَّذِي يَصَافِحُ بِهَا ، لِأَنَّهُ الْحَاجُّ وَافِدٌ عَلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى وَزَائِرٌ
بَيْتَهُ ، فَجَعَلَ تَقْيِيلَهُ الْحَجَرَ مُصَافَحَةً لَهُ ، وَكَأَنَّ جُعِلَتْ يَمِينُ السَّائِلِ الْآخِذَ لِلصَّدَقَةِ
الْمُتَقَبِّلَةِ يَمِينَ الرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ تَرْغِيبًا فِي الصَّدَقَةِ ، وَتَبْشِيرًا بِقَبُولِهَا ، وَتَعْظِيمًا
لِحُرْمَةِ مَنْ أُعْطِيَ لَهُ ، فَإِنَّمَا أُعْطَاهَا الْمُتَصَدِّقُ لَلَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَإِبَاهُ سُبْحَانَهُ أَقْرَضَ ،

(١) رواه الطبراني في معجمه ، وهو موقوف على ابن عباس وهو سقط من
القول لا يصح لسببه إلى مؤمن . وإليك ما يقوله الإمام ابن القيم في قوله
سُبْحَانَهُ : (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) . . . ولما كانوا يبايعون رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأيديهم ، ويضرب بيده على أيديهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو السفير بينه وبينهم كانت مبايعتهم له مبايعة لله تعالى ، ولما كان سُبْحَانَهُ فَوْقَ
سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ ، وفوق الخلائق كلهم ، كانت يده فوق أيديهم ، كما أنه سُبْحَانَهُ
فَوْقَهُمْ ، ص ١٧٢ ج ٢ الصواعق المرسلة . وهذا خير من تأويل السهيلي الذي
يعطى لأصحاب وحدة الوجود وجهاً ١١

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ ^(١) التوبة : ١٠٤ وقال صلى الله عليه وسلم : إنما يضعها في كفِّ الرحمن يُرَبِّيها له . الحديث .

شعر عباس الطائي :

وقول عباس في الشعر الكافي :

إن الإله بنى عليك محبةً في خلقه ومحمداً سماكاً

معنى دقيق وغرض نبيل ونظن الحكمة نبوية قد بيناها في غير موضع من هذا الكتاب وغيره في تسمية الله تعالى لنبيه محمداً وأحمد ^(٢) ، وأنه اسم لم يكن لأحد من قومه قبله ، وأن أمه أمرت في المنام أن تسميه محمداً ، فوافق معنى الاسم صفة المسمى به موافقة تامة قد بينا شرحها ^(٣) هنالك ، ولذلك قال : بنى عليك محبةً ، لأن البناء تركيب على أس ، فأسس له سبحانه مقدمات النبوة منها : تسميته بمحمد قبل أن يولد ، ثم لم يزل يدرجه في محامد الأخلاق

(١) رواية البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه هي : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يقبل الله إلا الطيب — فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها ، كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل ، والفلو — بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو : المهر الصغير ، وقيل : الفطيم من أولاد ذوات الحافر .

(٢) سبق الكلام عن هذا . وأنه كان هناك من سمى بمحمد وأحد في الجاهلية وانظر ص ٨ ، ٩ الاشتقاق لابن دريد ، وص ١٣٠ المحرر لابن حبيب فقد ذكر سبعة ممن سموا باسم محمد .

(٣) علقنا على شرحه بما قاله ابن القيم وأبدع فيه .

وماتحبه القلوب من الشَّيم ، حتى بلغ إلى أعلى الحامد مَرْتَبَةً ، وتكاملت له
الحِمْيَةُ من الخالق والتَّحْلِيْقَةُ ، وظهر معنى اسمه فيه على الحقيقة ، فهو اللَّيْمَةُ التي
استقم بها البِنَاءُ ، كما أخبر عليه السلام ، وهذا كله معنى بيت عباس ، حيث
قال : إِنْ إِلَٰهَ بَنِي عَلِيٍّ ، الْبَيْت .

الدَّامَاءُ وَالرُّمَاءُ :

وقوله : فِي الْعَيْنِيَّةِ الْآخَرَى بِصَفِ الْخَلِيل :

أَوْ هِيَ مَقَارَعَةُ الْأَعَادَى دَمُّهَا

يريد شَحْمَهَا ، يقال : أَذِمِمَ قِدْرَكَ بِيَدِكَ ، وَدَمَمْتُ الشَّيْءَ : طَلَيْتُهُ ،
ومنه : الدَّامَاءُ أَحَدُ جُحْرِ قِ الْبَرْبُوعِ ، لِأَنَّهُ يَذُمُّ بَابَهُ بِقَشْرٍ رَقِيقٍ مِنَ الْأَرْضِ ،
فَلَا يَرَاهُ الصَّائِدُ ، فَإِذَا طُلِبَ مِنَ الْقَاصِمَاءِ أَوْ لِرَاهِطَاءِ أَوْ النَّافِقَاءِ أَوْ الْعَاقِيَاءِ ،
وهي الأبوابُ الْآخَرُ نَطَحَ بِرَأْسِهِ بَابَ الدَّامَاءِ فخرقه ، وأما الدَّامَاءُ بِالْتَّخْفِيفِ ،
فهو الْبَحْرُ وَهُوَ فَعْلَالَهُ ، لِأَنَّهُ يُهْمَزُ فَيَقَالُ : دَأْمَاءُ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ .

شعر عباس الفأوى :

وذكر شعر عباس الفأوى ، وفيه :

بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبَدَّكَ نِيَّةٌ خُلِّعَتْ

النِّيةُ : مِنَ النُّوْيِ وَهُوَ الْبُعْدُ . وَخُلِّعَتْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا مِنْ أَجْلِهِ
أَيَ : فَعَلْتَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْخُلْفِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا . وَكَأَنَّ

للاستبدال ، لأن استبدالها به خُلفٌ منها لما وَعَدته به ، ويقوَّى هذا البيت البيت الذي بعده :

وقد حَلَفَتْ بِاللَّهِ لَا تَقْطَعُ الْقُوَى

يعنى : قُوَى الخَبْلِ ، والخَبْلُ هنا : هو العهدُ ، ثم قال :

فما صَدَقَتْ فيه ، ولا بَرَّتِ الخَلْفَا

وهذا هو الخلفُ المتقدمُ ذِكرُهُ .

وقوله :

وَفِينَا أَلْفًا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعْشَرُ أَلْفَا

أى : وفينا ألفًا ولم يَسْتَوْفِهَا غيرُنا ، أى : لم يَسْتَوْفِ هذه العدةَ غيرُنا من القبائل .

وقوله :

إِذَا هِيَ حَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزَافَا

يجوز أن يكون جمع مِرْوَدٍ^(١) وهو الوَدَدُ ، كما قال الآخرُ يصف طَغْنَةً :

وَمُسْتَقْفَرٍ كَأَسَدَيْنِ الْخُرُوفِ قَدْ قَطَعَ الْخَبْلَ بِالْمِرْوَدِ

والخُرُوفُ هاهنا فى قول بعضهم : المَهْرُ ، وقال آخرون : والفَرَسُ يسعى

خَرُوفًا ، ومعناه عندى فى هذا البيت أنها صِفَةٌ من خَرَفَتْ الثَّمَرَةَ إِذَا جَنَيْتُمُهَا

(١) فى الاصل : مردود .

فانفرسُ خُرُوفُ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ ، لانقول: إن الفرسَ يُسمَّى خُرُوفًا في عُرْفِ اللغة ، ولـكن خُرُوفٌ في معنى أَكُولٍ ، لأنه يَخْرُفُ ، أى : يأكل ، فهو صفة لكل من فعل ذلك الفعل من الدَّوَابِّ ، ويجوز أن يكون في مرادها جمع مَرَاد ، وهو حيث تَرُودُ الخيلُ تَذْهَبُ وَتَجِي . فَمَرَادٌ وَمَرَاوِدٌ ، مثل مَقَامٍ وَمَقَامٍ ، وَمَنَارٍ وَمَنَارٍ .

وقوله : لَنَا زُجْمَةٌ إِلَّا التَّدَامَرُ وَالنَّقْمَةُ .

يقال: مَا زَجَمُ زُجْمَةٌ^(١) ، أى مَا نَبَسَ بكلمة ، وَقَوَسُ زَجُومٌ ، أى : ضعيفة الإِرْزَانِ .

وقوله : إِلَّا التَّدَامَرُ ، أى يُذَمَّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَيُخَرِّضُهُ عَلَى الْقَتْلِ وَالنَّقْمِ : كَسَرِ الرُّءُوسِ ، وَنَاقِفِ الْخُنْظَلَةِ : كَاسِرِهَا وَمُسْتَخْرِجُ مَا فِيهَا .

النسب إلى حروف المعجم وتصغيرها :

قال المؤلف : وإنما قلنا في هذه القصيدة وفي التي بعدها الفأوية والراءوية ، لأن النسب إلى حروف المعجم التي أواخرها أَيْفٌ هَكَذَا ، هو بالواو ، قاله أبو عبيدٍ وغيره ، وفي التصغير نُقِلْبُ أَلْفُهَا يَاءٌ ، تقول في تصغير بَاءٍ : بُيَيْتٌ ، وخاء : خُيَيْتٌ ، وما كان آخره حرفاً سَالِماً من هذه الحروف قُلِبَتْ أَلْفُهُ وَأُوِيَ فِي التَّصْغِيرِ ، فتقول في الذَّالِ : ذُوَيْلَةٌ ، وفي الضاد : ضُوَيْدَةٌ ، وكذلك قال صاحبُ العين ، وقياسُ الواو في النحو أن تُصَغَّرَ : أُوَيْتَ بِهِمْزَةٌ [في] أولها .

(١) في الأسفل : رجمة .

القصيدۃ الراوية :

وقول عباس في القصيدة الراوية :

مِثْلُ الحَمَاطَةِ أَغْضَى فَوْقَهَا الشُّفْرُ

الحَمَاطَةُ من ورق الشجر : مافيه خُسُونَةٌ وَخُرُوشَةٌ وقال أبو حنيفة :
الحَمَاطُ : وَرَقُ التَّيْنِ الْجَبَلِيِّ . وقال أيضاً في باب القَطَانِي : الحَمَاطُ : تَبْنُ
الدَّرَّةِ ، إِذَا ذُرِّيَتْ ، وَلَهُ أَكَالٌ فِي الْجِلْدِ . والعائر : كَأَشْيٍ يَنْفَخَسُ فِي التَّيْنِ
كَأَنَّهُ يَمْوَرُّهَا . وجعله سَهْرًا ، وَإِنَّمَا السَّهْرُ الرَّجُلُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَفْتَرَّ عَنْهُ ، فَكَأَنَّهُ
قَدْ سَهَرَ ، وَلَمْ يَتَمَّ ، كَمَا قَالَ آخَرُ فِي وَصْفِ بَرَقٍ :

حَتَّى شَتَّاهَا كَلِيلٌ مُوَهَّجًا مَهْلٌ بَاتَتْ طِرَابًا وَبَاتَ اللَّيْلُ لَمْ يَتَمَّ

شَتَّاهَا : شَاقَهَا ، يُقَالُ : شَاءَ وَشَاءَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، أَيْ شَاقَهُ ، وَأَنْشَدَ :

وَلَقَدْ عَمِلْتُ تَشَاءَ بِالْأُطْعَامِ

فَتَأْمَلُهُ فَإِنَّهُ بِدَيْعٍ مِنَ الْمَعَانِي .

وقوله : الصَّمَانُ وَالْحَقَرُ : هما موضعان ، وإليه ينسب أبو داود الحَقَرِيُّ من
أهل الحديث . وَالْعَكْرَ : جَمْعُ عَكْرَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ الضَّخْمَةُ مِنَ الْمَالِ .
وَعَكْرَةُ اللِّسَانِ أَيْضًا : أَصْلُهُ ، وَمَا غَلِظَ مِنْهُ ، وَعَكَّدَتْهُ ^(١) أَيْضًا بِالْدَّالِ .

(١) فِي اللِّسَانِ : الْعَكْدَةُ -- بَعْضُ الْعَيْنِ وَسُكُونُ السَّكَافِ -- وَالْعَكْدَةُ بَفَتْحِهَا
أَصْلُ اللِّسَانِ وَالذَّنْبِ وَعَقْدَتُهُ . أَمَا فِي الْقَامُوسِ فَقَالَ : الْعَكْدَةُ بَعْضُ الْعَيْنِ وَسُكُونُ
السَّكَافِ : الْمَصْعَصُ . وَبِالنَّحْوِ : أَصْلُ اللِّسَانِ وَأَصْلُ الْقَلْبِ .

فهبيرة عباس السيفية :

وقوله في السَّيْنِيَّة :

وَجَنَاءُ مُجَمَّرَةٍ لِلنَّاسِ عَرِمَسُ

وَجَنَاءُ : غليظة الوجنات بارزتها ، وذلك يدل على غنور عينيها ، وهم يصفون الإبل بفتور العينين عند طول السفر ، ويقال : هي الوجنة في الآدميين ، رَجُلٌ مُوجِنٌ وامرأة مُوجِنَةٌ ، ولا يقال : وَجَنَاءُ . قاله يعقوب .
وَمُجَمَّرَةُ النَّاسِ ، أى : نكبت مناسمها الجمارُ ، وهي الحجارة ، والعَرِمَسُ : الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ ، ونُسِبَ بها الناقة الجلدة ، وقد يريد بمُجَمَّرَةٍ أيضاً أن مناسمها مجتمعة مُنْضَمَّةٌ ، فذلك أقوى لها ، وقد حكى أجرت المرأة شفرها إذا ظفرت . وأجر الأمير الجيش أى حبسه عن القبول قال الشاعر :

مُعَارِي إِمَّا أَنْ يُجَهِّزَ أَهْلُنَا إِلَيْنَا ، وَإِمَّا أَنْ نَزُوبَ مُعَاوِيَا
أَأَجْرَتُنَا إِحْمَارَ كِسْرَى جُنُودِهِ وَمَنْيَتُنَا حَتَّى نَسِينَا الْأَمَانِيَا

وقوله :

كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيئَةً

الدريئة : الحلقة التي يتعلم عليها الرمي ، أى : كانوا كالدريئة للرَّمَايح .
وقوله :

وَالشَّمْسُ يَوْمُئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمَسُ

يريد : لَمَعَنَ الشَّمْسُ ، في كل بَيْضَةٍ مِنْ بَيْضَاتِ الْحَدِيدِ ، وَالسُّيُوفِ ،

كانها شمس. وهو معنى صحيح وتشبيه مليح .

وفيها قوله:

والخيل تُقَرَّعُ بالكُمَاة وتُفْرَس

أى : تضرب أضراسها بالأجُم . تقول : ضَرَسْتُهُ ، أى ضربت أضراسه ،
كما تقول : رَأَسْتُهُ ، أى أَصْنَيْتُ رَأْسَهُ .

قصيدة عباس البسية :

وقوله : فى كلمته المِيعِيَّة :

وفيه من تسَلَّمَا

يريد : وفى سُلِّمَ من اغْتَرَى إليهم من حُلَفَائِهِمْ ، فَتَسَلَّمَ بِذَلِكَ ،
كما تقول : تَقَيَّسَ الرَّجُلُ ، إِذَا اغْتَرَى إِلَى قَيْسٍ . أَنشَدَ سَيِّدِيوَيْه :
وَقَيْسٌ عَيْلَانٌ وَمَنْ تَقَيَّسًا^(١)

(١) يقول ابن قتيبة : تَأَنَّى فَعَلْتَ بِمَعْنَى إِدْخَالَكَ نَفْسَكَ فِي أَمْرٍ حَتَّى تَصَافَ
إِلَيْهِ ، أَوْ تَصِيرَ مِنْ أَهْلِهِ ، ثُمَّ أَتَى بِأَمْثَلِهِ وَأَسْتَمْدَ بِهَذَا الرَّجُلِ الْمُنْسُوبِ إِلَى رُؤْيَا
وَلَكِنْ ابْنُ بَرٍّ يَقُولُ : الرَّجُلُ لِلْعَجَاجِ وَلَيْسَ لِرُؤْيَا . وَصَوَابُ إِِنْشَادِهِ : وَقَيْسٌ
بِالنَّصَبِ ، لِأَنَّ قَبْلَهُ :

وإن دعوت من تميم أروماً

وجواب إن في البيت الثالث :

تقاعس المز بنا فاقعنسا

أنظر اللسان مادة قيس ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٥٧ ، ص ٣٢٢ من
شرح أدب الكاتب للجواليقي ، وقد سبق الحديث .

مول قصيدة ضمضم بن الحارث :

وأنشد لضمضم بن الحارث ، وهو من شهد حنيناً مع المسلمين ، وكان
ينبغي لأبي عمر رحمه الله أن يذكره في الصحابة ، لأنه من شرطه ، فلم يفعل ،
وقد أنشد له ابن إسحاق ما يدل على أنه منهم لقوله :

يَوْمًا عَلَى أَثَرِ النَّهَابِ وَتَارَةً كُتِبَتْ مُجَاهِدَةً مَعَ الْأَنْصَارِ

يعنى : فرسه ، وكذلك لم يذكر أبو عمر ضمضم بن قتادة العجلي ، وله حديث
مشهور في قدومه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه قال له : يا رسول الله ،
إني قد تزوجت امرأة فولدت لي غلاماً أسود ، فقال له النبي - صلى الله عليه
وسلم - هل لك من إبل ، فقال : نعم ^(١) والحديث مشهور ، غير أنه لم يُسمَّ
بأنسبه في الصحيحين ، وسمى في بعض المصنفات ، وذكره عبد الغنى
في المبهمات ، وذكر عبد الغنى في الحديث زيادة حسنة قال : كانت المرأة من
بنى عجل ، فقدم المدينة مجاوزة من عجل ، فسُئِلَ عن المرأة التي ولدت الغلام
الأسود ، فقالن : كان في آبائها رجل أسود .

(١) بقية الحديث : قال : فما ألوانها ؟ قال : فيها الأحمر والأسود وغير
ذلك ، قال : فأتى ذلك ؟ قال : عرق نزع ، قال : هذا عرق نزع ، قال : فقدم
عجائز من بنى عجل ، فأخبرن أنه كان البراءة جدة سوداء . قال أبو موسى
في الذيل : إسناده عجيب . قال الحافظ : أصل القصة في الصحيحين من حديث
أبي هريرة . وسبقني .

شعر أبي فراسه :

وذكر شعراً أبي خراش ، واسمه : خُوَيْلِدُ بْنُ مُرَّةَ شاعر إسلامي مات
في خلافة عمر رحمه الله : من نهش حية نهشته ، كان سبها أضياف نزلوا به ،
وخبره بذلك عجيب ، وله فيه شعر . والخراش : ونم لابل يكون من
الصّدغ إلى الذّن : قوله :

تسكاد يدها تسليمان إزاره من الجود لما أذنته الشمايل

يريد : أنه من سخائه ، يريد أن يعجزد من إزاره لسانه ، فيسليه إليه ،
والفيت بخط أبي الوليد القشبي : الجود هاهنا ، وعلى هذه الرواية ، وبهذه
الرثبة : السخاء ، وكذلك فسرهُ الأضمي والطوسي ، وأما على ما وقع
في شعر الهذلي ، وفسر في الغريب المصنف ، فهو الجوع^(١) وموضعه في الشعر
المذكور يتلو قوله : ترّوح مقروراً .

وفي الغريب رداءه بدل إزاره .

وقوله :

ولكن قرن الظنهر المرء شاغل

قرن بالقاف : جمعه : أقران ، وروى :

ولكن أقران الظهور مقاتل

(١) عقب الخشنى على تفسيره بالجوع . ويكاد أن يكون الجود هنا على أصله

يعنى بكثرة العطاء

مقاتل: جمع مِقتَل بكسر الميم، مثل مِخْزَبٍ من الحرب، أى من كان قِرْنِ
ظهور، فإنه قاتلٌ وغالب .

وقوله يصف الريح :

لَهَا حَدَبٌ تَحْتَهُ فَيُؤَانِلُ

بالحاء المهملة وقع فى الأصل ، وقد يسمى انحدار الماء ونحوه حَدَبًا ، فيكون
هذا منه ، وإلا فَاتَّخَذَ بِالْخَاءِ المنقوطة أشبهُ بمعنى البيت ، لأنهم يقولون : رِيحٌ
خَذَبَاهُ كان بها خدبًا^(١) ، وهو الهوج^(٢) .

من شعر مالك بن عوف :

وَذَكَرَ فِي آخِرِ بَيْتٍ مِنْ شِعْرِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ :

مِثْلُ الدَّرِيثَةِ تَسْتَحِلُّ وَتَشْرُمُ

الدريثة : الحاقة التى يتعلم عليها الطمن ، وهو هموز^(٣) ، وَتُسْتَحِلُّ بِالْخَاءِ
المهملة ، وقع فى الأصل ، وفى غيره: تُسْتَحِلُّ بِالْخَاءِ مُعْجَمَةً ، وهو أظهر فى المعنى من
الْحِلَالِ ، وقد يكون لِتُسْتَحِلَّ وَخِيَهُ مِنَ الْحِلِّ إِذْ بَعْدَهُ تُشْرِمُ ، وكلاهما قريب
فى المعنى .

(١) كذا بالأصل .

(٢) فى الأصل : الهودج . والتصويب من المعاجم .

(٣) جعلها القاموس فى باب ذرى أيضاً .

ذكر غزوة الطائف بعد حنين

في سنة ثمان

ولما أقدم فل تقيف الطائف أغلقتوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ، ولا غيلان بن سلمة ، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدباباب والمجانيق والضبور .

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ؛ فقال بكذب بن مالك ، حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى الطائف :

شعر كعب

قَضَيْنَا مِنْ نِيَامَةِ كُلِّ رَبِيرٍ وَخَيْرَ نَمِ أَجْمَعَا الشُّبُورِ
نَحْبِرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِئُهُنَّ : دُونَ مَا أَوْ نَقِيرِهَا
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا بَاحَةَ دَارِكُمْ مِنْهُ الْوَفَا
وَنَفْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ وَتُصْبِحُ دُورَكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا
وَيَأْتِيَكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيفَا
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمْعُمُ لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا
بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضٍ مُرْهَفَاتٍ يُزِرْنَ الْمُصْطَلِينَ بِهَا الْخُفُوفَا
كَأَنَّمَا الْعَقَائِقُ أَخْلَصَتْهَا قُيُونُ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيفَا

.....

تَحَالِ جَدِيدَةَ الْأَبْطَالِ فِيهَا غَدَاةَ الرَّحْفِ جَادِيًا مَدُوفَا
 أَجِدُّهُمْ أَلَيْسَ أَهْمُ نَصِيحٍ مِنْ الْأَقْوَامِ كَانَ بَنَا عَرِيفَا
 يُخَبِّرُهُمْ بَأَنَا قَدْ جَعَلْنَا عِتَاقَ الْخَلِيلِ وَالْمُجَبِّ الطُّرُوفَا
 وَأَنَا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِرَحْفٍ يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمْ صُفُوفَا
 رَيْسُ النُّبُوِّ وَكَانَ صُلْبًا نَقَى الثَّلَبِ مُصْطَبِرًا عَزُوفَا
 رَشِيدَ الْأَمْرِ ذُو حُكْمٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزِقًا خَفِيفَا
 نَطِيعَ نَبِيَّنَا وَنَطِيعُ رَبِّا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بَنَا رَدُوفَا
 فَإِنْ نُلْقُوا لِمَا يَنَا السَّلْمَ نَقِلْ وَنَجْمُكُمْ لَنَا عَضْدًا وَرِيفَا
 وَإِنْ تَابُوا نَجَاهَكُمْ وَنَصِرْ وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشًا ضَعِيفَا
 نَجَالِدِ مَا بَيْنَنَا أَوْ تُنْفِيُوا إِلَى الْإِسْلَامِ إِنْ عَانَا مُضِيفَا
 نُجَاهِدُ لَا نُبَالِي مَنْ لَقِينَا أَاهَكُنَا الثَّلَادَ أَمْ الطَّرِيفَا
 وَكَمْ مِنْ مَفْشَرِ الْبُؤَا عَلَيْنَا صَمِيمَ الْجِذْمِ مِنْهُمْ وَالْخَلِيفَا
 أَتَوْنَا لَا يَرَوْنَ لَمْ كَفَاءَ فَجَسَدْنَا الْمَسَامِيحَ وَالْأَنُوفَا
 بِكُلِّ مَهْدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ يَسُوقُهُمْ بِهَا سَوْقًا غَنِيْفَا
 لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى يَقُومَ الدِّينَ مَعْتَدِلًا حَنِيفَا
 وَنُنْذِي اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَوَدَّ وَنَسْلُبُهَا الْقَلَانِدَ وَالشُّؤُوفَا
 فَأَمْسُوا قَدْ أَقْرُوا وَاطْمَأْنُوا وَمَنْ لَا يَمْتَنِعُ يَقْبَلُ خُسُوفَا

كِنَانَةُ يَرِدُ عَلَى كَب

فَأَجَابَهُ كِنَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَلِيلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُعَيْرٍ ، فَقَالَ :

مَنْ كَانَ يَبْغِينَا يُرِيدُ قِتَالَنَا	فَإِنَّا بَدَارِ مَقْلَمٍ لَا تَرِيْمُهَا
وَجَدْنَا بِهَا الْآبَاءَ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى	وَكُنْتَ لَنَا أَطْوَاؤُهَا وَكُرُومُهَا
وَقَدْ جَرَّ بَدَنُنَا قَبْلَ عَمْرُو بْنِ عَاسِرٍ	فَأَخْبَرَهَا ذُو رَأْيِهَا وَحَلِيمُهَا
وَقَدْ عَلِمْتَ إِنْ قَالَتْ الْحَقُّ أَنَّنَا	إِذَا مَا أَبَتْ صُعُرُ الْخُدُودِ نُفَيْمُهَا
نُفُومُهَا حَتَّى يَبْلُغَ شَرِيسُهَا	وَيُعْرِفُ لِحَقِّ الْمُبِينِ ظَلُومُهَا
عَلَيْنَا دِلَاصٌ مِنْ تَرَاثٍ مُحَرَّقٍ	كَلُونِ السَّمَاءَ زِينَتُهَا مُجُومُهَا
تُرَقُّهَا عَنَّا بَيْبِضُ صَوَارِمٍ	إِذَا جُرَدَتْ فِي غَمْرَةٍ لَا نَشِيْمُهَا

قَصِيدَةُ شَدَادٍ فِي الْمَسِيرِ إِلَى الطَّائِفِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ شَدَادُ بْنُ عَارِضِ الْجَشْمِيِّ فِي مَسِيرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ :

لَا تَنْصَرُ وَاللَّاتُ إِنْ اللَّهُ مُهْلِكُهَا	وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ أَيْسُ بَدَنَتِصَرُ
إِنَّ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسُّدِّ فَاشْتَعَلَتْ	وَلَمْ يُقَاتَلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدَرُ
إِنَّ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزِلَ بِلَادَكُمْ	يُظْعَنُ وَأَيْسُ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرُ

الطَّرِيقُ إِلَى الطَّائِفِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَسَلَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَخْلَةٍ

• • • • •

الْيَمَانِيَّةَ ، ثُمَّ عَلَى قَرْنٍ ، ثُمَّ عَلَى الْمَلَيْحِ ، ثُمَّ عَلَى بُحْرَةِ الرِّغَاءِ مِنْ لَيْلَةٍ ، فَأَبْنَى بِهَا مَسْجِدًا فَصَلَّى فِيهِ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ ببُحْرَةِ الرِّغَاءِ ، حين نزلها ، بدم ، وهو أول دم أُقيد به في الإسلام ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْث قَتَلَ رَجُلًا مِنْ هَذَلٍ ، فَتَسَلَّمَهُ بِهِ ؛ وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ بِلَيْلَةٍ ، بِحَصْنِ مَالِكِ بْنِ حَوْفٍ فَمُذِمٌّ ، ثُمَّ سَلَكَ فِي طَرِيقٍ يُقَالُ لَهَا الضَّيْقَةُ ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا ، فَقَالَ : مَا اسْمُ هَذِهِ الطَّرِيقِ ؟ فَقِيلَ لَهُ : الضَّيْقَةُ ، فَقَالَ : بَلْ هِيَ الْيُسْرَى ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا عَلَى سَحَبٍ ، حَتَّى نَزَلَ تَحْتَ سِدْرَةٍ يُقَالُ لَهَا الصَّادِرَةُ ، قَرِيبًا مِنْ مَالِ رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ ، وَإِمَّا أَنْ نُخْرِبَ عَلَيْكَ حَائِطَكَ ؛ فَأَبَى أَنْ يَخْرُجَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِخْرَابِهِ

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنَ الطَّائِفِ ، فَضَرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ ، فَقُتِلَ بِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبْلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَسْكَرَ ابْتَرَبَ مِنْ حَائِطِ الطَّائِفِ ، فَكَانَتِ النَّبْلُ تَنَالُهُمْ ، وَلَمْ يَقْدِرِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنْ يَدْخُلُوا حَائِطَهُمْ ، أَغْلَقُوهُ دُونَهُمْ ؛ فَلَمَّا أُصِيبَ أُولَئِكَ النَّارُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبْلِ وَضَعَ عَسْكَرَهُ عِنْدَ مَسْجِدِهِ الَّذِي بِالطَّائِفِ الْيَوْمَ ، فَخَاصَرَهُمْ بَعْضُاً وَعَشْرِينَ لَيْلَةً .

قال ابن هشام : وَيُقَالُ سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

قال ابن إسحاق : وَمَعَهُ امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِ ، إِحْدَاهُمَا أُمُّ سَامَةَ بِنْتُ

أَبِي أُمَيَّةَ ، فَضْرَبَ لَهَا قُبَّتَيْنِ ، ثُمَّ صَلَّى بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ . ثُمَّ أَقَامَ ، فَلَمَّا أَسَلَتْ ثَقِيفَ بَنِي عُلَيٍّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ وَهَبِ بْنِ مُعْتَبِ بْنِ مَالِكٍ مَسْجِدًا ، وَكَانَتْ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ سَارِيَّةٌ ، فِيمَا يَزْعُمُونَ ، لَا تَطَامُ الشَّمْسُ عَلَيْهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا مُبِيعَ لَهَا تَقْيِيزٌ ، فَخَاصَرَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَتَرَامَوْا بِالنَّبْلِ .

أول من رمى بالمنجنيق

قال ابن هشام : ورواهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق . حدثني من أتق به ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف .

يوم الشدخة

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يومُ الشَّدْخَةِ عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دَبَابَةٍ ، ثُمَّ زَحَفُوا بِهَا إِلَى جدار الطائف لِيَحْرِقُوهُ ، فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفُ سَيْكَمَ الْحَدِيدِ مُخَمَّةً بِالنَّارِ ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا ، فَرَمَتْهُمْ ثَقِيفُ بِالنَّبْلِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ رَجُلًا ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ أَعْنَابِ ثَقِيفَ ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِيهَا يَقْطُمُونَ .

بين أبي سفيان وثقيف

وتقدّم أبو سفيان بن حرب والغيرةُ بن شُعْبَةَ إِلَى الطائف ، فناديا تقيفًا :

أَنْ أَمَّنُونَا حَتَّى نَكَلِّمَكُم ، فَأَمَّنُوهُمَا ، فَدَعَا نِسَاءَ مِنْ نِسَاءِ مَنْ قُرَيْشُ وَبَنِي كِنَانَةَ لِيُخْرِجُنَّ إِلَيْهِمَا ، وَهِيَ يَخَافَانِ عَالِيَةَ السَّبَاءِ ، فَأَبَيْنَ ، مِنْهُنَّ : آمَنَتْ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ ، كَانَتْ عِنْدَ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، لَهُ مِنْهَا دَاوُدُ بْنُ عُرْوَةَ .

قال ابن هشام : ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبي سُفْيَانَ ، وكانت عند أبي مُرَّةَ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، فولدت له داود بن أبي مُرَّةَ .

قال ابن إسحاق : والفَرَّاسِيَّةُ بنت سُؤَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ ، لَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَارِبٍ ، وَالْفُقَيْمِيَّةُ أُمِّمَةُ بنت النَّاسِيءِ أُمِّمَةُ بْنُ قَلْعٍ ؛ فَلَمَّا أَبَيْنَ عَلَيْهِمَا ، قَالَ لَهَا ابْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ مَسْعُودٍ : يَا أَبَا سُفْيَانَ وَيَا مَغِيرَةَ ، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمَا لَهُ ، إِنْ مَالَ بَنِي الْأَسْوَدِ بْنِ مَسْعُودٍ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطَّائِفِ ، نَازِلًا بِوَادِيٍّ يُقَالُ لَهُ الْعَمِيقُ ، لِمَنَ لَيْسَ بِالطَّائِفِ مَالٌ أَبْعَدُ رِشَاءً ، وَلَا أَشَدُّ مُؤَانَةً ، وَلَا أَبْعَدُ عِمَارَةً مِنْ مَالِ بَنِي الْأَسْوَدِ ، وَلِمَنْ مَحْدَأٌ إِنْ قَطَعَهُ لَمْ يُغَيَّرْ أَبَدًا ، فَكَلَّمَاهُ فَمَلَأَهُ لِنَفْسِهِ ، أَوْ لِيَدْعُهُ اللَّهُ وَالرَّحِمَ ، فَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا لَا يُجْهَلُ ؛ فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ لَهُمْ .

تفسير أبي بكر لرؤيا الرسول

وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق وهو محاصر ثقيفاً : يا أبا بكر ، إني رأيت أني أُهْدِيتُ لِي قَعْبَةٌ مَلَوَةٌ زَبْدًا ، فَفَتَرَهَا دِيكٌ ، فَهَرَّاقَ مَا فِيهَا . فقال أبو بكر : ما أظن أن تُدْرِكَ مِنْهُمْ يَوْمَكَ هَذَا

ما تريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

سبب ارتحال المسلمين

ثم إن خُوَيْلَةَ بنت حَكِيم بن أُمَيَّة بن حَارِثَة بن الأَوْقَص السُّلَمِيَّة ، وهي امرأة عُثْمَانَ ، قالت : يا رسول الله ، أعطني إن فتح الله عليك الطائفة حُلَيْيَ بادية ابنة غَيْثَلَانَ بن سَلَمَةَ ، أو حُلَيْيَ الفارعة بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثَقِيف .

فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن لي في ثَيْقَف يا خُوَيْلَةَ ؟ فخرجت خُوَيْلَةَ ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطَّاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما حديث حدثتني به خُوَيْلَةَ ، زعمت أنك قلتها ؟ قال : قد قلتها ؛ قال : أو ما أذن لك فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أُؤذن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذنْ عُمرُ بالرحيل .

عيينة بن حصن

فلما استقلَّ الناسُ نادى سعيد بن عُبَيْد بن أُسَيْد بن أَبِي عمرو بن علاج : ألا إن الحَيَّ مَقِيمٌ قول : يقول عُيَيْنَةُ بن حِصْن : أجل ، والله مجْدَةٌ كِرَامًا ؛ فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عُيَيْنَةُ ، أتمدح للمشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثَقِيفًا معكم ، ولا كني أردت أن يفتح محمد

الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أنططها ، لعلمها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفاً قوم منا كبير .

ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إقامته ممن كان محاصراً بالطائف عبيد ، فأسلموا ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

العبيد الذين نزلوا من حصن الطائف

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أنهم ، عن عبد الله بن مكرم ، عن رجال من ثقيف ، قالوا : لما أسلم أهل الطائف تسلم نفر منهم فى أولئك العبيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عتقاء الله ؛ وكان ممن تسلم فيهم الحارث بن كلدة .

قال ابن هشام : وقد سمي ابن إسحاق من نزل من أولئك العبيد .

شعر الضحاك وموضوعه

قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً امرؤان بن قيس الدؤيبى ، وكان قد أسلم ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمرؤان بن قيس : خذ يامروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه ، فلقى أبى بن مالاك القشيري ، فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله ، فقام فى ذلك الضحاك بن سفيان الديكلابي ، فسلم ثقيفاً حتى أرسلوا أهل مروان ،

وأطلق لهم أبي بن مالك ، فقال الضحّاك بن سُفيان في شيء كان بينه وبين أبي بن مالك :

أَتَذْهَبُ بِلأَيِّ بَأَبِي بَنَ مَالِكُ غَدَاةَ الرَّسُولِ مُعْرِضٌ عَنْكَ أَشْوَسُ
يَقُودُكَ مَرْوَانَ بْنَ قَيْسٍ بِحَبْلِهِ ذَلِيلًا كَمَا قَيْدَ الذَّلُولِ الْمُخَيَّسُ
فَعَادَتْ عَلَيْكَ مِنْ تَغْيِيفِ عَصَابَةٍ مَتَى بَأَنَّهُمْ مُسْتَقْبِسُ الشَّرِّ يُقْبِسُوا
فَكَانُوا هُمُ الْمَوْلَى فَعَادَتْ حُلُومُهُمْ عَلَيْكَ وَقَدْ كَادَتْ بِكَ النَّفْسُ تِيَّاسُ

قال ابن هشام : « يُقْبِسُوا » عن غير ابن إسحاق .

الشهداء في يوم الطائف

قال ابن إسحاق : هذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف :

من قُرَيْشٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ : سَعِيدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ
ابْنِ أُمَيَّةَ ، وَعُرْفُطَةُ بْنُ جَذَابٍ ، حَلِيفُ لَهُمْ ، مِنَ الْأَسَدِ بْنِ الْفَوْثِ .

قال ابن هشام : ويقال : ابن حُبَابٍ .

قال ابن إسحاق : وَمِنْ بَنِي قَيْمٍ بْنِ مُرَّةَ : عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ،
رُمِيَ بِسَهْمٍ ، فَمَاتَ مِنْهُ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمِنْ بَنِي خَزُومَ : عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، مِنْ رَمِيَةِ رُمِيَهَا يَوْمَئِذٍ .

وَمِنْ بَنِي عَدَى بْنِ كَعْبٍ : عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ بْنِ رَبِيعَةَ ، حَلِيفُ لَهُمْ .

مَلُومَةٍ خَضِرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا خَضَنًا لَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يُخَاقِ
مَشَى الضَّرَاءَ عَلَى الْهَرَّاسِ كَأَنَّنَا قُدْرُ تَفَرَّقُ فِي الْقِيَادِ وَتَلْتَقِ
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَخَصَّنَتْ كَأَنَّنِي هَبَّتْ رِيحُهُ الْمَرَقِرِ
جُدُلٌ تَمَسَّ فُضُولُهُنَّ نَعَانَا مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ وَآلِ مُحَرَّقِ

أمر أموال هوازن وسباياها

وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على
دَحْنًا حَتَّى نَزَلَ الْجَمْرَانَةَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَمَعَهُ مِنْ هَوَازِنِ سَبْيِ كَثِيرٍ
وَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَوْمَ ظَنَّ عَنْ تَقْيِفٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعِ عَلَيْهِمْ ؛
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ اهْدِ تَقِيْفًا وَأَتِ بِهِمْ .

ثم أتاهم هوازن ، والجمرانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سَبْيِ هَوَازِنَ سِتَّةَ آلَافٍ مِنَ الذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ ، وَمِنْ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ
مَا لَا يُدْرَى مَا عِدَّتُهُ .

قال ابن إسحاق : أَخْبَذَنِي عُمَرُو بْنُ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ عُمَرُو : أَنَّ وَفَدَ هَوَازِنَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَلْمَوْا ،
فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِيَّا أَصْلَ وَعَشِيرَةَ ، وَقَدْ أَصَابَنَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يُخَفْ عَلَيْكَ ،
فَامْنَنْ عَلَيْنَا ، مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ . قَالَ : وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ ، ثُمَّ أَحْدُ بَنِي سَعْدِ

كما كان الهام فهو لو تقول الله صلى الله عليه وسلم

قال ب يقول عباس بن مرداس أبي سلمة : وَهَنَقَهُ ي

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمَا مِنْ تَمَكَّ جَنَكُمُ عَقْفُ مِنْ هَذَا
السَّيِّئِ فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتٌّ فَرَانِيهِ ، مِنْ أَرَنْ جَنِي أَحَدِيهِ ، فَرُدُّوا إِلَيْهِ
النَّاسَ أَنْبَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ .

نَقَلَ ابْنُ شَاهِ حَقَّقَ : وَالْعَدَنِيُّ أَبُو عَوَّادٍ بَنِي مُزَيْدٍ بَنِي عُمَيْسٍ الدَّكَّالِيُّ قَابُ مَنَلَجٍ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى عَلَى بَنِي أَبِي طَلْحَةَ وَهَنَقَ كَاللَّهِ قَدْ جَارَ بِهِ
يُقَالُ لِمَا رِيْقَةُ بَنِي هَلَالٍ بَنِي حَيَّانٍ بَنِي عُمَيْرٍ بَنِي هَلَالٍ بَنِي طَبَرَةَ بَنِي قُصَيْبَةَ
ابْنِ نَصْرِ بْنِ سَهْدٍ بَنِي بَكْرِ بْنِ أَعْطَى عِيَانٍ بَنِي حَيَّانٍ حَارِبُهُ بَنِي قَالٍ كَالْزَنْجِيهِ
بَنِي حَيَّانٍ بَنِي عَمْرِو بْنِ حَيَّانٍ ، وَأَعْطَى عَمْرٍو بَنِي الْجَلَّابِ رِجَالُهُ ، وَفَوْهُ مَيَا
لَعِبِدَ اللَّهِ بَنِي عُمَيْرٍ ابْنَهُ .

نَقَلَ ابْنُ أَبِي شَاهِدٍ : الْفَيْزِيُّ نَفَاحُ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : بَعَثَتْهُمَا إِلَى أَخُوهُمَا مِنْ مَاقِيٍّ يَجِيعُ مَتَاهُ لِيُضِلَّهُمَا إِلَى عَشَائِهِمَا
وَيَهْدِيَهُمَا إِلَى مَطْوَعِهِ بِالْبَيْتِ ، فَمِ آتِيَهُمَا ، وَأَنَا أَرِيدُ لِيُضِلَّ لِيُضِلَّهَا بِإِدَارِ الْحَقِيقَةِ
إِلَيْهَا : قَالَ : تَذَكَّرْتُ مِنْ سَلَامَةِ حَقِيقَةٍ فَوَسَّيْتُ سَلَامَةَ النَّفْسِ أَسْتَقْلُوا ؟ قُلْتُ :
مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : رُودٌ عَلَيْنَا رَحُولُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَائِدٌ وَمَوْلَاهُ تَحَا ، قَالُوا : إِنَّا نَأْتِي
فَقَات : نَأْتِيكُمْ صَاحِبَتُكُمْ فِي نَفْسِ جَمْعٍ ، فَادْعُوا لِيُخَذَّ حَسَابُكُمْ فَادْعُوا إِلَيْهِمْ ،
فَأَخَذُوا هَاهُنَا .

قال ابن إسحاق : وأما عُيَيْنَةُ بن حِصْن ، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحى نسباً ، وعسى أن يعظم فِدَاؤُها . فلما ردَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السَّبايا بستَ فرائض ، أبى أن يردَّها ، فقال له زُهَيْرُ أبو صُرَد : خذها عنك ، فوالله ما فُوهها ببارِدٍ ، ولا تَذِيها بَنَاهِدٍ ، ولا بطنها بوالِدٍ ، ولا زوجها بواجِدٍ ، ولا دُرَّها بما كِدٍ . فردَّها بستَ فرائضَ حين قال له زُهَيْرُ ما قال ؛ فزعموا أن عُيَيْنَةَ لَقِيَ الْأَقْرَعَ بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها بيضاءَ غريرةً ، ولا نصفاً وثيرةً .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف مافعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددتُ عليه أهله وماله ، وأعطيته مائةً من الإبل ، فأَتَى مالكا بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقفاً على نفسه أن يَعْلَمُوا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال ، فيحبسوه ، فأمر براحلته فُهَيِّئَتْ له ، وأمر بفرس له فأَتَى به إلى الطائف ، فخرج ليلاً ، فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحْبَسَ ، فركبها ، فلحق برَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجُمُرانة أو بمكة ، فردَّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مائةً من الإبل ، وأسلم فحَسُنَ إسلامه ؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيتُ ولا سَمِيتُ بِمِثْلِهِ في النَّاسِ كَلِّمَ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ

.....

أَوْفُوا عَطَى الْجَزِيلِ إِذَا اجْتُمِدَى وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي غَدٍ
وَإِذَا الْكَتِيبَةُ عُرِدَتْ أَنْبَايُهَا بِالسَّهْمَرِيِّ وَضُرِبَ كُلُّ مُمْتَدٍ
فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ وَسَطُ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرَصَدٍ

فاستمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ؛ وذلك
القبائل : ثُمَالَةُ ، وَسَلَمَةُ ، وَفَهْمٌ ، فَكَانَ يُقَاتِلُ بِهِمْ تَقِيْفًا ، لَا يُخْرِجُ لَهُمْ سَرْحًا
إِلَّا أَغَارَ عَلَيْهِ ، حَتَّى ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ ؛ فَقَالَ أَبُو مِخْجَنَ بْنَ حَبِيبٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ
عُمَيْرِ التَّمُغَنِيِّ :

هَابَتِ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا ثُمَّ تَغَرُّوْنَا بِنَوَاصِلِهِمْ
وَأَتَانَا مَالِكٌ بِبِهِمْ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحُرْمَةِ
وَأَتَوْنَا فِي مَنَازِلِنَا وَلَقَدْ كُنَّا أُولَى بَقِيَّةِ

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردِّ سبايا
حُثَيْنٍ إِلَى أَهْلِهَا ، رَكِبَ ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ يَقُولُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقْسِمَ عَلَيْنَا
فَيَمْنًا مِنَ الْإِبِلِ وَالْفِئَمِ ، حَتَّى أَتَجُشُّوهَ إِلَى شَجَرَةٍ ، فَاخْتَلَفْتَ عَنْهُ رَدَّاهُ ؛ فَقَالَ :
أَذُّوْا عَلَيَّ رَدَائِي أَيُّهَا النَّاسُ ، فَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ لَكُمْ بِمَدَدِ شَجَرِ تِهَامَةٍ نَعْمًا
لَعَسْتُمْ عَلَيَّكُمْ ، ثُمَّ مَا أَلْفَيْتُمُونِي بِحَيْلٍ وَلَا جَبَانًا وَلَا كَذَابًا ، ثُمَّ قَامَ إِلَى
جَنْبِ بَيْرٍ . فَأَخَذَ وَبَرَةً مِنْ سَنَاءِهِ ، فَجَعَلَهَا بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ ، ثُمَّ رَفَعَهَا ، ثُمَّ قَالَ :
أَيُّهَا النَّاسُ ، وَاللَّهِ مَا لِي مِنْ قَيْشِكُمْ وَلَا هَذِهِ الْوَبَرَةُ إِلَّا الْخُلُوسُ ، وَالْخُلُوسُ
مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ . فَأَذُّوْا الْخِلْيَاطَ وَالْخَيْطَ ، فَإِنَّ الْغُلُولَ يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَارًا وَنَارًا
وَسَنَارًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِكَبْئَةٍ مِنْ خُيُوطِ شَعْرِ ،

• • • • •

فقال: يا رسول الله أخذت هذه الكعبة اغفل بها البرمجة فغير لي فادبر ؛
فأخذته أنا فصبي منها ذلك فقال : أما إذا بليت هذا عملكم فليكن لي بها ،
ثم طوى بها عن يده .

قال ابن هشام : أوفى مكر يزيد بن أخطم من أيعنة أن يعقل بن أبي طالب
دخل يوم حنين على أبيه فاطمة بنت شيبه بن برمجة ، وميفة سلطان دما ،
فقالته : إلى قديس ففت أنشدته ثلثة ، فسلما أصيبت من ضامهم بالشر أكبر ؛
فقال : دونك هذه الإبرة تحيطين بها ثيابك ، فدفعها إليها ، فسمع ثلثا في
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئا فله رده ، حتى الخياط
والخياط ، فجمع عقيل ، فقال : ما أرى إرثك إلا قد ذهبت ، فأخذها ،
فألقاها في الضام .

قال ابن إسحاق : ثم أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائفة قلوبهم ،
وكانوا لهم أمانة من أشرف الناس ، وأما أبو بكر فمعهم ، فأعطى
أبو بكر مائة مئة ، وأعطى ابنه معاوية مائة مئة ، وأعطى حكيم
ابن حزام مائة مئة ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلاب مائة مئة ، وأعطى عبد الله
مائة مئة .

قال ابن هشام : نصير بن الحارث بن كلاب ، ويجوز أن يكون اسمه
الحارث أيضا .

قال ابن إسحاق : وأعطى الحارث بن هشام مائة مئة ، وأعطى سميل

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ بِفُوقَانَ شَيْخِي فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِهِمَا وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يَرْفَعُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَنْشَدَنِي يُونُسُ النَّحْوِيُّ :

فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ بِفُوقَانَ مِرْدَاسٍ فِي الْمَجْمَعِ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اذْهَبُوا بِهِ ،
فَاقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ ، فَأَعْطُوهُ حَتَّى رَضِيَ ، فَكَانَ ذَلِكَ قَطْعَ لِسَانِهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ عَبَّاسَ بْنَ مِرْدَاسٍ أَمَى
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَنْتَ الْقَاتِلُ :

« فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعُبَيْدِ بَيْنَ الْأَفْرَعِ وَعُيَيْنَةَ » ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَفْرَعِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَا وَاحِدٌ ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَشْهَدُ أَنَّكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ : (وَمَا عَاطَمَاهُ
لِلشُّمَرِ وَمَا يَنْتَبِئِي لَهُ) .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَحَدَّثَنِي مِنْ أَتَقَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي إِسْنَادِهِ ، عَنْ ابْنِ
شِهَابٍ لَزْمَرِي ، عَنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ :
بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ ، فَأَعْطَاهُمْ يَوْمَ الْجِفْرَانَةِ
مِنْ غَنَائِمٍ حَفِينٍ .

• • • • •

من بنى أميّة بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أميّة ، وطلح
ابن سفيان بن أميّة ، وخالد بن أسيد بن أبي العيص بن أميّة .

ومن بنى عبد الدار بن قصي : شيبه بن عثمان بن أبي طاعة بن عبد المزي
ابن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السّنابل بن بكك بن الحارث بن عميلة بن
السّباقي بن عبد الدار ، وعكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : زهير بن أبي أميّة بن المغيرة ، والحارث
ابن هشام بن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ،
وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والسائب بن
أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى عدى بن كعب : مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة ،
وأبو جهم بن حذيفة بن غام .

ومن بنى جمح بن عمرو : صفوان بن أميّة بن خلف . وأحبة بن
أميّة بن خلف ، وعمر بن وهب بن خلف .

ومن بنى ستم : عدى بن قيس بن حذافة .

ومن بنى عامر بن لؤي : حويط بن عبد المزي بن أبي قيس بن
عبد ودّ هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب .

ومن أبناء القبائل : من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفل بن معاوية
ابن هروة بن صخر بن رزن بن يعمر بن نفاثة بن عدى بن الدّيل .

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمرو بن باكير عن
مقسم أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خرجت
أنا ووليد بن كلاب الأثبي، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو
يطوف بالبيت، ممسكاً بعمقه بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين كلمه النبي يوم حنين؟ قال: نعم، جاء رجل من بني تميم،
يقال له ذو الحول بصره، فوقف عليه وهو يعطي الناس، فقال: يا محمد،
قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل،
فكيف رأيت؟ فقال: لم أرك عدلت، قال: فمضيت النبي صلى الله عليه وسلم،
ثم قال: ويحك! إذا لم يكن العدل عندي، فممن من يكون؟! فقال عمر
ابن الخطاب: يا رسول الله، ألا أفتله؟ فقال: لا؛ دعه فإنه سيكون له شعبة
يتمم قوت في الدين حتى يخرجوا منه، كما يخرج السهم من الرمية، ينظر
في الذئب، فلا يوجد شيء، ثم في الفدح، فلا يوجد شيء، ثم في الفوق،
فلا يوجد شيء، فسبق الفوق والذئب.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر عن
حديث أبي عبيدة، وسماه ذا الحول بصره.

شعر حسان في حرمان الأنصار

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن أبيه عن ذلك،

قال ابن هشام: ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى

قريش وقبائل العرب ، ولم يعطِ الأنصار شيئاً ، قال حسّان بن ثابت يماثبه في ذلك :

زادَتْ هُمُومٌ فِى الْعَيْنِ مُنْجَدِرُ سَعَا إِذَا حَفَلَتْهُ عَـبْرَةٌ دِرَرُ
وَجَدَا بِشَمَاءَ إِذْ كَتَمَاهُ بَهْـكَكْنَةُ هَيِّفَاهُ لَا ذَنْنٌ فِيهَا وَلَا خَوَرُ
دَعَّ عَنْكَ شَمَاءُ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا نَزَرَا وَشَرُّ وَصَالِ الْوَاصِلِ النَّزَرُ
وَأَتَى الرَّسُولَ قُلُّ يَآخِرَ مَوْثَمِنٍ لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدَّدَ الْبَشَرُ
عَلَامٌ تُدْعَى سَلِيمٌ وَهِيَ نَازِحَةٌ قُدَّامَ قَوْمٍ هُمْ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا
سَمَّاهُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا بَنَصْرِهِمْ دِينَ الْهُدَى وَعَوَّانُ الْحَرْبِ تَسْتَعِيرُ
وَسَارِعُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجِرُوا
وَالنَّاسُ أَلْبَسُوا عَلَيْنَا فَيْكَ لَيْسَ لَنَا إِلَّا الشُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَزَرُ
نَجَالِدُ النَّاسِ لَا تُنْبِقِى عَلَى أَحَدٍ وَلَا نُضَيِّعُ مَا تُوجِى بِهِ السُّورُ
وَلَا تَهْرِجُ جُنَاهُ الْخَرْبِ نَادِينَا وَنَحْنُ حِينَ تَلَطَّى نَارُهَا سُعُرُ
كَارِدَدْنَا بِبَذْرِ دُونَ مَا طَلَبُوا أَهْلَ الْفَقَاقِ وَفِينَا بُنَزَلُ الظُّفْرِ
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النِّعَمِ مِنْ أَحَدٍ إِذْ حَزَبْتَ بَطْرًا أَحْزَابَهَا مُضَرُ
فَمَا وَنِينَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا مِنَّا عِثَارًا وَكُلَّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا

قال ابن هشام : حدثني زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحاق : قال :
وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري ،
قال : لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا ،

في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجَدَ هذا الحَيُّ من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم الغالة حتى قال قائلهم : أَقَدَ لَقِيَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ ، فدخل عليه سعد بن عُبَادَةَ ، فقال : يارسول الله ، إِنَّ هذا الحَيَّ من الأنصارِ قد وَجَدُوا عَلَيْكَ في أنفسهم ، لما صنعت في هذا النِّيءِ الذي أَصَبْتَ ، قَسَمْتُ في قومك : وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عَظَمًا في قبائل العرب ، ولم يَكُ في هذا الحَيِّ من الأنصارِ منها شيء . قال : فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟ قال : يارسول الله ، مَا أَنَا إِلَّا مِنْ قَوْمِي . قال : فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ في هذه الحَظِيرَةِ . قال : نَخْرُجُ سَعْدُ ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ في تلكِ الْحَظِيرَةِ . قال : فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ ، فَدَخَلُوا ، وَجَاءَ آخَرُونَ فَزِدْتُمْ . فلما اجتمعوا له أَتَاهُ سَعْدُ ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحَيُّ من الأنصارِ ، فَأَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ : مَا غَالَةٌ بَلَغْتَنِي عَنْكُمْ ، وَجِدَّةٌ وَجَدْتُكُمْ هَا هُنَا في أَنْفُسِكُمْ ؟ أَلَمْ آتِيكُمْ ضُلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ ، وَغَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ ، وَأَعْدَاءَ فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ! قَالُوا : بَلَى ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَهْنٌ وَأَفْضَلُ . ثُمَّ قَالَ : أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؟ قَالُوا : بِمَاذَا نَجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ . قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقَتُمُ ، فَاصْدَقْتُمُ ، وَلَعُدَّ قَوْمٌ : أَتَيْنَاكُمْ كَذِبًا فَصَدَقْنَاكُمْ ، وَتَخَذُوا فَهَرَبْنَاكُمْ ، وَطَرَبُوا فَأَوْبَيْنَاكُمْ ، وَعَانَلَا فَاسْتَيْنَاكُمْ . أَوْجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ في أَنْفُسِكُمْ في لَمَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا ، وَوَكَلَّتْكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِجَالِكُمْ ؟

.....

فوالذي نفس محمد بيده ، لو لا المعجزة لكنت امرأة من الأنصار ، ولو سلك
 الناس شيعاً ومثلك بالأنصار شيعاً ، لسلكت شغب الأنصار ، اللهم ارحم
 الأنصار ، وابناء الأنصار ، وابناء ابناء الأنصار .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحامهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً
 وحطاً . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا .

بصرة الرسول من الجحش لطفه .

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين .

سنة عاشر

الحجاز الرسول واستخلافه ابن أسيد على مكة

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة معجراً ،
 وأمر ببقائها في بني نضير بمكة ، بتاحية سرة الظنهم ، فلما فرغ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة وراية خافض عتاب بن
 أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل ، بقاء الناس في الدين ، ويعلمهم
 القرآن ، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقايا النخبة .

قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبي
 صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم مائة ، فقام
 فخطب للناس ، فقال : أيها الناس ، أجمع الله كبد من جلع على عورهم ،

ثم قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروني على يومئذ كما ألقيت لمني حاجة
إلى أحد.

ولدت العمرة

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذي القعدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في بقية ذي القعدة
أو في ذي الحجة .

قال ابن هشام : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة است ليال
بقين من ذي القعدة فيما زعم أبو عمرو المدني .

قال ابن إسحاق : وحج الناس تلك السنة علي ما كانت العرب تحج عليه ،
وحج بالأسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد ، وهي سنة عمان ، وأقام أهل
الطائف على غير ما كان في طائفهم ، ما بين ذي القعدة إذا انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه عن الطائف
كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يحبره أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلا بكمكة ، ممن كان يهجو ويؤذي ، وأن
من بقي من شعره قريح ، فمن الزبيرى وهبيرة بن أبي وهب ، قد هروا
في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة ، فطر إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجاتك
من الأرض ؛ وكان كعب بن زهير قد قال :

ألا أبليفا عني بُجَيْراً رسالةً فهل لك فيما قلتُ ونحك هل لك؟
فبين لنا إن كنتَ لستَ بفاعِلٍ على أيّ شيءٍ غير ذلك ذلك
على خلقي لم ألفِ يوماً أباهُ عليه وما تُنفِي عليه أباً لك
فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسفٍ ولا قائل إماً عثرت : لَمَّا لك
سقاك بها المأمونُ كأساً رويّةً فأنه لك المأمونُ منها وعلكا

قال ابن هشام : ويروى « المأمور » . وقوله « فبين لنا » عن غير ابن
إسحاق .

وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر وحديثه :

من مُبْلِغٍ عني بُجَيْراً رسالةً فهل لك فيما قلتُ بالخير هل لك
شربت مع المأمون كأساً رويّةً فأنه لك المأمونُ منها وعلكا
وخالفت أسباب الهدى واتبعته على أيّ شيءٍ وبغيرك ذلك
على خلقي لم تُلفِ أماً ولا أباً عليه ولم تُذكر عليه أخاً لك
فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسفٍ ولا قائل إماً عثرت : لَمَّا لك

قال : وبعث بها إلى بُجَيْر ، فلما أتت بُجَيْراً كره أن يكتبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع
« سقاك بها المأمون » . صدق وإنه لكذوب ، أنا للمأمون : ولما سمع :

« على خُلق لم تُلفِ أمّا ولا أباً عليه » قال : أجل ، لم يُلفِ عليه أباه ولا أمّه .

ثم قال يُجَيِّر لَكُمب :

مَنْ مُبْلَغٌ كُتُبًا فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلًا وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ (لَا الْمُزْمَى وَلَا الْإِلَاتِ) وَخَذَهُ فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا ظَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمٌ
فَدِينُ زُهِيرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ وَدِينُ أَبِي سُلَيْمٍ عَلَى مُحَرَّمٍ

قال ابن إسحاق : وإِما يقول كعب : « المأمون » ، ويقال : « المأمور »
في قول ابن هشام ، لقول قريش الذي كانت تقول له لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللامية

قال ابن إسحاق : فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به مَنْ كان في حاضره من عدوّه ، فقالوا : هو مقتول : فلما لم يجد من شيء بُدَأَ ، قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوّه ، ثم خرج حتى قدِم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جُهينة ، كما ذكر لي ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله ، فقم إليه فاستأمنه . فذكر لي أنه قام إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ؛ حتى جلس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، دعني وعدو الله أضرب عنقه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعه عنك ، فإنه قد جاء تائباً ، نازعاً (عما كان عاياه) قال ففضب كعب على هذا الحى من الأنصار ، إماماً صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بنحير ، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانتُ سعادُ فقلبي اليومَ مقبولُ	مُقيمٌ إثرَها لم يُفدَ مَكْبُولُ
وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رَحَلُوا	إلا أغنَّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
هَيْفَاءُ مُقْبَلَةٌ عَجَزَاءُ مُدْبِرَةٌ	لا يُشْتَكَى قِصَرُ مِنْهَا وَلَا طُولُ
تَجَلَّوْا عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ	كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَغْلُولُ
شَجَّتْ بِذِي شَيْمٍ مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ	صَافٍ بِأَطْحَاضٍ وَهُوَ مَشْمُولُ
تَنْفِي الرِّيحِ الْقَدَى عَنْهُ وَأَفْرَطُهُ	مِنْ صَوْبِ غَادِيَةٍ بَيْضٍ يَمَالِيلُ
فَيَا لَهَا خُلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَّقَتْ	بِوَعْدِهَا أَوْ لَو أَنَّ النِّصْحَ مَقْبُولُ
لَكُنْهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيِّطَ مِنْ دَمِهَا	فَجَعَّ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ
فَمَا تَدْرُمُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا	كَأَنَّ تَلَوْنَ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ

• • • • •

وما تَمَسَّكَ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ إِنْ كَمَا يُمَسِّكَ لِلسَّمَاءِ الْفَرَائِيلُ
فَلَا يَفِرُّ نَفْسُكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ إِنْ الْأَمَانِيُّ وَالْأَخْلَامُ تَفْضِيلُ
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
أَرْجُو وَأُمِّلُ أَنْ تَذْنُو مَوَدَّتِهَا وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلُ
أَمَسْتُ مُسَاعِدُ بَارِضٍ لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتِ الْمَرَّاسِيلُ
وَلَنْ يُبَلِّغُهَا إِلَّا عُدَاقِرَةٌ لَهَا عَلَى الْإِبْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ
مِنْ كُلِّ نَضَاجَةِ الذِّقْرِ إِذَا عَرِقَتْ عُرُضُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ يَجْمُولُ
تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفَرِّدٍ لَهَقَ إِذَا تَوَقَّدَتْ الْحِزَانُ وَالْمِيلُ
ضَخِمَ مُقْلَدُهَا فَعَمَّ مَقِيدُهَا فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ
غَلَبَاءُ وَجَفَاءُ عَلَيْكُمْ مُذْكَرَةٌ فِي دَفْعِهَا سَمْعَةٌ قُدَّامُهَا مِيلُ
وَجِلْدُهَا مِنْ أَطْوَمِ مَا يُوْبِسُهُ طَلَحَ بَضَاحِيَّةِ الْمُتَقَنِّينِ مَهْزُولُ
حَرْفٌ، أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مَهْجَنَةٍ وَعَمَّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ
يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يَزِيقُهَا مِنْهَا آيَانٌ وَأَقْرَابُ زَهَائِيلُ
غَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالْحَضَرِ عَنْ عُرُضٍ مِرْقَعُهَا عَنْ بَنَاتِ الزُّورِ مَقْتُولُ
كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحُهَا مِنْ خَطِيمِهَا وَمِنْ الْأَحْيَيْنِ بِرِطِيلُ
تَمَرٌ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خَصَلٍ فِي غَارِزٍ لَمْ تَخَوْنَهُ الْأَحَائِيلُ
قَنَوَاءُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَسِيرِ بِهَا عَتَقَ مُبِينٌ وَفِي الْخُلْدَيْنِ تَسْمِيلُ
تَخْدِي عَلَى يَمْرَآتٍ وَهِيَ لَاحِقَةٌ ذَوَابِلُ مَشْنُوعِ الْأَرْضِ تَحَايِلُ

سُمرِ العجايا يتركن الحصى زيمًا لم يقين رؤوس الأكم تزعيل
 كأن أوت ذراعيها وقد عرقت وقد تلغ بالقور المساقيل
 يومًا يظل به الحرباء مضطجداً كأن ضاحيه بالشمس منلؤل
 وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورزق الجذاب يرغن الحصاصيلوا
 شد النهار ذراعاً عيطل نصف قامت لجابها نكد مناكيل
 فواحة رخوة الضبعين ليس لها لما نعى بكرها الناعون مفعول
 تغري الأبان بكفها ومذرعها مشفق عن تراقبها رعايل
 تسمى الفواة جنايبها وقولهم إنك يابن أبي سلمى أمقتول
 وقال كل صديق كنت أمه لا ألبيتك إني عنك مشغول
 فقلت خلوا سبيلي لأبالكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
 كل ابن أسي وإن طالت سلامته يومًا على آلة حذباء محمول
 نبئت أن رسول الله أوعدي والقفو عند رسول الله مأمول
 مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها وواعيظ وتفصيل
 لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت في الأقاويل
 لقد أقوم مقاماً لو يقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
 لظل يرعد إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويل
 حتى وضعت يميني ما أنزعته في كف ذي نقات قيله القيل
 فلهو أخوف عندي إذا كلمه وقيل إلك منسوب ومسئول
 من ضيعم بفراء الأرض مخدره في بطن عتر غيل دونه غيل

• • • • •

يَفْدُو وَيَلْحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ
مِنْهُ تَظَلَّ سِبَاعُ الْجَوْ نَافِرَةٌ
وَلَا يَزَالُ بَوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَتْ لَهُمْ
زَالُوا فَمَا زَالِ أَنْكَاسٌ وَلَا كُفٌّ
شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالُ كَبُوسُهُمْ
بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقُ
لَيْسُوا مَفَارِجَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ
يَمْشُونَ مَشَى الْجَمَالِ الزُّهْرُ يَعْتَصِمُهُمْ
لَا يَقَعُ الطَّغْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ
لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ
أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَقْلُوعٌ
وَلَا تَمْشَى بَوَادِيهِ الْأَرَاغِيلُ
مُضْرَجُ الْبَرْزِ وَالذُّرْسَانِ مَا كُولُ
مُهَنْدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوعٌ
بَيِّنُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُؤُلُوا
عِنْدَ الْإِقَاءِ وَلَا مِيلَ مَعَارِيزُ
مَنْ نَسَجَ دَاوُدُ فِي التَّيْجِ سَرَابِيلُ
كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ تَجْدُولُ
قَوْمًا وَلَيْسُوا بِحَازِبَةٍ إِذَا نِيلُوا
ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ الشُّودُ التَّنَائِيلُ
وَمَالَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

قال ابن هشام : قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبنيته : « حَرَفَ أَخُوها أَبوها » وبنيته : « يَمْشَى الْقَرَاد » ، وبنيته : « عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ » ، وبنيته : « تَمَرٌ مِثْلَ عَسِيدِ النَّخْلِ » ، وبنيته : « تَنْزِي الْأَبَان » وبنيته : « إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا » وبنيته : « وَلَا يَزَالُ بَوَادِيهِ » : عن غير ابن إسحاق .

فِي الْغُرِّ مِنْ غَسَّانٍ مِنْ جُرْثُومَةٍ أُعْيَتْ حَافِرُهَا عَلَى الْإِنْفِقَارِ

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده : « بَانتْ مُسْعَادُ فَقَابِي الْيَوْمَ مَتَبُول » : لَوْلَا ذَكَرْتَ الْأَنْصَارَ بِخَيْرٍ ، فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلٌ ، فَقَالَ كَعْبُ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَهِيَ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

قال ابن هشام : وذكر لي عن علي بن زيد بن جُدْعَانَ أَنَّهُ قَالَ : أَنَشَدَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ :

« بَانتْ مُسْعَادُ فَقَابِي الْيَوْمَ مَتَبُول »

غزوة الطائف

ذكر بعضُ أَهْلِ النَّسَبِ أَنَّ الدَّمُونَ بْنَ الصَّدِيفِ ، واسم الصَّدِيفِ : مَلِكُ ابْنِ مَالِكِ بْنِ مُرْتَعٍ بْنِ كِنْدَةَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَصَابَ دَمًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَلَحِقَ بِتَقِيفٍ ، فَأَقَامَ فِيهِمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَلَا أَبْنَى لَكُمْ حَائِطًا يُطِيفُ بِبَلَدِكُمْ ، فَبَنَاهُ ، فَسُخِّي بِهِ الطَّائِفُ ، ذَكَرَهُ الْبَكْرِيُّ هَكَذَا^(١) قَالَ : وَإِنَّمَا هُوَ الدَّمُونَ بْنُ عُيَيْدٍ ابْنِ مَالِكِ بْنِ دَهْقَلٍ ، وَهُوَ مِنَ الصَّدِيفِ ، وَلَهُ ابْنَانِ أُدْرِكَا النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبَايَعَاهُ ، اسْمُ أَحَدِهِمَا : التُّهْمِيلُ ، وَالْآخَرُ : قَيْبِصَةُ ، وَلَمْ يَذْكُرْهُمَا أَبُو عُمَرَ فِي الصَّحَابَةِ ، وَذَكَرَهُمَا غَيْرُهُ .

(١) ذكر هذا في معجمنا المستعجم .

وذكر أن أصل أعتابها أن قيس^(١) بن مُنَبِّه ، وهو ثقيف أصاب دماً في قومه أيضاً ، وم إباد ففر إلى الحجاز ، فر بأمرافق يهودية فأوثقه^(٢) ، وأقام عندها زماناً ، ثم انتقل عنها ، فأعطته قُضْباً من الحُبْلَةِ وأمرته أن يفرسها في أرض وصفتها له ، فأنى بلاد عَدَوَانَ ، وهم سكان الطائف في ذلك الزمان ، فر بسُخَيْلَةٍ^(٣) جارية عامر بن الظَّربِ العَدَوَانِي ، وهي ترضى غنماً ، فأراد سياءها ، وأخذ الغنم ، فقالت له : ألا أدلك على خير مما هممت به ، أقصِدْ إلى سيدي وجاوره فهو أكرم الناس ، فأتاه فزوَّجه من بنته زينب بنت عامر ، فلما جَلَّتْ عَدَوَانَ عن الطائف بالحروب التي وقعت بينها أقام قيسٌ ، وهو ثقيف ، فنه تناسل أهل الطائف ، وسمى : قسيّاً بقسوة قلبه حين قَتَلَ أخاه أو ابن عمه^(٤) ، وقيل : سُمِّيَ ثَقِيفاً لقولهم فيه : ما أَثَقَفَهُ حين ثَقِفَ عامراً حتى أُمِنَهُ وزوَّجه بنته .

وذكر بعضُ المفسرين وجهاً آخر في تسميتها بالطائف ، فقال في الجنة التي ذكرها الله سبحانه في سورة « ن » حيث يقول : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ ن : ١٩ . قال : كان الطائف جبريل عليه السلامُ أقبلهما من موضِعهما ، فأصبحت كالصَّريم ، وهو الليل ، أصبح ، ووضعها كذلك ،

-
- (١) في الأصل قيس . ولكنه قسى كما سيذكر ، وكما ورد في كتب النسب
 (٢) في البكري : فاتخذها أمّاً ، واتخذته ابناً .
 (٣) في معجم البكري : خصيلة ، وقيل : زينة .
 (٤) في البكري : ابن عمه ، وأنه قال عقب قتله :
 وحربة ناهل أوجرت عمراً فإلى بعيدة أبداً قرار

ثم سار بها إلى مكة ، فطاف بها حَوْلَ البيت ، ثم أنزلها حيث الطائف اليوم ،
فُسِّمَتْ بِاسْمِ الطائِفِ الَّذِي طاف عليها ، وطاف بها ، وكانت تلك الجنة
بَصْرَوَان^(١) على فَراسِخَ من صَنْعَاءَ ، ومن ثمَّ كان الماء والشجرُ بالطائف دون
ماحولها من الأرضين ، وكانت قصة أصحابِ الجنة بعد عيسى بن مريم
صلى الله على نبيينا وعليه وسلم يسيّر ، ذكر هذا الخبر النقاش وغيره^(٢) .

فإن قيل : فإذا كان ثقيفٌ هو قَيْسٌ بن مُنَبِّهٍ ، كما قال ابن إسحاق وغيره ،
فكيف قال سيبويه حاكياً عن العرب : ثقيف بن قَيْسٍ ، لجعله ابناً لِقَيْسٍ ؟
قيل : إنما أراد سيبويه أن الخئِ سُمِّيَ ثقيفاً ، وهم بنو قَيْسٍ ، كما قالوا باهلة
ابن أعصر ، وإنما هي أمهم ، ولكن سُمِّيَ الخئُ بها ، ثم قيل فيه : ابنُ
أعصر^(٣) ، كذلك قالوا : ثقيف بن قَيْسٍ على هذا ، ويقوى هذا أن سيبويه
إنما قال حاكياً : هؤلاء ثقيف بن قَيْسٍ .

(١) في الأصل : ضوَارن والتصويب من البكري وتفسير ابن كثير ، وهي
على بعد ستة أميال من صنعاء كما نقل ابن كثير عن سعيد بن جبير .
(٢) أقوال بلا سند . والنقاش يفتري الكثير ، وقد ورد أنهم من أهل
الحبشة ، وأنهم كانوا أهل كتاب .
في الاشتقاق : من قبائل سعد بن قيس : أعصر بن سعد ، وهو أبو غني وباهلة
والطفافة ، ولقب أعصر لبيت قاله ، وكان من المعمرين . والبيت كما هو
في اللسان :

أبني إن أباك غير لونه كر الليالي واختلاف الأعصر
ثم قال عن باهلة إنها امرأة من مذحج أو من همدان ، ولأنها حضنت كل
أولاد من بن أعصر أو من بن مالك بن أعصر .

آلات الحرب في الطائف :

فصل: وذ كر نعم أهل الطائف صنعة الدبابات والمجانيق والضُّبور. الدَّبابَةُ: آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدُّون بها إلى الأسوار لينمُّبوها ، والضُّبور: مثل رءوس الأسفاط يُتَّقَى بها في الحرب عند الانصراف ، وفي العين : الضُّبُرُ جلود يُغَشَّى بها خشبٌ يُتَّقَى بها في الحرب . وفي الحديث عن الزهري أن الله - تبارك وتعالى - حين مسح بنى إسرائيل قِرْدَةً مسح رؤسهم المَظَّ ، ورُءُوم الذِّرة ، وعَنَبهم الأَرَاك ، وجَوَزُهم الضُّبُر ، وهو من شَجَر البرِّيَّة . وله عمر كالجوز لا نفع فيه ، فهذا معنى آخر غير الأول . وقال أبو حنيفة في الضُّبُر : إنه كالجوز ينور ولا يطعم ^(١) قال : ويقال أظَلُّ الظلال : ظلُّ الضُّبُرَةِ وظل الثَّغَنِيمة ، وظل الحجر ، قال : وورقها كبار كثيفة ، فكان ظلُّها لذلك أُلْحَى ^(٢) وأما المَظُّ الذي تقدم ذكره في الحديث فهو رُمَّانُ البرِّ ينور ، ولا يُشْمِر ، وله جُلَنَارٌ ، كاللُّرْمَان ^(٣) يُنْتَصُّ منه المَدَخُ ، وهو عَسَلٌ كثير يُشْبَع من امتصة حتى يملأ بطنه ، ذكره أبو حنيفة في النبات .

(١) في اللسان : ولا يعقد .

(٢) ظل ألمى : كَشَف .

(٣) الجلنار . زدر الرمان معرب كلنار . وفي الأصل : الزمان بدلا من

الرمان .

وأما المجانيق^(١) : فمعروفة وهى أعجمية عربتها العربُ . قال كزاع :
كلُّ كلمة فيها جيم وقاف ، أو جيم وكاف فهى أعجمية ، وذلك كالجوالق
والجواق^(٢) وجائق والسكيلة وهى مكيال صغير ، والسكفجار^(٣)
وهى المغرفة والقنبح وهو الخجل وما كان نحو ذلك ، واليم فى منجنيق أصاية
عند سيديويه والدون زائدة ، ولذلك سقطت فى الجمع^(٤) .

مول شعر كعب :

وذكر شعر كعب وفيه :

وكم من معشر ألبوا علينا

أى جمعوا ، وصميم الجذم مفعول بألبوا ، وفيه يصف السيوف :

كأمثال المقائق أخاصتها قيون الهند لم تضرب كتيها

(١) جمع منجنيق بفتح الميم وكسرها آله ترمى بها الحجارة كالمنجنوق
معربة ، وقد تذكر فارسيتها من جهنيك ، أى : أنا ما أبودنى وجمعها منجنيقات
ومجانيق ، وقد جنقوا ، وجنقوا ، وجنقوا .

(٢) بكسر الجيم واللام ، وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها وجمعه جوالق
كصحاتف وجوالق بفتح الجيم وجوالقات بضم الجيم ، أما الخفاجى فى شفاء الغليل
فيقول : بالضم مفرد وجمعه جوالق بالفتح نادى . معرب . وبعضهم - ومنهم سيديويه
- ينسكروالقات لأنهم جمعوا جوالق جمع تكسير . وفى اللسان : الجوالق بضم الجيم
وفتح اللام وكسرها مفرد . ولم أجد جوالق فاعله يعنى : جوسق ، وهو اسم
قصر صغير .

(٣) لم أهد إلى ضبطها .

(٤) فى القاموس جمعها : منجنيقات ومجانيق ومجانيق .

العقائى : جمع عَقِيْقَة ، وهو الْبَرْقُ تنعق عنه السحاب^(١) .
وقوله : لم تُضْرَبْ كَتِيْفًا ، جمع كَتِيْفَة ، وهى صحيفة من حديد صغيرة ،
رأصل السكتيف : الضيقُ من كُلِّ شَيْءٍ .
سعر كنانة :

وذكر شعر كِنَانَة بن عَبْدِ الْبَلِيلِ التَّمَقِّي ، وفيه :
وكانت لنا أطواؤها وكرومها
الأطواء : جمع طَوِيٍّ ، وهى البئر ، مُجِعتُ على غير قياس تَوَهَّموا سُقُوطَ
ياء فَعِيلٍ منها إذ كانت زائدة^(٢)
وفيها :

وقد جَرَّ بَتْنًا قبلُ عمرو بن عامر
إِنَّمَا قال هذا جواباً للأنصار ، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ،
وعمرُو هو مُزَبَقِيَاءُ ، وعاءرٌ هو ماء السماء ، ولم يُرِدْ أن الأنصار جربتهم قبل
ذلك ، وإِنَّمَا أراد إخوانهم ، وهم خُزَاعَة لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر
فى أحد القواين ، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة ، وقال الْبَكْرِيُّ فى معنى

(١) عرفه القاموس : العقيقة من البرق ما يبقى فى السحاب من شعاعه ، ولعل
تنعق : تنشق .

(٢) يقول ابن الأثير : الطوى فى الأصل صفة فعيل بمعنى مفعول ، فلذلك
جمعوه على الأطواء ، كشرىف وأشراف ، وإن كان قد انتقل إلى باب الإسمية

هذا البيت : إنما أرادَ بنى عمرو بن عامر بن صَمَصَةَ ، وكانوا مُجَاوِرِينَ لثَقِيفٍ وأُمِّهم عَمْرَةُ بنت عامر بن الظَّرِبِ المَدَوَانِي ، وأختها زَيْنَب كانت تحت ثَقِيف ، وأكثَر قبائل ثَقِيفٍ منها ، وكانت ثَقِيفٌ قد أنزلت بنى عمرو ابن عامر في أرضهم ليعملوا فيها ، ويكون لهم النِّصْفُ في الزَّرْع والشَّعْر ، ثم إن ثَقِيفًا منعهم ذلك ، وتحصنوا منهم بالحائط الذي بنوه حول حاضرتهم ، فحاربهم بنو عمرو بن عامر ، فلم يظفروا منهم بشيء ، وجَلَّوا عن تلك البلاد ، ولذلك يقول كِنَانَةُ :

وقد جرَّ بَنُنَا قَبْلُ عَمْرُو بن عامر

البيت ذكره البكري في خبر طويل لخصته^(١) .

أول من رمى بالنجنيق في الجاهلية والاسلام :

فصل : وذكر حصار الطائف ، وأن أول من رمى بالْمَنْجَنِيْقِ في الإسلام النبي صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف : وأما في الجاهلية ، فيذكر أن جَذِيعَةَ بنَ مَالِكِ بن قَهْمِ بن غَنَمِ بن دَوْس ، وهو المعروفُ بِالْأَبْرَشِ أولُ من رمى بِالْمَنْجَنِيْقِ ، وكان من ملوك الطوائف ، وكان يُعرف بالوَضَّاحِ ، ويقال له أيضاً مُنَادِمُ الْفَرَقْدَيْنِ ، لأنه رَبًّا بِنَفْسِهِ عن مُنَادِمَةِ النَّاسِ ، فكان إذا شرب نادم الْفَرَقْدَيْنِ عَجَبًا

(١) أنظر ص ٧٧، ٧٨ ج ١ معجم ما استعجم للبكري، ولكن البكري ينسب هذه القصيدة إلى الأجدش بن مراد بن عمرو بن عامر بن سيار بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي .

بنفسه ، ثم نادى بعد ذلك مالكا وعقيلاً اللذين يقول فيهما مُتَمِّمُ [بن نُؤَيْرَة
يرثي أخاه مالكا] :

وَكُنَّا كَنُذْمَانِي جَذِيمَةٍ حِقْبَةٍ من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا^(١)
ويُذْكر أيضاً أنه أول من أوقد الشمع .

غيلان بن سلمة :

وذكر حُلَيْيَّ بَادِيَةَ بَنَتِ غَيْلَانَ ، وهو غَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ الشَّقَفِيِّ ، وهو
الذي أسلم ، وعنده عَشْرُ نِسْوَةٍ ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يُنْسِكَ
أربعاً^(٢) ، ويفارق سائرهن ، فقال فقهاء الحجاز : يختار أربعاً ، وقال فقهاء

(١) وبعده :

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا أصاب المنايا رھط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كآنى ومالك لطول اجتماع لم نبت ليلة مما
وكان ضرار بن الأزور الأسدي قد قتل مالكا بأمر خالد بن الوليد . ومالك
وعقيل ابنا فارج هما اللذان عثرا على عمرو بن عدى بن أخت جذيمة في أودية
الساوة بعد ضلّاله فيها عدة سنوات ، فحملاه إلى خاله جذيمة ، ثم سألاه منادمته ،
فلم يزالا نديميه حتى فرق الموت بينهما . وهما اللذان يذكّرهما أبو خراش الهذلي
في شعره بقوله :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خيلاً صفاً مالك وعقيل
ويضرب المثل بهما التواخين ، فيقال : كندمانى جذيمة وقد دامت لهما
رتبة المنادمة - كما قيل - أربعين سنة .

(٢) روى حديثه هذا أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم . ولحديثه هذا
عند الحافظ في الإصابة تحريجات عديدة فراجع في ترجمة غيلان .

العراق : بل يُنْسِكُ التي تَزَوَّجَ أولاً ، ثم التي تليها إلى الرابعة^(١) ، واحتج فقهاء الحجاز بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يَسْتَفْصِلْهُ أَيْتَن تَزَوَّجَ أَوَّلُ ، وتركه للاستفصال دليل على أنه مُحَيَّرٌ حتى جعل الأصوليون منهم هذا أصلاً من أصول العموم ، فقال أبو المعالى فى كتاب البُرْهَان : تَرَكَ الاستفصال فى حكاياتِ الْأَحْوَالِ مع الاحتمالِ يَنْتَزِلُ مِنْزِلَةً العموم فى المقال ، كحديث غَيْلَانَ . وَغَيْلَانُ هذا هو الذى قَدِمَ على كَسْرَى ، فسأله أى ولده أحب إليه؟ فقال غيلان : الغائبُ حتى يَقْدُمَ ، والمريضُ حتى يُفِيْقَ ، والصغيرُ حتى يَكْبُرَ ، فقال له كَسْرَى : ما غذاؤُكَ فى بلدك؟ قال : الخبز : قال : هذا عَقْلُ الْخَبْرِ ، تفضيلاً لعقله على عقول أهل الْوَرِّ ، ونسب للبرد هذه الحِكَايَةَ مع كَسْرَى إلى هُوَذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْخَنَفِيِّ ، والصحيح عند الإخباريين ما قدمناه ، وكذلك قال أبو الفَرَج .

بادية بنت غيلان :

وأما بادية ابنته ، فقد قيل فيها : بَادِيَةٌ بِالذُّنُونِ ، والصحيح بالياء ، وكذلك روى عن مالك ، وهى التى قال فيها هَيْتُ الْخَمَثُ لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةٍ : إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الطَّائِفَ ، فَإِنِ أَدْلَكَ عَلَى بَادِيَةِ بِنْتِ غَيْلَانَ ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبَرُ بِثَمَانٍ ، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : قَاتِلَاكَ

(١) يقول أبو حنيفة : إن تزوجن فى عقد واحد فسد نكاح الجميع ، وإن تزوجن متربات ثبت نكاح الأربع ، وفسد نكاح من بعدهن ، ولا تخيير ، أما الجمهور فعلى التخيير .

اللهُ لقد أَمَعَنْتَ النَّظَرَ ، وقال : لا يدخلن هؤلاء عليكم^(١) ثم نفاه إلى روضة خايخ ، فقيل : إنه يموت بها جوعاً فأذن له أن يدخل المدينة كل جمعة يسأل الناس ، ويُرَوَّى في الحديث زيادة لم تقع في الصحيح بعد قوله : وتُدبر بَئمان^(٢) مع ثَمَرٍ كالأَفْحُوانِ ، إن قامت تَنَثُّتْ ، وإن قعدت تَبَنَّتْ^(٣) ، وإن تَكَلَمْتَ تَمَنَّتْ ، يعني من الغَنَّةِ ، والأصل تَمَنَّنَتْ ، فقلبت إحدى الذواتين ياء ، وهي هيفاء^(٤) شَمُوعَ نَجْلَاءُ كما قال قيسُ بن الخطيم :

يَهْفَاءُ قَرَعَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا كَأَنَّهَا خُوطٌ بَانَةٌ قَصِفُ

(١) الرواية في صحيح البخارى : لا يدخل عليكم . هذا ولم تسم بادية في صحيح البخارى . وحديث هيت عند مسلم وأبي داود والنسائي دون تسميته .

(٢) يعني - كما قال القائل في الامالى - أنها تقبل بأربع عكن ، فإذا رأيتها من خلف رأيت لكل عكنة طرفين ، فصارت ثمانية ص ١٦٠ ، ج ١ الامالى . والعكنة : الطلى الذى فى البطن من السمن .

(٣) أى فرجت رجلها لضخم ركبتها كأنه شبهها بالقبة من الادم وهى المبناة اسمها وكثرة لحمها ، وقيل : شبهها بها إذا ضربت وطنت انفرجت وكذلك هذه إذا قعدت تربعت وفرجت رجلها والنهاية لابن الاثير ، وقيل من تبنت الناقة إذا باعدت ما بين فخذيها عند الحلب ص ٢٢ سمط اللالى .

(٤) فى سمط البكرى : فإنها مبتلة هيفاء شموع نجلاء تناصف وجهها فى القسامة ، وتجنأ معتدلاً فى الوسامة . وقد تسب هذا الوصف لنعيمان المخنث وهو يصف طائفة بنت طلحة ص ٢١ سمط اللالى .

تَنْتَرِقُ الطَّرْفَ، وَهِيَ لَاهِيَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا نَزْفٌ^(١)
تَنَامُ عَنْ كِبَرِ شَأْنِهَا فَلِذَا قَا مَت رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْفَرِفُ^(٢)

وفى هذا البيت صَحَّفَ ابْنُ دُرَيْدٍ أَعْنَى قَوْلِهِ : تَنْفَرِقُ ، فَقَالَ هُوَ بِالْعَيْنِ
المُهْمَلَةِ ، حَتَّى هُجِيَ بِذَلِكَ^(٣) ، فَقِيلَ :

أَسْتَقْدَمًا جَعَلْتُ تَنْفَرِقُ الطَّرْفَ بِجَهْلٍ مَكَانَ تَنْفَرِقُ
وَقُلْتُ : كَانَ الْخَبَاءُ مِنْ أَدَمٍ وَهُوَ حَبْلًا يُمْدَى وَيُصْطَدَّقُ^(٤)

(١) بعده :

بَيْنَ شُكُولِ النِّسَاءِ خَلَقَتْهَا قَصْدٌ فَلَا جَبَلَةَ وَلَا قَصْفَ

وقد ضبطت نزف في اللسان كما ذكرت . والنزف الاسم من نزف فلان دمه
ومن نزفه الدم ينزفه إذا خرج منه كثيراً . والنزف : الضعف الحادث عن ذلك .
أما في البيت ، فقد قال ابن الأعرابي : من الضعف والانهار — ولم يزد على ذلك
قال غيره : النزف هنا الجرح الذي ينزف عنه دم الإنسان ، وقال أبو منصور :
أراد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دمها منزوف . ومعنى تنفرق : تستفرق عيون
الناس بالنظر إليها ، وهى غافلة ثم هى رقيقة المحاسن كأن دمها ودم وجهها نزف
والمرأة أحسن ما تكون غب نفاسها لأنه ذهب تبيج الدم ، فصارت رقيقة
المحاسن واللسان مادة غرق ومادة نزف ، .

(٢) تَلْتَنِي أَوْ تَنْقُصُفُ مِنْ دَقَّةِ خَصْرِهَا .

(٣) هجاء المفجع البصرى ، وقد تقدم ذكر هذا عند الحديث عن جنب ،

(٤) ذكره الشيخ بدر الدين الزركشى في كراسة له سماها : عمل من طب لمن

حب ، وروى البيت الأول هكذا :

أَلَسْتُ بِمَا صَحَّفْتُ تَنْفَرِقُ الطَّرْفَ بِجَهْلٍ فَقُلْتُ تَنْفَرِقُ

ورواه التيجانى فى تحفة العروس :

أَلَمْ تَصْحَفْ ، فَقُلْتُ تَنْفَرِقُ الطَّرْفَ بِجَهْلٍ مَكَانَ تَنْفَرِقُ

ص ٣٦٦ ج ٢ المزهري للسيوطي .

وكان صَحْفَ أَيْضاً قول مُهْلَمِل ، فقال فيه : الخُبَاءُ ^(١) ، وبأدب هذه كانت تحت عبد الرحمن بن عوفٍ ، فولدت له جُوَيْرِيَّة وهي امرأة المِسْوَر ابن مُحَرَّمَة .

المُحْشَوْر الذين طَنَوْهُ بالمدينة :

وكان الْمُخَنَّثُونَ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة : هَيْتٌ هذا ، وَهَرَمٌ وَمَاتِيع ^(٢) ، وإِنَّه ، ولم يكونوا يُزْنُونَ بالفَاحِشَة الكُبْرَى ، وإنما كان تَأْنِيْهِمْ إِيْنًا في القول وَخِضَابًا في الأيدي والأَرْجُلِ كَخِضَابِ النِّسَاء ، ولَعِبًا كَلَعِبِينَ ، وربما لَعِبَ بَعْضُهُمْ بِالْكُرْجِ ^(٣) ، وفي مراسيل أبي داود أن عُمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، رأى لاعبا يلعب بالكُرْج ، فقال : لولا أني رأيت هذا يُلْعَبُ به على عهدِ النبي - صلى الله عليه وسلم - لَنَفَيْتُهُ من المدينة .

عَبِيْنَة

وذكر عُيَيْنَة بن حِصْنٍ ، واسمه : حُذَيْفَة ، وإنما قيل له : عُيَيْنَة لِشَرِّه كان بعينه .

العبيد الذين نَزَلُوا من مَعْنِ الطائِف

وذكر العبيد الذين نَزَلُوا من الطائِف ، ولم يُسَمِّهم ، ومنهم أبو بَكْرَة

(١) سبق قول مهمل عند الحديث عن جنب .

(٢) ذكرهم البكري في السمط. ص ٢١٤ وقد نقله الحافظ في الإصابة عن البكري وقال : هدم بالدال .

(٣) دخيل معرب كره لا أصل له في العربية وهو مثل المهر يتخذ ليعلم وليه ، ولهذا نسب إليه الخنث ف قيل عنه : الكرجي .

نَفِيعُ بْنُ مَسْرُوحٍ نَدَّى مِنْ سُورِ الطَّائِفِ عَلَى بَكْرَةٍ ، فَكُنِيَ أَبَا بَكْرَةٍ ،
وهو من أفاضل الصحابة ، ومات بالبصرة ، ومنهم الأزرق ، وكان عبداً
للحارث بن كلدة الْمُتَطَبِّبِ ، وهو زوج سُمَيَّةَ مَوْلَاةِ الْحَارِثِ أُمِّ زِيَادِ
ابن أَبِي سُفْيَانَ ، وَأُمُّ سَلَمَةَ بْنِ الْأَزْرَقِ ، وَبَنُو سَلَمَةَ بْنِ الْأَزْرَقِ ، وَلَهُمْ
صِيَّتٌ وَذِكْرٌ بِالْمَدِينَةِ ، وَقَدْ انْتَسَبُوا إِلَى غَسَّانٍ ، وَغَلَطَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ ،
فَجَعَلَ سُمَيَّةَ هَذِهِ الْمَذْكُورَةَ أُمَّ عَمَّارٍ بْنِ بَاسِرٍ ، وَجَعَلَ سَلَمَةَ بْنِ الْأَزْرَقِ
أَخَا عَمَّارٍ بْنِ بَاسِرٍ لِأُمِّهِ ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ الْأَزْرَقَ خَرَجَ مِنَ الطَّائِفِ ، فَأَسْلَمَ
وَسُمَيَّةُ قَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بَزْمَانَ قَتَلَهَا أَبُو جَهْلٍ ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ تَحْتَ بَاسِرٍ
أَبِي عَمَّارٍ ، كَمَا تَقْدُمُ فِي بَابِ الْمُنَبِّئِ . فَتَبَيَّنَ غَلَطُ ابْنِ قُتَيْبَةَ وَوَهْمُهُ ، وَكَذَلِكَ
قَالَ أَبُو عُمَرَ النَّسَمَرِيُّ كَمَا قُلْتُ . وَمِنْ أَوْلَئِكَ الْعَبِيدُ : الْمُنَبِّئُ ، وَكَانَ اسْمُهُ
الْمُضْطَجِعُ ، فَبَدَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْمَهُ ، وَكَانَ عَبْدًا لِعُمَّانَ بْنِ عَامِرِ
ابْنِ مُعْتَبِرٍ .

وَمِنْهُمْ يَحْنَسُ الْقُبَالِ ، وَكَانَ عَبْدًا لِبَعْضِ آلِ بَسَارٍ .

وَمِنْهُمْ : وَرْدَانُ بْنُ جَدَّةِ الْفُرَاتِ بْنِ زَيْدِ بْنِ وَرْدَانَ ، وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
رَبِيعَةَ بْنِ خَرْشَةَ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ جَابِرٍ ، وَكَانَ أَيْضًا لِحَرْشَةَ ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَاءَهُ هَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ لِإِسَادَتِهِمْ ، حِينَ أَسْلَمُوا . كُلُّ هَذَا
ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ رِوَايَةِ ابْنِ هِشَامٍ ^(١) .

(١) مِنْهُمْ : يَسَارٌ ، وَأَبُو السَّائِبِ . وَمَرْزُوقٌ . ص ١٨٤ لِمَتَاعِ الْأَسْمَاءِ
لِلْقُرَيْشِيِّ .

وذكر أبو عمر فيهم نافع بن مشرّوح، وهو أخو نعيم أبي هكّرة، ويقال فيه وفي أخيه ابن الحارث بن كلفة .

وذكر ابن سلام فيهم نافعاً مولى غيلان بن سلمة الثقفي، وذكر أن ولّاه رجع إلى غيلان حين أسلم وأحسبه ونهما من ابن سلام، أو يمين رواه عنه، وإنما المعروف نافع بن غيلان، والله أعلم .

من نسب بجير بن زهير :

وذكر شعر بُجَيْرِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ ، واسم أبي سُلَيْمٍ : رَبِيعَةُ ، وهو من بني لاطيم بن عثمان ، وهم مُزَيْنَةُ ، عرفوا بأهمهم ، وقد قدمنا أنها بنت كلب بن وبرة ، وأن أختها الخوَّابُ ، وبها سُمِّيَ ماء الخوَّابِ ، وعُثْمَانُ هو ابن أَدِّ بْنِ طَابِخَةَ .

مول شعر بجير :

وقوله :

كَانَتْ عُلَّالَةٌ يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنٍ

هذا من الإقواء الذي تقدم ذكره ، وهو أن ينقص حرفاً من آخر القسيم الأول من الكامل ، وهو الذي كان الأصمعيُّ يسميه المُقْعَدُ^(١) .

(١) وكذلك كان يسميه الخليل لنقصانه من عروض البيت قوة . وأبو ذر الحاشي يقرأ حينئذ مصفرة أى يتضعيف الياء مع كسرها مصفرة ، وهذا لا يكون في البيت إقواء .

وقوله: ثانت عُلالة. العُلالة: جَرىُّ بعد جَرى ، أو قِتالٌ بعد قِتالٍ^(١) ،
يريد : أن هَوَازِنَ جمعت بجمعها عُلالةٌ في ذلك اليوم ، وحذف التنوين من
عُلالة ضرورةً ، وأضمر في كانت اسمها ، وهو القصة ، وإن كانت الروايةُ
بخفض يومٍ ، فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصب ، ولكن
ألفيته في النسخة للقيمة ، وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جاز في عُلالة أن
يكون منصوباً على خبر كان ، فيكون اسمها عائداً على شيء تقدم ذكره ،
ويجوز الرفع في ما أتت به إضافة إلى يومٍ على أن تكون كان تامةً مكتملةً
باسم واحدٍ ، ويجوز أن تجمع ^{لما للمصدر} مثل برةٍ وفجارٍ^(٢) ، وينصب
يومٌ على الظرف كما تقيده في النسخة .

وقوله : ترند حَسْرانًا ، جمع : حَسْرانٍ ، الدَّكَّاءُ . والرَّجْراجة : الدَّكَّابَةُ
الضَّخْمَةُ من الرَّجْرجة ، وهي شِدَّةُ الحركة وهو مضربٌ . فَيَلْتَقِي : من
الفَلَقِ ، وهي الداهية . والْهَرَّاسُ : شَوْكٌ معروف والضَّرَاءُ : الكلاب ، وهي
إذا مَشَتْ في الْهَرَّاسِ ابتغت لأيديها موضعاً ، ثم تضع أرجلها في مَرِيعِ
أيديها ، شَبَّه الخيل بها . والقُدْرُ : الوُعولُ الْمُسِنَّةُ . والنَّهْيُ : الغديرُ ، سمي
بذلك ، لأنه ماء نهأهُ ما ارتفع من الأرض عن السَّيْلان فوقف .

(١) وهي من العلل : الشرب بعد الشرب ، وأراد به هاهنا معنى السكرار
كما قال أبو ذر ص ٤١٠ .

(٢) فجار اسم للفجرة والفجور مثل قطام ، وهو معرفة علم غير مصروف
وبرة كذلك اسم علم غير مصروف بمعنى البر ، قال النابغة :
إنا اقتسمنا خطيننا بيننا حملات برة واحتمات فجار

وقوله : جَدُلٌ : جمع جَدَلَاءَ ، وهى الشديدة القتل ، ومن رَوَاه : جَدُلٍ ،
فمعناه : ذات جَدُلٍ .

وقوله : وآل مُحَرَّقٍ يعنى مُحَرَّر بن هِنْدٍ ملكَ الحِيرةَ ، وقد تقدم فى أول
الكتاب سَبَبُ تَسْمِيَّتِهِ بِمُحَرَّقٍ ، وفى زمانه وُلِدَ رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم فيما ذكروا - والله أعلم .

ومنا ومسح ظهر آدم :

فصل : وذكر انصراف النبي صلى الله عليه وسلم عن الطائف على دَحْنًا .
ودَحْنًا هذه هى التى خُلِقَ من تُرْبِهَا آدمُ صلى الله عليه وسلم على نبينا وعليه ، وفى
الحديث : إن الله خلق آدم من دَحْنًا ، ومسح ظهره بِدَحْنٍ مِنَ الْأَرَاكِ^(١) رَوَاه
ابنُ عَبَّاسٍ ، وكان مسحُ ظهرِ آدمَ بعد خروجه من الجنة باتفاق من الروايات ،
واختلفت الروايةُ فى مسح ظهره ، فَرَوَى ما تقدم ، وهو أصح ، وروى أن

(١) قال البكرى : موضع سيف البحر ، وفى اللسان : بين الطائف ومكة ،
وعند ياقوت أنها من خاليف الطائف : ويرى البكرى أن ابن إسحاق أراد أنه
سلك على وحى ، إذ ليس فى الطائف سيف بحر . ونعمان : وادى عرفة دونها إلى
منى ، وهو كثير الأراك . وفى ياقوت : واد ينفته - أى ينبت الأراك - ويصب
إلى ودان بلد غزاه النبي وهو بين مكة والطائف ، يسكنه هذيل . ومعجم ياقوت
وكتابه المشترك وضعاً ، وزعم أن الله خلق آدم من دَحْنٍ قول لا يشته سند
صحيح . ويخالف ما رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه من
أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض . ثم : ألا يسكنها ماورد فى
القرآن .

ذلك كان في سماء الدنيا قبل هبوطه إلى الأرض ، وهو قول السدي ، وكلتا الروایتين ذكرهما الطبري .

وقوله : حتى نزل الجعفرانة ، بسكون العين فيها هو أصح الروایتين ، وقد ذكر الخطابي أن كثيراً من أهل الحديث يشددون الراء^(١) ، وقد ذكر أن المرأة التي تمصت غزلاً من بعد قوّة كانت تُلقَّب بالجعفرانة ، واسمها : رِبْطَةُ بنت سعد ، وأن الموضع يسمى بها ، والله أعلم .

مول قول زهير أبي صرد :

فصل : وذكر زهيراً أبا صرد ، وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : ولو أنا مآخناً للحارث بن أبي شمر ، أو للنعمان بن المنذر ، وقد تقدم في أول الكتاب التمرير بالحارث وبالنعمان ، ومآخناً : أرضعنا ، والمِلْحُ : الرضاع قال الشاعر :

فلا يُبْعِدُ اللهُ رَبَّ الْعِبا دِ الْمِلْحِ مَا وَلَدَتْ خَالِدَةً
هُمْ الْمُطْعِمُو الضَّيْفِ شَحْمَ السَّنَا مِ وَالسَّكَا سِرُّو وَاللَّيْلَةِ الْبَارِدَةِ
وَهُمْ يَكْسِرُونَ صُدُورَ الْقَنَا بِالْخَيْلِ تَطَرَّدَ أَوْ طَارِدَةً
فَإِنْ يَكُنِ الْمَوْتُ أَفْنَاهُمْ فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةَ
وأما زهير الذي ذكره فهو ابن صرد يُكنى أبا صرد ، وقيل أبا جرد ،

(١) بكسر الجيم والعين وتشديد الراء هكذا يقوله العراقيون ، أم الحجازيون فيخففون ، فيقولونها بالضبط الاول . وكذلك الحديبية ، العراقيون يشددون ، والحجازيون يخففون .

وكان من رؤساء بنى جُشَم ، ولم يذكر ابن إسحاق شعره في النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم في رواية البسكائى وذكره في رواية إبراهيم بن سعد عنه وهو :

أُمْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمٍ فَإِنَّكَ الرَّءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ
أُمْنُنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ مُمَزَّقٌ شَمَاهَا فِي دَهْرِهَا غَيْرُ
يَا خَيْرَ طِفْلٍ وَمَوْلُودٍ وَمُنْتَخَبٍ فِي الْعَالَمِينَ إِذَا مَا حُصِّلَ الْبَشَرُ
إِنْ لَمْ تَدَارِكْهُمْ نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ

أُمْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا
إِذْ فُوكَ تَمْلَأُهُ مِنْ تَحْضِهَا الدَّرُّ

إِذْ كُنْتَ طِفْلًا صَغِيرًا كُنْتَ تَرْضَعُهَا^(١)

وَإِذَا يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَدْرُ
لَا تَجْعَلُنَا كَنِ شَاكَ نَعَامَتِهِ وَاسْتَنْبِقِ مِنَّا فَإِنَّا مَقْشَرُ زُهْرٍ
يَا خَيْرَ مَنْ مَرَحَتْ كُفَّتُ الْجِيَادُ بِهِ
عِنْدَ الْهِيَاجِ إِذَا مَا اسْتَوْقَدَ الشَّرَرُ
إِنَّا لَنَشْكُرُ آلَاءَ وَإِنْ كُفِّرَتْ وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مُدْخَرُ

(١) في البداية : أُمْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا .

إِنَّا نَوْمِلُ عَفْوَاً مِنْكَ مُتْلِيسُهُ (١) هَذِي الْبَرِيَّةُ إِذْ تَعْفُو وَتَذْتَصِرُ
فَاغْفِرْ عَفَاَ اللّٰهُ عَمَّا أَنْتَ رَاهِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الظَّفَرُ

من أمطام السبايا :

فصل : وذكر ردّ السبايا إلى هَرازين ، وأنه مَنْ لَمْ تَطْلُبْ نَفْسَهُ بِالرَّدِّ
عَوَّضَهُ مِمَّا كَانَ بِيَدِهِ ، واستطاب نفوس الباقين ، وذلك أَنَّ الْمَقَامِيمَ كَانَتْ قَدْ
وَقَعَتْ فِيهِمْ ، وَلَا يَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَمُنَّ عَلَى الْأَسْرَى بَعْدَ الْقَتْلِ ، وَيَجُوزُ لَهُ
ذَلِكَ قَبْلَ الْقَتْلِ ، كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَهْلِ خَيْبَرَ حِينَ مَنَّ
عَلَيْهِمْ ، وَتَرَكَهُمْ عُمَّالاً لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَرْضِهِمْ الَّتِي افْتَتَحُوهَا عَنْوَةً ، كَذَلِكَ
قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ ، قَالَ : وَلَا يَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ ، فَيَرْدَّهُمْ إِلَى دَارِ
الْحَرْبِ ، وَلَكِنْ عَلَى أَنْ يُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ ، وَيَكُونُوا تَحْتَ حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ ،
قَالَ : وَالْإِمَامُ مُخَيَّرٌ فِي الْأَسْرَى بَيْنَ الْقَتْلِ وَالْفِدَاءِ وَالْمَنْ وَالِاسْتِزْقَاقَ وَالْفِدَاءَ
بِالنَّفُوسِ لَا بِالْمَالِ كَذَلِكَ ، قَالَ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ هَذَا فِي الرِّجَالِ ، وَأَمَّا الذَّرَارِيُّ
وَالنِّسَاءُ ، فَلَيْسَ إِلَّا الْاسْتِزْقَاقُ ، أَوْ الْمُفَادَاةُ بِالنَّفُوسِ دُونَ الْمَالِ كَمَا تَقْدُمُ .

وذكر الجارية التي أُعْطِيَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَأَنَّهُ بَمَثَبِهَا إِلَى أَخْوَالِهِ
مِنْ بَنِي جُمَحٍ لِيَصْلَحُوا لَهُ مِنْهَا كَيْ يَصْدِيحُهَا ، وَهَذَا لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ ، لِأَنَّهُ
لَا يَجُوزُ وَطْءُ وَثَنِيَّةٍ وَلَا مَجُوسِيَّةٍ بِمَلِكٍ يَمِينٍ ، وَلَا بِنِكَاحٍ حَتَّى تُسَلِّمَ ، وَإِنْ

(١) في الاصل : منك عفواً .

كانت ذات رَؤُوح ، فلا بد أيضاً من استِبرائها ، وأما السكتايات ، فلا خلاف في جوازِ وطئهنَّ بِإِثْمِ الْبَيْنِ ، وقد روى عن طائفة من التابعين منهم عمرو بن دينار إباحةُ وطءِ المجوسية والوثنية بِإِثْمِ الْبَيْنِ ، وقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْدِكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾ تحريم عام إلا ما خصَّصته آيةُ المائدة من السكتايات ، والنكاح يقع على الوطء بالعقد والمِلْك .

مول سبي حنين :

وكان سبْيُ حُنَيْنٍ سِتَّةَ آلَافِ رَأْسٍ^(١) ، وكان النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - قد وَلَّى أبا سفيان بن حرب أمرهم ، وجعله أميناً عليهم ، قاله الزبير ، وفي حديث آخر ذكره الزبير بإسناد حسن أن أبا جهم بن حُذَيْفَةَ الْعَدَوِيَّ كان على الأنفال يوم حُنَيْنٍ ، فجاءه خالدُ بن البرصاء ، فأخذ من الأنفال زمامَ شَعِيرٍ فمانعه أبو جهم ، فلما تمانعا ضربه أبو جهم بِأَقْوَسٍ فَشَجَّهُ مِنْهُ قَلَّةً^(٢) ، فاستعدى عليه خالدٌ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له : خذ خمسين شاةً ودعه ، فقال أَقْدِنِي مِنْهُ ، فقال خذ مائة ، ودعه ، فقال : أَقْدِنِي مِنْهُ ، فقال : خذ خمسين ومائة ودعه ، وليس لك إلا ذلك ، ولا أَقْصُك مِنْ وَالٍ عَلَيْكَ ، فَقَوْمَتِ الْخَمْسُونَ وَالْمِائَةُ بِخَمْسِ عَشْرَةٍ فَرِيضَةً مِنَ الْإِبِلِ ، فَمِنْ هُنَالِكَ جَعَلَتْ دِيَةُ الْمُنْقَلَةِ خَمْسَ عَشْرَةٍ فَرِيضَةً^(٣) .

(١) وقيل كان مع هذا من الإبل أربعة وعشرو زواف ، ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية .

(٢) منقلة كمحدثه : الشجة التي تنقل منها فراش العظام .

(٣) وردت ديها في حديث صحيفة عمرو بن حزم . الذي قال عنه أبوودارد =

إعطاء المؤلفة قلوبهم صد الغنائم :

فصل : وأما إعطاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم من غنائم حُنَيْنٍ حتى تسلمت الأنصارُ في ذلك ، وكثرت منهم القالة ، وقالت : يُعْطَى صَنَادِيدَ الْعَرَبِ وَلَا يُعْطِينَا ، وأسَيافُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ ، فلعلَّكُمَا في هذه المسألة ثلاثة أقوال : أحدها أنه أعطاهم من خُمُسِ الْخُمْسِ ، وهذا القول مَرْدُودٌ لِأَنَّ خُمْسَ الْخُمْسِ مِلْكٌ لَهُ وَلَا كَلَامَ لِأَحَدٍ فِيهِ .

القول الثاني : أنه أعطاهم من رأس الغنيمة ، وأن ذلك خُصُوصٌ بالنبي صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى (قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) وهذا القولُ أيضاً يردُّه ما تقدم من نسخ هذه الآية ، وقد تقدم الكلامُ عليها في غزوة بدر ، غير أن بعض العلماء احتج لهذا القول بأن الأنصار لما انهزموا يوم حُنَيْنٍ فأيَّد اللهُ رسولَه وأمدَّه بملائكته ، فلم يرجعوا حتى كان الفتحُ ، ردَّ الله تعالى أمرَ المغنمِ إلى رسولِه من أجل ذلك فلم يعطهم منها شيئاً وقال لهم : أَلَا تَرَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رَحَالِكُمْ ، فَطَيَّبَ نَفُوسَهُمْ بِذَلِكَ بَعْدَ مَا فَعَلَ مَا أَمَرَ بِهِ .

والقول الثالث : وهو الذي اختاره أبو عبيدٍ أن إعطاهم كان من الخُمُسِ حيث يرى أن فيه مصلحةً للمسلمين .

= لا يصح .. ولا أحدث به : وقال ابن حزم في المحلى : صحيفة عمرو بن حزم منقطة لا آفة وم بها حجة ، والفريضة : أصلها البعير المأخوذ في الزكاة ، ثم اتسع فيه .

فصل : ومما لم يذكر ابن إسحاق يوم مُحَنِينَ . . . من الوليد أثقل
بالجراحة يومئذ ، فأنابه النبي صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ يَدَانِي عَلَى رَأْسِي
خَالِدٍ حَتَّى دُلَّ عَلَيْهِ ، فوجده قد أسند إلى مؤخرة رحله ، فنفث على جرحه
قَبْرِي ، ذكره الكشي .

وصف عَجُوزِ ابْنِ مَهْصَن :

فصل : وذكر عِيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ، وقول زَيْدِ بْنِ صُرْدٍ لَهُ فِي الْعَجُوزِ
الَّتِي أَخَذَهَا : مَا قُوْهَا بِيَاكِدٍ ، وَلَا تَذِيهَا بِبَالِيَةٍ ، وَلَا تَكِدْ . . .
أَيْضاً بِنَاكِدٍ ، يريد : ليست بغزيرة الدَّرِّ ، والنُّوقُ النَّكَدُ : العزير . . .
وأحسبه من الأضداد ، لأنه قد يقال أَيْضاً نَكِيدَ لَبْنُهَا إِذَا نَقَصَ ، فإِذَا سَابَحَ
الْعَيْنِ ، والصحيح عند أكثرهم أَنَّ النُّكَدَ هِيَ الْقَبْلَانِ . . .
عز وجل : (لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا) وَأَنَّ الْمَكْدَ بِالْمِمْ هِيَ الْغَزِيرَاتُ الْإِبْنِ ،
قال ابن سراج ، لأنه من مَكْدٍ فِي السَّكَنِ إِذَا أَقَامَ فِيهِ ، وقد يقال أَيْضاً :
نَكِيدَ فِي مَعْنَى مَكْدَ ، أَيْ ثَبَتَ .

الأقرع بن حابس :

وذكر الأقرع بن حابس ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ثم حسن إسلامه
بعد ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت : (وَلِلَّهِ عَلَى
النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) أفي كلِّ عام يارسول الله ؟ قال : لو قُلتُهَا لَوَجَّيْتُ ، وهو
الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين أقطع أبيض بن حمال الماء الذي

بأرب : أتدرى ما أقطعتَه يا رَسُولَ الله ؟ إنما أقطعتَه الماءَ المِدَّ (١) ، فاسترجمه
النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو حديث مشهورٌ ، غير أنه لم يُسمَّ قائل هذا
الكلام فيه إلا الدَّارَقُطْنِي في روايته ، وزاد فيه أيضاً : قال أبيض : على أن
يكون صدقةً مني يا رسول الله على المسلمين ، فقال : نعم ، وأما نَسَبُ الأقرع
بن حابس ، فهو ابن حابس بن عقال بن محمد بن سُفْيَان بن مُجَاشِع [بن دارم]
التَّيْمِيّ المَجَاشِعِيُّ الدَّارِمِيُّ ، وأما عُمَيْدَةُ ، فاسمه : حُذَيْفَةُ بن حِصْن بن
حُذَيْفَةَ بن بَدْرِ الفَزَارِيِّ ، وقد تقدم ذكره .

مالك بن عوف :

فصل : وذكر تولية النبي صلى الله عليه وسلم مالك بن عوف على
ثُمالة وبنى سلمة وفهم. وثُمالة هم بنو أسلم بن أحنن أُمهم : ثُمالة . وقول أبي
مُحَجَّن فيه :

هابت الأعداء جانبنا ثم تغزونا بنو سلمة

هكذا تقيد في النسخة بكسر اللام ، والمعروف في قبائل قيس : سلمة
بالفتح إلا أن يكونوا من الأزْد ، فإن ثُمالة المذكورين معهم حتى من الأزْد
وفهم من دؤس ، وهم من الأزْد أيضاً ، وأُمهم : جديلة وهي من غطفان بن
قيس بن غيلان ، على أنه لا يُعرف في الأزْد سلمة إلا في الأنصار ، وهم من

(١) أى الدائم الذى لا انقطاع لمادته ، وجمعه : أعداد . وقد روى حديثه
هذا أبو داود والترمذى والنساقى فى الكبرى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه

الأزد وسلمة أيضا في جعفي م ، وسلمة بن عمرو بن ذهل بن مران بن جعفي ، وسلمة في جهينة أيضا سلفة بن نصر بن غطفان بن قيس بن جهينة وجعفي من مذحج ، وجهينة من قضاة^(١) .

وأما مخجن ، فاسمه : مالك بن حبيب ، وقيل : عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عخير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قيس الثقفي ، وقد تقدم نسب أخجن عند ذكرنا لهب بن أخجن قبل باب المبعث .

وذكر أبا السنايل بن بعلكك ، واسمه : حبة أحد بني عبيد الدار ، وكان شاعرا وحديثه مع سبيعة الأسلمية حين آمت من زوجها مذكور في الصحاح^(٢) .

قول النبي صلى الله عليه وسلم لمرادس :

فصل : وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لعباس بن مرداس أنت القائل : فأصبح نهى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟

(١) في القاموس « وبنو سلة بطن من الانصار ، وابن كهلاء في بجيلة ، وابن الحارث في كندة ، وابن عمرو بن ذهل ، وابن غطفان بن قيس وعميرة ابن خفاف بن سلة ، وعبد الله بن سلة البدرى الاحدى . وعمرو بن سلة الحمداني وعبد الله بن سلة المرادى ، وأخطأ الجوهرى في قوله : وليس سلة في العرب غير بطن الانصار ، وقد نقل اللسان قول الجوهرى ولم يعقب عليه .

(٢) لما مات زوج سبيعة وضعت حملها وتيمأت للخطاب ، فأنكر عليها أبو السنايل ، وقال . حتى تمتدى أربعة أشهر وعشرا ، فسأت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعلمها أن قد حلت . هذا ما ورد في الصحيحين . أقول : وفي القرآن عن عدة ذات الحمل : (وأولات الاحمال أجعلن أن يضعن حملهن) . وقد روى أنها ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر . وقد أخرج قصة سبيعة البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والسناني . وفي الاصل عن نسبتها الإسلامية .

فقال أبو بكر الصديق : بين عُيَيْنَةَ والأَفْرَع ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هما واحد ، بمعنى في المعنى ، وأما في الفصاحة ، فالذى أُجْرِيَ على لسانه صلى الله عليه وسلم هو الأَفْصَحُ في تنزيل الكلام وترتيبه ، وذلك أن القَبْلِيَّةَ تكون بالفضل نحو قوله تعالى : ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ وتكون بالرتبة نحو قوله تعالى حين ذكر اليهود والنصارى ، فقدم اليهود لمجاورتهم المدينة ، فهم في الرتبة قبل النصارى ، وقَبْلِيَّةٌ بالزمان نحو ذكر التَّوْرَةِ والإنجِيلِ بعده ونوحاً وإبراهيم ، وقَبْلِيَّةٌ بالسَّبَب ، وهو أن يذْكَرَ ما هو عِلَّةُ الشَّيْءِ وَسَبَبُ وجوده ، ثم يُذْكَرُ الْمُسَبَّبُ بعده ، وهو كثير في الكلام مثل أن يذْكَرَ معصيةٌ وعقاباً أو طاعةٌ وثواباً فالأجود في حكم الفصاحة تقديمُ السبب .

القَبْلِيَّةُ بَيْنَ الْأَفْرَعِ وَعُيَيْنَةَ :

والأَفْرَعُ وَعُيَيْنَةُ من باب قَبْلِيَّةِ الْمَرْتَبَةِ ، وقَبْلِيَّةِ الْفَضْلِ ، أما قَبْلِيَّةُ الرُّتْبَةِ فإنه من خِنْدَفَ ، ثم من نبي نَمِيمٍ ، فهو أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من عُيَيْنَةَ ، فترتب في الذكر قبله ، وأما قَبْلِيَّةُ الْفَضْلِ ، فإن الأَفْرَعَ حَسُنَ إسلامه وعُيَيْنَةُ لم يزل مَعْدُوداً في أهل الجَمْعَاءِ حتى ارتدَّ وآمن بِطُلَيْحَةَ ، وأُخِذَ ، أُسِيرَ فجعل الصَّبِيَّانُ يقولون له - وهو يساق إلى أبي بكر - وَيَحْكُ بِاعْدُوْا اللهَ ارتدَدْتَ بعد إيمانك ، فيقول : والله ما كنت آمنْتُ ، ثم أسلم في الظاهر ، ولم يزل جافياً أَحْمَقَ حتى مات ،

وَبِحَسْبِكَ تَسْمِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ : الْأَتْحَقُّ الْمَطَاعُ^(١) وَمَا يَذْكُرُ مِنْ جَفَائِهِ أَنْ عَمَرُو بْنِ مَعْدَى كَرِبَ نَزَلَ بِهِ ضَيْفًا ، فَقَالَ لَهُ عُيَيْنَةُ : هَلْ لَكَ فِي الْحَرِّ نَتْنَادُمْ عَلَيْهَا ؟ فَقَالَ عَمْرُو : أَلَيْسَتْ مُحَرَّمَةً فِي الْقُرْآنِ ؟ فَقَالَ عُيَيْنَةُ : إِنَّمَا قَالَ : فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ، فَقُلْنَا نَحْنُ : لَا ، فَشَرَبَا .

مَدِينَةُ ذِي الْخَوْبِصِرَةِ

وَذَكَرَ حَدِيثَ ذِي الْخَوْبِصِرَةِ التَّمِيمِيِّ ، وَمَا قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي شِيعَتِهِ ، وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ : يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِهِ قَوْمٌ يَحْمِلُونَ صَلَاتَكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ . يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ الْحَدِيثُ^(٢) ، فَكَانَ كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَظَهَرَ صِدْقُ الْحَدِيثِ فِي الْخَوَارِجِ ، وَكَانَ أَوْلَهُمْ مِنْ ضِئْضِئِي ذَلِكَ الرَّجُلِ ، أَيْ : مَنْ أَصْلِهِ ، وَكَانُوا مِنْ أَهْلِ تَجْدِيدِ التِّي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِنْهَا يَطْلُعُ قَرْنُ

(١) رواه سعيد بن منصور والطبراني . لأنه كان قد دخل على النبي «ص» بدون استئذان ، وعنده عائشة فقال : من هذه الجالسة إلى جانبك ؟ قال : عائشة . قال : أفلا أنزل لك عن خير منها يعني امرأته ؟ فقال له النبي : أخرج فاستأذن ، فقال : إنما يمين على ألا أستأذن على مضرى . فقالت عائشة من هذا ؟ فقال اللاحق المطاع . وقد ذكر الشافعي في كتاب الآم في باب من كتاب الركاز أن عمر قتل عيينة على الردة .

(٢) أصل الحديث في الصحيحين .

الشَّيْطَانِ ، فَكَانَ بَدْوُهُمْ مِنْ ذِي اُنْخُوَيْصَرَةٍ ، وَكَانَ آيَتُهُمْ ذُو الثُّدَيَّةِ الَّذِي قَتَلَهُ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ ، وَكَانَتْ إِحْدَى بِيَدِهِ كَسَدَى الْمَرْأَةِ ، وَاسْمُ ذِي الثُّدَيَّةِ نَافِعٌ ، ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَغَيْرُهُ بِقَوْلِ اسْمِهِ : حُرْقُوصُ [بِنِ زُهَيْرٍ] ^(١) وَقَوْلِ أَبِي دَاوُدَ أَصَحُّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

شعر حسانه في عتابه صلى الله عليه وسلم :

وذكر شعر حسان وفيه :

هَيْفَاءُ لَا ذَنْنٌ فِيهَا وَلَا خَوْرُ

الذَّنُّ : الْغَدْرُ وَالْغَفْلُ ، وَالذَّنِينُ الْحَاظُ ، وَالذَّنُّ أَيْضًا أَلَّا يَنْقَطِعَ حَيْضُ الْمَرْأَةِ ، يُقَالُ : امْرَأَةٌ ذَنَاءٌ ، وَلَوْ رَوَى بِالْدَالِ الْمُهْمَلَةِ لَكَانَ جَيِّدًا أَيْضًا ، فَإِنَّ الدَّنَّ بِالْدَالِ هُوَ قَصْرُ الْعُنُقِ وَتَطَامُنُهَا ، وَهُوَ عَيْبٌ . وَالْبَهْكَنَةُ : الضَّخْمَةُ .

مول عتاب النبي للأُنصار :

فصل : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للأُنصار : مَا قَالَتْ بِلَغْتَنِي

(١) كَذَا فِي الْقَامُوسِ ، وَفِي الْمَللِ وَالنَّحْلِ ، لِشَهْرِسْتَانِي ، وَهُوَ مِنَ الْمُحْكَمَةِ الْأُولَى الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَاجْتَمَعُوا بِمَجْرُورَاءَ قَرْيَةٍ بِظَاهِرِ السَّكُوفَةِ . وَيَقُولُ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ نَبَا رَوَاهُ الصَّحِيحَانِ عَنْ الْخَوَارِجِ دَآيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدٌ لِإِحْدَى عَضْدِيهِ مِثْلُ تَدَى الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدْرُدُ ، ثُمَّ يَقُولُ : « وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتِلُهُمْ . وَأَنَا مَعَهُ ، وَأَمْرٌ بِذَلِكَ الرَّجُلِ قَاتِلُهُ ، فَأَتَى بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ لِمَالِهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعْتُ » .

(١٩٢ - الرُّوضُ الْأَقْفُ ج ٧)

عنكم وجِدَّةٌ وجَدْتُموها في أنفسكم ، هكذا الرواية : جِدَّةٌ والمعروف عند أهل اللغة : مَوْجِدَّةٌ إذا أردت الغَضَبَ ، وإنما الجِدَّةُ في المال .

وقوله عليه السلام : في لُعَاءَةٍ من الدنيا تألفتُ بها قومًا ، لِيُسَلِّمُوا . اللُّعَاءَةُ بَقْلَةٌ ناعمةٌ ، وهذا نحو من قوله عليه السلام : المالُ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، واللُّعَاءَةُ من هذا المعنى ، وهى المرأةُ المليحةُ التعفيفةُ ، واللُّعْلُعُ : التَّسَرُّبُ ، ولُعَاءُهُ : بِصِيصُهُ ^(١) .

جعيل بن سراقته :

وذكر جُعَيْلَ بن سُرَاقَةَ ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فيه : ووَكَأَلْتُ جُعَيْلَ بن سُرَاقَةَ إلى إسلامه . نسب ابنُ إسحاق جُعَيْلًا إلى ضَمَرَةَ ، وهو معدود في غِفَارٍ ، لأن غِفَارًا ، هم بنو مُنَائِلَ بن ضَمَرَةَ من بني لَيْثَ بن بَكْرَ ابن عَبْدِ مَنَافَةَ بن كِنَانَةَ . وأما حديث التَّمِيمِ الذى قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين أُعْطِيَ المؤلَّفة قلوبُهم : لم أركَ عدلتَ ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إذا لم يكن العدلُ عندي ، فعند مَنْ يكون ؟ وقال أيضًا : إني أرى قِسْمَةً ما أريد بها وَجْهُ الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : أبا مُثَنَّى الله في السماء ، ولا تَأْمَنُونِي ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فالرجل هو ذو الْخُوَيْصِرَةِ ، كذلك جاء ذكره في الحديث ^(٢) .

(١) في اللسان : ولُعَامُ الشمس : السراب ، والأكثر : لعاب الشمس واللعلع : السراب ، واللُعْلُعَةُ : بصيصه .

(٢) هكذا ورد اسمه في الصحيحين : ذو الخوَيْصِرَةِ رجل من بني تميم .

ويذكر عن الواقدي أنه قال : هو حُرْقُوصُ بن زُهَيْرِ السَّعْدِي من سَدِ تميم ، وقد كان لِحُرْقُوصٍ هذا مشاهد محمودة في حرب العراق مع الفُرس أيام عُمر ، ثم كان خارجياً ، وفيه يقول نهمية الخارجي :

حتى الأقي في الفِرْدَوْسِ حُرْقُوصاً

ولذلك قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : إنه سيكون من ضِئْضِئِهِ قوم تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم ، وذكر صفة الخوارج ، وليس ذو الخوَيْصِرَةِ هذا ذا النَّدْبَةِ الذي قتله على بالهَرَمِ ، وأن ذلك اسمه نافع ، ذكره أبو داود ، وكلام الواقدي حكاه ابن الطلاع في الأحكام له .

شعر بجبر وكعب ابني زهير :

نصل : وذكر قصّة بُجَيْرِ بن زُهَيْرِ بن أبي سُلَيْمٍ ، واسم أبي سُلَيْمٍ : ربيعة بن رباح أحد بني مُزَيْنَةَ .

وفي شعر كعب إلى أخيه بجبر :

سَقَاكَ بِهَا المَأْمُونُ كَأَسَارِوِيَّةٍ

ويُروى : الحمودُ في غير رواية ابن إسحاق ، أراد بالحمود : محمداً - صلى الله عليه وسلم - وكذلك المَأْمُونُ والأَمِينُ كانت قريش تسمي بهما النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة .

وقوله لأخيه بُجَيْرِ :

على خلقٍ لم تُنلفِ أمّا ولا أباً عليه، ولم تُذركِ عليه أحاكماً^(١)
 إنما قال ذلك ، لأن أمهما واحدة ، وهي كنبشة بنت عمار السحيميّة
 فيما ذكر ابن الأعرابي عن ابن الكلبي .
 وقوله : إِمّا عَثَرْتَ كَمَا لَكَ ، كلمة تقال للعائر دعاء له بالإقالة . قال الأعشى :
 فَالْتَفَسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ يُقَالَ كَمَا لَهَا^(٢)
 وأنشد أبو عبيد :

فَلَا كَمَا لَبَنِي فَمَلَانِ إِذَا عَثَرُوا

وقول بُجَيْر .

وَدِينُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لِأَشْيَاءَ دِينُهُ

روايةٌ مستقيمة ، وقد رواه القالي ، فقال : وهو لأشياء غيره ، وفسره
 على التقديم والتأخير أراد : ودين زهير غيره ، وهو لأشياء . ورواية ابن إسحاق
 أبعد من الإشكال وأصح ، والله أعلم .
 وكعب هذا من خول الشعراء هو وأبوه زهير ، وكذلك ابنته عُمَيْة

(١) في السيرة : .

على خلقٍ لم ألف يوماً أباه عليه وما تلقى عليه أباً لَكَ

(٢) البيت في اللسان مكدا :

بَسَذَاتُ لَوْثٍ عَفْرَانَةٌ إِذَا عَثَرْتَ فَالْتَفَسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَهَا

وكذلك هو في معجم ابن فارس ، وفي ديوان الأعشى . وفي نوادر أبي زيد

ابن كعب بن زهير يُعرف عُقْبَةُ بِالْمَضْرَبِ ، وابن عُقْبَةُ الْعَوَّامُ ^(١) شاعرٌ
أيضاً ، وهو الذى يقول :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَمَيَّرَ بَعْدَنَا مَلَا حَةُ عَيْنَيَّ أُمَّ عَمْرٍ وَجِيدُهَا
وَهَلْ بَلَيْتَ أَثْوَابُهَا بَعْدَ جِدَّةٍ أَلَا حَبَّذَ أَخْلَاقُهَا وَجَدِيدُهَا ^(٢)
وَمَا يُسْتَحْسَنُ وَيُسْتَجَادُ مِنْ قَوْلِ كَعْبٍ :
لَوْ كُنْتُ أُعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لَا أُعْجَبُ سَعَى الْفَتَى وَهُوَ مَحْبُودٌ لَهُ الْقَدَرُ
يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُذَكِّرُهَا فَالْنَفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمُّ مُنْتَشِرُ
وَالرَّهْ مَاعَاشٍ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ لَا تَنْتَهَى الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهَى الْأَثَرُ
وقوله :

إِنْ كُنْتُ لَا تَرْهَبُ ذِمِّي لِمَا تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ

(١) كان فى عهد بنى العباس . وفى سبط البكرى عنه : شاعر مفلح مقل من
شعراء الحجاز .. والعوام من المعرفين فى الشعر ، لأنهم خمسة شعراء فى نسق ،
وكان ربيعة أبو سلى شاعراً ، ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
(٢) بعده :

نظرت إليها نظرة ما يسرنى بها حر أنعام البلاد وسودها
ومن القصيدة فى حماسة أبى تمام :
ونبتت سوداء الغميم مريضة فأقبلت من مصر إليها أعودها
فوالله ما أدرى إذا أنا جثتها أبرئها من دائها أم أزيدها
والشعر فى امرأة كاف بها من بنى عبد الله بن غطفان ، فخرج فى مرة إلى
مصر فعلم أنها مريضة ، فترك مهرته وكر راجعاً إليها . فلما رآته أشارت إليه أن
يرجع إلى مهرته ، فرجع ، فلما ماتت رثاها بقصيدة منها :
سقى جدثاً بين الغميم وزلفه أحم الذرى واهى العزالى مطبرها
أنظر الحماسة بشرح التبريزى .

فاخشَ سُكُوتِي إِذْ أَنَا مُنْصِتٌ فَيْكَ لِمَسْمُوعٍ خَفَا الْقَائِلِ
فَالسَّامِعُ الذَّمَّ شَرِيكَ لَهُ وَمُطْعِمُ الْمَاكُولِ كَالَاكِيلِ
مَقَالَةُ الشَّوْءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْجِدِ سَائِلِ
وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

قصيدة بانث سعاد :

وذكر قصيدته :

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ

وفيها قوله :

شَجَّتْ بَذَى شَبَمِ

يعنى : ائْتَمَزَ ، وشَجَّتْ كُتِرَتْ من أعلاها لأنَّ الشَّجَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا
فِي الرَّأْسِ ، وَالشَّبَمُ الْبَرْدُ ، وَأَقْرَطُهُ : أَيْ مَالَاهُ . وَالْبَيْضُ الْيَعَالِيلُ :
السَّحَابُ ، وَقِيلَ : جِبَالُ يَنْجَدِرُ الْمَاءُ مِنْ أَعْلَاهَا ، وَالْيَعَالِيلُ أَيْضًا : الْغُدْرَانُ ،
وَاحِدُهَا يَغْلُولُ ؛ لِأَنَّهُ يُعِيلُ الْأَرْضَ بِمَائِهِ .

وقوله : يَا وَنَحْمَا^(١) خَلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا .

أَيْ خُلِطَ بِلَحْمِهَا وَدَمِهَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ الَّتِي وَصَفَهَا بِهَا مِنَ الْوَلَعِ وَهُوَ

(١) فِي السِّيرَةِ : لَكُنْهَا .

أُخْلِفَ ، والكذبِ ، والمُطْلِ ، يقال : ساط الدم والشراب إذا ضرب بعضه ببعض . وقال الشاعر يصف عبد الله بن عباس :

صَمُوتٌ إِذَا مَا زَيْنَ الصَّمْتِ أَهْلَهُ وَفَتَّاقٌ أَبْكَارَ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِ
وَعَى مَا حَوَى الْقُرْآنُ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ
وَسَيَّطَتْ لَهُ الْآدَابُ بِاللَّحْمِ وَالدَّمِ

والنُّوْلُ : التي تَتَرَاوِي بالليل . وَالْعَلَاةُ ما تَرَاوِي بِالنَّهَارِ مِنَ الْجَنِّ ، وَقَدْ أَبْطَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَكْمَ النُّوْلِ حَيْثُ قَالَ : لَا عَدَوِي وَلَا غُولٌ ^(١) ، وَلَيْسَ يَمَارِضُ هَذَا مَا رَوَى مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِذَا تَقَوَّلْتَ

(١) لَا عَدَوِي وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفْرَ وَلَا غُولَ أَحَدٍ وَمُسْلِمٌ ، هُنَّ جَائِرٌ . وَالصَّفْرُ فِي زَعْمِ الْعَرَبِ : حَيَّةٌ تَصِيبُ الْإِنْسَانَ إِذَا جَاعَ وَتَوَذَّيْهُ ، وَأَنَّهُا تَعْدَى . وَقِيلَ أَرَادَ بِهِ النَّبِيُّ الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ تَأْخِيرُ الْحَرَمِ إِلَى صَفَرٍ وَيَجْعَلُونَ صَفْرَهُو الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، فَأَبْطَلَهُ . وَالْهَامَةُ تَقْدُمُ ذِكْرَهَا . وَيَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ : هِيَ مِنْ طَيْرِ اللَّيْلِ ، وَقِيلَ : هِيَ الْيَوْمُ وَكَانَ الْعَرَبُ يَنْشَاءُ مَوْنَ بِهَا ، وَقِيلَ : كَانَتْ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ رُوحَ الْقَتِيلِ الَّذِي لَا يَدْرِكُ بَشَارَهُ تَصِيرُ هَامَةً فَتَقُولُ : اسْقُونِي ، فَإِذَا أَدْرَكَ بَشَارَهُ طَارَتْ . وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ . وَالنُّوْلُ عِنْدَ ابْنِ الْأَثِيرِ جَنْسٌ مِنَ الْجَنِّ وَالشَّيَاطِينِ كَانَتْ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ النُّوْلَ فِي الْعَلَاةِ تَرَاوِي لِلنَّاسِ ، فَتَقُولُ تَقُولَا ، أَيْ : تَتَلَوْنَ تَلَوْنَا فِي صُورِ شَيْءٍ ، وَتَقُولُهُمْ أَيْ : تَضْلِمُهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ وَتَهْلِكُهُمْ .

وَالنَّفْيُ إِمَّا لِلْوُجُودِ ، وَإِمَّا لِلزَّعْمِ . وَلَمْ لَا يَكُونُ لِلْأَمْرَيْنِ ؟ وَقَدْ تَأَوَّلَ ابْنُ الْأَثِيرِ نَفْيَ الْعَدَوِي بِقَوْلِهِ : وَقَدْ أَبْطَلَهُ الْإِسْلَامُ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ الْمَرْضَ بِنَفْسِهِ يَتَعَدَّى ، فَأَعْلَاهُمُ النَّبِيُّ «ص» أَنَّهُ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ هُوَ الَّذِي

الْفِيلَانُ فَارْقَمُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْأَذَانِ^(١) ، وكذلك حديث أبي أيوب مع الغول حين أخذها ، لأن قوله عليه السلام : لا غُولَ إِنَّمَا أَبْطَلَ بِهِ مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَقُولُهُ مِنْ أَخْبَارِهَا وَخُرَاقَاتِهَا مَعَهَا

وقوله :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا .

هو : عُرْقُوبُ بْنُ صَخْرٍ مِنَ الْعَمَالِيقِ الَّذِينَ سَكَنُوا يَثْرِبَ ، وَقِيلَ : بَلْ هُوَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ ، وَقَصَّتْهُ فِي إِخْلَافِ الْوَعْدِ مَشْهُورَةٌ حِينَ وَعَدَ أَخَاهُ بَجَنًا نَخْلَةً لَهُ وَعْدًا مِنْ بَعْدِ وَعْدٍ ، ثُمَّ جَذَّهَا لَيْلًا ، وَلَمْ يُقْطِعْهُ شَيْئًا .

والتَّبْفِيلُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ سَرِيعٌ ، وَالْحَزْنُ جَمْعُ حَزَنٍ وَهُوَ مَا غَاظَ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْمِيلُ مَا اتَّسَعَ مِنْهَا :

وقوله : تَرَى النَّجَادَ ، وَأَنْشَدَهُ أَبُو عَلِيٍّ : تَرَى الْغُيُوبَ ، وَهُوَ جَمْعُ غَيْبٍ ، وَهُوَ مَا غَارَ مِنَ الْأَرْضِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ :

لَزِمَ الْغَلَامَ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ

وقوله :

حَرَفَ أَبُوهَا أَخُوهَا مِنْ مُهَجَّةٍ وَعَمَّهَا خَالُهَا قَوْدَاهُ شَمْلِيلُ
الْقَوْدَاهُ : الطَّوِيلَةُ الْعُنُقِ . وَالشَّمْلِيلُ : السَّرِيعَةُ . وَالْحَرَفُ : النَّاقَةُ الضَّامِرُ .

== يمرض وينزل الماء ، ولهذا قال في بعض الأحاديث : فمن أهدى البعير الأول ، أي : من أين صار فيه الجرب ، هذا لأن الواقع والتجربة تؤكد وجود العدوى (١) رواه الطبراني في الأوسط وهو ضعيف .

وقوله : من مُهَجَّجَةٍ ، أى : من إبل مُهَجَّجَةٍ مُسْتَكْرَمَةٍ هِجَانٍ .

وقوله : أبوها أخوها أى : إنهما من جنس واحد فى السَّكْرَم ، وقيل :
إنها من فَحْلٍ سَحَلٍ عَلَى أُمِّه لِحَامَتِ بِهِذِهِ النَّاقَةِ ، فهو أبوها وأخوها ، وكانت
لِلنَّاقَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ هَذِهِ بَنَاتٍ أُخْرَى مِنَ الْفَحْلِ الْأَكْبَرِ ، فَمَمُّهَا خَالُهَا عَلَى هَذَا ،
وهو عِنْدَهُمْ مِنْ أَكْرَمِ النَّتَاجِ ، والقول الأول ذكره أبو على القالى عن أبى
سميد ، فاقه أعلم .

وقوله : أَقْرَابُ زَهَائِلٍ ، أى : خَوَاصِرُ مُنَسَّ ، واحداً : زُهْلُولُ
وَالْبَزِطِيلُ : حَجَرٌ طَوِيلٌ ، ويقال : لَامِعُولٌ أَيْضاً : بَرِطِيلٌ .

وقوله : ذَوَائِلُ وَقُفُوهُنَّ^(١) الْأَرْضَ تَحْلِيلُ .

تحليل ، أى قليل . يقال : ما أقام عندنا إلا كَتَحْلِيلِ الْأَلِيَّةِ ، وَكَتَحْلَةٍ
الْمَقِيمِ ، وعليه حل ابن قُتَيْبَةَ قوله عليه السلام لَنْ تَمْسَهُ النَّارُ إِلَّا تَحْلَةَ الْقَسَمِ ،
وغلط أبا عبيد حيث فسره على الْقَسَمِ حَقِيقَةً . قال القُتَيْبِيُّ : ليس فى الْآيَةِ قَسَمٌ
لأنه قال : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ وَلَمْ يُقَسِّمْ . قال الخطابى : هذه غَفْلَةٌ مِنْ
ابن قُتَيْبَةَ فَإِنَّ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ وقوله :
﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ داخلٌ تحت القسم المتقدم .

وقوله : بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلِ . الْقُورُ : جَمْعُ قَارَةٍ ، وهى الْحِجَارَةُ السُّودُ .

(١) فى السيرة : مسمن .

وَالْعَسَاقِيلُ هُنَا السَّرَابُ ، وَهَذَا مِنَ الْمَقْلُوبِ ، أَرَادَ وَقَدْ تَلَفَعَتِ الْقَوْدُ
بِالْعَسَاقِيلِ .

وفيها قوله :

نَمْشِي^(١) الْغَوَاةُ بَجَنَدَيْهَا ، أَيْ بِجَنَدِي نَاقَتِهِ .

عن القول والقيل إعراباً ومعنى :

وقوله : إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سُلَيْمٍ لَمَقْتُولٌ . وَيُرْوَى : وَقِيلُهُمْ ، وَهُوَ أَحْسَنُ
فِي الْمَعْنَى ، وَأَوَّلَى بِالصَّوَابِ ؛ لِأَنَّ الْقِيلَ هُوَ الْكَلَامُ الْمَقُولُ فَهُوَ مُبْتَدَأٌ ،
وقوله : إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سُلَيْمٍ لَمَقْتُولٌ : خَبَرٌ ، تقول : إِذَا سَأَلْتَ مَا قِيلَكَ ؟
قِيلَ : إِنْ اللَّهَ وَاحِدٌ ، فَقَوْلُكَ : إِنْ اللَّهَ وَاحِدٌ هُوَ الْقِيلُ ، وَالْقَوْلُ مُصَدَّرٌ
كَالطَّحْنِ وَالذَّبْحِ ، وَالْقِيلُ اسْمٌ لِلْمَقُولِ كَالطَّحْنِ وَالذَّبْحِ بِكسر أوله ،
وإنَّمَا حَسُنَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ ، لِأَنَّ الْقَوْلَ مُصَدَّرٌ فَيَصِيرُ : إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سُلَيْمٍ
فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ فِيهِ ، فَيَبْقَى الْمُبْتَدَأُ بِلَا خَبَرٍ إِلَّا أَنْ تَجْعَلَ الْقَوْلَ هُوَ الْقَوْلُ
عَلَى الْمَتَجَارِ ، كَمَا يُسَمَّى الْخَلْقُ خَلْقًا ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ وَقِيلَ يَا رَبِّ ﴾ فِي مَوْضِعِ الْبَدَلِ مِنَ الْقِيلِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ إِلَّا قِيلًا ﴾ :
سَلَامًا سَلَامًا ﴿ مُنْتَصِبٌ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ ، فَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْبَدَلِ مِنَ قِيلًا
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ أَيْ : حَدِيثًا مَقُولًا ، وَمَنْ

(١) فِي السِّيرَةِ : تَسْمَى .

هذا الباب مسألة من النحو ذكرها سيبويه ، وابن السراج في كتابه ، وأخذ الفارسي منهما ، أو من ابن السراج ، فكثيراً ما ينقل من كتابه بلفظه غير أنه أفسد هذه المسألة ، ولم يفهم ما أراد بها ، وذلك أنهما قالا : إذا قلت أول ما أقول : إني أحمد الله ، بكسر الهمزة ، فهو على الحكاية ، فغان الفارسي أنه يريد على الحكاية بالقول ، فجعل إني أحمد الله في موضع المفعول بأقول ، فلما بقي له المبتدأ بلا خبر تكلف له تقديرأ لا يعقل ، فقال : تقديره أول ما أقول : إني أحمد الله موجود أو ثابت ، فصار معنى كلامه : إني أن أول هذه الكلمة التي هي إني أحمد الله موجود أي : أول هذه الكلمة موجود ، فأخبرها إذا مقدوم ، وهذا خالف من القول ، كما ترى ، وقد وافقه ابن جني عليه ، رأيت في بعض مسائله ، قال : قلت لأبي علي لم لا يكون : إني أحمد الله في موضع الخبر ، كما تقول : أول سورة أقرأها : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ أو نحو هذا ولا يحتاج إلى حذف خبر ، قال : فسكت ولم يجد جواباً ، وإنما معنى هذه المسألة أول ما أقول ، أي : أول القيل الذي أقوله إني أحمد الله على حكاية الكلام المتقول ، وهذا الذي أراد سيبويه ، وأبو بكر بن السراج ، فإن فتحت الهمزة من أن صار معنى الكلام أول القول لا أول القيل ، وكانت ما واقعة على المصدر ، وصار معناه : أول قولي الحمد إذ الحمد قول ولم يبين مع فتح الهمزة كيف حمد الله ، هل قال : الحمد لله بهذا اللفظ ، أو غيره ، وعلى كسر الهمزة قد بين كيف حمد حين افتتح كلامه ، بأنه قال : إني أحمد الله بهذا اللفظ ، أو غيره وعلى كسر الهمزة قد بين كيف حمد حين افتتح كلامه ، بأنه قال : إني أحمد الله بهذا اللفظ لا بلفظ آخر ، فقف على

هذه المسألة ، وتدبرها إعراباً ومعنى ، قل : من أحكمها وحسبك أن الفارسي لم يفهم عمن قبله ، وجاء بالعنايط المتقدم ، والله المستعان .

عود إلى بابت سعاد :

والخراديل : القِطْع من اللحم ، وفي الحديث في صفة الصراط : فمنهم المُوَبَّقُ بعمّله ، ومنهم المُخَرَّدَلُ ، أى تُخَرَّدِلُ لَحْمَهُ ^(١) الكَلَالِيْبُ التى حَوَّلَ الصَّرَاطُ ، سمعت شيخنا الحافظ أبا بكر رحمه الله يقول : تلك الكَلَالِيْبُ هى الشَّهَوَاتُ ، لأنها تجذب العبدَ فى الدنيا عن الاستقامة على سواء الصَّرَاطِ ، فتمثِّلُ له فى الآخرة على نحو ذلك .

وقوله : بَصْرَاءُ الْأَرْضِ . الصَّرَاءُ : مَا وَارَاكَ مِنْ شَجَرٍ ، وَالتَّمْرُ : مَا وَارَاكَ مِنْ شَجَرٍ وَغَيْرِهِ .

وقوله : بَوَادِيهِ الْأَرَاغِيلُ ، أى : الرَّجَالَةُ ، قيل : إنه يجمع الجفجف ، كأنه يجمع الرِّجْلَ ، وهم الرِّجَالَةُ عَلَى أَرْجُلٍ ، ثم جمع أَرْجُلًا عَلَى أَرَاغِيلٍ ، وزاد الياء ضَرْوَرَةً . والدَّرْسُ : الذُّوبُ الْخَلْقُ . وَالْفَقْمَاءُ : شَجَرَةٌ لَهَا ثَمَرٌ كَأَنَّهُ حَيْلِقٌ .

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - حين أنشده كعب :

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْئُولٌ

نظر إلى أصحابه كما يجب لهم من حسن القول وجودة الشعر .

(١) خردلت اللحم بالذال والذال : فصلت أعضائه وقطعته .

وقوله :

ليس لهم^(١) عن حياض الموت تهليلُ

التهليلُ : أن يَنفَكُصُ الرجلُ عن الأمرِ جُبْنًا .

وقوله في الأنصار :

ضَرَبُوا عَلِيًّا يومَ بَدْرٍ ضَرْبَةً^(٢)

بنو علي : هم بنو كِفاَنَةَ ، يقال لهم : بنو علي لما تقدم ذكره في هذا الكتاب ، وأراد : ضربوا قريشاً لأنهم من بني كفاَنَةَ .

وقوله : إذا عَرَدَ^(٣) الشُّودُ التَّنَابِيلُ : جمع تَنْبَالٍ وهو القصير ، وقوله : عَرَدَ ، أى : هرب . قال الشاعر :

يُعَرِّدُ عَنْهُ صَحْبُهُ وَصَدِيقُهُ وَبَنْبُشُ عَنْهُ كَلْبُهُ وَهُوَ ضَارِبُهُ

عنه السواد في أهل اليمن وشرح بيت لسانه :

وجعلهم سُوداً لما خااطَ أهل اليمن من الشُّودان عند غَلَبَةِ الحبشةِ على بلادهم^(٤) ، ولذلك قال حسان في آل جَفْنَةَ :

(١) في السيرة : وما لهم .

(٢) هذا من قصيدة كعب الراوية .

(٣) عاد إلى اللامية .

(٤) ترك السبيل كثيراً من مفردات القصيدة دون شرح ، وهنا أنقل عن الخشني معاني ما ترك السهيلي : بانث : ذهبت وفارقت . متبول : هالك . متميم : =

أولاد جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ بِيضُ الْوُجُوهِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

يعنى بقوله : من الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ، أن آلَ جَفَنَةَ كانوا من اليَمَن ، ثم اسْتَوَطنُوا الشامَ بعدَ سَيْلِ الْعَرَمِ ، فلم يخالطهم الشُّودانُ كما خالطوا مَنْ كان من اليَمَن ، من الطَّرَازِ الْأَوَّلِ الذى كانوا عليه فى ألوَانِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ .

== معبد مذلل . أغن : الظبى الصغير الذى فى صوته غنة . غضيض : فاجر الطرف هيفاء : ضامرة البطن والنخصر . عجزاء : عظيمة العجيزة ، وهو الردف . تجلو : تصقل . والعوارض : الاخوان هنا . الظلم : شدة بريق الاسنان ، ويقال : هو ماؤه . منهل : مسقى . الراح : من أسماء الخمر . عشية : منتهى الوادى ، ويقال : ما انطفئ منه . أبطح : موضع سهل . مشمول : هبت عليه ريح الشمال ، وهى عندهم باردة إذا هبت . والغذا : ما يقع فى الماء من تبن أو عود أو غيره ، وكذا ما يقع فى العين . صوب : مهر . غادية : سحابة مطرت بالغدو . اليعايل : الحباب الذى يعلو على وجه الماء . وهى رغوته ، راجع شرح السهيل ، الخلة هنا : الصديقة المراسيل : السريعة . عذافرة : ناقة ضخمة . الاين : الفتور والإعياء . والإرقال والتبغيل : ضربان من السير . نضاحة : يرشح عرقها . الذقري : عظم فى أصل الاذن . عرضتها : الشيء الذى يقوى عليه ، ومن رواه ولاجها ، فحناء : أضعفها طامس : متغير . الأعلام : العلامات التى فكون فى الطريق يهتدى بها ، وأراد أنه ليس بها علم . النجاد : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض . المفرد : هنا الثور الوحشى الذى انفرد فى الصحراء . اللوق : الابيض بفتح الماء وكسرهما . مقلدها : عنقها . فعم : متملى . مقيد : موضع القيد . قوداء : طويلة . شمليل : سريعة . لبان : صدر أقرب : جمع قرب وهى للخاصرة وما يليها . زهايل : أملس . عيرانة : تشبه العير فى شدته ونشاطه ، والعير هنا : حمار الوحش . النحض : اللحم الزور : أسفل الصدر . قنواء : فى أنفها ارتفاع . حرثاها : أذناها . قاب : قرب ، تقول : بينى وبينه قاب قوس أى قرب قوس ، لحبها : هو ثنية لحي . وهو العظم الذى عليه الخد ،

وقوله : حول قبر أبيهم ، أى إلههم لم ينجحوا عن منازلهم قط ، ولا فارقوا

قبر أبيهم .

== والحية لذي الحية : والخطم : الانف ، وبرطيل : حجر طويل ، ويقال : هي فاس طويلة ، وتمر : تمد وتحرك ، العسيب : جريد النخل الخصل : جمع خصلة اللقافة من الشعر ، غارز : قليل اللبن ، لم تخونه : لم تنقصه ، ولم تضعفه ، والاحاليل جمع لحليل وهو الثقب الذى يخرج منه اللبن ، وهو من الذكر الذى يخرج منه البول . يسرات : يعنى قوائمها لانها تحسن السير بها كلها ، ذوابل : شداد ، عجاياث جمع عجاية ، وهى عصابة تكون فوق ربط القيد من ذى الخف ، ومن ذى الحافر . وزيم : متكسر متفرق : الاكم : السكدى ، واحدها أكمة ، الحرباء : ضرب من العطاء ويقال : هى أم حبيش . مرتبىء : مرتفع ضاحية : ما برز منه للشمس ، محلول : محرق ، الملة : الحجارة والحمر والرماد ، والحادى : الذى يسوق . والجنادب جمع جنذب ، وهو ذكر الجراد ، قيلوا : أمر من القائلة ، أى انزلوا واستريحوا كان أوب ذرائعها : الاوب الرجوع . تلفع : اشتمل ، العساquil : لمع السراب الفائد : التى فقدت ولدها ، الشمطاء : التى خالطها الشيب . معولة : رافعة صوتها بالبكاء . الماكيل : جمع مثكال ، وهى الماقد أيضاً ، الضبعان : لحما المضدين ، تفرى : تقطع ، رعايل : قطع متفرقة ، على آلة حدباء محمول : النعش أو الداهية أى ، لا يستقر عليها ، اظل تردد من وجد بوادره ، البوادر : اللحم الذى بين العنق والكتف . ضيفم : أسد . مخدر الأسد : غايته وأجته . عثر : اسم موضع تنسب إليه الاسود . غيل : أجة أيضاً . يلحم : يطعم اللحم . ضرغامين : أسدين ، وأراد بهما شبهه . معفور : مرمخ بالعفر ، وهو الزراب . خراذيل : متقطعة . يساور : يواظب ، مقلول : أى قد أثر فيه الجو : موضع . مضرج : مخضب بالدماء . أنكاس : جمع نكس : وهو المقصر عن غاية الكرم أو الضعيف ، ليست من الخشنى ، كشف : لا تراس لهم ، أو الذى لا يحسن الركوب ، فيميل عن السرج المعازيل : الذين لا سلاح معهم . الزهر : البيض . المرانين : الانوف . سوانغ : كاملة شكت : أدخل بعضها فى بعض ، فقما : ضرب من الحسك ، وهونبات له شوك تشبه به ==

غزوة تبوك

في رجب سنة تسع

التيؤ لتبوك

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق الملقبي ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم . وقد ذكر لنا الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة ،

صرح آخر لكتب :

ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :
تَحْدِي بِهِ النَّاقَةُ الْأَذْمَاءُ مُغْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلِي لَيْلَةِ الظُّلَمِ
فَقِي عِطَافِيهِ أَوْ أُنْفَاء بُرْدَتِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمٍ

= حلق الدرع . مجدول : محكم السرد . تهليل : فرار وانتهى من ص ٤١٥ - ص ٤٢١ شرح السيرة لابن خزيمة بن محمد بن مسعود الحشفي . وقد أورد ابن إسحاق القصيدة دون إسناد ، ورواها البيهقي في الدلائل بإسناد متصل . ويقول ابن كثير في البداية عن كون النبي صلى الله عليه وسلم أعطى كعباً برده وهذا من الأمور المشهورة حدا ، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرصنيه ، ص ٣٧٣ ج٤ هذا وقد ذكر الزبيدي في طبقات النحاة أن بشار الأصمغاني كان يحفظ تسعمائة قصيدة أول كل منها بابت سعاد ، ومنها قول زهير والد كعب بابت سعاد وأمسى حبلاً انقطعاً وليت وصلاً لنا من حبلاً رجماً
ص ٥٩ ج ٣ المواهب ،

وغيرهم من علمائنا ، كلَّ حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث بما لا يحدث بعض : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالهَيُّؤْ لِمَزْوِ الرُّومِ ، وذلك في زمان من عشرة الناس ، وشدة من الحرِّ ، وجذب من البلاد : وحين طابت الثمار . والناس يُحِبُّونَ الْمَقَامَ فِي ثَمَارِهِمْ وظلالهم ، ويكرهون الشَّخْصَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الزَّمانِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قَلَمًا يُخْرِجُ فِي غَزْوَةٍ إِلَّا كَتَبَ عَنْهَا ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يَصُدُّ لَهُ ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيَّنَهَا لِلنَّاسِ ، لُبَّعْدِ الشُّقَّةِ ، وشدة الزمان ، وكثرة العدوِّ الَّذِي يَصُدُّ لَهُ ، ليتأهب الناس لذلك أَهْبَتِهِ ، فأمر الناسَ بِالْجِهَازِ ، وأخبرهم أنه يريد للروم .

شأن الجدل بن قيس

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجدل ابن قيس أحد بني سلمة : يا جَدُّ ، هل لك العَامَ في جَلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ ؟ فقال : يا رسول الله ، أَوْ تَأْذُنِي وَلَا تَفْتَحِي ؟ فوالله لقد عَرَفَ قَوْمِي أَنَّهُ هَامِنُ رَجُلٍ بِأَشَدِّ عَجَبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : تَخَذِ أَدْنَتُكَ . فغنى الجدلُ ابن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتَحِي ، إِلَّا فِيهِ الْفِتْنَةُ سَقَطُوا ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ أَمْحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة : ٤٩] . أَيْ إِنْ كَانَ إِنَّمَا خَشِيَ الْفِتْنَةَ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ ، وَإِلَيْسَ ذَلِكَ بِهِ ، فَاسْقَطَ فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ أَكْبَرُ ، بِتَخْلُفِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ ، يَقُولُ تَعَالَى : وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَكِنَّ وَرَائِهِ .

النافقون المبطون

وقال قوم من النافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر ، زهادة في الجهاد ، وشكاً في الحق ، وإرجافاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِسُوا كَثِيرًا ، جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ التوبة : ٨١ ، ٨٢ .

شعر الضحاك في تحريق بيت سويلم

قال ابن هشام : وحدثني الثقة عن حدثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ناساً من المنافقين يجمعون في بيت سويلم اليهودي ، وكان بيته عند جاسوم ، يبتطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم طلحة ابن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة . فاقبح الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه ، فأفلتوا . فقال الضحاك في ذلك :

كَادَتْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَارُ مُحَمَّدٍ بِشَيْطَانِهَا الضَّحَاكُ وَابْنُ أَبِي رِيحٍ
وظلمت وقدمت كَيْسَ سُوَيْلِمٍ أَنُوْدُ هَلِي رَجُلِي كَسِيرًا وَمِرْفَقِي
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُوْدُ لِيُسْلِمًا أَخَافُ وَمَنْ تَشَمَلُ بِهِ النَّارُ يُحْرَقِ

حض أهل الفنى على النفقة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّ في سفره ، وأمر الناس بالجهاز والائتكام ، وحض أهل الفنى على النفقة والحملان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الفنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة ، لم يُنفق أحد مثلاً .

قال ابن هشام : حدثني من أنفق به : أن عثمان بن عفان أنفق في جيش المُسرّة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرض عن عثمان ، فأبى عنه راض .

قصة البكائين والمُعذرين والتخلفين

قال ابن إسحاق : ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم للبكائمون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعُلبّة بن زيد ، أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن ابن كعب ، أخو بني مازن بن النّجار ، وعمر بن مُحام بن الجموح ، أخو بني سلمة ، وعبد الله بن المغنل المزنيّ - وبمض الناس يقول : بل هو عبد الله ابن عمرو المزنيّ - وهرمي بن عبد الله ، أخو بني واقف ، وعرباض بن سارية الغزاريّ . فاستعملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهل حاجة ،

قتل : لا أحد ما أجلكم عليه ، فتولوا وأعينهم قبض من الدمع حزناً
ألا يحلوا ما يتقون .

قال ابن إسحاق : فبلغني أنَّ ابن يامين بن عسيرة بن كعب
قتل قنقري ثقي أبا ثعلبة عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مفضل وهما بكيان ،
قتل : ما يكيكما ؟ قال : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخلفنا ، فلم نجد
حده ما يحلنا عليه ، وليس عندنا ما تقوى به على الخروج معه : فأعطاهما
نخاعاً له ، فارتحلاه ، ووزو دهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وجاء المذنبون من الأعراب ، فاحتذروا إليه ، فلم
يذريهم الله تعالى . وقد ذكر لي أنهم كثروا من بني غفار .

ثم استتب برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمع السير ، وقد كان
خرواً من المسلمين أبلات بهم للثبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
حتى تخطوا عنه ، عن غير شك ولا ارتياب : منهم : كعب بن مالك بن
أبي كعب ، أخو بني سلة ، ومرة بن الربيع ، أخو بني عمرو بن عوف ،
وحلال بن أمية ، أخو بني واقف ، وأبو خيشمة ، أخو بني سالم بن عوف ،
وكانوا أحرصين ، لا يهيمون في إسلامهم .

فما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مشامة الأنصاري .

وذكر مبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة ، فخرجه إلى تهوك : سباع بن خزيمة .

المنافقون المتخلفون

قال ابن إسحاق : وضرب عبد الله بن أبي معه على حدة عسكريه أسفل منه ، فمؤذ باب ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكريين . فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي ، فبين تخلف من المنافقين وأهل الرب .

إرجاف المنافقين بعلي

وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، رضوان الله عليه ، على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استئصاله ، وتخلفا منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ علي بن أبي طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالحرف ، فقال : يا بني الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استئصمتني ونقضت مني ؛ فقال : كذبوا ، ولكنني خلفتك لما تركت ودائي ، فارجع فاحلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا بني بعدي ، فرجع علي إلى المدينة ؛ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قال ابن إسحاق : وجدني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم

ابن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على هذه المقالة :

قال ابن إسحاق : ثم رجع علي إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قصة أبي خيثمة

ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له في عريشين كلهما في حائطه ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء ، وهيات له فيه طعاماً . فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهياً ، وامرأتاه حسناء ، في ماله مقيم ، ما هذا بالنصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى أخلق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيتا ، لي زاداً ، ففعلتا . ثم قدّم ناضجه فارتحلته ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق ، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دنوا من تبوك ، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لي ذنباً ، فلا عليك أن تختلف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل ، حتى إذا دنوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ؛ فقالوا

يُرسول الله هو والله أبو خيثة . فلما أناخ أقبل فلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُولَى لَكَ يَا أَبَا خَيْثَةَ . ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثة في ذلك شعراً ، واسمه مالك بن قيس :

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الدِّينِ نَاقَتُوا أَتَيْتُ الَّتِي كَانَتْ أَعْفَى وَأَكْرَمَا
وَبَايَعْتُ بِالْيَمَنِ بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ فَلَمْ أَكْتَسِبْ لِمَا كُفْتُ أَغْشَ نَجْرَمَا
تَرَكْتُ خَضِييًّا فِي الْعَرِيشِ وَصِرْمَةً صَفَايَا كِرَامًا بُسْرُهَا قَدْ تَحْمَمَا
وَكُنْتُ إِذَا شَكَ الْمَنَافِقُ أَسْمَحَتُ إِلَى الدِّينِ قَسَى شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّا

مرور النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرَّ بالحجر نزلاً ، واستلقى الناس من بئرها . فلما راخوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا ، وَلَا تَقْرَؤُوا مِنْهُ لِلصَّلَاةِ ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجْتَمُوهُ فَأَعْلِقُوهُ الْإِبِلَ ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْإِبِلَةَ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبُهَا ، ففعل الناس ما أُمروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إِلَّا أَنْ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ خَرَجَ أَحَدُهُمَا لِحَاجَتِهِ ، وَخَرَجَ الْآخَرُ فِي طَلَبِ بَعِيرٍ لَهُ ، فَأَمَّا الَّذِي ذَهَبَ لِحَاجَتِهِ فَإِنَّهُ خَنَقَ عَلَى مَذْهَبِهِ ؛ وَأَمَّا الَّذِي ذَهَبَ فِي طَلَبِ بَعِيرِهِ فَاحْتَمَلَتْهُ الرِّيحُ ، حَتَّى طَرَحَتْهُ بِجَبَلٍ طَبِيءٍ . فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ

.....

صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحدٌ ألا ومعه صاحبه ؟
ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للذي أصيب على مذهبه فشقي ، وأما الآخر
الذي وقع بجبلى طيء ، فإن طيئنا أهدته لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين
قَدِمَ للدينَةِ .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عباس بن سهل بن
سعد السَّعْدِي ، وقد حدثني عبدُ الله بن أبي بكر أن قد سَمِيَ له العباسُ
الرجلين ، ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميَهما لي .

قال ابن هشام : بلغني عن الزهري أنه قال : لما مرَّ رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم بالحِجْر سَجَى ثوبه على وجهه ، واستحَثَّ راحلته ، ثم قال :
لا تدخلوا بيوتَ الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفاً أن يُصيبكم مثلُ
ما أصابهم .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكَّوا إلى رسولِ الله
صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه
سحابةً فأمطرت حتى أرتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن ابيد ، عن
رجال من بني عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يرفون النفاق
فيهم ؟ قال : نعم والله ، إِنْ كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه
وفي عشيرته ، ثم يلبسُ بعضهم بعضاً على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرني رجالٌ

من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ؛ فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، قالوا : أقبلنا عليه نقول : ويمحك ، هل بمسد هذا شيء ! قال : سحابة ماردة .

مقالة ابن اللصيت

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، يُقال له ، مَحَارَة بن حزم ، وكان عَقَبِيًّا بَذْرِيًّا ، وهو عم بني عمرو بن حزم ، وكان في رَحْله زيدُ بن اللصيت القَيْنُقَاعِي ، وكان منافقا .

قال ابن هشام : ويقال : ابن لُصِيب ، بالباء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، قالوا : قال زيد بن اللصيت ، وهو في رحل عمارة ، وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمدٌ يخبركم أنه نبي ، يزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته ، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلتني الله عليها ، وهي في هذا الوادي ، في شِعب كذا وكذا ، قد حبستها

شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتوني بها ، فذهبوا ، فجاءوا بها : فرجع حمارة ابن حزم إلى رحله ، فقال : والله لتعجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفاً ، عن مقالة قاتل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، الذي قال زيد بن لُصيت : فقال رجل ممن كان في رحل حمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي . فأقبل حمارة على زيد يبحاً في عنقه ويقول : إلى عباد الله ، إن في رحلي لداهية وما أشعر ، أخرج أي عدو الله من رحلي ، فلا تصحبنى .

قال ابن إسحاق : فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بمسء ذلك ؛ وقال بعض الناس : لم يزل متهما بشيء حتى هلك .

إبطاء أبي ذر

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلاحه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلف أبو ذر ، وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلاحه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ وتلوهم أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه ، أخذ متاعه فجعله على ظهره ، ثم خرج يبيع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً . ونزل رسول الله في

.

بعض منازلہ ، فنظر ناظرٌ من السلمین فقال : یا رسول اللہ ، إن هذا الرجل
يمشي على الطريق وحده ؛ فقال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم : کُنْ أبا ذر .
فلما تأمله القومُ قالوا : یا رسول اللہ ، هو والله أبو ذر ، فقال رسول اللہ صلی
اللہ علیہ وسلم : رحم اللہ أبا ذر یمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده .

وقال ابن إسحاق : حدثني بُرَيْدَةُ بن سفيان الأسدي ، عن محمد بن
كعب القرظي ، عن عبد اللہ بن مسعود ، قال : لما نفي عثمانُ أبا ذرٍ إلى
الرَبَذَةِ ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحدٌ إلا امرأته وغلّامه ، فأوصاهما
أن اغسلاني وكفّناني ، ثم ضمّاني على قارعة الطريق ، فأول ركع یربکم
فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ، فأعينونا على
دفنہ . فلما مات فعلا ذلك به . ثم وضعا على قارعة الطريق : وأقبل عبدُ اللہ
ابن مسعود في رهطٍ من أهل العراق عُمّار ، فلم يرَهم إلا بالجنازة على ظهر
الطريق ، قد كادت الإبل تطوّها ، وقام إليهم السلام . فقال : هذا أبو ذر
صاحب رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ، فأعينونا على دفنہ . قال : فاستهل
عبد اللہ بن مسعود ببكي ويقول : صدق رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ،
تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبعث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فواروه ،
ثم حدثهم عبد اللہ بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم
في مسيره إلى تبوك .

تخذيّل المنافقين للمسلمين وما نزل فيهم

قال ابن إسحاق : وقد كان رَهْطٌ من المنافقين ، منهم وديعه بن ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبني سُلَمة ، يقال له : مُحَشَّن بن حُمَيْر — قال ابن هشام : ويقال مُحَشَّى — يُشيدون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : اتعجبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً والله اسكاناً بكم غداً مُعَرَّنين في الحبال ، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين ، فقال مُحَشَّن بن حُمَيْر : والله لوددت أنى أقاضى على أن يُضرب كل رجل مائة جَلْدَةٍ ، وإنا لتنفلت أن ينزل فينا قرآن لما نلتكم هذه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني — لعمار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلمهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ، قلم كذنا وكذا . فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتذرون إليه ، فقال وديعه بن ثابت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحماتها يا رسول الله ، إنما كُنَّا نخوض ونلعب ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَاتَيْنَا سَالَتِهِمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ ﴾ . وقال مُحَشَّن بن حُمَيْر : يا رسول الله ، لقد بى اسمى واسم أبى ، وكان الذى عني عنه في هذه الآية مُحَشَّن بن حُمَيْر ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يُعلم بمسكانه ، فقتل يوم البجعة ، فلم يوجد له أثر .

الصلح مع صاحب أيلة

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يَحْنَنُ بن رُوَيْبَةَ ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء ، وأذرح ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتاباً ، فهو عندهم .

كتاب الرسول لصاحب أيلة

فكتب يَحْنَنُ بن رُوَيْبَةَ :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليَحْنَنُ بن رُوَيْبَةَ وأهل أيلة ، سقنهم وسياراتهم في البر والبحر : لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبي ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً ، فإنه لا يحول حاله دون نفسه ، وإنه طيبٌ أن أخذه من الناس ، وإنه لا يجل أن يمتصوا ماء يردونه ، ولا طريقاً يردونه . من بر أو بحر .

أكيدر

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكيدر ذومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كندة كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد البقر . فرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر الدين ، وفي أيلة

مُفْتِرَةٌ صَافَّةٌ ، وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ ، فَبَاتَتِ الْبَقَرُ تَحْتَ بَقَرُونِهَا ،
بَابِ الْقَصْرِ ، فَخَلَّتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : هَلْ رَأَيْتِ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ !
قَالَتْ : فَنِ يَتْرِكْ هَذِهِ ؟ قَالَ : لَا أَحَدٌ . فَنَزَلَ فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ ، فَأُتْرِجَ لَهُ ، وَرَكِبَ
مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فِيهِمْ أُنْجُ يُقَالُ لَهُ حَسَّانٌ . فَرَكِبَ ، وَخَرَجُوا مَعَهُ
بِعَاطَرْدِهِمْ . فَلَمَّا خَرَجُوا تَلَقَّوهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذَتْهُ ،
وَقَتَلُوا أَخَاهُ ؛ وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيْبَاجٍ مُخَوَّصٍ بِالذَّهَبِ ، فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ ،
فَبِعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ قُدُومِهِ بِهِ عَلَيْهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : لَخَدْنِي عَامِرُ بْنُ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ،
قَالَ : رَأَيْتُ قَبَاءً أَكِيدِرُ حِينَ قَدِمَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَمِلَ
لِلْمَسْلُومِ يَلْمِسُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمُنَادِيْلُ سَمْعَانَ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ
أَحْسَنُ مِنْ هَذَا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ إِنْ خَالِدًا قَدِمَ بِأَكِيدِرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَخَنَ لَهُ دَمَهُ ، وَصَالَحَهُ عَلَى الْجُزْيَةِ ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ ، فَرَجَعَ إِلَى قَرْيَتِهِ ،
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَيْيٍّ : يُقَالُ لَهُ بُجَيْرُ بْنُ بَجْرَةَ ، يَذْكُرُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخَالِدٍ : إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ ، وَمَا صَنَعْتَ الْبَقَرُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى
اسْتَخْرَجْتَهُ ، لَتَصْدِيقُ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادٍ
مَنْ يَكُ حَائِدًا عَنْ ذِي تَبَوُّكِ فَإِنَّا قَدْ أَمْرُنَا بِالْهَادِ

• • • • •

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بَبْنُوكَ بضع عشرة ليلة ، لم يُجاوزها ،
ثم انصرف قافلاً إلى المدينة .

حديث وادي للشقق ومائه

وكان في الطريق ما لا يخرج من وشل ، ما يُروى الراكب والراكبين .
والثلاثة ، بواد يُقال له وادي المُشَقُّق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه
ففر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف
عليه ، فلم ير فيه شيئاً . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله ،
فلان وفلان ؛ فقال : أولم أنهم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتياه ثم امهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل
يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم نضجه به ، ومسحه بيده ، ودعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء - كما يقول من
سمعه - ما إن له حساً كحس الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم
منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن بقيتم أو من بقي منكم لنفسه من
بهذا الوادي ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

قيام الرسول على دفن ذى البجادين

قال : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي ، أن عبد الله بن مسعود
كان يحدث ، قال : مُتُّ من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في غزوة تبوك ، قال : فرأيت شُعلة من نار في ناحية المعسكر ، قال : فاتبعتها
أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبيد الله
ذو الجنادين المزني قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم
في حفرة ، وأبو بكر وعمر يدلّيانه إليه ، وهو يقول : أدنيا إلى أخاكما ،
فدآياه إليه ، فلما هياه لشيءه قال : اللهم إني أمتيت راضياً عنه ، فارض عنه .
قال : يقول عبد الله بن مسعود : ياليتني كنت صاحب الحفرة .

لم سمي ذو الجنادين ؟

قال ابن هشام : وإنما سمي ذو الجنادين ، لأنه كان ينازع إلى الإسلام ،
فيمينه قومه من ذلك ، ويضيقون عليه ، حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره ،
والجناد : الكساء الغليظ الخافق ، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فلما كان قريباً منه ، شق بجاده باثنين ، فأنزروا واحد ، واشتمل بالآخر
ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ذو الجنادين لذلك ، والجناد
أيضاً : المسح ، قال ابن هشام : قال امرؤ القيس :

كَانَ أَبَانَا فِي عَرَانِينَ وَذَقَهُ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ

أبورهم في تبوك

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري ، عن ابن أكيمة الليثي ،
عن ابن أخي أبي رهم الغفاري ، أنه سمع أبا رهم كئنتوم بن الحصين ، وكان
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول :

غَزَوْتُ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم غزوةَ تَبُوكَ ، فنسبت ذات ليلة معه
ونحن بالأخضر قريباً من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وألقى الله علينا النعاس
فطَفِئْتُ أَسْتَيْقِظُ وقد دنت راحلتى من راحلة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ،
فِيَفَزَعْنِي دَنُوهَا مِنِّي ، مخافة أن أصيب رجله في الغَرْزِ ، فطَفِئْتُ أُحَوِّزُ
راحلتى عنه ، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق ، ونحن في بعض الليل ، فزاحمت
راحلتى راحلة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ورجله في الغَرْزِ ، فما استيقظت
إلا بقوله : حَسَّ ، فقلتُ : يا رسول الله ، استغفر لي . فقال : سر ، فجعل
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسألني عَمَّنْ تَخَلَّفَ عن بني غِفَارٍ ، فأخبره به ؛
فقال وهو يسألني : ما فعل النِّفَرُ الحُمْرُ الطُّوَالُ النُّطَاطُ . فحدَّثته بتخلُّفهم .
قال : فما فعل النِّفَرُ السود الجماد القصار ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا .
قال : بلى الذين لهم نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَدَخَ ؛ فتذكَّرتهم في بني غِفَارٍ ، ولم أذكُرْهم .
حتى ذكرتُ أم لهم رَهْطٌ من أسلم كانوا حُلَفَاءَ فِينَا ، فقلت : يا رسول الله ،
أولئك رَهْطٌ من أسلم ، حلفاء فِينَا ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأً نشيطاً
في سبيل الله ؟ إن أعزَّ أهلي على أن يتخلف عن المهاجرين من قُرَيْشٍ والأنصارِ
وَعِفَارٍ وَأَسْلَمَ .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي
أُوَانَ ، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحابُ مسجدِ الضَّرَارِ

قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، قالوا : يا رسول الله ، إننا قد بنينا مسجداً لدى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشانية ، وإننا نحب أن تأتينا ، فعصى لنا فيه ؛ فقال : إني على جناح سفر ، وحال شغل ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

فلما نزل بذي أوان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الأخشم أخا بني سالم بن عوف ، ومقن بن عدي ، وأخاه عاصم بن عدي ، أخا بني العجلان ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرّقا . فخرجا سريعتين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الأخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بفار من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ ساعفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرّقا وهدماه ، وهترقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَّاراً وَكُفَّراً وَتَفَرَّقَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثنتى عشر رجلاً : خذّام بن خالد ، من بني عُبيد بن زيد ، أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وتغلبت ابن حاطب من بني أمية بن زيد ، ومعتب بن قشير ، من بني ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، من بني ضبيعة بن زيد ، وعبد بن حنيف ، أخو سهل بن حنيف ، من بني عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابنام مجّمع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحارث ، من ضبيعة ، وبخرّج .

.....

من بنى ضُبَيْعَةَ ، وِجَاد بن عثمان ، من بنى ضُبَيْعَةَ ، وَدِيعَةَ بن ثابت ، وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبي لُبَايَةَ بن المُنْذِر .

وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة : مسجد بَبُوك ، ومسجد بَشْدِيَّة مِذْرَانَ ، ومسجد بذات الزُّرَّاب ، ومسجد بالأخْضَر ، ومسجد بذات الخَطْمِيِّ ، ومسجد بالأَء ، ومسجد بطَرَف البَتْرَاء ، من ذنب كَوَاكِب ، ومسجد بالشَّق ، شِقٌّ تَارَا ، ومسجد بذى الجِيفَةِ ، ومسجد بَصْدُر حَوْضِي ، ومسجد بالحِجْر ، ومسجد بالعَمِيد ، ومسجد بالوادي ، اليوم ، وادي القُرَى ، ومسجد بالرقعة من الشَّقَّة ، شِقَّة بنى عُدْرَةَ ، ومسجد بذى المَرْوَةِ ، ومسجد بالفَيْفَاء ، ومسجد بذى خُسْبِي .

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين

في غزوة تبوك

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لَا تَسْكُلُنَّ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ ، وَأَنَا مِنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَعَمِلُوا يَخْلِفُونَ لَهُ وَيَعْتَذِرُونَ ، فَصَفَحَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَعْذِرْهُمْ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

• • • • •

حديث كعب عن التخلّف

قال ابن إسحاق : فذكر الزهريّ محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن أبا عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره ، قال : سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط ، غير أني كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحداً تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد غير قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، وحين تواقفنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت غزوة بدر هي أذكرك في الناس منها . قال : كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت لي راحلتان قط حتى اجتمعنا في تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلماً يريد غزوة يفزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، ففزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرّ شديد ، واستقبل سفراً بعميداً ، واستقبل غزو عدوّ كثير ، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبطه وأخبرهم خبره بوجهه الذي يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لا يحممهم كتاب حافظ ، يعني بذلك الديوان ، يقول : لا يحممهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فَقَالَ رَجُلٌ يَرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّهُ سَيُخْفِي لَهُ ذَلِكَ ،
 مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ
 حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَأُجِيبَتِ الظَّلَالُ ، فَالنَّاسُ إِلَيْهَا مُقَرُّونَ ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَجَهَّزَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَجَعَلْتُ أُغْدُو لِاتِّجَازِ مَعَهُمْ ، فَأَرْجِعُ
 وَلَمْ أَقْضِ حَاجَةً ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي ، أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ
 يَتِمَّادِي بِي حَتَّى شَمَرْتُ النَّاسَ بِالْجِدِّ ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَايَا ،
 وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا ، فَقُلْتُ : أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ يَوْمًا ،
 أَوْ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ أَلْحَقُ بِهِمْ ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِاتِّجَازِهِمْ ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ
 شَيْئًا ، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَّادِي بِي حَتَّى
 أَسْرَعُوا ، وَتَفَرَّقَ الْغَزَا ، فَهَمَمْتُ أَنْ أُرْتَحِلَ ، فَأَدْرَكَهُمْ ، وَابْتَنَيْتُ فَعَلْتُ ،
 فَلَمْ أَفْعَلْ ، وَجَعَلْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، فَطَفْتُ فِيهِمْ ، بِحُزْنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ ،
 أَوْ رَجُلًا مِنْ عِذْرِ اللَّهِ مِنَ الضُّعْفَاءِ ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟
 فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ ، وَالنَّظَرُ فِي عِظْفَيْهِ ؛
 فَقَالَ لَهُ مَعَاذُ بَنِي جَبَلٍ : بئس ما قُلْتَ ! وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا ؛
 فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا بَلَغْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ ،
 حَضَرَنِي بَنِي ، فَجَعَلْتُ أَنْذِرُ السَّكَدِ وَأَقُولُ : بِمَاذَا أَخْرَجَ مِنْ سَخَطَةِ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدًا وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي ؛

فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظّل قادماً زاح عن الباطل ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجعت أن أصدق ، وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جالس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه الخلفون ، فجلسوا يحلفون له ويمتدرون ، وكانوا بضعة وثلاثين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وأيمانهم ، ويستغفر لهم ، ويكّل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جثت فسلمت عليه ، فتبسم تبسم المنضب ، ثم قال لى : تعال ، فجئت أمشى ، حتى جاست بين يديه ، فقال لى : ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إني يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بمذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، لكن والله لقد علمت أنى حدثك اليوم حديثاً كذباً لترضين عني ، ولئوشكن الله أن يخطبك على ، ولئن حدثت حديثاً صدقاً تجدد على فيه ، إني لأرجو عقيبى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قط أفوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضى الله فيك . فقامت ، وفار معى رجال من بنى سلمة ، فاتبعوني فقالوا لى : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه الخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، فوالله ما زالوا بى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان

خالا مثل مقاتلك ، وقيل لها مثل ما قيل لك ؛ قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن
 الرِّبيع التَّمُرِي ، من بني عمرو بن عوف ، وهلال بن (أبي) أُمَيَّة الوافقي ؛
 خذكروا لي رجائين صالحين ، فيهما أسوة ، فصمّت حين ذكر وهما لي ، ونهى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ، من بين من تخلف
 عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا ، حتى تفكرت لي نفسي والأرض ، فاهى
 بالأرض التي كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي
 فاستكانا ، وقعدا في بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجلدهم ،
 فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمني
 أحد ، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد
 الصلاة ، فأقول في نفسي ، هل حرك شفّتيه برد السلام عليّ أم لا ؟ ثم أصلي
 قريبا منه ، فأرسا رقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ ، وإذا التفّ
 نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال ذلك هليّ من جفوة المسلمين ، مشيت حتى
 تسوّرت جدار حائط أبي قتادة . وهو ابن عُمَيّ ، وأحبّ الناس إليّ ، فسلمت
 عليه ، فوالله ماردّ عليّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم
 أنّي أحبّ الله ورسوله ؟ فسكت . فعدت فناشدته ، فسكت عني ، فعدت
 فناشدته فسكت عني ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت
 عيني ، ووثبت فتسوّرت الحائط ، ثم غدت إلى السوق ، فبينما أنا أمتشي
 بالسوق ، إذا نبطى يسأل عني من نبط الشام ، مما قدّم بالطعام يبيعه بالمدينة ،
 يقول : من يدلّ عليّ كعب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يشيرون له إلىّ ، حتى جاءني ،
 خذني إلىّ كتابا من ملك غسان ، وكتب كتابا في سرقة من حرير ، فإذا فيه : « أما بعد ،

.....

فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يحملك الله بدار هوان ولا مضجمة ،
 فالحق بنا نواسيك . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضاً ، قد بلغ
 بي ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك . قال : قعدتُ بها إلى
 قنور ، فسَجَرْتَهُ بها . فأقنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من المحسين
 إذا رسولُ رسولِ الله يأتي ، فقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمرُك
 أن تعزل امرأتك ، قال : قلت : أطلِّقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعزلها
 ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحق بأهلك ،
 فكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر ما هو قاض . قال : وجاءت امرأتُ
 هلال بن أمية رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسولَ الله ، إن هلال
 ابن أمية شيخٌ كبيرٌ ضائعٌ لآخادم له ، أفتكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن
 لا يقربك ؛ قالت : والله يا رسولَ الله ما به من حركة إلى ، والله ما زال يبكي
 منذ كان من أمره ما كلن إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره . قال :
 فقال لي بعضُ أهلي : لو استأذنت رسولَ الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأتِ
 هلال بن أمية أن تخدمه ؛ قال : قلت : والله لا استأذنه فيها ، ما أدري ما يقول
 رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لي في ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب .
 قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكل لنا خمسون ليلة ، من حين نهى
 رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح ، صبح
 خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التي ذكر الله مناً ،
 قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت على نفسي ، وقد كنت ابتليت
 خيمة في ظهر سلع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى علي

ظهر سلم يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفرج .

قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرس ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ؛ فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى ، نزعت ثوبي ، فكسوتهما إياه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرها ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة ، يقولون : لِيَهْنِكَ توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله ، فحياني وهنأني ، ووالله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ، وجهه يبرق من السرور : أبشر بخير يوم سمع عليك منذ ولدتك أمك ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قر . قال : وكفا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالي ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك .

قَالَ: قُلْتُ إِنِّي مُنْكَ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ؛ وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ اللَّهُ قَدْ نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي إِلَى اللَّهِ أَنْ لَا أَحْدَثَ إِلَّا صِدْقًا مَا حَبِيتُ، وَاللَّهُ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مِنْذُ ذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ أَفْضَلَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ، وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدَتْ مِنْ كَذْبَةٍ مِنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْشَرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَهِيفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التَّوْبَةُ: ١١٧ - ١١٩.

قَالَ كَعْبٌ: فَوَاللَّهِ مَا أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَى نِعْمَةٍ قَطَّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ كَانَتْ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذِبْتَهُ، فَأَهْلِكَ بِمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ فِي الَّذِينَ كَذَبُوهُ حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ، قَالَ: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَى أَيْمَنِمْ لِتَغْرَضُوا عَنْهُمْ، فَاغْرَضُوا عَنْهُمْ إِنْهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. التَّوْبَةُ: ٩٥، ٩٦.

قَالَ: وَكُنَّا خَلَفْنَا أَبَا الثَّلَاثَةِ مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ، حين حلقوا له فمذرم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ، حتى قضى الله فيه ما قضى ، فبذلك قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلُّوا ﴾ .

وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا ، وإرجائه أمرنا من حلف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

فى شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفى ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما يتحدث قومه : إنهم قالوا لك ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع لى كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبقارهم .

قال ابن هشام : ويقال : من أبقارهم .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً ، فخرج بدعو قومه إلى

الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ، لمنزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على علية له ،
وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رمّوه بالنبل من كل وجه ، فأصابه
سهم فقتله . فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم ، يُقال له أوس بن عوف ،
أخو بني سالم بن مالك ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بني عتاب .
ابن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، فقيل لُروة : ماترى في دمك ؟ قال :
كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلى ، فليس في إلا مافى الشهداء
الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفونى
معه ، فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن
مثله في قومه لكمثل صاحب ياسين في قومه .

ثم أقامت تكيف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم انعمروا بينهم ، ورأوا
أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن عمرو بن أمية ،
أخا بني علاج ، كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو ، الذى بينهما سىء ، وكان
عمرو بن أمية من أدهى العرب ، فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو ، حتى دخل
داره ، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك : أخرج إلى ، قال : فقال
عبد ياليل للرسول : ويالك ! أتعمرؤ أرسلك إلى ؟ قال : نعم ، وها هو
ذا واقفاً في دارك ، فقال : إن هذا الشىء ما كنت أظنه ، كعمرو كان أمتع
في نفسه من ذلك ، ففرج إليه ، فلما رآه رحب به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل
بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، قد أسلت

العربُ كلُّها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا في أمركم : فعمد ذلك اتتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : أفلاترون أنه لا يأمن لكم سرب ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع ، فأتمرُّوا بينهم ، وأجمعوا أن يُرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ، كما أرسلوا عُرْوَةَ ، فكلَّموا عَبْدَ يَالِيلَ بن عمرو بن عُمر ، وكان سنَّ عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به إذا رجع كما صُنِعَ بِعُرْوَةَ . فقال : لست فاعلاً حتى تُرسلوا معي رجالا ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بني مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشُرَحْبِيل بن غيلان بن سَلَمَةَ بن معتب ، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دُهَّان ، أخا بني يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بني سالم بن عوف ، وتُمَيْر بن خَرَشَةَ بن ربيعة ، أخا بني الحارث . فخرج بهم عبدُ ياليل ، وهو نَابُ القوم وصاحبُ إمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صُنِعَ بِعُرْوَةَ بن مسعود ، لكي يشغل كلَّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه ..

فلما دنوا من المدينة ، ونزلوا قناة ألقوا بها المغيرة بن شعبه ، يرعى في نوبته ركابَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رِغيتها نوباً على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثَّقَفِيِّين ، وضرب يشتد ، ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب

تَقِيفُ أَنْ قَدْ قَدِمُوا يَرِيدُونَ الْبَيْعَةَ وَالْإِسْلَامَ ، بَأَنْ يَشْرُطَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شُرُوطًا ، وَيَكْتَتِبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كِتَابًا فِي قَوْمِهِمْ وَبِلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُغِيرَةِ : أَقَسَمْتَ عَلَيْكَ بِاللَّهِ
لَا نَسْبِقُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ ؛ فَفَعَلَ
الْمُغِيرَةُ . فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِمْ
عَلَيْهِ . ثُمَّ خَرَجَ الْمُغِيرَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَرَوَّحَ الظُّهْرَ مَعَهُمْ وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَحْيُونَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَمَّا قَدِمُوا
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُوَّةً فِي نَاحِيَةِ مَسْجِدِهِ ، كَأَيُّزِ عَمُونَ ،
فَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ ، هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى أَكْتَتَبُوا كِتَابَهُمْ . وَكَانَ خَالِدٌ هُوَ الَّذِي كَتَبَ كِتَابَهُمْ
بِيَدِهِ ، وَكَانُوا لَا يَطْعَمُونَ طَعَامًا يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ خَالِدٌ ، حَتَّى أَسْلَمُوا وَفَرَّغُوا مِنْ كِتَابِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ فِيهَا سَأَلُوا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْعَ لَهُمُ الطَّاعِنَةَ ، وَهِيَ اللَّاتُ لَا يَهْدِمُهَا
ثَلَاثَ سَنِينَ ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَمَا بَرَحُوا
يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً ، وَيَأْبَى عَلَيْهِمْ حَتَّى سَأَلُوا شَهْرًا وَاحِدًا بَعْدَ مَقْدَمِهِمْ ، فَأَبَى
عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْعَهَا شَيْئًا مَسْتَى ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ فِيمَا يُظْهِرُونَ أَنْ يَتَسَلَّمُوا
بِتَرْكِهَا مِنْ سَفَهَاتِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذُرَارِيهِمْ وَيَكْرَهُونَ أَنْ يُرْوَعُوا قُوَّةً يَهْدِمُهَا
حَتَّى يَدْخُلَهُمُ الْإِسْلَامُ ؛ فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ
أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةَ بِنَ شُعْبَةَ فِيهِمَا ، وَقَدْ كَانُوا سَأَلُوهُ مَعَ تَرْكِ
الطَّاعِنَةِ أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَأَنْ لَا يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أو ثنائكم بأيديكم فسنعفيكم منه ،
وأما الصلاة ، فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد ، فسنواتيكما ،
وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ، أمر
عليهم عثمان بن أبي العاص ، وكان من أحسنهم سناً ، وذلك أنه كان أحرصهم
على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم : يا رسول الله ، إني قد رأيتُ هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه
في الإسلام ، وتعلم القرآن .

قال ابن إسحاق : وحدثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة
التقي ، عن بعض وفدكم . قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصحبنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم مابقي من رمضان ، يفطرننا وسحورنا من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فيأتينا بالبحور ، وإنا لنقول : إنا انرى النجر قد طلع ،
فيقول : قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر ، لتأخير الشحور ،
ويأتينا بفطرننا ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد . فيقول : ما جئتكم
حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يضع يده في الخفنة ،
فيلتقم منها .

قال ابن هشام : بفطورنا وسحورنا .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هند ، عن مطارف بن عبد الله
ابن الشخير ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : كان من آخر ما عهد إلى

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بمعنى على ثقيف أن قال : يا عثمان ، تجاوز
في الصلاة ، واقدُر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير ، والصغير ، والضعيف ،
وذا الحاجة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ،
بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ،
في هدم الطاغية ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا قدِموا الطائف أراد المغيرة بن
شعبة أن يُقدِّم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : أدخل أنت
على قومك ، وأقام أبو سفيان بماله بذى الهذم ، فلما دخل المغيرة بن شعبة عليها
يَضربها بالعول ، وقام قومه دونه ، بنو مَعْتَب ، خشية أن يُرمى أو يُصاب
كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حُسراً يَبْكِينَ عليها ويقلن :

تُبْكِينَ دَفَاعَ اسْلَمَهَا الرُّضَّاعُ

لم يُحْسِنُوا المِصَاعُ

قال ابن هشام : « أَتُبْكِينَ » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ويقول أبو سفيان والمغيرة يَضربها بالفأس : واهالك !
واهالك ! فلما هدمها المغيرة ، وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان
وحليها مجموع ، ومالها من الذهب والجزع .

وقد كان أبو مُلَيْح بن عروة وقارب بن الأسود قدِمَا على رسولِ الله
صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف ، حين قُتل عروة ، يريدان فراق ثقيف ،

وأن لا يجامعهم على شيء أبداً ، فأسلمنا ؛ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
توليا من شئنا ؛ فقالا : نتولى الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : وخالكما أبا سفيان بن حرب ، فقالا : وخالتنا أبا سفيان بن حرب .

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان
والمغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو مليح بن
عروة أن يقضى عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال له قارب بن الأسود ، وعن
الأسود يارسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الأسود مات مشركا . فقال قارب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، ولكن تصل مسلماً ذا قرابة ،
يعنى نفسه ، إنما الدين على ، وإنما أنا الذى أطلب به ، فأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية ،
فلما جمع المغيرة ماها قال لأبي سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما ، فاقضى عنهما .

وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إن
عضاه وج وصيده لا يعضد ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك ، فإنه يجلد
وتنزع ثيابه ، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به إلى النبي محمد ، وإن هذا
أمر النبي محمد رسول الله .

وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعدّه أحد ،
فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حجّ أبي بكر بالناس سنة تسع

واختصاص النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب

رضوان الله عليه بتأديّة أول براءة عنه

وذكر براءة والقصص في تفسيرها

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقيّة شهر رمضان
وشوالاً وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحجّ من سنة تسع ، ليقيم
للمسلمين حجّهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجّهم . فخرج
أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين .

ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين
من العهد ، الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يصدّ عن البيت أحدٌ جاءه ،
ولا يخاف أحد في الشهر الحرام . وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل
الشرك ، وكانت بين ذلك عهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من
العرب خصائص ، إلى آجال مسماة ، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه
في تبوك ، وفي قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سراير أقوام كانوا
يسْتَخْفُونَ بغير ما يظهرون ، منهم مَنْ سُمّي لنا ، ومنهم مَنْ لم يُسم لنا ، فقال عز وجل :
﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أى لأهل

العهد العام من أهل الشرك ﴿ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، واعلموا أنكم
غير معجزى الله ، وأن الله مخزى الكافرين ﴾ * وأذن من الله ورسوله
إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برى من المشركين ورسوله :
أى بهذه الحجة ﴿ فإن نذمت فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم
غير معجزى الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ * إلا الذين عاهدتم
من المشركين : أى العهد الخاص إلى الأجل المسمى ﴿ ثم ألم يظاهروا
عليكم أحداً فاتموا إليهم عهدكم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين . فإذا
انسلخ الأشهر الحرم ﴾ : بمعنى الأربعة التي ضرب لهم أجلاً ﴿ فاقبلوا المشركين
حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ،
فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فخلوا سبيلهم إن الله غفور
رحيم ﴾ * وإن أحد من المشركين : أى من هؤلاء الذين أسرتكم
بقتلهم ﴿ استجارك فأجزد حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم
قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ كيف يكون للمشركين ﴾ الذين كانوا هم وأنتم على العهد
العام أن لا يخيفوكم ولا يخيفوهم في الحرم ، ولا في الشهر الحرام ﴿ عهد عند الله
وعند رسوله ، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾ ، وهى قبائل من
بنى بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى
كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها
إلا هذا الحى من قريش ، وهى الدليل من بنى بكر بن وائل ، الذين كانوا

دخلوا في عقد قريش وعهدهم . فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر إلى مدته ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا إِلَيْكُمْ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ : أى المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام ﴿ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض المفردات

قال ابن هشام : الإل : الحلف . قال أوس بن حجر ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم :

لولا بنو مالك والإل مرقة ومالك فيهم الآلاء والشرف

وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : آلال ، قال الشاعر :

فلا إل من الآلال بينى وبينكم فلا تألن حمداً

والذمة : العهد . قال الأجدع بن مالك الهمداني ، وهو أبو مشروق

ابن الأجدع الفقيه :

وكان علينا ذمة أن تجاوزوا من الأرض معروفاً إلينا ومنكراً

وهذا البيت في ثلاثة أبيات له ويجمعها : ذمم .

﴿ يَرْضَوْنَكُمْ بِأَقْوَاهِمَ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ * اشترؤا

بآيات الله تمناً قليلاً ، فصددوا عن سبيله ، إنهم ساء ما كانوا يعملون *

لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، وأولئك هم المعتدون ﴿ أى قد اعتدوا

عليكم ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۖ وَتُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .

اختصاص الرسول علياً بتأدية براءة عنه

قال ابن إسحاق : وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه ، أنه قال : لما نزلت براءة علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج ، قيل له : يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر ، فقال : لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتي ، ثم دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمحبي : أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم المضياء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا . فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج ، التي كانوا عليها في الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، وأجل

«الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، يرجع كل قوم إلى ما منهم أو بلادهم ،
ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد إلى مدة ، فهو له إلى مدته . فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف
بالبيت عريان .

ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من
أهل العهد العام ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

ما نزل في الأمر بجهاد المشركين

قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك ،
من نقض من أهل العهد الخاص ، ومن كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة
الأشهر التي ضرب لهم أجلا إلا أن يعدّ وفيها عاد منهم ، فيقتل بعدائه ، فقال :
﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ ، أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ * فَاتْلَوْهُمْ
مِيعَدَتَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتَنْهَاهُمْ وَبَنَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَبِشَفِ صُدُورَ قَوْمٍ
مُؤْمِنِينَ . وَيَذْهَبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَبِتُوبِ اللَّهِ ﴾ أي من بعد ذلك ﴿ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ
جَاهَدُوا مِنْكُمْ ، وَلَمْ يَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَابِجَّةً ،
وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : وليجة : دخيل ، وجمها : ولائج ؛ وهو من وَلَجَ يَلِجُ : أى دخل يدخل ، وفى كتاب الله عز وجل : ﴿ حَتَّى يَبَاجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِلَاطِ ﴾ : أى يدخل ، يقول : لم يتخذوا دخيلاً من دونه يُسِرُّونَ إليه غير ما يظهرون ، نحو ما يصنع المنافقون ، يظهرون الإيمان للذين آمنوا وإذا دخلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ۝ قال الشاعر :

واعلم بأنك قد جعلت وليجة ساقوا إليك الختف غير مشوب

ما نزل فى الرد على قريش بادعائهم عمارة البيت

قال ابن إسحاق : ثم ذكر قول قريش : إنا أهل الحرم ، وسقاة الحاج ، وعمار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ : أى إن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يغمر مساجد الله أى من عمارها بحقها ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ : أى فأولئك عمارها ﴿ فَمَعَى أَوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَدِينِ ﴾ وعسى من الله : حق .

ثم قال تعالى : ﴿ أَجْمَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

ما نزل فى الأمر بقتال المنسركين

ثم القصة عن عدوهم ، حتى انتهى إلى ذكر حنين ، وما كان فيه ،

وتوليهم عن عدوهم ، وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ وذلك أن الناس قالوا : لتنتقطن عنا الأسواق ، فلتكن التجارة ، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ : أى من وجه غير ذلك . ﴿ إِنْ شَاءَ ، إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ . قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ : أى فنى هذا عوض مما تخوفتم من قطع الأسواق ، فعوضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشريك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجزية .

ما نزل في أهل الكتابين

ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه ، حتى انتهى إليه قوله تعالى : ﴿ إِنْ كَثِيرًا مِنَ الْآخِبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَعْبُدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

ما نزل في النسيء

ثم ذكر النسيء ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسيء ما كان يحل مما حرم الله تعالى من الشهور ، ويحرم مما أحل الله منها ، فقال : ﴿ إِنْ عِدَّةٌ

الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ
أَنْفُسَكُمْ ﴿ : أَى لَا تَجْعَلُوا حُرَامَهَا حِلَالًا ، وَلَا حِلَالَهَا حُرَامًا : أَى كَمَا فَعَلَ أَهْلُ
الشَّرِكِ ﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ الَّذِى كَانُوا يُصْنَعُونَ ﴿ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ، يُضِلُّ بِهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ،
فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، زُبْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

ما نزل في تبوك

ثم ذكر تبوك وما كان فيها من ثقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من
غزو الروم ، حين دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونفاق من
نافق من المنافقين ، حين دُعُوا إلى مادعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نعى عليهم
من إحدائهم في الإسلام ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ
لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ ﴾ ، ثم النصبة إلى قوله تعالى :
﴿ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى :
﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا
فِي الْغَارِ ﴾

ما نزل في أهل النفاق

ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل النفاق : ﴿ لَوْ كَانَ
عَرِضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ،

وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا نَخْرُجَنَّاهُمْ مَعَكُمْ ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠﴾ : أَيْ إِنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ ، لَمْ أَذِنْتَ لَهُمْ
حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿١١﴾ ؟ . . . إِلَى قَوْلِهِ :
﴿لَوْ خَرَّ حُورًا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ، وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ ، يَبْغُونَكُمْ
الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ : سَارُوا بَيْنَ أَعْصَابِكُمْ ، فَالْإِبْضَاعُ :
ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ أَسْرَعَ مِنَ الْمَشْيِ ؛ قَالَ الْأَجْدَعُ بْنُ مَالِكٍ الْهَمْدَانِي :
يَصْطَادُكَ الْوَحْدَ الْمُدِلَّ بِشَاوِهِ بِشَرِيحٍ بَيْنَ الشَّدِّ وَالْإِبْضَاعِ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

عود إلى منازل في أهل النفاق

قال ابن إسحاق : وَكَانَ الَّذِينَ اسْتَأْذَنُوهُ مِنْ ذُرَى الشَّرَفِ ، فِيمَا بَلَغْنِي ،
مِنْهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنِي سَلُولَ ، وَالْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ ؛ وَكَانُوا أَشْرَافًا فِي قَوْمِهِمْ ،
فَنَبِطُهُمْ اللَّهُ لَعَلَّهُ بِهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ ، فَيَفْسِدُوا عَلَيْهِمْ جَنْدَهُ ، وَكَانَ فِي جَنْدِهِ
قَوْمٌ أَهْلُ مَحَبَّةٍ لَهُمْ ، وَطَاعَةٍ فِيمَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ ، لَشَرَفِهِمْ فِيهِمْ . فَقَالَ تَعَالَى :
﴿وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ . لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ ﴿١٢﴾ :
أَيْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْتَأْذِنُوكَ ، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ ﴿١٣﴾ : أَيْ لِيُخَذِّلُوا عَنْكَ
أَعْدَاءَكَ وَيَرُدُّوا عَلَيْكَ أَمْرَكَ ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴿١﴾ ، وكان الذى قال ذلك ، فيما سُمي لنا ، الجلد بن قيس ، أخو بنى سَلَمَةَ . حين دعاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم . ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ • وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٢﴾ : أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنيائهم .

ما نزل في ذكر أصحاب الصدقات

ثم بين الصدقات لمن هى وسمى أهلها ، فقال : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَفِي الرِّقَابِ ، وَالْغَارِمِينَ ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ ، فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ما نزل فيمن آذوا الرسول

ثم ذكر غشهم وأذاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ ، قُلْ ائْذَنُ خَيْرٌ لَكُمْ ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَبِوَيْلٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَلِلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، نَبْتَل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أذن ، من حديثه شيئاً صدقه . يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ ائْذَنُ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ : أى يسمع الخير ويصدق به .

ثم قال تعالى : ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ، ثم قال : ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ ، وكان الذي قال وديعة بن ثابت ، أخو بني أمية بن زيد ، من بني عمرو بن عوف ، وكان الذي عُفِيَ عنه ، فيما بلغني : مُحْسِنُ بْنُ مُحَيَّرِ الْأَشْجَعِيِّ ، حليف بني سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ماسم .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿بِأَيْثِمَا النَّبِيِّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا ، وَمَا نَفَعُوا إِلَّا أَنْ أُغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ... إلى قوله : ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ . وكان الذي قال تلك المقالة الجلّاس بن سويد بن صامت ، فرفعها عليه رجل كان في حجره ، يقال له عُيمِرُ بْنُ سَمْدٍ ، فأبكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته ، فيما بلغني .

ثم قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ، وكان الذي عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ ، وهما من بني عمرو بن عوف .

ثم قال : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ،

وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ وكان المطَّوِّعُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَعَاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ أَخَا بَنِي الْعَجْلَانِ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَغِبَ فِي الصَّدَقَةِ ، وَحَضَّ عَلَيْهَا ، فَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، فَتَصَدَّقَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَقَامَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ ، فَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ ، فَلَمَزَوْهَا وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رِيَاءٌ ، وَكَانَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِجُهْدِهِ أَبُو عَقِيلٍ أَخُو بَنِي أُنَيْفٍ ، أَتَى بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ ، فَأَفْرَغَهَا فِي الصَّدَقَةِ ، فَتَضَاحَكُوا بِهِ ، وَقَالُوا : إِنْ اللَّهُ لَنَفَى عَنْ صَاعِ أَبِي عَقِيلٍ .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر بالسَّير إلى تبوك ، على شِدَّةِ الْحَرِّ وَجَدْبِ الْبِلَادِ ، فَقَالَ تَعَالَى : (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضَحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) . . . إلى قوله : (وَلَا تُهْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ) .

ما نزل بسبب صلاة النبي على ابن أبي

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَقِبَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ : لَمَّا تَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ، دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ تَحَوَّلَتْ حَتَّى قَتَ فِي صَدْرِهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَصَلَّى عَلَى

عدو الله عبد بن أبي بن سلول ؟ القاتل كذا يوم كذا ، والقاتل كذا يوم كذا ؟ أعداء أبيه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا كثرت قال : يا عمر آخر عني ، إني قد خيبت فاخترت ، قد قيل لي : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ ، فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له ، زدت . قال ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فرغ منه . قال : فمَجِيتُ لِي ، وجرأتني على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

ما نزل في المستأذنين

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ ، وكان ابن أبي من من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : ﴿ لَسَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ خَيْرَاتٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وجاء المَعْدَرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ، وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ . . . إلى آخر القصة . وكان المَعْدَرُونَ ، فيما بلغني نفراً من بني غفار ، منهم خُفَافُ بْنُ أَيْمَاءَ بْنِ رَحْضَةَ ،

ثم كانت القصة لأهل المذنب ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ، قُلْتَ لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ وهم البكاءون .

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ، وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ والخوالف : النساء . ثم ذكر حلفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال : ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

ما نزل فيمن نافق من الأعراب

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ ﴾ أي من صدقة أو نفقة في سبيل الله ﴿ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ، عَلَيْهِمْ دَرَّةُ السُّوءِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ، أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ﴾

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار

ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم

الله من حسن ثوابه إليهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان ، فقال : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ ﴾ : أى لجؤا فيه ، وأبوا غيره ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ﴾ ، والعذاب الذى أوعدها الله تعالى مرتين ، فيما بلغنى : غمهم بماهم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حِسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يُردون إليه ، عذاب النار والخلد فيه . ثم قال تعالى : ﴿ وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أنت من الله توبتهم . ثم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ . . . الخ . القصة ثم قال تعالى ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ . ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءة تسمى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وبعده المبعثرة ، لما كُشفت من سراير الناس . وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان الذى عدد فيه المغازى

وقال حسان بن ثابت يُمدد أيام الأنصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه :

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعْدٍ كُلِّهَا نَفَرًا ومَعْشَرًا إِنْ هُمْ مُعْثُوا وَإِنْ حُصِلُوا
قَوْمٌ هُمْ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ مع الرسولِ فَمَا أَلَوْا وَمَا خَذَلُوا
وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْفَكْ بِهِ أَحَدٌ منهم ولم يَكُ فِي إِيْمَانِهِمْ دَخَلٌ
وَيَوْمَ صَبَّحَهُمُ فِي الشَّعْبِ مَنْ أَحَدٌ ضَرْبُ رَحِيْنٍ كَحَرِّ النَّارِ مُشْتَعِلٌ
وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتَشَارَهُمْ على الجِيَادِ فَمَا خَامُوا وَمَا نَكَلُوا
وَذَا الشُّبَيْرَةِ جَاسُوا بِخَيْلِهِمْ مع الرسولِ عَلَيْهِمُ التَّيِضُ وَالْأَسْلُ
وَيَوْمَ وَدَّانَ أَجَلُوا أَهْلَهُ رَقَصًا بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزَنُ وَالْجَبَلُ
وَلَيْلَةً طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمْ اللهُ وَاللهُ بِمَجْرِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا
وَعَزَاوَةً يَوْمَ تَجَدَّدَ لَكُمْ لُهُمْ مع الرسولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالنَّقْلُ
وَلَيْلَةً بِمُحَنِّينَ جَالَدُوا مَعَهُ فِيهَا يَمْلِكُهُمُ بِالْحَرْبِ إِذْ نَهَلُوا
وَعَزَاوَةً الْقَاعَ فَرَّقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ كَمَا تَفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرِبِ الرَّسْلُ
وَيَوْمَ بَوَيْعِ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ على الْجِلَادِ فَاسْتَوْهَ وَمَا عَدَلُوا
وَعَزَاوَةً الْفَتْحِ كَانُوا فِي مَرِيَّتِهِ مُرَابِطِينَ فَمَا طَاشُوا وَمَا عَجَلُوا
وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانُوا فِي كَتِيبَتِهِ يَمْشُونَ كُلُّهُمْ مُسْتَنْبِلٌ بَقْلُ
بِالْبَيْضِ تَرَعَشَ فِي الْإِيْمَانِ عَارِيَةً تَفُوجُ فِي الضَّرْبِ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ
وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللهِ مُحْتَسِبًا إِلَى تَبُوكَ وَمِمَّ رَابَاتُهُ الْأَوَّلُ
وَسَائِلُ الْحَرْبِ إِنْ حَرْبٌ بَدَتْ لَهُمْ حَتَّى بَدَا لَهُمُ الْإِقْبَالُ وَالْقَفْلُ
أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَمِ

ماتوا كراماً ولم تُنكَثْ عُهودُهُمْ وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ قُتِلُوا

قال ابن هشام عجز آخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

كُنَّا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ فَلَمَّا آتَى الْإِسْلَامُ كَانَ لَنَا الْفَضْلُ
وَأَكْرَمَنَا اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ غَيْرُهُ إِلَهَ بَأْيَامٍ مَضَتْ مَالَهَا شَكْلُ
بِقُصْرِ الْإِلَهِ وَالرَّسُولِ وَدِينِهِ وَالْبَسْنَاءُ اسْمًا مَضَى مَالُهُ مِثْلُ
أُولَئِكَ قَوْمِي خَيْرٌ قَوْمٍ بِأَسْرِهِمْ فَمَا عُنْدَ مَنْ خَيْرٍ فَقَوْمِي لَهُ أَهْلُ
يَرُبُّونَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٍ مَضَى وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ دُونَ مَعْرُوفِهِمْ قَوْلُ
إِذَا اخْتَبَطُوا لَمْ يَفْعَحِشُوا فِي نَدِيهِمْ وَلَيْسَ عَلَى سُوءِ أَلَمٍ عِنْدَهُمْ بُخْلُ
وَأِنْ حَارَبُوا أَوْ سَالَمُوا لَمْ يُشَبِّهُوا فَخَرَّبَهُمْ حَتْفٌ وَسَلَمَهُمْ سَهْلُ
وَجَارُهُمْ مُوفٍ بِعَلِيَاءِ بَيْتِهِ لَهُ مَانُوءٌ فِينَا لِكِرَامَةٍ وَالْبَذْلُ
وَحَامِلُهُمْ مُوفٍ بِكُلِّ سَحَابَةٍ تَحْمِلُ لَا غُرْمَ عَلَيْهَا وَلَا خَسْلُ
وَقَاتِلُهُمْ بِالْحَقِّ إِنْ قَالَ قَاتِلُ وَحِلْمُهُمْ عَوْدٌ وَحُكْمُهُمْ عَدْلُ
وَمَنَا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ حَيَاتِهِ وَمَنْ غَسَلَتْهُ مِنْ جَنَابَتِهِ الرُّسُلُ

قال ابن هشام : وقوله « وَالْبَسْنَاءُ اسْمًا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

قَوْمِي أُولَئِكَ إِنْ تَسَالَى كَرَامٌ إِذَا الضَّيْفُ يَوْمًا أَلَمُ

عِظَامُ الْقُدُورِ لَا يَسَارِهِمْ يَكُثُّونَ فِيهَا الْمَيْنَ السَّيْمَ
يُؤَاسُونَ جَارَهُمْ فِي الْغَنَى وَيَحْمُونَ مَوْلَاهُمْ إِنْ ظَلِمَ
فَكَانُوا مُلُوكًا بَارِضِيهِمْ يُنَادُونَ عَضْبًا بِأَمْرٍ غُشْمَ
مُلُوكًا عَلَى النَّاسِ ، لَمْ يُمْلِكُوا مِنْ الدَّهْرِ يَوْمًا كَحِلِّ الْقَسَمِ
فَانْبَوَا بِعَادٍ وَأَشْيَاعِهَا تَمُودَ وَبَغْضٍ بَقَايَا إِرَمَ
بِئْتَرِبَ قَدْ شَيْدُوا فِي النَّخِيلِ حُصُونًا وَدُجِّنَ فِيهَا النَّعَمُ
نَوَاضِحَ قَدْ عَلَّمَتِهَا الْبُهْوُ دُ (عَلِ) إِلَيْكَ وَقَوْلَا هَلُمُ
وَفِيهَا اشْتَهَوْا مِنْ عَصِيرِ الْقِطَا فِ الْمَيْشِ رِخْوًا عَلَى غَيْرِهِمْ
فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ بِأَمْقَالِنَا عَلَى كُلِّ فَخْلٍ هِجَانٍ قِطْعَمِ
جَنَبْنَا بِهِنَّ جِيَادَ الْخُلُيُ لِي قَدْ جَلَّلَهَا جِلَالُ الْأَدَمِ
فَلَمَّا أَنَاخُوا بِمَجْنَى صِرَارِ وَشَدُوا الشَّرُوحَ بَلَى الْحَزْمِ
فَمَارَعَهُمْ غَيْرُ مَفْجٍ الْخُلُيُ لِي وَالزَّخْفُ مِنْ خَلْفِهِمْ قَدْ دَهَمِ
فَطَارُوا سِرَاعًا وَقَدْ أَفْرَعُوا وَجِئْنَا إِلَيْهِمْ كَأَنَّ الْأَجْمِ
عَلَى كُلِّ سَلْمَةٍ فِي الصِّيَا ن لَا يَشْتَكِينُ نَحْوَلِ السَّامِ
وَكُلُّ كَمَيْتٍ مُطَارِ الْفُؤَادِ أَمِينَ النُّصُوصِ كَتَلِ الزَّالِمِ
عَلَيْهَا قَوَارِسُ قَدْ عُوْدُوا قَرَاعَ الْكِمَاةِ وَضَرْبَ الْبَهْمِ
مُلُوكَ إِذَا غَشَمُوا فِي الْبِلَا د لَا يَنْفَكُلُونَ وَلَكِنْ قُدُمُ
فَأَبْنَا بِسَادَاتِهِمْ وَالنَّسَاءِ وَأَوْلَادُهُمْ فِيهِمْ مُفْتَسَمِ

وَرَبَّنَا مَسَاكِينُهُمْ بَعْدَهُمْ وَكُنَّا مُلُوكًا بِهَا لَمْ زَمْ
 فَلَمَّا أَتَانَا الرَّسُولُ الرَّشِيدَ بِالْحَقِّ وَالنُّورَ بِعَدِ الظُّلَمِ
 قُلْنَا صَدَقْتَ رَسُولَ الْمَلِكِ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَفِينَا أَقِمْ
 فَتَشْهَدَ أَنَّكَ عَبْدُ إِلَهِهِ أَرْسَلَتْ نُورًا بِدِينِ قِيمِ
 غَانَا وَأَوْلَادُنَا جُنَّةً نَقِيكَ وَفِي مَالِنَا فَاحْتَكِمْ
 فَخَنُ أَوْلِيكَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَنَادِ نِدَاءً وَلَا تَحْتَشِمْ
 وَنَادِ بِمَا كُنْتَ أَخْفَيْتَهُ نِدَاءً جَهَارًا وَلَا تَكْتُمِ
 فَصَارَ الْفَوَاةُ بِأَسْيَافِهِمْ إِلَيْهِ يَظُنُّونَ أَنْ يُجْزَمَ
 فَقُمْنَا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا نَجَالِدُ عَنْهُ بُغَاةَ الْأَمَمِ
 بِكُلِّ صَقِيلٍ لَهُ مَيِّمَةٌ رَقِيقِ الذَّبَابِ عَضُوضٍ خَذِمِ
 إِذَا مَا يَصَادِفُ صَمَّ الْعِظَا م لَمْ يَنْبُ عَنْهَا وَلَمْ يَنْتَلِمِ
 فَذَلِكَ مَا وَرَثْنَا الْقُرُومُ مُنْجِدًا تَلِيدًا وَعِزًّا أَشَمِ
 إِذَا مَرَّ نَسْلٌ كَفَى نَسْلُهُ وَغَادَرَ نَسْلًا إِذَا مَا انْقَصَمِ
 خَمًّا إِنْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا لَنَا عَلَيْهِ وَإِنْ خَاسَ فَضْلُ النِّعَمِ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري بيته:

فَكَانُوا مُلُوكًا بِأَرْضِهِمْ يُنَادُونَ غَضَبًا بِأَمْرِ غُشْمِ
 وَأُنْشَدَنِي:

يَبْثَرُ قَدْ شِيدُوا فِي النَّخِيلِ حُصُونًا وَدُجِّنَ فِيهَا النَّعَمِ
 وَبَيْتُهُ: «وَكُلُّ كُمَيْتٍ مَطَارُ الْفُؤَادِ» عَنْهُ.

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه .
قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن ذلك في سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

اتقياد العرب وإسلامهم

قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب ترَبَّص بالإسلام أمرَ هذا الحى من قريش ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس . وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ، وقادة العرب لا يُنكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ، ودَوَّخها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، كما قال عز وجل ، أفواجاً ، بضربون إليه من كل وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ : أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان تواباً .

• • • • •

غزوة تبوك

سُمِّيَتْ بِعَيْنِ تَبُوكَ ، وَهِيَ الْعَيْنُ الَّتِي أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - النَّاسَ أَنْ لَا يَمْسُوهَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا ، فَسَبَقَ إِلَيْهَا رِجَالَانِ ، وَهِيَ تَبِيضُ بَشْيءٍ مِنْ مَاءٍ ، فَجَعَلَا يَدْخُلَانِ فِيهَا سَهْمَيْنِ لِيَكْثُرَ مَائُهَا ، فَسَبَّهَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ لَمَّا : مَا زِلْمَا تَبُوكَا بِهَا مِنْذُ الْيَوْمِ فِيمَا ذَكَرَ الْقَتَبِيُّ ، قَالَ : وَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ الْعَيْنُ تَبُوكَ ^(١) ، وَالتَّبُوكُ كَالنَّقْشِ وَالْخَفَرِ فِي الشَّيْءِ ، وَيُقَالُ مِنْهُ : بَاكَ الْحَارُ الْأَتَانُ يَبُوكُهَا إِذَا نَزَا عَلَيْهَا .

وَوَقَعَ فِي السَّيِّرَةِ : فَقَالَ : مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هَذَا ؟ فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ ، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : فِيمَا ذَكَرَ لِي ، سَبَقَهُ إِلَيْهَا أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ الطَّائِيُّ ، وَوَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَزَيْدُ بْنُ لُصَيْنٍ .

وَذَكَرَ الْجَدُّ بْنُ قَنَيْسٍ ، وَقَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا جَدُّ هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ ، يَقُولُ : إِنْ الرُّومَ قِيلَ لَهُمْ بَنُو الْأَصْفَرِ ، لِأَنَّهُمْ عِيصُو ابْنَ إِسْحَاقَ كَانَ بِهِ صُفْرَةٌ ، وَهُوَ جَدُّهُمْ ، وَقِيلَ : إِنْ الرُّومَ بَنِي عِيصُوهُ الْأَصْفَرُ ، وَهُوَ أَبُوهُمْ ، وَأُمُّهُ نَسَمَةُ بِنْتُ إِسْمَاعِيلَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ مَنْ وَلَدَتْ مِنَ الْأُمَمِ ، وَإِسْ كُلُّ الرُّومِ مِنْ وَلَدِ بَنِي الْأَصْفَرِ ، فَإِنْ

(١) هو في معجم البكري. وقد روى مالك ومسلم هذا الحديث بغير هذا اللفظ
راجع فتح الباري ص ٨٩ وما بعدها ج ١ .

الروم الأول هم فيما زعموا من ولد يُونَان بن يَافِث بن نُوح، والله أعلم بحقائق هذه الأشياء وصحتها .

وذكر يونس بِأثرِ حديثِ الجَدِّ بنِ قَيْس عن عَبْدِ الحمِيد بنِ بَهْرَام عن شَهْر بنِ حَوْشَب عن عَبْدِ الرحمن بنِ غَنَم أن اليهود أَتَوْا النبي صلى الله عليه وسلم يوماً ، فقالوا : يا أبا القاسم إن كنت صادقاً أنك نبي فאלحق بالشَّام ، فإن الشَّام أرضُ المَحْشَرِ وأرضُ الأنبياء ، فصدقَ النبي - صلى الله عليه وسلم - ما قالوا . ففزعوا غَزْوَةً تَبُوكَ لا يريد إلا الشَّامَ ، فلما بلغ أنزل اللهُ تعالى عليه آياتٍ مِنْ سُورَةِ بنى إِسْرَائِيلَ بعد ما خُتِمَتِ السُّورَةُ ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ ، لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ، وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ - إِلَى قَوْلِهِ : تَخْوِيلًا ﴾ الإسراء : ٧٦ ، ٧٧ . فأمره بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها تحياك ، وفيها ممانك ، ومنها تبعث ^(١) ، ثم قال ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ إلى قوله ﴿ تَحْمُودًا ﴾ الإسراء : ٧٨ ، ٧٩ فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فأمره جبريلُ ، فقال : سَلْ

(١) يقول ابن كثير في تفسيره عن هذا الحديث المذكور الذي رواه البيهقي وفي هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح . فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفرج تَبُوكَ عن قول اليهود ، وإنما غزاهما امثالاً لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) ولقوله تعالى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ حُرْمَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) الآية وغزاهما ليقصص وبلتقم بمن قتل أهل وثقة من أصحابه . وقيل : إنها نزلت في كفار قريش - من هراة إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، فتردهم الله بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً ، وكذلك وقع .

رَبِّكَ ، فَإِنْ لَكُلْ نَبِيٍّ مَسْأَلَةً ، وَكَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ نَاصِحًا ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ مُطِيعًا ، فَقَالَ : مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَسْأَلَ ؟ قَالَ : (قُلْ : رَبِّ أَذْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) وهؤلاء نزلان عليه في رَجَعَتِهِ مِنْ تَبُوكَ^(١) .

إِبْطَاءُ أَبِي ذَرٍّ :

فصل : وَذَكَرَ أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِي ، وَإِبْطَاءَهُ . وَاسْمُهُ : جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ ، هَذَا أَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهِ ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ : بَرِيرُ بْنُ عِشْرِقَةَ ، وَجُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَابْنُ السَّكَنِ^(٢) أَيْضًا .

وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْ أَبَا ذَرٍّ ، وَفِي أَبِي خَيْشَمَةَ : كُنْ أَبَا خَيْشَمَةَ ، لَفْظُهُ لَفْظُ الْأَمْرِ ، وَمَعْنَاهُ الدَّعَاءُ ، كَمَا تَقُولُ : أَسْلِمَ سَلَّمَكَ اللَّهُ .

إِعْرَابُ كَلِمَةِ وَحْدَهُ :

وَقَوْلُهُ فِي أَبِي ذَرٍّ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ^(٣) .

(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ فَأَنَزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ . رَوَاهُ أَحَدُ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٢) فِي الْإِصَابَةِ : ابْنُ سَكَنِ ، وَقِيلَ فِي اسْمِهِ بَرِيرُ بْنُ الْخَصْعِيرِ . وَنُسَبَ كَمَا وَرَدَ فِي الْإِمْتَاعِ لِلْمُتَرَبِّزِيِّ بَعْدَ جُنَادَةَ . ابْنُ قَيْسٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ خَلِيلٍ بْنُ مُصْعِرِ بْنِ حَرَامٍ بْنِ غَفَارٍ ، وَفِي الْإِصَابَةِ : وَقِيلَ اسْمُهُ هُوَ السَّكَنِ بْنُ جُنَادَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ بِيَّاضٍ ، النِّخْ كَمَا وَرَدَ فِي الْإِمْتَاعِ .

(٣) يَقُولُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ : عَنْ سَنَدِ قِصَّةِ ابْنِ إِسْحَاقَ فَهَذَا سَنَدٌ

مُخْتَلَفٌ .

أى : يموت منفرداً ، وأكثر ما تستعمل هذه الحلال لنفى التراكب فى الفعل نحو كلنى زيدٌ وحده ، أى : منفرداً بهذا الفعل ، وإن كان حاضراً معه غيره .
 أى : كلنى خصوصاً ، وكذلك لو قلت : كلمته من بينهم وحده ، كان معناه خصوصاً كما قرره سيبويه ، وأما الذى فى الحديث ، فلا يتقدّر هذا التقدير ، لأنه من الحال أن يموت خصوصاً ، وإنما معناه : مُنفرداً بذاته ، أى : على حدّته ، كما قال يونس ، فقول يونس صالحٌ فى هذا الموطن ، وتقدير سيبويه له بالخصوص يصلح أن يُحمّل عليه فى أكثر المواطن ، وإنما لم يتعرف وحده بالإضافة ، لأن معناه كفى لا غير ، ولأنها كلمة تُنبىء عن نقي وعدم ، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مُتَعَرِّفاً مُتَعَيِّناً بالإضافة ، وإنما لم يشتق منه فُعلٌ ، وإن كان مصدرأ فى الظاهر لما قدمناه من أنه لفظ ينبىء عن عدم ونقي ، والفعل يدل على حَدَثٍ وزمان ، فكيف يشتق من شيء ليس بحديث إنما هو عبارة عن انتقاء الحدث عن كل أحد إلا عن زيد ، مثلاً إذا قلت : جاءنى زيدٌ وحده ، أى : لم يجرى غيره ، وإنما يقال : انعدم وانتفى بحد الوجود لا قبله ، لأنه أمر مُتَجَدِّد كالحديث ، وقد أطنبنا فى هذا الغرض ، وردناه بياناً فى مسألة سبحان الله وبحمده وشرحها .

أما وسلمى :

فصل : وذكر الرجل الذى طرحته الريح بجبلى طيء ، وهما أجا وسلمى وعُرف أجا بأجا بن عبد الحى كان صليب فى ذلك الجبل ، وسلمى صلبت

في الجبل الآخر ، فعرف بها ، وهي سَلَمَى بنت حَامٍ فيما ذكر والله أعلم^(١).

أ كبر والكتاب الذي أرسل إليه :

فصل : وذكر كتابه لأَكْبَدِر دُومَة . وودُومَة بضم الدال هي هذه ، وعرفت بدُومِي^(٢) بن إسماعيل فيما ذكروا ، وهي دُومَة الجُنْدَل ، ودُومَة بالضم أخرى ، وهي عند الحيرة ، ويقال لما حولها النَجَف ، وأما دُومَة بالفتح فأخرى مذكورة في أخبار الرِّدَّة^(٣) .

وذكر أنه كتب لأَكْبَدِر دُومَة كتاباً فيه عهدٌ وأمانٌ ، قال أبو عبيد : أنا قرأته ، أتاني به شيخٌ هنالك في قَضمٍ ، والقَضمُ الصَّحِيفَةُ ، وإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من مُحَمَّدٍ رسولِ الله لأَكْبَدِر حين أجاب إلى الإسلام ، وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيفِ الله في دُومَة الجُنْدَل وأَكَنافها ، إن لنا الضَّاحِيَةَ من الضَّخْل والنَّجَفِ والآبِي ، وأَغْفَالَ الأرضِ والحَلَقَةَ والسَّلاحِ والحافِرَ والحِصْنَ ولِسِكِّمِ الضَّامِنَةَ من النَّخْلِ والمعين من المغمور لا تُعْدِلُ سَارِحَتُكُمْ ، ولا تُعَدُّ فَارِدَتُكُمْ ولا يُحْظَرُ عَلَيْكُمُ النَّبَاتُ ، تَقِيمُونَ الصَّلَاةَ لَوْقَهَا ، وتُرْأَوْنَ الزَّكَاةَ بِحَقِّهَا ، عليكم بذلك عهدُ الله

(١) أنظر معجم البكري مادة أجا وسلمى .

(٢) ويطلق عليه أيضاً : دومان .

(٣) أنظر البكري في دومة . فهو يقول عن دومة بفتح الدال موضع بين الشام والموصل ، وهي من منازل جذيمة الأبرش . ودومة الكوفة بضم الدال هي النجف بعينه .

والثبات ، ولكم بذلك الصدق والوفاء . شهد الله ، ومن حَصَرَ من المسلمين «
الضَّاحِيَةُ : أطرافُ الأرضِ ، والمَآبِي : نَجْهُو لها ، وأغفال الأرض : مالا أثر لهم
فيه من عارة أو نحوها ، والضَّامِنَةُ من النَّخْل : ما داخل بِلَدِّهم ، ولا يُحْظَرُ
عليكم النباتُ ، أى لا تَمْنَعُونَ من الرِّعْيِ حيث شِئْتُمْ ، ولا تُعَدِّلُ سَارِحَتَكُمْ ،
أى لا تُنْخَسِرُ إلى المَصَدَّقِ (١) وإنما أَخَذَ منهم بعض هذه الأرضين مع الخِزْفَةِ ،
وهى السلاحُ ، ولم يَقْتُلْ ذلك مع أهل الطائف حين جاءوا تائبين ، لأن هؤلاء
ظهر عليهم وأخذ مِلَكَمَ أسيراً ، ولكنه أبقى لهم من أموالهم ما نَصَمْنَهُ
الكتابُ ، لأنه لم يَقْتُلْهم ، حتى يأخذهم عَنُوةً كما أخذ خَيْبَرَ ، فلو كان الأمرُ
كذلك لكانت أموالهم كُلُّها للمسلمين ، وكان له الخيارُ فى رِقابهم كما تقدم
ولو جاءوا إليه تائبين أيضاً قبل الخُروجِ إليهم ، كما فعلت يَفِيفٌ ما أَخَذَ من
أموالهم شيئاً .

الكتاب إلى هرقل :

ولم يذكر ابن إسحاق فى غزوة تَبُوك ما كان من أمر هرقل ، فإن النبىَّ
صلى الله عليه وسلم كتب إليه من تبوك مع دِحْيَةَ بن خَلِيفَةَ ، ونصه
مذكور فى الصَّحاح مشهور ، فأمر هرقلُ مُنادياً بنادى : ألا إن هرقل قد آمن
بمحمد وأتبعه ، فدخلت الأجنادُ فى سلاحها ، وأطافت بقصره تريد قتله ،

(١) لا تعدل سارحتكم فسرهما صاحب النهاية بقوله : لا تصرف ما شئتمكم عن
مرعاهما . والفائدة : الزائدة على الفريضة ، أى : لا انضم إلى غيرها ، فتد
معها ، وتحسب .

فأرسل إليهم : إني أردت أن أختبر صلاحكم في دينكم ، فقد رضيتم عنكم
فرضوا عنه ، ثم كتب كتاباً ، وأرسله مع دحية يقول فيه للنبي - صلى الله عليه
وسلم - إني مسلمٌ ، ولكنني مغلوبٌ على أمرى ، وأرسل إليه بهدية ،
فلما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه ، قال : كذب عدو الله ليس بمسلم ،
بل هو على نصرانيته .

موقفه صلى الله عليه وسلم من بعض الهريابا :

وقبل هديته ، وقسمها بين المسلمين ، وكان لا يقبل هدية مُشركٍ مُحاربٍ ،
وإنما قبل هذه لأنها في المسلمين ، ولذلك قسمها عليهم ، ولو أتته في بيته
كانت له خالصة ، كما كانت هدية المُقوقس خالصة له ، وقبلها من المُقوقس ؛
لأنه لم يكن مُحارباً للإسلام ، بل كان قد أظهر الميل إلى الدخول في الدين ،
وقد رد هدية أبي براء مَلَاعِبِ الأَسِنَّةِ ، وكان أهدى إليه قَرَساً ، وأرسل إليه :
إني قد أصابني وَجَعٌ أحسبه قال : يقال له : الدَّبِيْلَةُ ^(١) ، فأبعتُ إلى بَشِيْرٍ
أُتَدَاوَى به ، فأرسل إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - بِعُكَّةٍ عَسَلٍ ^(٢) ، وأمره
أن يَسْتَشْفِيَ به وَرَدَّ عليه هديته ، وقال : إني نُهِيتُ عن زبدِ المُشركين ،
وبعضُ أهل الحديث ينسب هذا الخبر لعامر بن الطُّفَيْلِ عَدُوَّ الله ، وإنما هو

(١) الدبيلة : خراج ودمل كبير تظهر في الجوف ، فنقتل صاحبها غالباً .
(٢) العُكَّة من السمن أو العسل هي وعاء من جلود مستدير يختص بهما . وهو
بالسمن أخص .

عنه عامر بن مالك . وقوله عليه السلام عن زبْد^(١) المشركين ، ولم يقل : عن هديتهم يدل على أنه إنما كره مُلَايَنَتَهُمْ ومُدَاهَنَتَهُمْ ، إذا كانوا حرباً ، لأن الزَّبْدَ مُشْتَقٌّ من الزَّبْدِ ، كما أن المِدَاهَنَةَ مُشْتَقَّةٌ من الدُّهْنِ ، فعاد المعنى إلى معنى اللين والمُلايَنَةِ ، ووجود الجِدِّ في حربهم والمُخَاشَنَةِ . وقد ردَّ هدية عياض بن حماد المجاشعي قيل أن يُسَلِّمَ ، وفيها قال : إني نُهيْتُ عن زبْدِ المشركين . وأهدى إلى أبي سفيان عَجْوَةً واستَهْدَاهُ أدمًا فأهداه أبو سفيان وهو على شِرْكِهِ الأدم ، وذلك في زمن الهِنْدَةِ التي كانت بينه وبين المسلمين في صلح الحُدَيْبِيَّةِ ، وقد روى أن هِرْقَلَ وضع كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي كتب إليه في قَصَبَةٍ من ذَهَبٍ تعظيماً له ، وأنهم لم يزالوا يتوراثونه كابر أعن كابر في أرفع صِوَانٍ ، وأَعَزَّ مَكَانٍ حتى كان عند «إذفونش»^(٢) الذي تَغَلَّبَ على طَلَيْطَلَةَ ، وما أخذ أخذها من بِلَادِ الأندلس ، ثم كان عند ابن بنته المعروف «بالسليطين» حدثني بعض أصحابنا أنه حدثه من سألته رؤيته من قواد أجنادِ المسامين كان يعرف بمعد الملك بن سعيد ، قال : فأخرجه إلى فاستَعْبَرْتُهُ وأردت تقبيله ، وأخذته بيدى ، فنفعتني من ذلك صِيَانَةً له وضناً به على . ويقال : هِرْقَلٌ وهِرْقَلٌ .

مول قصة البطيئ :

فصل : وذكر البَـكَاثِينِ ، وذكر فيهم عُلْبَةُ بن زَيْدٍ ، وفي رواية يونس

(١) زبْد : عطاه .

(٢) يقصد : ألفونس بن فرديناند الذي استولى على طليطلة سنة ١٠٨٥ م .

أَنْ عُلْبَةَ خَرَجَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ بَكَى ، وَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا قَدْ أَمَرْتُ بِالْجِهَادِ ، وَرَغَبْتُ فِيهِ ، ثُمَّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي ، مَا أَنْتَوَى بِهِ مَعَ رَسُولِكَ وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِكَ مَا يَحْمِلُنِي عَلَيْهِ ، وَإِنِّي أَنْتَصِدُقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِي بِهَا فِي مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوْ عِرْضٍ » ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ النَّاسِ ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ؟ لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ قَالَ أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَلْيَقُمْ ، وَلَا يَتَزَاهَدُ مَا صَنَعَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبَشِّرْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَتَسَدَّ كُتُبُ فِي الزَّكَاةِ الْمُتَقَبَّلَةِ . وَأَمَّا سَالِمُ بْنُ عُثَيْرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُغَفَّلِ ، فَرَأَاهُمَا بِأَمِينِ بْنِ كَعْبٍ يَبْكِيَانِ ، فزودهما ، وحملهما ، فالحق بالنبى صلى الله عليه وسلم .

معنى كلمة حسن :

فصل : وقوله خَبَرَ عَنْ أَبِي رُحْمٍ : أَصَابَتْ رَجُلًا رَجُلًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجُلُهُ فِي الْفَرْزِ^(١) فَمَا اسْتَيْقَظَتْ إِلَّا بِقَوْلِهِ : حَسَنٌ . الْفَرْزُ لِلرَّحْلِ كَالرُّكَابِ لِلْمَرْجِ ، وَحَسَنٌ : كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ عِنْدَ وَجُودِ الْأَلَمِ ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنْ طَلْحَةَ لَمَّا أَصِيبَتْ يَدُهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، قَالَ : حَسَنٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْ أَنَّهُ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، يَعْنِي مَكَانَ حَسَنٍ ، لَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ، أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ ، وَلَيْسَتْ حَسَنٌ بِاسْمٍ وَلَا بِفِعْلٍ ، إِنَّمَا لَا مَوْضِعَ لَهَا مِنْ

(١) يَحْكِي السَّكَّامُ بِمَعْنَاهُ لَا يَنْصَحُهُ .

الإعراب ، وليست بمنزلة صه ، ومه ، ورؤبد ، لأن تلك أسماءُ سُمِّيَ الفعلُ بها ، وإنما حسٌ^(١) صوتٌ كالأنين الذي يُخرجه المتألم نحو آه ، ونحو قول القُراب : غاق ، وقد ذكرنا قبل في أفّ وجهين ، أحدهما : أن تكون من باب الأصوات مَبْنِيَّة ، كأنه يحكى بها صوت النفخ ، والثاني أن يكون مَعْرِفَةً مثل تَبَأ يُراد بها الوسخ^(٢) .

وقوله : السُّودُ السُّطَّاط^(٣) جمع : نَطٌّ ، وهو الذي لَاحِيَةٌ له . قال الشاعر :

كَهَامَةِ الشَّيْخِ الِئِمَّانِي النُّطَّ^(٤)

ومحو منه : السَّنَاط ، ومن الحَدَّثَيْنِ مَنْ يرويه : الشُّطَّاط ، وأخسبه تصحيفاً .

وقوله : بشبكة شدخ^(٥) بموضع من بلاد غفَّار .

(١) يقال بفتح الحاء وكسر السين وبدون تنوين ، وتقول : ضرب فأ قال حس ولايس بالجهر والتنوين ، ومن العرب من يجر ولا يتون ، ومنهم من يكسر حاء حس وباء بس .

(٢) فيها عشرة أوجه أفّ له بفتح الفاء وتشديد هاء وبكرها وبضمها كل هذا بدون تنوين ثم بنصها وكسر هاء وضمها مع التنوين ، ثم أفى بإمالة الفاء المشددة إلى الكسر ، ثم أفى بوزن كبرى ثم أفة بتشديد الفاء ، وأفى بإسكان الفاء .

(٣) في السيرة : الحر الطوال السطاط أم السود فقال عنهم : الجماد القصار واثط أيضاً : ثقل البطن بطن . أو الفليل شعر الحاجبين .

(٤) هو لأبي النجم الفضل بن قدامة بن عبيد الله المعلى . وفي اللسان : كهامة

(٥) في الأصل : شرخ ، والتصويب من معجم البكري .

أصحاب مسجد الضرار:

فصل : وذكر المنافقين الذين اتخذوا مسجداً ضيراً .

وذكر فيهم جارية بن عامر ، وكان يُعرف بمكارٍ الدار ، وهو جارية ابن عامر بن مُجَمِّع بن العَطَاف .

وذكر فيهم ابنه مُجَمِّعاً ، وكان إذ ذاك غلاماً حَدَّثَنَا قد جمع القرآن فقدموه إماماً لهم ، وهو لا يعلم بشيءٍ من شأنهم ، وقد ذكر أن عمر بن الخطاب في أيامه أراد عزله عن الإمامة ، وقال : أليس بإمام مسجد الضرار ، فأقسم له مُجَمِّع أنه ما علم شيئاً من أمرهم ، وما ظن إلا الخير ، فصدقه عُمرُ ، وأقره ، وكانت مساجدُ المدينة تسعةً سوى مسجدِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم يصلون بأذان بلال ، كذلك قال بكير بن عبد الله الأشجّ فيما روى عنه أبو داود في مراسيله ، والدارقطني في سننه ، فنها مسجداً رائجاً^(١) ، ومسجداً بنى عبد الأشهل ، ومسجداً بنى عمرو بن مَثْدُول ، ومسجداً جُهَيْنَةَ وأسلم ، وأحسبه قال : ومسجداً بنى سلمة ، وسائرهما مذكور في الشنن ، وذكر ابن إسحاق في المساجد التي في الطريق مسجداً بذى الحليفة ، كذا وقع في كتاب أبي بحر بالخاء مُنْجَمَةً ، ووقع الحليفة بالجيم في كتاب قُريء على ابن أبي سراج ، وابن الإفليلي وأحمد ابن خالد .

(١) في معجم البكري عن رائج : موضع تلقاء المدينة ، كان ينزله بعض الانصار ، وفي المراد : أطم من أطام اليهود بالمدينة ، وتسمى الناحية به .

عن الثلاثة الذين خلفوا :

فصل : وذكر الثلاثة الذين خلفوا ، ونهى الناس عن كلامهم ، وإنما اشتد غضبه على من تخلف عنه ونزّل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاثة منهم ، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية ، لامن فروض الأعيان ، لكنه في حق الأنصار خاصة كان فرض عين ، وعليه بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ألا ترأهم يقولون يوم اتلندقي ، وهم يرتجزون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

ومن تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف ، لأنهم خرجوا لأخذ غير ، ولم يظنوا أن سيكون قتال ، فكذا كان تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة كبيرة لأنها كالنكث لبيعتهم ، كذلك قال ابن بطال رحمه الله في هذه المسألة : ولا أعرف لها وجهاً غير الذي قال ، وأما الثلاثة فهم كعب بن مالك بن أبي كعب ، واسم أبي كعب عمرو بن القين بن كعب ابن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة ابن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الشامي ، بكى : أبا عبد الله ، وقيل : أبا عبد الرحمن ، [وقيل : أبا بشير] أمه : ليلي بنت زيد بن كفلبة من بني سلمة أيضاً ، وهلال بن أمية ، وهو من بني واقف ، ومروارة بن ربيعة ، ويقال ابن الربيع النميري الأنصاري من بني عمرو بن عوف .

(٢٤٠ — الروض الأوفى ج ٧)

زاح عنى الباطل :

فصل : وذکر قول کعب : زاح عنى الباطل ، يقال : زاح وانزاح : إذا ذهب ، والمصدر زُبوحاً وزَيحاناً ، إحداهما عن الاضمي ، والأخرى عن الكسائي .

وقوله : فقام إلى طاحه بن عبيد الله يهنئني ، فكان كعب يراها له ، فيه : جواز السرور بالقيام إلى الرجل كما سر كعب بقيام طاحه إليه ، وقد قال عليه السلام في خبر سعد بن معاذ : قوموا إلى سيديكم ، وقام هو صلى الله عليه وسلم إلى قوم ، منهم : صفوان بن أمية حين قدم عليه ، وإلى عدى بن حاتم ، وإلى زيد بن حارثة حين قدم عليه من مكة وغيرهم ، وليس هذا بمعارض لحديث معاوية عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمَثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » و يروى : يَسْتَجِمُّ لَهُ الرِّجَالُ ^(١) . لأن هذا الوعيد إمامتوجه للمتكبرين ، وإلى مَنْ يَفْضَبُ ، أو يَسْخَطُ الأُيُقَامَ له ، وقد قال بعض السلف : يقام إلى الوالد برأ به ، وإلى الولد سروراً به ، وصدق هذا القائل ، فإن فاطمة رضى الله عنها كانت تقوم إلى أبيها صلى الله عليه وسلم برأ به ، وكان هو صلى الله عليه وسلم يقوم إليها سروراً بهارضى الله عنها ، وكذلك كل قيام أثمره الحب في الله ، والسرور بأخيك بنعمة الله ، والبر بمن يحب بره في الله تبارك وتعالى ، فإنه خارج عن حديث الهى والله أعلم .

(١) يجتمعون له في القيام . والحديث كما قال السيوطي : رواه أحمد في مسنده والترمذي وأبو داود .

إسلام ثقيف

فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عُرْوَةَ بن مَسْعُودٍ حين قُتِلَ : مثله كمثل صاحبِ ياسين في قومه ، يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور في سورة ياسين ، الذي قال لقومه (اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) فقتله قومه ، واسمه حَبِيبُ بن مُرِّي ، ويحتمل أن يريد صاحبِ إِيَّاسَ ، وهو الْيَسَّعُ ، فإن إِيَّاسَ يقال في اسمه : ياسين أيضاً ، وقال الطبري : هو إِيَّاسُ بن يَاسِينَ ، وفيه قال الله تبارك وتعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِيَّاسِينَ ﴾ الصافات : ١٣٠ قاله أعلم . وقد بينا في التعريف والإعلام معنى إِيَّاسَ وإِيَّاسِينَ وآلِ يَاسِينَ بياناً شافياً ، وأوضحنا خطأ قول من قال إن إِيَّاسِينَ جمع كَالْأَشْعَرِيِّينَ ، وضعف قول من قال : إن ياسين هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم يُنظر هنالك .

زوج عروة :

وكانت تحت عُرْوَةَ مَيْمُونَةُ بنت أبي سُفْيَانَ ، فولدت له أبا مُرَّةَ بن عُرْوَةَ ، وبنت أبي مُرَّةَ هي : ليلي امرأة الحسين بن عَلِيٍّ عليهما السلام ولدت للحُسَيْنِ عَلِيّاً الأكبر قتل معه بِالطَّفِّ^(١) ، وأما عليُّ الأصغر فلم يُقتل معه ، وأُمُّه : أم وَلَدِهِ ، واسمها سُلَّافَةُ ، وهي بنت كَثْرَى بن يَزْدَجِرْدَ ، وأختها الْغَزَالُ هي أم أبي بَكْرٍ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هِشَامٍ .

(١) الطَّف : أرض من ضاحية الكوفة في طرف البرية المرصدة ، .

حول هدم الآلات :

فصل : وذكر إسلام ثقيف وهدم طائغيتهم ، وهى الآلات ، وأن المَغِيرَةَ وأبا سُفْيَانَ هما اللذان هَدَمَاها وذكر بعض مَنْ أَلْفَ فى السَّيْرِ أَنَّ المَغِيرَةَ قَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ حِينَ هَدَمَهَا : أَلَا أُضْحِكُكَ مِنْ ثَقِيفٍ ؟ فَقَالَ : بَلَى ، فَأَخَذَ الْمَقُولَ ، وَضَرَبَ بِهِ الْآلَاتَ ضَرْبَةً ، ثُمَّ صَاحَ وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَزِمَتْهُ الطَّائِفُ بِالصِّيَاحِ سُرُورًا بِأَنَّ الْآلَاتَ قَدْ صَرَعَتِ الْمَغِيرَةَ ، وَأَقْبَلُوا يَقُولُونَ : كَيْفَ رَأَيْتُمَا يَمَغِيرَةُ دُونَكُمَا إِنْ اسْتَطَعَتْ ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهَا تُهْلِكُ مَنْ عَادَاهَا ، وَيُحْكِمُ أَلَا تَرَوْنَ مَا تَصْنَعُ ؟ فَقَامَ الْمَغِيرَةُ يَضْحَكُ مِنْهُمْ ، وَيَقُولُ لَهُمْ : يَا خُبْنَاءَ وَاللَّهِ مَا قَصَدْتُ إِلَّا الْهَزْأَ بِكُمْ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى هَدْمِهَا ، حَتَّى اسْتَأْصَلَهَا ، وَأَقْبَلَتْ عَجَازُ ثَقِيفٍ تَبْكِي حَوْلَهَا ، وَقَوْلُ : أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ ، إِذْ كَرِهُوا الْمِصَاعَ ، أَيْ أَسْلَمَهَا اللَّثَامُ حِينَ كَرِهُوا الْقِتَالَ .

فقه حديث كتاب النبي لثقيف :

فصل : وذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لثقيف ، وذكره أبو عبيد كما ذكره ابن إسحاق ، وذكر فيه شهادة عَلِيٍّ وَابْنِهِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، قَالَ : وَفِيهِ مِنَ الْفَقْهِ شَهَادَةُ الصَّبْيَانِ ، وَكِتَابَةُ أَسْمَائِهِمْ قَبْلَ الْبُلُوغِ ، وَإِنَّمَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ إِذَا أَدَّوْهَا بَعْدَ الْبُلُوغِ ، وَفِيهِ مِنَ الْفَقْهِ أَيْضًا شَهَادَةُ الْإِبْنِ مَعَ شَهَادَةِ أَبِيهِ فِي عَقْدٍ وَاحِدٍ .

وذكر فى الكتاب : وَجًا ، وَأَنَّهُ حَرَامٌ عِصْمَتُهُ وَشَجَرُهُ ، بِمَعْنَى حَرَامًا عَلَى

غير أهله كبحريم المدينة ومكة . وَوَجَّ هِيَ أَرْضُ الطائف ، وهي التي جاء فيها الحديث : إن آخر وِطَاءٍ وَطِئَهَا الرَّبُّ يَوْجٌ ، ومعناها عند بعضهم : آخر غَزْوَةٍ وَوَقْعَةٍ كانت بأرض العرب يَوْجٌ ، لأنها آخرُ غَزَوَاتِهِ - صلى الله عليه وسلم - إلى العرب ، وقد قيل في معنى الحديث غير هذا ، مما ذكره القُتَيْبِيُّ ، ونحن نضرب عن ذكره ، لما فيه من إيهام التشبيه ، والله المُسْتَعَانُ .

وج :

وقد قيل في وَجٍّ هِيَ الطائفُ نَفْسُهَا ، وقيل : هو اسمُ لَوَادِيهَا ، وبشهادة لهذا القول قول أُمَيَّةَ بنِ الْأَسْكَرِ :

إِذَا يَنْبِكِي الْحَامُ بَيْطُنِ وَجٍّ عَلَى بِيضَاتِهِ بَكِيًا كِلَابًا^(١)

وقال آخر^(٢) :

أَتَهْدِي لِي الْوَهْدَ بَيْطُنِ وَجٍّ كَأَنِّي لَا أَرَاكَ وَلَا تَرَانِي

وقد ألفيت في نسخة الشيخ وجا بتخفيف الجيم والصواب تشديدها كما تقدم

وقال أُمَيَّةُ بنُ أَبِي الصَّلْتِ :

(١) أول القصيدة :

لَمَنْ شِيْخَانِ قَدْ لَشِدَا كِلَابَا كِتَابُ اللَّهِ إِنْ رَقِبَ الْكِتَابَا
وَالْبَيْتَ الَّذِي فِي الرُّوضِ ثَالِثَ بَيْتِ فِي الْقَصِيدَةِ وَرَوَاتِهِ فِي الْأَمَالِي :
إِذَا هَتَفْتَ حَامَةَ بَطْنِ وَادٍ عَلَى بِيضَاتِهَا دَعَا كِلَابَا
وَالشَّعْرَ خَيْرَ طَرِيفٍ فِي الْأَمَالِي ص ١٠٨ ذيل الأمالي ط ٢٠ .

(٢) نسبه البكري في معجمه للناطقة الذبياني .

إِنْ وَجَّأَ وَمَا يَلِي بَطْنَ وَجَّ دَارُ قَوْمِي بِرَبْوَةٍ وَزُتُوقِ^(١)
وَسُمِّيَتْ وَجَّأً فَمَا ذَكَرُوا بِوَجِّ بْنِ عَبْدِ الْحَيِّ مِنْ أَلَمَاءِ لَقَةٍ^(٢) ، ويقال :
وَجَّ ، وأَجَّ بالهمزة ، قاله يعقوب في كتاب الإبدال ، وكتابه صلى الله عليه
وسلم لأهل الطائف أطول مما ذكره ابن إسحاق بكثير ، وقد أورده أبو عبيد
بكماله في كتاب الأموال .

إنزال سورة براءة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمَ مِنْ تَبُوكَ ، فَذَكَرَ مُحَاطَةَ
لِلْمُشْرِكِينَ لِلنَّاسِ فِي حَبْجِهِمْ ، وَتَلْبِيَتِهِمْ بِالشُّرْكِ وَطَوَافِهِمْ عُرَاءَ بَانِيَتِ ،
وَكَانُوا يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ أَنْ يَطُوفُوا كَمَا وَلِدُوا بِغَيْرِ الثِّيَابِ الَّتِي أَذْنَبُوا فِيهَا ،
وظَلَمُوا ، فَأَمْسَكَ - صلى الله عليه وسلم - عَنِ الْحُجِّ فِي ذَلِكَ الْعَامِ ، وَبَعَثَ
أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِسُورَةِ بَرَاءَةِ لِيُنْبِذَ إِلَى كُلِّ ذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ إِلَّا بَعْضَ بَنِي بَكْرِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ عَهْدٌ إِلَى أَجْلِ خَاصٍّ ، ثُمَّ أَرْدَفَ
بِجَلِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أُنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ يَبْلُغَ عَنِّي مَنْ
هُوَ مِنْ أَهْلِ بَنِي ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَأَمَرَنِي عَلَيْهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنْ

(١) في الأصل : ربوة ورثوق ، والنصوب من معجم البكري وفيه أيضاً :
يريدة بدلاً من ربوة .

(٢) في معجم البكري .

أَطُوفَ فِي الْمَنَازِلِ مِنْ مَتَى بَيْرَاءَةٌ ، فَكَنتَ أَصْبَحَ حَتَّى صَحَلَ حَلْقِي ، فَقِيلَ
لَهُ : بِمِ كُنْتَ تَنَادِي ؟ فَقَالَ : بِأَرْبَعٍ : أَلَّا يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُ ، وَأَلَّا يَخُجَّ
بَعْدَ هَذَا الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَأَلَّا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ ^(١) ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ ،
فَحَلْهُ أَجَلُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ثُمَّ لَا عَهْدَ لَهُ ، وَكَانَ لِلْمُشْرِكِينَ إِذَا سَمِعُوا النِّدَاءَ بَيْرَاءَةً
يَقُولُونَ لِعَلِيٍّ : سَتَرَوْنَا بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، يَا نَهْ لَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّكَ
مَالَا الطَّعْنُ وَالضَّرْبُ ، ثُمَّ إِنْ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الْمُدَّةِ رَغِبُوا فِي الْإِسْلَامِ حَتَّى دَخَلُوا
فِيهِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَحَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ ، وَحَجَّ

(١) أصل الحديث في البخاري ومسلم وأبو داود والسنائي . أما الإرداف .
جعل وقول أبي بكر : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَزَلَ فِي شَيْءٍ ؟ قَالَ : لَا الْحَدِيثَ فَقَدْ رَوَاهُ
أَحَدُ الطَّبَرِيِّ . وَيَقُولُ الطَّبَرِيُّ فِي مَشْكَلِ الْأَنَارِ : هَذَا مَشْكَلٌ ، لِأَنَّ الْأَخْبَارَ
فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ يَبْعَثُ أَبَا بَكْرَ بِذَلِكَ ، ثُمَّ
أَتْبَعَهُ عَلِيًّا ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤْذِنَ ، فَكَيْفَ يَبْعَثُ أَبُو بَكْرٍ أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَنْ مَعَهُ بِالتَّأْذِينِ
مَعَ صَرَفِ الْأَمْرِ عَنْهُ فِي ذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ ، ثُمَّ أَجَابَ بِمَا حَاصِلُهُ : إِنْ أَبَا بَكْرٍ كَانَ
الْأَمِيرَ عَلَى النَّاسِ فِي تِلْكَ الْحِجَّةِ ، وَكَانَ عَلَى هُوَ الْمَأْمُورَ بِالتَّأْذِينِ بِذَلِكَ ، وَكَانَ عَلِيًّا
لَمْ يَطْلُقِ التَّأْذِينَ بِذَلِكَ وَحْدَهُ ، وَاحْتِاجَ إِلَى مُعِينٍ ، فَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ أَبَا هُرَيْرَةَ .
وغيره ليساعده ، ص ٩٠ ج ٣ المواهب ، وقد روى الطبري عن محمد بن كعب أنه
أمر أن يؤذن بوضع ثلاثين آية منهاها : وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، وقيل : بِأَرْبَعِينَ
ولقد قيل : كيف يؤمر بالآذان ببراءة ، ثم يؤذن بمثل ما ذكره ؟ وقد أجيب
بأنه أمر أن يؤذن ببراءة ، ومن جملة ما اشتملت عليه ألا يخرج بعد هذا العام مشرك
من قوله سبحانه : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . والآية ويحتمل أن يكون قد أمر بأن
يؤذن ببراءة وبما ذكر . والرابعة التي أخذ بها وهي قوله : وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
رَسُولِ اللَّهِ عَهْدٌ فَعَهْدُهُ إِلَى مَدَّتِهِ وَرَدَّتْ فِي رِوَايَةِ لِأَحَدٍ وَالتِّرْمِذِيُّ . وَزَادَ الطَّبَرِيُّ
مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ : وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ فَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ .

المسلمون ، وقد عاد الذين كُلُّهُ واحداً لله رَبُّ العالمين .

وأما النداء في أيام التشريق بأنها أيامُ أكل وشرب ، وفي بعض الروايات : أكل وشرب وبِعال^(١) ، فإن الذي أمر أن ينادى بذلك في أيام التشريق هو كُتَيْبُ بْنُ مَالِكٍ وَأَوْسُ بْنُ الْخُدَّائِ ، وفي الصحيح أن زَيْدُ بْنُ مَرْبَعٍ ويقال فيه أيضاً : عبد الله بن مَرْبَعٍ كان ممن أمر أن ينادى بذلك ، وروى مثل ذلك عن بَشْرِ بْنِ سَحِيمٍ الْفِقَارِيِّ ، وقد رُوي أن حُذَيْفَةَ كَانَ الْمُنَادِي بذلك ، وعن سعد بن أبي وقاص أيضاً ، وبلال ، ذكر بعض ذلك البراء في مُسْنَدِهِ ، وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾ : أنه أراد ذا الْحِجَّةِ وَالْمَحَرَّمِ من ذلك العام ، وأنه جعل ذلك أَجَلًا لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، ومن كان له عَهْدٌ جُمِلَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ أَوْلَاهَا يَوْمَ النحر من ذلك العام ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ قيل : أراد حين الحج ، أى أيام اللوسم كلها ، لأن نداء علي بن أبي طالب ببراءة كان في تلك الأيام .

ما نزل في سورة براءة :

فصل : وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله في سورة براءة في غزوة تبوك ، وأهلُ التفسير يقولون إن آخرها نزل قَبْلَ أولها ، فإن أول ما نزل منها :

﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ثم نزل أولها في تَبَيُّدِ كُلِّ عَهْدٍ إِلَى صَاحِبِهِ كما تقدم .

(١) البِعال : مباشرة الرجل زوجته وملاعبتها .

وقوله (انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) فيه أقوالٌ، قيل معناه: شُبَّانًا وَشُيُوخًا، وقيل: أغنياء وفقراء، وقيل أصحاب شُغْلٍ وغير ذِي شُغْلٍ، وقيل: رُكبانًا وَرَجَالَةً.

عن الأجدع بن مالك:

وأُشدَّ شاهدًا على أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ للأجدع بن مالك والدِ مَسْرُوقِ ابن الأجدع، وقد غيَّرَ عمر رضى الله عنه اسم الأجدع، وقال: الأجدعُ: اسمُ شيطانٍ، فسماه عبدَ الرحمن ويكنى مَسْرُوقَ أبا عائشة.

وقوله في البيت: يصطادك الوَحْدَ، أى: يصطاد بك، وأراد بالوَحْدِ: الثَّوْرَ الوَحْشَى.

وقوله: بِشَرِيحِ بَيْنِ الشَّدِّ وَالْإِبْضَاعِ، يقال: هما شريحان، أى: مختلفان؛ وقبل هذا البيت أبيات في شعر الأجدع:

أَسْأَلُتْنِي بِرُكَاثِي وَرَحَالِهَا وَنَسِيتُ قَتْلَى فَوَارِسِ الْأَرْبَاعِ^(١)
وَذَكَرَهُ أَبُو عَبَّاسٍ [القالى] فِي الْأُمَالِ، فقال: وَسَأَلْتُ^(٢) بِالْوَاوِ،

(١) كانت امرأته من بنى الحارث فأصاب وقتل من بنى الحصيصة أربعة فقال له امرأته: أين الإبل والغنمية؟ فقال البيت المذكور. وروايته في السمت: أسألتني بنجائب. وفي السمت من القصيدة سبعة أبيات. راجع ص ١٠٩، ١٤٦ السمت (٢) أنظر ص ٢٢ ج ١ ط ٢. وقد نبه على هذا الخطأ البكرى في كتابه التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، ص ٣٥ فقال: إنما هو أسألتني بالهمزة لا بالواو، وهو أول الشعر. بركاث منون لا بركاثي، لأنها إنما سألته عن إبل القوم =

.. وقد خطئوه ، وقالوا : إنما هو أسألتني . وفوارسُ الأرباع قد سماهم أبو علي
: في الأمالى^(١) ، وذكر لهم خبراً .

إعطاء الجزية عن يد :

وذكر قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾
، وقيل فيه أربعة أقوال أيضاً :

أحدها : أن يؤديها الذمى بنفسه ، ولا يرسلها مع غيره .

الثاني : أن يؤدّيها قائماً ، والذي يأخذها قاعداً .

الثالث : أن معناه : عن قهرو إذلال .

الرابع : أن معناه : عَنْ يَدٍ مِنْكُمْ ، أى : إنعام عليهم بمحقن دماهم ،
وأخذ الجزية منهم بدلاً من القتل ، كل هذه الأقوال مذكورة في كتب
المفسرين ، ولفظ الآية يتناول جميع هذه المعاني ، والله أعلم .

ومعنى قوله تعالى : في هذه الآية ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِهِ ، وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ ﴾ وإن كان أهل الكتاب يُصدّقون بالآخرة ، فعناه فيما ذكر ابن سلام

وركا بهم ، لآعن ركائب نفسه ، ثم ساق من القصيدة خمسة أبيات . وفوارس
الأرباع هم أبناء الحصين ذى النصة بن يزيد بن شداد الذى رأس بنى الحارث
مائة سنة . والأرباع أرض قتلهم بها همدان

(١) من ولد الحصين كثير بن شهاب بن حصين ولاء معاوية الرى ودستبا ، ومحمد
بن زهير بن الحارث بن منصور بن قيس بن كثير ، ص ٢٥ تنبيه البكرى ، حاشية .

أن أهل الكتاب لا يقولون بإعادة الأجساد ويقولون إن الأرواح هي التي تُنبعث دون الأجساد^(١).

من المعذرين :

وذكر في المعذرين : خُفَّافُ بْنُ إِيمَاءَ بْنِ رَحْضَةَ ، ويقال فيه : رَحْضَةُ بالضم ابن خربة^(٢) ، وكان له ولأبيه إيماء ، ولجده رَحْضَةُ صحبة . مات خُفَّافُ في خلافة مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ - رضي الله عنه - وكان إماماً لبني غِفَّارٍ .

وذكر أبو عَقِيلٍ صاحب الصَّاع^(٣) الذي كَتَبَهُ المناقون ، واسمه جَثْجَاثُ^(٤) وقد قيل في صاحب الصَّاع إنه رِفَاعَةُ بْنُ سَهْلٍ^(٥).

(١) بل لها معنى أوسع من ذلك ، ففهمهم للأخرة عندهم لا يعطيههم صفة الإيمان بها ، لأنهم يرون يسوع هو مالك يوم الدين ، بل ويرون مع هذا في أعماق جهنم ، ويرون القديسين لهم شفعاء ، ويرون أن الجنة لهم وحدهم ، إلخ .
(٢) قال في الإصابة في ترجمة رَحْضَةَ والد إيماء وجد خُفَّافُ : بفتح أوله وثانيه ثم ضاد معجمة ابن خزيمَةَ النُفْلَارِي ، وفي ترجمة خُفَّافُ قال : ابن رَحْضَةَ بفتح الراء المهملة ثم معجمة . وفي ترجمة إيماء قال : ابن رَحْضَةَ بن خزيمة (حربه) بن خُفَّافُ بن حارثة . وقال الحفاظ : لا أعرف لأبي عمر مستنداً في إثبات صحبة رَحْضَةَ .
(٣) عن أبي مسعود : لما نزلت آية الصدقة ، كنا نحامل على ظهورنا ، فجاء رجل ، فتصدق بشيء كثير فقالوا : مرأى ، وجاء رجل فتصدق بصاع ، فقالوا : إن الله لغني عن صدقة هذا فنزلت (الذين يلزقون المطووعين) الآية رواه البخاري ومسلم .

(٤) ضبط . حشحات

(٥) في بعض الروايات أن الذي تصدق بجمده وبصاع تمر هو أبو عَقِيلٍ أَخُو =

قصيدة مساهم الميمية :

فصل : وذكر كلمة حَسَّان الميمية^(١) وفيها :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعْدَةٍ كُلِّهَا نَفَرَا

وحَسَّانُ ليس من مَعْدَةٍ ، ولكن أَرَادَ : أَلَسْتُ خَيْرَ النَّاسِ ، فأقام مَعْدَةً
لكثرتها مقام النَّاسِ .

وفيها :

وناد جِهَاراً وَلَا تُحَنِّشِمِ^(٢)

وفيها رَدٌّ عَلَى من زعم أن الحِشْمَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَعْنَى الغَضَبِ وَأَنَّهَا
مِمَّا يَضَعُهَا النَّاسُ غَيْرَ مَوْضِعِهَا ، وقد جاء عن ابن عباس : لِكُلِّ طَاعِمِ حِشْمَةٍ ،
فَابْتَدَأَهُ بِالْيَمِينِ ، وفي الحديث المرفوع : لَا يَرْفَعَنَّ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَنِ الطَّعَامِ قَبْلَ
أَكِيلِهِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِمَّا يَحْنِشُمُهُ ، وَأَنشَدَ أَبُو الْفَرَجِ لِحَمْدِ بْنِ بَسِيرٍ ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ
مِثْلَ حَسَّانَ فِي الْحِجَّةِ :

فِي انْقِبَاصٍ وَحِشْمَةٍ فَإِذَا جَالَسْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقَلْتُ مَا شِئْتُ غَيْرَ مُحَنِّشِمِ

= بنى أَيْفَ الْإِرَاشِيِّ حَلِيفَ بَنِي هَمْرٍ وَبَنِي عَوْفٍ ، وَيُقَالُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ تَعْلِيَةَ .

(١) هذا سهو من السهلي ، فهو في قصيدته اللامية .

(٢) هذا من قصيدته الميمية . وليست الشطرة هكذا وإنما هي :

فناد نداء ولا تحنننم ،

وفيها قوله :

وكانوا مُلوَكًا ، ولم يَمْلِكُوا من الدَّهْرِ يوماً كَعِلِ الْقَسَمِ^(١)

فيه شاهد لما قاله ابن قُتَيْبَةَ في تفسير كَحِلَّةِ الْقَسَمِ ، وخلافه لأبي عبيد ،
وقد قدمنا قوليهما فيما تقدم من شرح قصيدة كَعْبِ بن زهير .

وأنشد ابن قُتَيْبَةَ :

إِذَا عَصَفَتْ رِيحٌ فَلَيْسَ بِقَائِمٍ بِهَا وَتَدُّ إِلَّا تَحْلَةً مُقْسِمٍ
وأنشد أيضاً :

قليلًا كَتَحْلِيلِ الْآلَى ثُمَّ أَصْبَحَتْ

البيت .

وقوله : وعزًّا أَشْمَ ، هو كقول العرب : عِزَّةٌ قَسَاءٌ ، يريد : ثَمَاءٌ ،
لأن الأَقْسَ الذي يَخْرُجُ صدرُهُ ويدخل ظهره ، وقد فسرهُ المَبْرَدُ غير هذا
التفسير ، وبيت حَسَّانٍ يشهد لما قلناه ، إنما هو الشَّمَمُ الذي يوصف به ذوالعِزَّةُ ،
فوصفت العِزَّةُ به مجازاً .

تفسير سورة النصر :

فصل : وذكر سورة : إذا جاء نصرُ الله . وتفسيرُهُ لها في الظاهر خلاف

(١) رواية البيت مختلفة عما في السيرة .

ما ذكره ابن عباس حين سأله عمرُ عن تأويلها ، فأخبره أن الله تعالى أعلم فيها
 نبيّه عليه السلام بانقضاء أجله ، فقال له عمر : ما أعلم منها إلا ما قلت . وظاهر هذا
 الكلام يدل على ما قاله ابنُ عباس وعمر ؛ لأن الله تعالى لم يقل : فاشْكُرْ
 ربَّك ، واحمِده ، كما قال ابنُ إسحاق : إنما قال : فسَبِّحْ محمدَ ربَّك واستغفره ،
 إنه كان تواباً ، فهذا أمرٌ لنبيّه عليه السلام بالاستعداد للقاء ربّه تعالى والتوبة
 إليه ، ومعناها الرجوع عمّا كان بسبيله مما أرسل به من إظهار الدين ، إذ قد فرغ
 من ذلك ، وتم مراده فيه ، فصار جوابُ إذا مِنْ قوله تعالى : ﴿ إذا جاء
 نصرُ الله والفتح ﴾ . ورأيت الناسَ يَدْخُلُونَ في دين الله أَقْوَاباً مَحْذُوفاً . وكثيراً
 ما يحذف في القرآن الجوابُ المحذوف ، والتقدير : إذا جاء نصرُ الله والفتح ،
 فقد انقضى الأمرُ ، ودنا الأجلُ ، وحان اللقاء ، فسَبِّحْ بِمُحَمَّدٍ رَبَّكَ واستغفره ،
 إنه كان تواباً . ووقع في مُسْنَدِ الْبَزَّازِ مُبَيَّنًا مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ فقال : فيه :
 فقد دنا أَجَلُكَ فسَبِّحْ ، هذا المعنى هو الذي فهمه ابنُ عباس ، وهو حذف
 جواب إذا ، ولَمَّا يُتَذَبَّهْ لِهَذِهِ النُّكْتَةِ حُسِبَ أَنْ جَوَابَ إِذَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ :
 فسَبِّحْ ، كما تقول : إذا جاء رمضانُ فصُمْ ، وليس في هذا التأويل من المُشَاكَلَةِ
 لما قبله ما في تأويل ابن عباس فتدبره ، فقد وافقه عليه عمرُ رضي الله عنه ،
 وحَسْبُكَ بهما قَتَمًا لِكِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فالقاء على قول ابن عباس
 رابطةٌ للأمر بالفعل المحذوف ، وعلى ما ظهر لفهمه رابطةٌ للجواب الشرطي
 الذي في إذا .

قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات

رجال الوفد

فقدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب ، فقدم عليه عطاردة
ابن حاجب بن زُرارة بن عُدُس التميمي ، في أشراف بني تميم ، منهم الأقرع
ابن حابس التميمي ، والزُّبْرَقَان بن بَدْر التميمي ، أحد بني سعد ، وعمرو بن
الأهتم ، والخبعباب بن يزيد .

شيء عن الحتات

قال ابن هشام : الحتات وهو الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى
بين نفر من أصحابه من المهاجرين ؛ بين أبي بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان .
وعبد الرحمن بن عوف ، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وبين
أبي ذر الغفاري والمقداد بن عمرو البهرازي ، وبين معاوية بن أبي سفيان
والحتات بن يزيد المجاشعي ، فمات الحتات عند معاوية في خلافته ، فأخذ معاوية
ماترك ورثة بهذه الأخوة ، فقال الفرزدق لمعاوية :

أبوك وعمي يا معاوي أوزرنا ثرائنا فيحتاز الثراث أقاربنا
فأبال ميراث الحتات أكلته وميراث حرب جامد لك ذائبنا
وهذان البيتان في أبيات له .

سائر رجال الوفد

قال ابن إسحاق : وفي وفد بني تميم : نُعَيْم بن يزيد ، وقَيْس بن الحارث ، وقَيْس بن عاصم ، أخو بني سعد ، في وفد عظيم من بني تميم .

قال ابن هشام : وعطارد بن حاجب ، أحد بني دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ، والأفرع بن حابس ، أحد بني دارم بن مالك ، والختات بن يزيد ، أحد بني دارم بن مالك ، والزبرقان بن بدر ، أحد بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن الأهم ، أحد بني منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ، وقَيْس بن عاصم ، أحد بني منقر بن عبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق : ومعهُم عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وقد كان الأفرع بن حابس ، وعُيَيْنَةُ بن حِصْن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وخُتِنًا والطائف .

صياحهم بالرسول وكلمة عطارد

فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجْرته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فأذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذن لشارعنا وخطيبنا ، قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام عطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والنّ ، وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكا ،
 ووهب لنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزّ أهل المشرق
 وأكثره عدداً ، وأيسره عدّة ، فمن مثّلنا فى الناس ؟ ألسنا برءوس للناس
 وأولى فضلهم ؟ فنفاخرنا فليعدّ مثّل ماعدّنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ،
 ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نعرف بذلك .
 أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا . ثم جلس .

كلمة ثابت فى الرد على عطار

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس ، أخى
 بنى الحارث بن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته . فقام ثابت ، فقال :
 الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه
 علمه ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ،
 واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمته نسباً ، وأصدقته حديثاً ، وأفضله حسباً ،
 فأنزل عليه كتابه وأثمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا
 الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله للمهاجرين من قومه وذوى رحمة ،
 أكرم الناس حسباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعلا . ثم كان
 أوّل الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 نحن ، فتحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فنآمن
 بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتله علينا
 يسيراً . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

شعر الزُّبْرَقَانِ فِي الْفَخْرِ بِقَوْمِهِ

فَقَامَ الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ ، فَقَالَ :

نَحْنُ السِّكْرَامُ فَلَا حَيَّ يُعَادِلُنَا مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبَعُ
وَنَحْنُ يُطْعَمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعِمُنَا مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَزَعُ
بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سُرَاتُهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوِيًّا ثُمَّ تَصْطَلِعُ
فَتَنْحَرُ السُّكُومَ عُيُطًا فِي أُرُومَتِنَا لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أَنْزَلُوا شَبَعُوا
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ تُفَاخِرُهُمْ إِلَّا اسْتَفَادُوا فَكَانُوا الرَّأْسُ يُقْتَطَعُ
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا فِي ذَلِكَ نَعْرِفُهُ فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ وَالْأَحْبَارُ تُسْتَمْعُ
نَا أَبِينَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَزَّاعُ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُرْوَى :

مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُقَسَّمُ الرِّبْعُ

وَيُرْوَى :

مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوَانًا ثُمَّ تُنْبَعُ

رَوَاهُ لِي بَعْضُ بَنِي تَمِيمٍ ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لِلزُّبْرَقَانِ ..

شعر حسان في الرد على الزُّبْرَقَانِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ حَسَّانُ غَائِبًا ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم. قال حسان : جاءني رسوله ، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيبَ شاعر بني تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مَنْعَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطَنَا عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعْدٍ وَرَاغِمِ
مَنْعَنَا لَمَّا حَلَّ بَيْنَ يُيُوتَنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
بَبْنِيَّتِ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَثَرَاؤُهُ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاظِمِ
هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا الشُّوْدُدُ الْعَوْدُ وَالنَّيْدُ

وَجَاءَ الْمُلُوكُ وَاحْتَمَلُ الْعِظَامُ

قال : فلما انتهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ، عرضت في قوله ، وقلت على نحو ما قال قال : فلما فرغ الزبير قان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال . فقام حسان فقال :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِئْرِ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلِّ الْخَيْرِ يَعْظُمُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةَ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ إِنْ خَلَّاتِ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدْعُ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سِبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلَّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعُ
لَا يَرْمِقُ النَّاسُ مَأْوَاهُ أَكْفَهُمْ عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَارَقُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمَ مَا فَازَ سَبَقُهُمْ أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ حَيْدٍ بِالْأَنْدَى مَتَمَوْا

أَعْنَةُ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَنْهُمْ لَا يَنْبَغُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
 لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمْ طَمَعُ وَلَا يَمَسُّهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
 إِذَا نَصَبْنَا إِيحَىٰ لَمْ نَدِبْ لَهُمْ كَمَا يَدُبُّ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ
 نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْهَا نَحَابُهَا إِذَا الرِّعَانُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَمُوا
 لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هُلَعُ
 كَانَهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مُكْتَنِعٌ أَسَدٌ بِحَلْيَةٍ فِي أَرْسَانِهَا فَدَعُ
 خَذَ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا
 فَلَنْ فِي حَرْبِهِمْ فَاتْرُكْ عِدَاوَتَهُمْ شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السَّمُّ وَالسَّلَامُ
 أَكْرَمَ بِقَوْمِهِ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئُهُمْ إِذَا تَفَاوَتَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
 أَهْدَىٰ لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبٌ يُؤَازِرُهُ فِيمَا أَحَبَّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ
 فَايَهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ تَمَعُوا

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد :

يَرْضَىٰ سَهَا كُلِّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيْرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا

شعر آخر للزبرقان

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم : أن الزبرقان
 ابن بدر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم قام فقال :
 أَنْيِفَاكَ كَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا إِذَا احْتَفَلُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ

بأنّا فرُوعُ النَّاسِ في كلِّ وِطْنٍ وأنَّ لیس فی أرضِ الحِجازِ كِدارم
وَأنا نَدُودُ الْمُعْلِمِينَ إِذَا انتَخَوْا ونضرب رأس الأَصِيدِ الْمُتَفَاعِمِ
وَأَنَّ لَنَا الزَّبَاعَ في كلِّ غَارَةٍ نُفِيرُ بِنَجْدٍ أَوْ بِأَرْضِ الْأَعاجِمِ

شعر آخر لحسان في الرد على الزبيرقان

فقام حسان بن ثابت فأجابه ، فقال :

هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا الشُّودُّ الْعَوْدُ وَالنَّدَى وَجَاهُ الْمُلُوكِ واحْتِمَالُ الْعِظَانِمِ
نَصَرْنَا وَأَوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ
بِحَيِّ حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَتَرَاوِهِ بِحَايَةِ الْجَوْلَانِ وَشَطِّ الْأَعاجِمِ
نَصَرْنَاهُ لِمَا حَلَّ وَشَطِّ دِيَارِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
جَعَلْنَا بَيْنِنَا دُونَهُ وَبَنَاتِنَا وَطِينَنَا لَهُ نَفْسًا بَقِيَّةُ الْمَغَانِمِ
وَمَنْ ضَرَبَنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا عَلَى دِينِهِ بِالْمُرْهَقَاتِ الصَّوَارِمِ
وَمَنْ وَلَدَنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَةٍ وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ فَخَرَكُمْ يَبْعُدُ وَبِالْأَعْدَادِ كَرِ الْمَكَارِمِ
هَمِلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ لَنَا خَوْلٌ مَا بَيْنَ ظَنَرٍ وَخَادِمِ
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّنِ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقْسَمُوا فِي الْمَقَاسِمِ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نَدَاً وَأَسْلِمُوا وَلَا تَلْبَسُوا زِيًّا كَرِي الْأَعاجِمِ

إسلامهم وتجويز الرسول إياهم

قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبي ، إن هذا الرجل لمؤتني له ، تلطيطيه أخطب من خطيبنا ، وكشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

شعر ابن الأهم في هجاء قيس لتحقيره إياه

كان عمرو بن الأهم قد حلفه القوم في ظهرهم ، وكان أصفرهم سناً ، قال قيس بن عاصم ، وكان يُبغض عمرو بن الأهم : يا رسول الله ، إنه قد كان رجل منا في رحالنا ، وهو غلام حدث ، وأزرى به ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهم حين بلغه أن قيساً قال ذلك يهجهوه :

ظَلَلْتُ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتُمُّنِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَا مَ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبِ
سُدْنَا كَمْ سُودَدَارَهُوَ أَوْ سُودَدُكُمْ بَادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعَرٌ عَلَى الذَّنْبِ

قال ابن هشام : بقي بيت واحد تركناه ، لأنه أقدح فيه .

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

في الوفادة عن بني عامر

بعض رجال الوفد

وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُّ بَنِي عَامِرَ فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ
الْطُّفَيْلِ وَأَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ جَزْءٍ بْنِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَجَبَّارُ بْنُ سَلْتَى بْنِ مَالِكِ
ابْنِ جَعْفَرٍ ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ رُؤَسَاءَ الْقَوْمِ وَشِيَاطِينَهُمْ .

تدبير عامر للنادر بالرسول

فَدِمَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ عَدُوَّ اللَّهِ ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَهُوَ يَرِيدُ النَّدَرَ بِهِ ، وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ : يَا عَامِرُ ، إِنْ النَّاسُ قَدْ أَسْلَمُوا فَأَسْلَمْ ،
خَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ آيَاتُ أَنْ لَا أُنْهِيَ حَتَّى تَنْتَبِعَ الْعَرَبُ عَقِي ، أَفَأَنَا أَنْتَبِعُ
عَقِبَ هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ ! ثُمَّ قَالَ لِأَرْبَدَ : إِذَا قَدِمْنَا عَلَى الرَّجُلِ ، فَإِنِّي
سَأَسْغِلُ عَنْكَ وَجْهَهُ ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَاغْلِهِ بِالسَّيْفِ ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ : يَا مُحَمَّدُ ، خَالِنِي ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ حَتَّى
تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ . قَالَ : يَا مُحَمَّدُ خَالِنِي . وَجَمَلُ يَكَلِّمُهُ وَيَنْتَظِرُ مِنْ أَرْبَدَ مَا كَانَ
أَمْرُهُ بِهِ لِيُجْمَلَ أَرْبَدَ لَا يُخَيِّرُ شَيْئًا ، قَالَ : فَلَمَّا رَأَى عَامِرٌ مَا يَصْنَعُ أَرْبَدَ ، قَالَ
يَا مُحَمَّدُ خَالِنِي قَالَ : لَا ، حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . فَلَمَّا أَبَى عَلَيْهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَأُمْلَأَنَّ عَلَيْكَ خَيْلًا وَرَجُلًا ،
فَلَمَّا وَلَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ .

فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر لأربد : وَيْلَكَ يَا أَرْبَدُ أَيْنَ مَا كُنْتُ أَمْرًا تَكُ بِهِ ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك . وإني لله لا أخافك بعد اليوم أبدًا . قال : لا أَبَالِكَ ! لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ ، والله ما هَمَمْتُ بالذي أمرتني به من أمره إِلَّا دَخَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ ، حَتَّى مَا أَرَى غَيْرَكَ ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأه من بني سلول ، فجعل يقول : يَا بَنِيَّ عَامِرُ ، أَغْدَةَ كَغْدَةِ الْإِبِلِ ، وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سُلُولِيَّةِ ! قال ابن هشام : ويقال : أَغْدَةَ كَغْدَةِ الْإِبِلِ ، وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سُلُولِيَّةِ .

موت أربد بصاعقة وما نزل فيه وفي عامر

قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين وَاَرَوْهُ ، حين قَدِمُوا أَرْضَ بَنِي عَامِرٍ شَاتِينَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا أَتَاهُمْ قَوْمُهُمْ فَقَالُوا : مَا وَرَأَاكَ يَا أَرْبَدُ ؟ قَالَ : لَأَشْيَاءُ وَاللَّهِ ، لَقَدْ دَعَانَا إِلَى عِبَادَةِ شَيْءٍ لَوْ دِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ فَأَرْمِيهِ بِالنَّبْلِ حَتَّى أَقْتُلَهُ ، فَخَرَجَ بَعْدَ مَقَالَتِهِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ مَعَهُ جَمَلٌ لَهُ يَتَّبِعُهُ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى جَمَلِهِ صَاعِقَةً ، فَأَخْرَقَتْهُمَا . وَكَانَ أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ أَخَذَ الْبَيْدَ بِنِ رُبَيْعَةَ لَأَمَّهُ . قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن

ابن عباس ، قال : وأنزل الله عز وجل في عامر وأربد : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾

قال : المُمَقَّبَاتُ : هي من أمر الله يحفظون محمداً . ثم ذكر أربد وماتله الله به ، فقال : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ إلى قوله : ﴿ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ .

شعر لبيد في بكاء أربد

قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكي أربد :

ما إن تُتَدَمَّى التَّنُونُ مِنْ أَحَدٍ	لا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ
أَخْشَى عَلَى أَرْبَدًا لُحُوفَ وَلَا	أَرْهَبُ نَوَى السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ
فَعَيْنٍ هَلَّا بِكِيتِ أَرْبَدَ إِذْ	قُمْنَا وَقَامَ الدَّسَاءُ فِي كَبَدٍ
إِنْ يَشْتَعِبُوا لَا يُبَالِ شَفَبَهُمْ	أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْحُكُومِ يَقْتَصِدِ
خُلُوءِ أَرْبَبٍ وَفِي حَالَوَتِهِ	مُرٌّ لَطِيفُ الْأَخْشَاءِ وَالْكَبَدِ
وَعَيْنٍ هَلَّا بِكِيتِ أَرْبَدَ إِذْ	أَلَوْتُ رِيَّاحُ الشَّتَاءِ بِالْعَصَدِ
وَأَصْبَحَتْ لَاقِحًا مُضَرَّمَةً	حَتَّى تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الْمَدَدِ
أَشْجَعُ مِنْ أَيْثُ غَابَةِ لَحْمٍ	ذُو نَهْمَةٍ فِي الْإِلَا وَمُنْتَقَدِ
لَا تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا	لَيْلَةَ تَمْسَى الْجِيَادُ كَالْقَدَرِ
الْبَاعِثُ النَّوُوحَ فِي مَاتِمِهِ	مِثْلَ الظَّهَاءِ الْأَنْكَارِ بِالْجَرَدِ

فَجَمَعَنِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ بِالسَّفَارِسِ يَوْمَ الْكَرِيهِةِ الْفَجْدِ
 سَوَالِحَارِ الْجَابِرِ الْحَرِيبِ إِذَا جَاءَ نَكِيْبًا وَإِنْ يَبْعُدُ يَبْعُدُ
 يَنْفَعُو عَلَى الْجَهْدِ وَالسَّوَالِ كَمَا بُنِيَتْ غَيْثُ الرَّبِيعِ ذُو الرِّصْدِ
 كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنَ الْقَدَدِ
 إِنْ يُغَبِّطُوا يُهَيِّطُوا وَإِنْ أَمَرُوا يَوْمًا فَهُمْ لِلْهَلَاكِ وَالنَّفَدِ

قال ابن هشام : بيته : « والحارب الجابر الحريب » عن أبي عبيدة ،
 وبيته : « ينفو على الجهد » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال ليبد أيضاً يبكي أربد :

أَلَا ذَهَبَ الْمُحَافِظُ وَالْحَامِي وَمَانَعُ ضَمِيمِهَا يَوْمَ الْخِصَامِ
 وَأَبْقَنْتُ التَّفَرُّقَ يَوْمَ قَالُوا تُقَسِّمُ مَالُ أَرْبَدَ بِالسَّهَامِ
 تُطِيرُ عَدَائِدَ الْأَشْرَاكِ شَفْعًا وَوِثْرًا وَالزَّعَامَةَ لِلْغُلَامِ
 فَوَدَّعَ بِالسَّلَامِ أَبَا حُرَيْرٍ وَقَالَ وَدَاعُ أَرْبَدَ بِالسَّلَامِ
 وَكُنْتُ إِمَامَنَا وَلَنَا نِظَامًا وَكَانَ الْجَزْعُ يُحْفَظُ بِالنِّظَامِ
 وَأَرْبَدُ فَارِسُ الْهَيْجَا إِذَا مَا تَفَعَّرَتِ الْمَشَاجِرُ بِالْفِنَامِ
 إِذَا بَكَرَ النِّسَاءُ مُرَدَّاتٍ حَوَاسِرَ لَا يُجِئْنَ عَلَى الْخِدَامِ
 قَوَائِلَ يَوْمَ ذَلِكَ مَنْ أَنَاهُ كَمَا وَالْمُحِلُّ إِلَى الْحَرَامِ
 وَيَحْمَدُ قَدَرُ أَرْبَدَ مَنْ عَرَاهَا إِذَا مَا ذُمَّ أَرْبَابُ الْأَحَامِ
 وَجَارَتُهُ إِذَا حَلَّتْ لَدَيْهِ لَهَا تَنْفَلٌ وَحَظٌّ مِنْ سَنَامِ

فَإِنْ تَعَمَّدَ فُكْرَمَةً حَصَانٌ وَإِنْ تَغْلَمَنَ فُحْسِينَةُ الْكَلَامِ
 وَهَلْ حَدَّثْتَ عَنْ أَخَوَيْنِ دَامَا عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا ابْنِي شَمَامِ
 وَإِلَّا الْفَرْقَدَيْنِ وَآلَ نَعْسٍ خَوَالِدَ مَا تُحَدِّثُ بَاهِدَامِ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَهِيَ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ لَبِيدٌ أَيْضًا يَبْكِي أُرِيدُ :

نَعَمْ الْكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ أُرِيدَا أَنْعَ الرَّئِيسَ وَالْأَطِيفَ كَبِيدَا
 يُحْدِي وَيُعْطِي مَالَهُ لِيُحْمَدَا أَدْمَا يُشَبِّهُنَّ صَوَارًا أَبَدَا
 السَّابِلَ الْفَضْلَ إِذَا مَا عُدَدَا وَيَمْلَأُ الْجَنْفَةَ مَلْنَا مَدَدَا
 رِفْهًا إِذَا بَاتَى ضَرْبُكَ وَرَدَا مِثْلُ الْقَدَى فِي الْغَيْلِ يَقْرُؤُ جُودَا
 يَزْدَادُ قُرْبًا مِنْهُمْ أَنْ يُوعَدَا أَوْرَمْتُنَا تَرَاثَ غَيْرِ أَنْكَدَا
 غَيْبًا وَمَالًا طَارِفًا وَوَلَدَا شَرْخًا صُقُورًا يَافِعًا وَأَمْرَدَا
 وَقَالَ لَبِيدٌ أَيْضًا :

لَنْ تُنْفِنِيَا خَيْرَاتِ أَرْبَدَ فَابْكِيَا حَتَّى يَعُودَا
 مَوْلَا هُوَ الْبَطْلُ الْمُحَا مَيَّ حِينَ يَكْسُونَ الْحَدِيدَا
 وَبَصْدُ عَنَا الظَّالِمِينَ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ صِيدَا
 فَاعْتَاقَهُ رَبُّ الْبَرِيَّةِ إِذْ رَأَى أَنْ لَا خُلُودَا
 فَزَرَى وَلَمْ يُوجَعَ وَلَمْ يُوصَبْ وَكَانَ هُوَ الْفَقِيدَا

.....

وقال لبيد أيضاً :

يُذْكَرْنِي بِأَزْبَدِ كُلِّ خَفْمٍ أَلَدُ تَحَالٍ خُطْمُهُ ضِرَارًا
إِذَا افْتَصَدُوا فَمُقْتَصِدٌ كَرِيمٌ وَإِنْ جَارُوا سَوَاءَ الْحَقِّ جَارًا
وَيَهْدِي الْقَوْمَ مُطْلَعًا إِذَا مَا دَلِيلُ الْقَوْمِ بِالْمَوْمَةِ حَارًا

قال ابن هشام : آخرها بيتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضاً :

أَصْبَحْتُ أَمْشِي بَعْدَ سَلَى بْنِ مَالِكٍ
وَبَعْدَ أَبِي قَيْسٍ وَعُرْوَةَ كَالْأَجَبِ
إِذَا مَا رَأَى ظِلَّ الْفُرَابِ أَضِجَهُ حِذَارًا عَلَى بَاقِي السَّنَاسِنِ وَالْعَصَبِ
قال ابن هشام : وهذان البيعان في أبيات له .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً منهم ، يُقال له ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ .

سؤاله الرسول أسئلة ثم إسلامه

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن الوليد بن نُوَيْسٍ عن كُرَيْبٍ ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعث بنو سعد بن بكر ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ، وأناخ بعيره على

• • • • •

باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ في أصحابه ؛ وكان ضِمَامُ رجلاً جَلَدًا أشعرَ ذا غَدِيرَيْنِ ، فأقبل حتى وقف على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال : أيُّكم ابنُ عبدِ المطلب ؟ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابنُ عبدِ المطلب . قال : أمحمد ؟ قال : نعم ؛ قال يابن عبدِ المطلب ، إني سائلُك ومُتَلَمِّظُ عليك في المسألة ، فلا تَجِدَنَّ في نفسك ، قال : لا أجد في نفسي ، فسلَّهما بدا لك . قال : أنشدُك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرُك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نُشرك به شيئا ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرُك أن نصليَ هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : ثم جمل يذكرك فرائض الإسلام قريضة قريضة . الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، يَنشُدُّه عند كلِّ قريضة منها كما يَنشُدُّه في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسولُ الله ؛ وسأؤدِّي هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ، لأنم أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بيته راجعاً . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق ذوو العقيصتين دخل الجنة .

دعوته قومه للإسلام

قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قَدِمَ على قومه ، فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال : بئس اللاتُ والعزى ! قالوا : مه يا ضيَام اتقِ البرصَ ، اتقِ الجذام ، اتقِ الجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً أستنفذكم به عما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ، قال : فوالله ما أُمسى من ذلك اليوم في حاضره رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً .

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قومٍ كان أفضل من ضيَام ابن ثعلبة .

قدوم الجارود في وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حنشل أخو عبد القيس .

قال ابن هشام : الجارود بن بشر بن المَعْلَى في وفد عبد القيس وكان نصرانياً .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه ، فعَرَضَ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إني قد كنت على دين ،

• • • • •

وإني تارك ديني لدينك ، أفتضمن لي ديني ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُمَْلان ، فقال : والله ما عندي ما أحملكُم عليه . قال : يا رسول الله ، فإن بيننا وبين بلادنا ضَوَالٌ من ضوَالِ الناس : أفتنبِّئُ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إياك وإياها ، فإنما تلك حَرَقُ النار .

موقفه من قومه في الردة

فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، صُلْباً على دينه ، حتى هَلَكَ وقد أدرك الردَّةَ ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأوَّل مع الْفَرُّورِ بن المنذر بن الثَّعْمَانِ بن المنذر ، قام الجارود فتكلَّم ، فتشَّهَد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس ، إني أشهد . أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأكفِّر من لم يشهد .

قال ابن هشام : يروى : وأكفى من لم يشهد .

إسلام ابن ساوى

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَ الْعَلَامَ ابن الحَضْرَمِيِّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى التَّعْدِي ، فأسلم تحسُّن إسلامه ثم هَلَكَ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردَّة أهل البَحْرَيْنِ ، والعلام عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البَحْرَيْنِ .

قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة ، فيهم مُسَيْلِمَةُ
ابن حَبِيب الحنفيّ الكذاب .

قال ابن هشام : مُسَيْلِمَةُ بن ثُمَامَةَ ، ويكنى أبا ثُمَامَةَ .

ما كان من الرسول لمسيلمة

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ،
ثم من بني النَجَّار ، فحدثني بعضُ علمائنا من أهل المدينة : أن بني حنيفة أتت
به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس في أصحابه . معه عَسِيبُ بن سَعْفٍ الدخِل في رأسه خُوصَات ؛ فلما انتهى
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني شيخٌ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن
حديثه كان على غير هذا . زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وخلفوا مُسَيْلِمَةَ في رحالهم ، فلما أسدلوا ذكروا مكانه ، فقالوا :
يا رسول الله ، إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا ، قال :
فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال أما إنه
ليس بشركم مكاناً ، أي لحفظه ضَيْعَةُ أصحابه ، وذلك الذي يريد رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

ارتداده وتنبؤه

قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدوّ الله وتنبأ وتكذّب لهم ، وقال : إني قد أشرّكتُ في الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني له : أما إنه ليس بشركم مكاناً ؛ ماذا كان يعلم أني قد أشرّكت في الأمر معه ، ثم جعل يستجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسمى ، من بين صِفاق وحشى » وأحلّ لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبيّ ، فأصفقت معه حنيقة على ذلك ، خافه أعلم أيّ ذلك كان .

قدوم زيد الخيل في وفد طيء .

إسلامه وموته

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء ، منهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ؛ فلما انتهوا إليه كلّموه ، وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحسّن إسلامهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني من لا آتهم من رجال طيء ؛ ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ، ثم جاءني ، إلا رأيته دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كلّ ما كان فيه ، ثم سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً .

الخبر ، وقطع له قَيْدًا وَأَرْضِينَ معه ، وكتب له بذلك . ففرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن يَنْجُ زَيْدٌ من مُحَيِّ المدينة ، فإنه قال : قد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمي ، وغير أُمِّ مِلْدَم ، فلم يثبتته - فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له قَرْدَة ، أصابته الحُمَّى بها فمات ، ولما أحسن زيد بالموت قال :

أُمْرَتَحِلُّ قَوْمِي لِلشَّارِقِ غُدْوَةً وَأَتْرَكُ فِي بَيْتٍ بِقَرْدَةٍ مَنْجِدٌ
لَا وَبَ يَوْمٍ لَوْ مَرِضْتُ لِمَادِي عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يُبْرِزْ مِنْهُمْ يَنْجِدُ
فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه ، التي قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحرقتها بالنار .

أمر عدي بن حاتم

وأما عدي بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغني : مامن رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرأاً شريفاً ، وكنت نصرانياً ، وكنت أسيرُ في قومي بالمرْبَاع ، فكنتُ في نفسي على دين ، وكنت مَلَكًا في قومي ، لما كان يُصنع بي . فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لِقَلام كان لي عربي ، وكان راعياً للإبل : لا أبالك ، أعدِدْ لي من إبل أجمالا ذُللاً سماناً ، فاحتبسها قريباً مني ، فإذا سمعت بجيش لحمد قد وطىء هذه البلاد فأَذني ، ففعل ، ثم إنه أتاني ذات

.....

غداة ، فقال : يا عدي ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن ،
فإني قد رأيت رايات ، فسأت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت :
فقرّب إلى أجمالي ، ففترّبها ، فاحتملت بأهلي وولدي ، ثم قلت : أخلق بأهل
دبني من النصارى بالشام فسلكت الجوشية ، ويقال الحوشية ، فيما قال ابن
هشام - وخلفت بذنّا لحاتم في الحاضر ، فلما قدّمت الشام أقمت بها .

وأنخافني خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتُصيب ابنة حاتم ، فيمن
أصابته ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبأيا من طيء ،
وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي إلى الشام ، قال فُجِئْتُ بنت حاتم
في حظيرة بياب المسجد ، كانت السبأيا يُحبّسن فيها ، فمرّ بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يا رسول الله ،
هَلَكَ الوالد ، وغاب الوافد ، فأمْنُنْ عليّ ، مَنْ الله عليك . قال : وَمَنْ وَاذُكَ ؟
قالت : عَدِيّ بن حاتم . قال : الفَارّ من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد مرّ بي ، فقلت له
مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي
وقد يئست منه ، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومي فكمّكّمي به ، قالت : فقامت
إليه ، فقلت : يا رسول الله ، هَلَكَ الوالد ، وغاب الوافد ، فأمْنُنْ عليّ ، مَنْ الله
عليك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلتُ ، فلا تعجّلي بخروج حتى تجدي
من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذني . فسألت
عن الرجل الذي أشار إلى أن أكلمه ، فقيل : عليّ بن أبي طالب رضوان

الله عليه ، وأمت حتى قدم ركب من بَيْلٍ أو قُضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتِي أَخِي بالشام . قالت : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قد قَدِمَ رَهْطٌ من قَوْمِي ، لِي فِيهِمْ نَفَقَةٌ وَبَلَاغٌ . قالت : فإكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملني ، وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قَدِمَت الشام .

قال عدى : فوالله إني لقاعد في أهلي ، إذ نظرت إلى غَليمة تصُوب إليَّ تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هي هي ، فلما وقفت على أنسحلت تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولذك ، وتركت بقية والدك عورتك ، قال : قلت : أَى أَخِيَّة ، لا تقولى إلا خيراً ، فوالله مالى من عُذر ، لقد صنعتُ ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا تَرَيْنِ في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله ، وإن يكن مليكاً فلن تَذِلَّ في عزّ الهين ، وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا الرأي .

إسلام عدى

قال : فخرجتُ حتى أقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو في مسجده ، فسَلَّمْتُ عليه ، فقال : مَنْ الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم ؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بي إليه ، إذ لَمِيتُهُ امرأةً ضعيفةً كبيرةً ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تُسكِّمُهُ في حاجتها ؛ قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بي بيته ، تناول وسادة

.

من أَدَمَ تَحْشَوَةٌ لِيَفَا ، فَقَذَفَهَا إِلَى ؛ فَقَالَ : اجْلِسْ عَلَى هَذِهِ ، قَالَ : قُلْتَ :
 بَلْ أَنْتَ فَاجِلِسْ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : بَلْ أَنْتَ ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهَا ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَرْضِ ؛ قَالَ : قُلْتَ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ مَا هَذَا بِأَمْرٍ مَلَكَ ،
 ثُمَّ قَالَ : إِيَّاهُ يَاعِدْنِي بِنِ حَاتِمٍ ! أَلَمْ تَكِ رَكُوسِيًّا ؟ قَالَ : قُلْتَ : بَلَى . (قَالَ) :
 أَوَلَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِكَ بِالْمَرْبَاعِ ؟ قَالَ : قُلْتَ : بَلَى ، قَالَ : فَإِنَّ ذَلِكَ
 لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ ؛ قَالَ : قُلْتَ : أَجَلُ وَاللَّهِ ، وَقَالَ : وَعَرَفْتَ أَنَّهُ نَبِيٌّ
 مُرْسَلٌ ، يَعْلَمُ مَا يُجْهَلُ ، ثُمَّ قَالَ : لَمَلِكٍ يَاعِدْنِي إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِي هَذَا
 الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ الْمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتَّى لَا يُوجَدَ
 مِنْ يَأْخُذُهُ ؛ وَلَمَلِكٍ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثَرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقَلَّةِ
 عَدَدِهِمْ ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا (حَتَّى)
 تَزُورَ هَذَا الْبَيْتَ ، لَا تَخَافُ ؛ وَلَمَلِكٍ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِيهِ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ
 الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبَيْضِ
 مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ قُتِعَتْ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فَاسْأَلْتِ .

وَقَوِّعْ مَا وَعَدَ بِهِ الرَّسُولُ عَدِيًّا

وَكَانَ عَدِيٌّ يَقُولُ : قَدْ مَضَتْ اثْنَتَانِ وَبَقِيَ الثَّلَاثَةُ ، وَاللَّهُ لَتَكُونَنَّ ،
 قَدْ رَأَيْتِ الْقُصُورَ الْبَيْضَ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ قُتِعَتْ ، وَقَدْ رَأَيْتِ الْمَرْأَةَ تَخْرُجُ
 مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا لَا تَخَافُ حَتَّى تَحْجَّ هَذَا الْبَيْتَ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتَكُونَنَّ
 الثَّلَاثَةُ ، لَيَفِيضَنَّ الْمَالُ حَتَّى لَا يُوجَدَ مِنْ يَأْخُذُهُ .

قَدُومُ فَرُوءِ بْنِ مُسَيْكٍ الْمَرَادِي

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدَّمَ فَرُوءُ بْنُ مُسَيْكٍ الْمَرَادِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عليه وسلم مفارقاً للملك كِنْدَةَ ، ومباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان قبيل الإسلام بين مُراد وهمدان وقعة ، أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا ، حتى أُنْخَنُوهُمْ في يوم كان يقال له : يوم الرِّدَم ، فكان الذي قاد همدان إلى مراد الأجدعُ بن مالك في ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذي قاد همدان في ذلك اليوم مالك بن حَرِيم الهمداني .

قال ابن إسحاق : وفي ذلك اليوم يقول فروة بن مُسيك :

سَرَرْنَا عَلَى ثِقَاةٍ وَهْنٌ خَوْصٌ	بِنَازَعِنَ الْأَعِنَّةَ يَهْتَجِحِينَا
فَإِنْ تَغْلِبَ فَعَلَّابُونَ قَدَمَا	وَأِنْ تُغْلَبَ فَقَبِيرٌ مُغْلِبِينَا
وَمَا إِنْ طَبِئْنَا جُنُبِنَ وَلَكِنْ	مَنَايَانَا وَطُمُئَةُ آخَرِينَا
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ	تَكُرُّ صُرُوفُهُ حِينًا فِينَا
فَعَيْنَا مَا نُسَرَّةٍ بِهِ وَتَرْضَى	وَلَوْ لُبِيتَ غَضَارَتَهُ سِنِينَا
إِذَا انْقَلَبَتْ بِهِ كَرَّاتٌ دَهْرٍ	فَأَلْفَيْتَ الْأَلَى غُبطُوا طَحِينَا
فَمَنْ يَغْبِطُ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مِنْهُمْ	يَحْجِدُ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ خُثُونَا
خَلَوْا خَلَدَ الْمُلُوكِ إِذَنْ خَلَدْنَا	وَلَوْ بَقِيَ السَّكِرَامُ إِذَنْ بَقِينَا
خَوَّفَنِي ذَلِكَ سَرَواتِ قَوْمِي	كَمَا أَتَنَى الْقُرُونِ الْأَوَّلِينَا

قال ابن هشام : أول بيت منها ، وقوله : « فَإِنْ تَغْلِبَ » عن غير

« ابن إسحاق .

قدوم فروة على الرسول وإسلامه

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً للملك كندة ، قال :

لما رأيتُ ملوك كندة أعرَضْتُ كالرجل خان الرجل عرق نساءها
فَرَبْتُ راحلتى أُوْمُ مُحَمَّدًا أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَاهَا

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة : « أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَاهَا » .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرِّدْمِ ؟ قال يا رسول الله ، سَأَلْتُ ذَا يَصِيبُ قَوْمَهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمِي يَوْمَ الرِّدْمِ لَا يَسُوْؤُهُ ذَلِكَ ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم له : أَمَا إِنْ ذَكَرْتُ لَمْ يَزِدْ قَوْمَكَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا .

واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد

وقدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد ، فأسلم ؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذُكِرَ لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ،

يقول إنه نبيّ ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى عليك ، وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفّه رأيه ، فركب عمرو بن معديكرب حتى قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصدّقه ، وآمن به .

فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد غمراً ، وتخطّم عليه ، وقال : خالقي وترك رأبي ؛ فقال عمرو بن معديكرب في ذلك :

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صُنْمَا . أَمْرًا بَادِيًا رَشَدُهُ
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَالْمَعْرُوفِ نَتَّعِدُهُ
خَرَجْتُ مِنَ الْمَنَى مِثْلَ الْحَمِيرِ غَرَّهُ وَتَدُهُ
تَمَنَّانِي عَلَى قَرَسٍ عَلَيْهِ جَالِسًا أَسَدُهُ
عَلَى مُغَاضَةٍ كَأَنَّهُمْ أَخْلَصَ مَاءَهُ جَدَدُهُ
تَرَدَّ الرُّمَحُ مُنْتَنَى السُّنَانِ عَوَارًا قَصَدُهُ
فَلَوْ لَا قَيْدَنِي لِلْقَيْتِ لَبِثْنَا فَوْقَهُ لَبَدُهُ
تُلَاقَى شَتَبْنَا شَتْنِ الْبِرَانِ نَاشِرًا كَتَدُهُ
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنٌ تَيْمَمُهُ فَيَقْتَضِدُهُ
فَيَأْخُذُهُ فَيَرْفَعُهُ فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ
فَيَدْمَمُهُ فَيَحْطِمُهُ فَيَخْضِمُهُ فَيَزْدَرِدُهُ
ظَلُومَ الشَّرْكَ فَمَا أَحْرَزْتُ أَنْيَابُهُ وَبَدَدُهُ

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة :

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَفَا ، أَمْرًا بَيْنَا رَشْدُهُ
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ تَأْتِيهِ وَتَقْعِدُهُ
فَكُنْتُ كَذَى الْحَمِيرِ غَرَّ رُهُ مِمَّا بِهِ وَتَدِيرُهُ
لَمْ يَعْرِفْ سَارَهَا .

ارتداده وشعره في ذلك

قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زبيدة
وعليهم فروة بن مُسيك . فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو
ابن معد يكرب ، وقال حين ارتد :

وَجَدْنَا مُلْكَ فَرُوةَ شَرِّ مُلْكٍ حِجَارًا سَافَ مُنْخَرُهُ بِثَفْرِ
وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ تَرَى الْخَوْلَا مِنْ خَبَثٍ وَغَدَرٍ
قال ابن هشام : قوله « بثفر » عن أبي عبيدة .

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعثُ
ابن قيس في وفد كندة ، فحدثني الزهري بن شهاب أنه قَدِمَ على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ثمانين راكباً من كندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مسجده وقد رَجَلُوا جَمَهُمْ وَتَكَجَّلُوا ، وعليهم جُبُبُ الْحَبَرَةِ ،

وقد كفّفوها بالحريّر ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
ألم تُسَلِّمُوا ؟ قالوا : بلى ، قال : فال بال هذا الحريّر في أعناقكم ؟ قال :
فشقّوه منها ، فلقّوه .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله : نحن بنو آكل المرّار ،
وأنت ابن آكل المرّار ، قال : فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال :
ناسِبُوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعة بن الحارث ، وكان
العباس وربيعة رجلين ، تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب ، فسئلا من هما ؟
قالا : نحن بنو آكل المرّار ، يتعزّزان بذلك ، وذلك أن كِنْدَةَ كانوا ملوكا .
ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نَقْفُوا أُمَّنَا ، ولا ننتفى من
أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كِنْدَةَ ؟ والله لا أسمع رجلا
يقولها إلا ضربته ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث بن قيس من ولد آكل المرّار من قبل النساء ،
وآكل المرّار : الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن
معاوية بن ثور بن مُرْتَع بن معاوية بن كِنْدِي ، ويقال كِنْدَةَ ، وإِنَّمَا سُمِّيَ
آكل المرّار ، لأن عمرو بن الهبولة الفسّاني أغار عليهم ، وكان الحارث غائباً ،
فضمّ وسبى ، وكان فيمن سبى أُمُّ أَنَس بنت عوف بن حُحْم الشَّيبَانِي ، امرأة
الحارث بن عمرو ، فقالت لعمرو في مسيره : لكأني برجل أدّلم أسود ،
كأن مشافره مشافر بعير آكل مرّار قد أخذ برقبتك ، تعنى : الحارث ، فسمى

• • • • •

آكل المرار ، والمرار : شجر . ثم تبعه الحارث في بني بكر بن وائل ، فلحقه ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب . فقال الحارث بن حِزَّة اليشكري لعمر بن المنذر وهو عمرو بن هند اللخمي :

وَأَقْدَنَّاكَ رَبَّ غَسَّانَ بِالْمُنْذِرِ كَرِهًا إِذْ لَانُكَالَ الدَّمَاءِ

لأن الحارث الأعرج الغساني قتل المنذر أباه ، وهذا البيت في قصيدة له . وهذا الحديث أطول مما ذكرت ، وإنما منفي من استقصائه ما ذكرت من القطع . ويقال بل آكل المرار : حُجر بن عمرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ، وإنما سمي آكل المرار ، لأنه أكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجراً يقال له المرار .

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي

إسلامه

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم صَرْدُ بن عبد الله الأزدي ، فأسلم ، وحسُن إسلامه ، في وفد من الأزد ، فأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه . وأسرّوه أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبل اليمين .

قتاله أهل جرش

فخرج صُرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل بجرش ، وهي يومئذ مدينة معلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضوت إليهم خنقهم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريباً من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلاً ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ، ظن أهل جرش أنه إنما ولي عنهم منهزماً ، فخرجوا في طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف عليهم ، فقتلهم قتلاً شديداً .

إخبار الرسول وافدى جرش بما حدث لقومها

وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ؛ فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأى بلاد الله شكر ؟ فقال إليه الجرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كشر ؛ وكذلك يسميه أهل جرش ، فقال : إنه ليس بكشر ، واسكنه شكر ؛ قالوا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إن يذن الله لمتنجر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحك ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لينفخ لكما قوماً ، فقوموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومك ؛ فقاما إليه ، فأسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين

إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يومَ أصابهم صُرَد بن عبد الله ، في اليوم
الذى قال فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها
ما ذكر .

إسلام أهل جرشن

وخرج وفدُ جرَش حتى قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأسلموا ، وحمى لهم حمى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة
وللمثيرة ، بقرّة الحرث ، فمن رعاه من الناس فإلهم سُحْتٌ . فقال في تلك
الفزوة رجل من الأزد : وكانت خَشَمٌ تُصِيب من الأزد في الجاهلية ، وكانوا
يَعْدُون في الشهر الحرام :

يا غَزْوَةً ما غَزَوْنَا غَيْرَ خَائِبَةٍ فِيهَا الْبِغَالُ وَفِيهَا الْخَيْلُ وَالْحُرُّ
حَتَّى أَتَيْنَا مُحَمَّداً فِي مَصَانِمِهَا وَجَمَعَ خَشَمٌ قَدْ شَاعَتْ لَهَا الشُّدْرُ
إِذَا وَضَعْتُ غَلِيلَا كُنْتُ أَحِلَّهُ فَأَبَالَى أَدَانُوا بَعْدَ أَمِّ كَفَرُوا

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

قدوم رسول ملوك حمير

وقدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوكِ حِمير ، مقدّمه
من تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كلال ، ونعيم
ابن عبد كلال . والثَّغْنَانُ قِيلُ ذِي رُعَيْن وَمَعَاقِرَ وَهَمْدَان ؛ وبعث إليه زُرْعَةُ
ذَوِيزَنٍ مَالِكُ بْنُ مَرَّةَ الرَّهَّاءِي بِإِسْلَامِهِمْ ، ومُفَارِقَتِهِمُ الشُّرْكَ وَأَهْلَهُ .

كتاب الرسول إليهم

فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبي ، إلى الحارث
ابن عبد كلال ، وإلى نعيم بن عبد كلال ، وإلى الثعلبان ، قِيلَ ذِي رُعَيْنِ
وَمَعَاظِرَ وَهْدَان . أما بعد ذلكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ،
أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولكم مُنْقَلَبًا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ،
فبلغ ما أرسَلتم به ، وخبرنا ما قبلكم ، وأنبأنا بسلامكم وقتلكم المشركين ،
وأن الله قد هداكم بهداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ،
وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغنم خمس الله ، وسهم الرسول وصفيه ، وما
كُتِبَ على المؤمنين من الصدقة من العقار ، عُشْرَ مَا سَقَتِ الْعَيْنُ وَسَقَتِ السَّمَاءُ ،
وعلى ما سقى القَرْبُ نصف العشر ؛ وأن في الإبل الأربعين ابنة لبون ،
وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر ، وفي كل خمس من الإبل شاة ، وفي كل
عشر من الإبل شاتان ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ؛ وفي كل ثلاثين
من البقر تبيع ، جَدَعٌ أَوْ جَذَعَةٌ ؛ وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ،
شاة ، وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو
خير له ، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ،
فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه
من أسلم من يهودى أو نصرانى ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ؛

ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُرد عنها ، وعليه الجزية ، على كل حال ذكر أو أنثى ، حرّاً أو عبد ، دينارٌ وافر ، من قيمة المعافر أو عِوَضُهُ ثياباً ، فن أدّى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومن منعه فإنه عدوّ لله ورسوله . أما بعد ، فإن رسول الله محمداً النبی أرسل إلى زُرعة ذي يزن أن إذا أتاكم رُسُلِي فأوصيكم بهم خيراً : مُعَاذُ بن جَبَل ، وعبدُ الله بن زيد ، ومالكُ بن عُبادة ، وعُقبة بن نمر . ومالكُ بن مُرة ، وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم ، وأبديوها رُسُلِي ، وأن أميرم مُعَاذُ بن جبل ، فلا يَنَقِلِينَ إِلَّا راضياً . أما بعد . فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مُرة الرَّهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حير ، وقتلت المشركين ، فأبشر بخير وأمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإن رسول الله هو ولي غنيكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحلّ لحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يُرَكَّبُ بها على مُقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالكا قد بلغ الخبر ، وحفظ الغيب ، وأمركم به خيراً ، وإنّي قد أرسلتُ إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وأمرك بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصية الرسول معاذاً حين بعثه إلى اليمن

بعث الرسول معاذاً على اليمن وشيء من أمره بها

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مُعَاذاً ، أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : يَمَسِّرْ

.....

سولا تعمّر ، وبشّر ولا تنفّر ، وإنك ستقدّم على قوم من أهل الكتاب ، يسألونك ما مفتاح الجنة ؛ فقل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال : فخرج معاذ ، حتى إذا قدّم اليمين قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته امرأة من أهل اليمين ، فقالت : يا صاحب رسول الله ، ماحق زوج المرأة عليها ؟ قال : ويحك ! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدّي حق زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتعلم ماحق الزوج على المرأة . قال : ويحك ! لمو رجعت إليه فوجدته تنتهب منخراة قبيحا ودما ، فمصيبت ذلك حتى تذهبيه ما أدبت حقه .

إسلام فروة بن عمرو الجذامى

إسلامه

قال ابن إسحاق : وبعث فروة بن عمرو النافرة الجذامى ، ثم النفاثى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء ، وكان فروة عاملا للروم على من يلبهم من العرب ، وكان منزله ثمان وماحولها من أرض الشام .

حبس الروم له وشعره فى محبسه

فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال فى تحبسه ذلك :

.....

طَرَقْتُ سُلَيْمِي مَوْهِنًا أَصْحَابِي وَالرُّومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقِرْوَانِ
 صَدَّ الْخِيَالُ وَسَاءَ مَا قَدْ رَأَى وَهَمَمْتُ أَنْ أَغْنِيَّ وَفَدَ ابْنُ كَانِي
 لَا تَكْهَلِينَ الْعَيْنَ بَعْدِي إِيمِدَا سَلَمِي وَلَا تَدِينَنَّ لِلْإِتْيَانِ
 وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَمَا كَبَيْشَةَ أَنْتِي وَسَطَ الْأَعِزَّةِ لَا يُحْصِ إِسَانِي
 فَلَيْنَ هَلَكْتُ لَقَفَقِدَنَّ أَخَاكُمْ وَلَيْنَ بَقِيْتُ لَتَعْرِفَنَّ مَسْكَانِي
 وَلَقَدْ جَعَلْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَتَى مِنْ جَوْدَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانِ

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عَفْرَاءُ بِفِلَسْطِينَ ، قال :

أَلَا هَلْ أَتَى سَلَمِي بَانَ حَلِيلَهَا عَلَى مَاءِ عَفْرَاءٍ فَوْقَ إِحْدَى الرِّوَا حِلِ
 عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يُضْرَبِ الْعَجَلُ أَمَّهَا مُشْدَّ بَةً أَطْرَافُهَا بِالْمَنَاجِلِ

مقتله

فزع الزهرى بن شهاب ، أنهم لما قدَّموه ليقْتُلوه . قال :

بَلِّغْ سَرَاةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنِّي سَلَّمَ لِرَبِّي أَعْظَمِي وَمَقَامِي

ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك المساء ، يرحمه الله تعالى .

إسلام بني الحارث بن كعب على يد خالد بن الوليد لما سار إليهم

دعوة خالد الناس إلى الإسلام وإسلامهم

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بني الحارث بن كعب بنَجْران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يُقاتلهم ثلاثًا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم . فخرج خالدٌ حتى قَدِمَ عليهم ، فبعث الرُكبانَ يَضربون في كلِّ وَجْه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس ، أسلموا تسلموا . فأسلم الناسُ ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالدُ بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسولَ الله ورحمة الله وبركاته ، فإنني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، يا رسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسُنَّة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنني قَدِمْتُ عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أمرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت

.....

فيهم رُكبانا ، قالوا : يا بني الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ،
وأنا مُقيم بين أظهرهم ، أمرهم بما أمرهم الله به وأنهم عما نهاهم الله عنه ،
وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

كتاب الرسول إلى خالد يأمره بالحيء

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد .
سلام عليك ، فإني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإن كتابك
جاءني مع رسولاك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاينهم ،
وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن
محمداً عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل
وايقبل منك وفدكم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قدوم خالد مع وفد على الرسول

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفد بني
الحارث بن كعب ، منهم قيس بن الحُصَيْن ذى القُصّة ، ويزيد بن عبد المَدان ،
ويزيد بن الحُجَل ، وعبد الله بن قُرد الزِيَادِي ؛ وشَداد بن عبد الله القَنَانِي ،
وعمر بن عبد الله الضَبَّائِي .

حديث وفدهم مع الرسول

فلما قدّموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأهم ، قال : من هؤلاء
 القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بني الحارث
 ابن كعب ؛ فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّموا عليه ، وقالوا :
 نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا ؟ فسكتوا ، فلم يراجعهم منهم أحد ،
 ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعهم
 منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدان : نعم ، يا رسول الله ،
 نحن الذين إذا زُجروا استقدموا ، قالها أربع مرار ؛ فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : لو أن خالداً لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا ، لألقيت
 رموسكم تحت أقدامكم ؛ فقال يزيد بن عبد المَدان : أما والله ما جِدناك
 ولا جِدنا خالداً ، قال : فمن جِدتم ؟ قالوا : جِدنا الله عزّ وجلّ الذي هدانا
 بك يا رسول الله ؛ قال : صدقتم . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 بيم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً ؛ قال :
 بلى ، قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ؛ قالوا : كنا نغلب مَنْ قاتلنا يا رسول الله
 إنا كنا نجتمع ولا نَفترق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ؛ قال : صدقتم ، وأمر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على بني الحارث بن كعب قيس بن الحَصين .

فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقيّة من شوال ، أوفى صدر

ذِي الْقَعْدَةِ ، فلم يَمَكُثُوا بعد أن رجعوا إلى قومِهِمْ إلا أربعة أشهر ، حتى تُوُفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ورحم وبارك ، ورضى وأنعم .

بعث الرسول عمرو بن حزم بعهدِهِ إليهِمْ

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهِمْ بعد أن ولى وقْدُهُمْ عمرو بن حزم ، ليفقِّهِهم في الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره .
بسم الله الرحمن الرحيم : هذا بيان من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشِّرَ الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويُعَلِّمَ الناس القرآن ، ويفقِّهِهم فيه ، وينهى الناس ، فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم ، والذي عليهم ، وبلين للناس في الحق .
ويشدّ عليهم في الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : ﴿ أَلَا كَفَرَةٌ ﴾ الله على الظالمين ، ويبشِّرُ الناس بالجنة وبعمائمها ، ويُنذِرُ الناس النارَ وعملها ، ويستألفُ الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العمرة ؛ وينهى الناس أن يصلّي أحدٌ في نوب واحد صغير ، إلا أن يكون نوباً يثنى طرفيه على عاتقيه ؛ وينهى الناس أن يحتجى أحدٌ في نوب واحد يُفَضَّى بقرّجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه ، وينهى إذا كان

بين الناس هَنِيحٌ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليسكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فَلْيَقْطَعُوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوهمهم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ، ويُغْلَسُ بالصبح ، ويهَجَّرُ بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْبِرَةٌ ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغنم خُمُسَ الله ، وما كُتِبَ على المؤمنين في الصدقة من التقار عُشْرُ مَسَقَّتِ الْعَيْنُ وسَقَّتِ السَّمَاءُ ، وعلى مَسَقَى الْغُرْبِ نصف العُشْر ، وفي كل عَشْرٍ من الإبل شاتان ، وفي كل عشرين أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تَبِيعَ جَذَعٍ أو جَذَعَةٌ ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يردُّ عنها ، وعلى كل حالم : ذكر أو أنثى ، حرّاً أو عبد ، دينارٌ وافيٌّ أو عوضه ثياباً .

فمن أدّى ذلك فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومن منع ذلك ، فإنه

.....

عدوّ الله ورسوله وللمؤمنين جميعاً ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه
بورحة الله وبركاته .

قدوم رفاعة بن زيد الجذامي

إسلامه وحمله كتاب الرسول إلى قومه

وقدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هُدنة الحُدَيْبِيَّة ، قبل خيبر ،
رفاعة بن زيد الجذامي - ثم الضُّبَيْيَّة - ، فأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
غلاماً ، وأسلم ، فَحَسُنَ إسلامه ، وكتب له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
كتاباً إلى قومه . وفي كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد
رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إني بعثته إلى قومه عامّة ، ومن دخل فيهم ،
يدعّوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم فني حزب الله وحزب رسوله ،
ومن أدبر فله أمان شهرين .

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة : حرة
الرجلاء . ونزلوها .

قدوم وفد همدان

أسماءهم وكلمة ابن نخط بين يدي الرسول

قال ابن هشام : وقدّم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما
حدثني من أتق به ، عن عمرو بن عبد الله بن أذينة العبدي ، عن أبي إسحاق

.....

السَّيِّئِ، قَالَ : قَدِمَ وَفَدَ هَمْدَانُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 مِنْهُمْ : مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ ، وَأَبُو ثَوْرٍ ، وَهُوَ ذُو الْمَشَارِ ، وَمَالِكُ بْنُ أَبِي نَعْمٍ
 وَضِمَامُ بْنُ مَالِكِ السَّلْمَانِيِّ وَغَيْرُهُ بْنُ مَالِكِ الْخَارَفِيِّ ، فَلَقُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَجِيَةً مِنْ تَبُوكَ وَعَلَيْهِمْ مَقَطَّاتُ الْحَبَرَاتِ . وَالْعَامُ الْمَدْنِيَّةُ ؛
 بِرَحَالِ النَّبِيِّ عَلَى الْمَهْرَبَةِ وَالْأَزْحَبِيَّةِ وَمَالِكُ بْنُ نَمَطٍ وَرَجُلٌ آخَرُ يَرْتَجِزَانِ
 بِالْقَوْمِ ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا :

هَمْدَانُ خَيْرٌ سَوْقَةً وَأَقْيَالُ لَيْسَ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ أَمْثَالُ
 مَحَلُّهَا الْهَضْبُ وَمِنْهَا الْأَنْطَالُ لَهَا إِمطَابَاتٌ بِهَا وَآكَالُ
 وَيَقُولُ الْآخَرُ :

إِلَيْكَ جَاوَزَنَ سَوَادَ الرَّيْفِ فِي هَبَوَاتِ الصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ
 مَخْطَمَاتٍ بِحِيَالِ اللَّيْفِ

فَقَامَ مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَصِيَّةٌ مِنْ هَمْدَانٍ ،
 مِنْ كُلِّ حَاضِرٍ وَبَادٍ ، أَنْتَ عَلَى قُلُوبِ نَوَاجٍ ، مُتَّصِلَةٌ بِمَجَابِلِ الْإِسْلَامِ ،
 لِأَتَاخُذُكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَا تُؤْمُ ، مِنْ مِخْلَافٍ خَارِفٍ وَيَأْمُرُ وَشَاكِرٍ أَهْلِ الشُّوَدِ
 وَالْقُودِ ، أَجَابُوا دَعْوَةَ الرَّسُولِ ، وَفَارَقُوا آلِهَاتِ الْأَنْصَابِ عَهْدَهُمْ لَا يَنْقُضُ
 مَا أَقَامَتْ لَمْ تَلْعَ ، وَمَا جَرَى التَّيْمُورُ بَصُلْعَ .

فَكُتِبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا فِيهِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ، لِمِخْلَافِ

خَارِفٍ وَأَهْلَ جَنَابِ الْهَضْبِ وَحِقَافُ الرَّمْلِ ، مع وفديها ذِي الشُّعَارِ مَالِكُ
ابن نَمَطٍ وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ فِرَاعَهَا وَوِهَاطَهَا ، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ ، يَأْكُلُونَ عِلَافَهَا وَيَرْعُونَ عَافِيَهَا ، لَهُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَامُ
رَسُولِهِ ، وشاهدُهم المُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ . فقال في ذلك مَالِكُ بنُ نَمَطٍ :

ذَكَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي فَخْمَةِ الدُّحَى وَنَحْنُ بِأَعْلَى رَحْرَحَانَ وَصَلَدٍ
وَهُنْ بِنَا خُوصٌ طَلَانُحٌ تَفْتَلِي بِرُكْبَانِهَا فِي لَاحِبٍ مُتَمَدِّدٍ
عَلَى كُلِّ فُقْلَاءِ الذَّرَاعَيْنِ جَسْرَةٍ تَمُرُّ بِنَا مَرَّ الْهَجَفِ الْخَفِيدِ
حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مَنِي صَوَادِرَ الْبَالِزِ كِبَانِ مِنْ هَضْبٍ قَرَدَرٍ
بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا مُصَدَّقُ

رسولُ أُنَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرَشِ مَهْتَدِي
فَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَشَدَّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ
وَأُعْطِيَ إِذَا مَا طَالِبُ الْعُرْفِ جَاءَهُ وَأَمَضَى بِحَدِّ الْمَشْرِقِ الْمُهَنْدِ

ذكر الكذابين مسيلة الحنفى والأسود العنسى

قال ابن إسحاق : وقد كان تسكَّم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكذابان مُسَيْلِمَةُ بن حَبِيبٍ بِالْيَمَامَةِ في حَنَفِيَّةٍ ، وَالْأَسُودُ بن كَعْبٍ الْقَنْسِيُّ
بَصَنَعَاءَ .

رؤيا الرسول فيهما

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيْطٍ ، عن عطاء بن يسار

أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول : أيها الناس ، إني قد رأيت ليلة القدر ، ثم أنسيتها ، ورأيت في ذراعيّ سوارين من ذهب ، ففكرتهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

حديث الرسول عن الدجالين

قال ابن إسحاق : وحدثني من لائهم عن أبي هريرة أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا ، كلهم يدعى النبوة .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

الأمراء وأسماء العمال وماتولوه

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه بوعماله على الصدقات ، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ، فبعث المهاجر ابن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسي وهو بها ، وبعث زبادة بن كبيد ، أخا بني بياضة الأنصاري ، إلى حضرموت وعلى صدقاتها ؛ وبعث عدى بن حاتم على طيء وصدقاتها ، وعلى بني أسد ، وبعث مالك بن نويرة - قال ابن هشام : اليربوعي - على صدقات بني حنظلة ، وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم ، فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها ،

«وقيس بن عاصم على ناحية ، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين ،
وبعث على بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل بَجْران ، ليجمع صدقتهم
ويقدم عليه بجزيتهم .»

كتاب مسيئمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسَيِّمَةُ بن حبيب ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم : من مُسَيِّمَةِ رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ، أما بعد ،
فإني قد أشركت في الأمر مَعَكَ ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقریش نصف
الأرض ولكن قُرَيْشًا قوم يَمْتَدُونَ .

فقدِم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : خدني شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود
الأشجعي ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول
لما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتم ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا
أن الرُّسُل لا تقتل لضربت أعناقكم .

ثم كتب إلى مسيئمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ،
إلى مسيئمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، الأرض لله
يُورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك في آخر سنة عشر .

قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد عبد القيس :

من أصح ما جاء في هذا الباب حديثُ وفدِ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وهم الذين قال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَرَحَبًا بِالْوَفْدِ غَيْرِ خَزَايَا وَلَا نَدَائِي ، وقد تكرر حديثهم في الصحيحين دون تسمية أحدٍ منهم ، فمنهم أشج عبد القيس ، وهو المنذر بن عائذ ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : إن فيك خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ ورسولُهُ : الحِلْمَ والأَنَاةَ ، ومنهم أبو الوازع الزارع بن عامر وابن أخته مطر بن هلال العنزي .

ولما ذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم أنه ابنُ أختهم قال: ابنُ أختِ القوم منهم . ومنهم : ابن أخى الزارع ، وكان مجنونًا ، فجاء به معه ليدعوه له النبي صلى الله عليه وسلم - فمسح ظهره ، ودعا له فبرى لحينه ، وكان شيخًا كبيرًا فكسبى جمالًا وشبابًا ، حتى كان وجهه وجهَ العذراء ، ومنهم الجنم بن قثم لما نهام النبي صلى الله عليه وسلم عن الشرب في الأوعية وحذرهم ما يقع في ذلك من الجراح ، وأخبرهم أنهم إذا شربوا المُسَكَّرَ عمدَ أحدهم إلى ابن عمه ، فجرحه ، وكان فيهم رجل قد جرح في ذلك وكان يُخفى جرحه ويكتمه ، وذلك الرجل هو جنم بن قثم ، عجبوا من علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، وإشارته إلى ذلك الرجل .

ومنهم : أبو خيرة الشباجي من بني صُبَّاح بن لُكَيْزٍ من حديثه عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ الْقَيْسِ ، وأنه زَوَّجَهُم
الْأَرَكَ يَسْتَأْ كُونُ بِهِ ، ومنهم : مَزِيدَةُ ^(١) الْقَصْرِي جَدُّهُودِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ^(٢) بْنِ سَعْدِ
ابْنِ مَزِيدَةَ ، وعلى هُوَ دِيدُور حَدِيثُهُ فِي التَّمْرِ الْبَرِّي ، وأنه دَوَاء ، وليس فيه
دَاء ، ومنهم : قَيْسُ بْنُ النُّعْمَانِ ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْأَمْثَرِيَّةِ ، فهذا
حَا بَلْفَنِي مِنْ تَسْمِيَةِ مَنْ وَقَدَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَقْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ .

وذكر في الوفود الخُتَاتِ بْنِ يَزِيدَ وقول الفرزدق لمعاوية فيه :

فَا بِالْ مِيرَاثِ الْخُتَاتِ أَكَلْتَهُ

البيت ، وبعده في غير سيرة ابن إسحاق :

فَلَوْ أَنَّ هَذَا كَانَ فِي غَيْرِ مَلِكِكُمْ كَبُوتُ بِهَا أَوْ غَصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ

شرح صاحب المحنة :

وذكر فيهم عطارِدُ بْنُ حَاجِبٍ بْنِ زُرَّارَةَ ، وهو صاحبُ الْخُلَّةِ التي قال
فيها النبي صلى الله عليه وسلم إنما يلبس هذه الخُلَّةُ مِنْ لَاحِلَاقٍ لَهُ [فِي الْآخِرَةِ] ^(٣)

(١) قال عنه ابن مندة : مَزِيدَةُ بْنُ جَابِرِ الْعَبْدِيِّ الْعَصْرِيِّ . وسماه ابن الكلبي :
مَزِيدَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ مِمَامِ بْنِ مَعَارِيَةَ بْنِ شِبَابَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ خُطْمَةَ بْنِ عَجَارِبِ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ وَدِيعَةَ بْنِ لَكْيَرِ بْنِ أَهْصَى . وقال الحافظ : وهذا هو المعتمد . والذي
ذكره ابن مندة وهم ، فإن مَزِيدَةَ بْنَ جَابِرِ الْعَبْدِيِّ كَانَ قَاضِي الْخَوَارِجِ فِي زَمَانِ
قَطْرِي بْنِ الْفَجَاءَةِ فِي زَمَنِ بَنِي أُمِيَّة .

(٢) هو جده لأمه كما جاء في الإصاصة .

(٣) الزيادة من الصحيح ، هذا وقد ورد في الصحيح من طريق جرير بن
حازم عن نافع عن ابن عمر قال : رأى عمر بن الخطاب عطارداً التيمى يبيع =

وقول عمر رضى الله عنه : اَتَكْسُونِي هَذِهِ ، وقد قلت في حَلَّةٍ عَطَّارِدٍ مَا قَلَّتْ ،
وكان سَبَبُ تلك الحُلَّةِ أَنْ حَاجِبَ بْنَ زُرَّارَةَ أَبَا عَطَّارِدٍ كَانَ وَفَدَ عَلَى كَسْرَى
لِيَأْخُذَ مِنْهُ أَمَّا نَا لِقَوْمِهِ لِيَقْرُبُوا مِنْ رَيْفِ الْعِرَاقِ لِيَجْذِبَ أَصَابَ بِلَادِهِمْ ،
فَسَأَلَهُ كَسْرَى رَهْنًا لِيَسْتَوْثِقَ بِهَا مِنْهُمْ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ قَوْسَهُ رَهِينَةً فَاسْتَحْتَمَقَهُ
الْمَلِكُ وَضَحِكَ مِنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ الْعَرَبُ لَوْ رَهْنَكَ أَحَدُهُمْ تَبَدُّةٌ
مَا أَسْلَمَهَا غَدْرًا قَبْلُهَا مِنْهُ كَسْرَى ، فَلَمَّا أُخْصِبَتْ بِلَادُهُمْ انْتَشَرُوا رَاجِعِينَ
إِلَيْهَا ، وَجَاءَ حَاجِبٌ يَطْلُبُ قَوْسَهُ ، فَمَعَدَ ذَلِكَ كَسَاهُ كَسْرَى تِلْكَ الْحُلَّةَ الَّتِي
كَانَتْ عِنْدَ عَطَّارِدٍ الْمَذْكُورَةِ فِي جَامِعِ الْمُوْطَأِ . ذَكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ
أَوْ مَعْنَاهُ ، وَفِي الْمُوْطَأِ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَسَا الْحُلَّةَ أَخَاهُ مُشَرِّكًَا بِمَكَّةَ ،
قَالَ ابْنُ الْحَدَّادِ : كَانَ أَخَاهُ لِأُمِّهِ ، وَاسْمُهُ : عُمَانُ بْنُ حَكِيمِ الثَّقَفِيِّ ، وَهُوَ
جَدُّ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ لِأُمِّهِ ، هَكَذَا ذَكَرَ فِي تَسْمِيَةِ رِجَالِ الْمُوْطَأِ ، وَغُلَطُ
مِنْ وَجْهِهِ ، أَحَدُهُمَا أَنَّهُ قَالَ : كَانَ أَخَاهُ عُمَرَ لِأُمِّهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَخُو زَيْدِ
ابْنِ الْخَطَّابِ لِأُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ وَهْبٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ ، وَأَمَّا أُمُّ عُمَرَ فَهِيَ
حَقِيقَةُ بِنْتُ هَاشِمِ بْنِ الْمُغِيرَةِ [بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَخْرُومٍ ^(١)] ، وَالْفَلَطُ الثَّانِي أَنَّهُ
جَمَلُهُ ثَقِيفِيًّا وَإِنَّمَا هُوَ سُلَمِيٌّ ، وَهُوَ عُمَانُ بْنُ حَكِيمِ بْنِ أُمِّيَّةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ هَلَالٍ .

== فِي السُّوقِ حُلَّةٌ سِيرَاءُ ، وَكَانَ رِجَالُ بَغْشَى الْمُلُوكِ ، وَيَصِيبُ مِنْهُمْ ، فَقَالَ عُمَرُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اشْتَرَيْتَهَا فَلَبِستَهَا لَوْفُودِ الْعَرَبِ ، فَقَالَ : إِنَّمَا يَلْبَسُ الْجَرِيرُ فِي الدُّنْيَا
مِنْ لَاحِلَاتٍ لَهَا فِي الْآخِرَةِ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ شُعْبَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ جَرِيرٍ ، وَلَهُ
رَوَايَاتٌ أُخْرَى عِنْدَ الطَّائِرَانِيِّ وَابْنِ مَيْتَةَ .

(١) الزِّيَادَةُ مِنْ نَسَبِ قُرَيْشٍ ص ٣٤٧ .

ابن فُلَاحِ بْنِ ذَكْوَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ بُهْشَةَ بْنِ سُلَيْمٍ ^(١) ، هكذا نسب الزبير
وبنته أم سعيد ، ولدت سعيد بن المسيب .

نسب ابن الأَهمم :

وذكر فيهم عمرو بن الأَهمم ونسبه ، واسم الأَهمم : سُمَيُّ بْنُ سِنَانٍ ،
وهو جد شبيب بن شَيْبَةَ وَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ أَخْطِيبِ بْنِ الْبَلِيعِينَ ، وَسُمَيُّ
سُمَيُّ بِالْأَهمم ، لأن قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ ضربه فَمَتَمَ فاه .

عن كرسى الله :

وذكر خطبة ثابت بن قَيْسٍ ، وفيها وسع كُرسِيَّه علمه ، وفيه ردُّ على
من قال : الكرسي هو العلم ، وكذلك من قال هو القدرة ، لأنه لا توصف
القدرة والعلم بأن العلم وسعها ، وإنما كرسِيَّه ما أحاط بالسَّمَوَاتِ والأَرْضِينَ ،
وهو دون العرش كما جاءت به الآثارُ ، فعلمه سُبْحَانَهُ قد وَسِعَ الكُرسِيَّ
بما حواه من دَقَائِقِ الأشياءِ وَجَلَّالِهَا وَجَمَلِهَا وَتَفَاصِيلِهَا ، وقد قيل : إن
الكرسي في القرآن هو العرشُ ، وهو قول الحسن ، وفي هذا الحديث ما يكاد
أن يكون حُجَّةً لهذا القول ، لأنه لم يُردَّ أن العلم وسع الكُرسِيَّ ، فما دونه

(١) أم زيد أسماء بنت وهب بن حبيب بن الحارث بن عدي بن قعين من
بنى أسد بن خزيم . ويقول المصعب الزبيري في كتابه : نسب قریش : وأخوه
لامه عثمان بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الاوقص السلي ، وعثمان بن حكيم
هو جد سعيد بن المسيب أبو أمه ، ص ٣٤٨ .

على الخصوص ، دون ما فوقه ، فجاء أن يريد به العرش ، وما تحته والله أعلم .
فإن صحت الرواية عن ابن عباس أن الكرسي هو العلم ، فمؤولة ، كأنه لم يقصد
تفسير لفظ الكرسي ، ولكن أشار إلى أن معنى العلم والإحاطة يفهم
من الآية ، لأن الكرسي الذي هو عند العرب موضع القدمين من سرير
الملك إذا وسع ما وسع ، فقد وسع علم الملك ومملكه وقدرته ، ونحو هذا ،
فليس في أن يسع الكرسي ما وسع مدح وثناء على الملك سبحانه ، إلا من
حيث تضمن سعة العلم والملك ، وإلا فلا مدح في وصف الكرسي بالسعة ،
والآية لا تحالة واردة في معرض المدح والتعظيم للعلي العظيم الذي لا يتوذه
حفظ مخلوقاته كلها ، وهو الحى القيوم ، وقري الطبرى قول ابن عباس ،
واحتج له بقوله عز وجل (ولا يتوذه حفظهما) وبأن القرب تسمى العلماء
كراسي . قال : ومنه سُميت الكرّاس^(١) لما تضمنته^(٢) وتجمعه من العلم ، وأنشد :
تحفهم بيض الوجوه وعُصبة كراسي بالأحداث حين تنوب^(٣)
أى عالون بالأحداث .

- (١) فى الأصل : الكراسى . والكراسى : واحدتها كراسنة .
(٢) فى الأصل تضمنه فلعلها كما ضبطت أو تضمنه . ونص تعبیر الطبرى :
قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب : كراسنة .
(٣) فى الطبرى : يحف بهم . وفى أساس البلاغة للزحشرى عن قطرب :
تحف بها .

شعر الزبرقان :

وذكر شعر الزبرقان ، وأن بعض الناس يُنسِكِر الشعر له ، وذكر البرقي أن الشعر لِقَيْس بن عاصم المُنْقَرِي ، وكان الزبرقان يُرْفَع له بيتٌ من عَمَائِمِ وثيابٍ ، وَيُنْصَحُ بالزَّعْفَرَانِ والطَّيِّبِ ، وكانت بنو تميم تمنح ذلك البيت . قال الشاعر ، وهو الْمُخَبَّل السَّعْدِيُّ ، واسمه كَعْبُ بن ربيعة بن قتال :

وأشهد من عوف حلولا كثيرةً يحججون سبب الزبرقان المزعفرا^(١)

(١) في الأصل : ست وهو خطأ في الطبع . ويقول الجاحظ : كان الزبرقان يصبغ عمامته بصفرة ، وذكره للشاعر فقال : ثم ذكر البيت . ويرى قطرب أن الخبل نسب الزبرقان إلى الابنة لأنه كان يصفر إسمه ، وأنه يعني بالسب : الاستسمة ص ١٩١ واللسان مادة زبرق . وفي إصلاح المنطق عن معنى البيت : يكثر الاختلاف إليه ، والسب : العمامة ، وسب المرأة : خمارها ، وإنما سمي الزبرقان لصفرة عمامته ، ص ١١١ والحلول : الأحياء المجتمة . أنظر ص ٩٧ ج ٣ البيان . ومادق سبب وحجج في اللسان . ورواية البيت في الاشتقاق :

فهم أهلات حول قيس بن عاصم النخ . وفيه أيضاً : قال قوم : سمي الزبرقان لحفة لحيته ، وقال قوم : بل لجلاله . وقال قوم : لأنه كان يصبغ عمامته بالزعفران وكانت سادة العرب تفعل ذلك . وعن الخبل قال مغلطاي : اسمه : الربيع بن ربيعة ، وقيل : ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة شاعر مخضرم حلل يكنى أبا يزيد مات في خلافة عمر أو عثمان . وقال السهيلي : اسمه : كعب بن ربيعة بن قتال ، وهو وهم يثبت في كتاب الزهر الباسم ، ص ٢٥٤ الاشتقاق وفي السمط أنه ربيعة بن مالك من بني شماس بن لاي ابن أنف الناقة ص ٤١٨ — وقبل بيت الزبرقان :

(م ٢٨ — الروض الأتق ج ٧)

والسَّبُّ : العِمَامَةُ ، وأحسبه أشار إلى هذا المعنى بقوله :

بَمَا تَرَى النَّاسَ نَأْتِينَا مُسَرَّاتِهِمْ

البيت . وليس السَّرَاةُ جمع سَرَى كَمَا ظَنُّوا ، وإنما هو كما تقول
فِرَواتِهِمْ وَسَفَاتِهِمْ ، وَمَرَاةُ كُلِّ شَيْءٍ : أعلاه ، وقد أوضحناه فيما مضى
من هذا الكتاب ، والزُّبْرَقَانُ من أسماء القمر . قال الشاعر :

تُفِيءُ بِهِ النَّارُ حِينَ يَرْقُ عَلَيْهَا مِثْلُ ضَوْءِ الزُّبْرَقَانِ

والزُّبْرَقَانُ أيضاً : الخفيفُ العارضين ، وكانت له ثلاثة أسماء : الزُّبْرَقَانُ
وَالْقَمَرُ وَالْحَصَيْنِ ، وثلاثُ كُنَى : أَبُو الْعِمَاسِ ، وَأَبُو شَذَرَةَ ، وَأَبُو هَيْشَاشِ ،
وهو الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَذْرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ خَلْفِ بْنِ بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفِ
ابْنِ كَثْبِ بْنِ سَمْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ .

سُعر صاه في الرد على الزُّبْرَقَانِ فِي الْمِسْبَةِ وَالْعَبْنَةِ :

وقول حسان :

بَيْتِ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَتَرَاؤُهُ

يريد : بَيْتِ شَرَفِهِمْ مِنْ غَسَّانَ وَهُمْ مُلُوكُ الشَّامِ ، وَهُمْ وَسْطُ الْأَعَاجِمِ ،
وَالْبَيْتِ الْحَرِيدُ : المنفردُ عن البيوت ، كما انفردت غَسَّانُ ، وانقطعت عن أرض

== أَلَمْ تَعْلَمْ يَا أُمَّ هَمْرَةَ أَنِّي نَخَطُ أَقْيَ رَبِّبِ الْمَنُونِ لَا كَبْرًا
ولهذا ضبط ابن بري أشهد في البيت بالنصب ، مادة زبرق ، اللسان .

العرب ، وكان حسان يضرب بلسانه أَرْنَبَةً أَنْفِهِ هو وابنه وأبوه وجدّه ،
 وكان يقول : لو وضعتُه يعنى لسانه على حَجَرٍ لَفَلَقَهُ ، أو على شَمْرِ حَلَقَتَهُ ،
 وما يسرنى به مِقُولٌ من مَعَدٍّ .
 وقول حسان :

يَخَاضُ إِلَيْهِ السَّمُّ وَالسَّلْعُ
 السَّلْعُ : شَجَرٌ مَر . قال أُمَيَّةُ [بن أبي الصَّلْت] :

عُشْرٌ مَا وَفَوْقَهُ سَلْعٌ مَا عَائِلٌ مَا ، وعالت البَيْقُورُ (١)
 يريد أنهم كانوا إذا اسْتَسْقَوْا في الجاهلية رَبَطُوا السَّلْعَ والعُشْرَ
 في أَذْنَابِ البَقَرِ .

وقوله : شَمُّوا ، أى : ضَحِكُوا وَمَزَحُوا . قال الشاعر [المتنخل الهذلي]
 يصف الأضياف :

وَأَبْدُوهُمْ بِمَشْمَعَةٍ وَأَنْثِي بِمُجَهْدِي مِنْ طَعَامٍ أَوْ بَسَاطِ
 وفي الحديث : مَنْ تَبَعَ الْمَشْمَعَةَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ . يريد مَنْ ضَحِكَ
 مِنَ النَّاسِ وَأَفْرَطَ فِي الْمَزْحِ .

(١) البيت في اللسان :

سلع ما ومثله عشر ما الخ . وفي البيت كما قال الأزهري وقاله السهيلي بعد شاهد
 على ما يفعله العرب من استمطارهم بإضرار النار في آذنان البقر ، والسلع شجر ،
 والعشر : شجر له صمغ . والبَيْقُور : اسم جمع للبقر .

وقوله : **أَوْ وَازِنُوا أَهْلَ الْجَدِّ بِالنَّدَى مَتَمُّوا**

أَي : ارتفعوا ، يقال : مَتَعَ النَّهَارُ إِذَا ارْتَفَعَ .

شعر آخر لحسان في الرد على الزبرقانة :

وقول حسان :

وطيناله أنفسا بِنِي الْمَنَامِ

**يريد : طيب نفوسهم يوم حُتِنَ حين أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
لِلْوَلَقَةِ قلوبهم ، ولم يُعْطِ الْأَنْصَارُ شَيْئًا .**

شرح قول ابن الأَهمم لابن عاصم :

فصل : وذكر قول عمرو بن الأَهمم لقيس بن عاصم :

ظَلَمْتَ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتُمُنِي عند النبي فلم تصدق ولم تُصِبْ

**الْهَلْبَاءُ : فَعْلَاءٌ مِنَ الْهَلْبِ وَهُوَ الْخَشِينُ مِنَ الشَّعْرِ ، يقال منه : رَجُلٌ
أَهْلَبٌ ، ومنه قول الشَّعْبِيِّ فِي مُشْكَلَةٍ نَزَلَتْ : هَلْبَاءُ زَبَاءَ ذَاتُ وَبَرٍ ، كأنه
أَرَادَ بِمُفْتَرِشِ الْهَلْبَاءِ ، أَي : مُفْتَرِشًا لِحَيْمَتِهِ ، ويجوز أن يريد بمفترش
الْهَلْبَاءِ ، يعني امرأة . وقيل : الْهَلْبَاءُ ، يريد بها هاهنا دُبْرَهُ ، فإن كان عني
امرأة ، فهو نَصَبٌ عَلَى النَّدَاءِ .**

ما نزل في وفد نهم من الحميرات :

وذكر ما أنزل الله تبارك وتعالى فيهم في سورة الْحَجَرَاتِ ، وقد كان

عُمَرُ وأبو بكر اختلفا في أمر الزُّبْرَقَانِ وعَمْرُو بن الأَهمِّ ، فأشار أحدهما بتقديم الزُّبْرَقَانِ ، وأشار الآخرُ بتقديم عَمْرُو بن الأَهمِّ حتى ارتفعت أصواتهما ، فأنزل الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ فكان عُمَرُ بعد ذلك إذا تكلم النبي عليه السلام لا يكلمه إلا كآخى السَّرَارِ (١) .

إيه من البيان لسحرا :

وفي هذا الوفد جاء الحديث أن رجلين قَدِمَا من بَجْدِ غَطْلِيَا ، فمحبب الناسُ لبيانها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسِحْرٌ ، وأدخله مالك في باب ما يُدْعَم من القول ، من أجل أن السَّحْرَ مذمومٌ شَرُّعاً ، وغيره يذهب إلى أنه مَدْحٌ لما بالبيان واستمالة القلوب كالشَّجَرِ ، وكان من قولها . إن عُمَرَ قال للنبي صلى الله عليه وسلم في الزُّبْرَقَانِ : إنه مُطْلَعٌ في أدْنِيهِ سَيِّدٌ في عَشِيرَتِهِ ، فقال الزُّبْرَقَانُ : لقد حَسَدَنِي يارسول الله لِشَرَفِي ، ولقد علم أفضل مما قال . قال : فقال عَمْرُو : إنه لَزَمِيرُ المَرْوَةِ شَمِيقُ التَّطْنِ لَسِيمُ الخِثَالِ ، فَعَرَفَ الإنْكَارَ في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله

(١) عند البخاري في رواية أن أحدهما أشار بالأفصح بن حابس ، والآخر برجل آخر . قال نافع : لا أحفظ اسمه ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي النخ ، وقد انفرد به البخاري دون مسلم . وفي رواية أخرى أن أبا بكر أشار بتأثير القمعاع بن معبد ، وأن عمر أشار بتأثير الأفصح بن حابس . وفي مسند البزار أن أبا بكر هو الذي قال : يارسول الله لا أكلك إلا كآخى السَّرَارِ . وهناك روايات أخرى تخالف هذه حول أسباب نزول الآية ، فاقه أعلم .

رضيتُ فقلتُ أحسن ما علمتُ، وسخطتُ فقلتُ أقبح ما علمتُ ، ولقد صدقتُ في الأولى وما كذبتُ في الثانية ، فحينئذٍ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان أسحراً » وقوله : ثم الخال ، قيل : إن أمه كانت من بَاهِلَةٍ ، قاله ابن ثابت في الدلائل ، وقد أنكر هذا عليه ، وعن أنكره عليه أبو مروان بن سراج ، فافقه أعلم ، لأن أهل النسب ذكروا أن أم الزُّبُرْقَانِ عُسْكَلِيَّةٌ من بني أقيش ، وعُسْكَلٌ وإن كانت تجتمع مع تميم في أد بن طابخة لكن تميماً أشرفُ منهم ، ولا سيما بني سعدٍ رهطُ الزُّبُرْقَانِ ، فلذلك جملة عمرو ثم الخال .

خبر عامر وأربد :

فصل : وذكر خبر عامر بن الطفيل وأربد ، وأن أربد قال لعامر : ما هممتُ بقتل محمدٍ إلا رأيتُك بيني وبينه أفأقتلك ؟ ! وفي غير رواية ابن إسحاق : إلا رأيتُ بيني وبينه سوراً من حديد . وكذلك في رواية غيره ، قال عامر : لآملأنها عليك خيلاً جُرُداً ، ورجلاً مُرداً ، ولأزبطن بكل نخلة فرساً ، فجعل أسيدُ ابن حُضَيْرٍ يضرب في رموسهما ويقول : اخرُجا أيها الهجرسان ، فقال له عامر : ومن أنت ؟ فقال : أسيدُ بن حُضَيْرٍ ، فقال : أحضير بن سمالك ؟ قال : نعم ، قال : أبوك كان خيراً منك ، فقال : بل أنا خيرٌ منك ، ومن أبي ، لأن أبي كان مُشركاً ، وأنت مُشركٌ . وذكر سيديويه قول عامر : أغدة^(١) كغدة

(١) معبوضة في اللسان برفعة غدة وكذا في النهاية لابن كثير .

الْبَحِير ، وموتاً في بيت سَلُولِيَّة ، في باب ما يَنْقَصِبُ على إضمار الفعل للترك
إظهاره ، كأنه قال : أَغْدُ غُدَّةً ، والسَّلُولِيَّة امرأة منسوبة إلى سَلُول بن صَفْصَمَةَ
وهم بنو مُرَّة بن صَفْصَمَةَ ، وسَلُول أمهم ، وهي بنت ذُهَل بن شَيْبَانَ ، وكان
عامر بن العُظَيْل من بني عامر بن صَفْصَمَةَ ، فلذلك اختصها القرب النسب بينهما ،
حتى مات في بيتها . وأما أشعارُ لبيد في أُرْبَدَ ففيها قوله :

تُطِيرُ عَدَائِدُ^(١) الْأَشْرَاكِ شَفْعاً وَرِثْرَا والزَّعَامَةُ^(٢) لِلْفَلَامِ
الزَّعَامَةُ : الرِّبَاسَةُ ، وقيل : أراد بالزَّعَامَةِ هنا بَيْضَةَ السَّلَاحِ ، والأَشْرَاكِ :
الشَّرَكَاءُ ، والعَدَائِدُ : الْأَنْصِبَاءُ مأخوذة من العَدَدِ ، ويقال : إِنْ أُرْبَدَ حِينَ
أَصَابَتْهُ الصَّاعِقَةُ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَرُسُلُ
الصَّوْأَعِيقِ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ يعني أُرْبَدَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وعامرٌ وأُرْبَدُ بِحَقِّمَا
في جَعْفَرِ بْنِ كَلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ ، وأُمُّهُمَا وَاحِدَةٌ ، وسائرُ شعر لبيد في أُرْبَدَ
مرغوبٌ عن الاشتغال بَشَرْحِهِ بناءً على أصلنا المتقدم ، والله وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

هو لبيد :

على أَنْ لَبِيدَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وعاش في الإِسْلَامِ سَتَيْنِ
سَنَةً ، لم يقل فيها بَيْتَ شِعْرِ ، فسأله هُرَيْرٌ عَنْ تَرْكِه الشَّعْرَ ، فقال : مَا كُنْتُ
لَأَقُولَ شِعْراً بَعْدَ أَنْ عَلَّمَنِي اللَّهُ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِزْرَانَ ، فزاده عُمرٌ في عَطَانِهِ
خَمْسَمِائَةَ دَرَاهِمَ ، مِنْ أَجْلِ هَذَا الْقَوْلِ ، فَكَانَ عَطَاؤُهُ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةَ ،

(١) رواية أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي: غداثر .

(٢) قيل عن الزمامة لأنها الرياسة أو الدرع .

فما كان معاوية^١، أراد أن ينقصه من عطائه الخمسمائة ، وقال له : ما بَالُ العِلاوةِ فوق الفَودَيْنِ ؟ فقال له ليبيد : الآن أموت ، وتصير لك العِلاوةُ والفَودَانِ ، فَرَقَّ له معاويةُ وتركها له ، فمات ليبيد إثر ذلك بأبام قليلة ، وقد قيل : إنه قال بيتاً واحداً في الإسلام :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام ريراً بالاً

وقد مرسه :

فصل : وذكر وَفَدَ جُرْشِ ، وأن خَنَعَمَ ضَوَّتْ إليها حين حاصرهم صُرْدُ ابن عبد الله ، وأنشد :

حتى أتينا حُمَيْرًا في مَصَانِعِهَا وَجَمَعَ خَنَعَمَ قَدِصَاغَتْ^(١) لَهَا التَّنْذَرُ

وَبُرُؤَى حُمَيْرًا بِالْخَاءِ الْمُنْجَمَةِ ، وفي حُمَيْرٍ حَمِيرُ الْأَذَنِيِّ ، وهو حَمِيرُ بنِ الْفَوَثِ بنِ سَعْدِ بنِ عَوْفِ بنِ عَدِيٍّ بنِ مَالِكِ بنِ زَيْدِ بنِ شُدَدٍ^(٢) بنِ زُرْعَةَ وهو حَمِيرُ الْأَصْفَرِ بنِ سَبَأِ الْأَصْفَرِ بنِ كَعْبِ كَعْبِ الظُّلَمِ بنِ زَيْدِ الْجُمُهورِ ابنِ عَمْرِو بنِ قَيْسِ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ جُشَمِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ وَاثِلِ بنِ الْفَوَثِ ابنِ حَيْدَانَ بنِ قَطَنِ بنِ عَرِيبِ بنِ زُهَيْرِ بنِ الْهَمَيْسَمِ بنِ حَمِيرِ الْأَكْبَرِ^(٣)

(١) في السيرة : شاعت .

(٢) في جهرة النسب : شرد

(٣) النسب في جهرة ابن حزم من أول شرد : بن زُرْعَةَ بنِ قَيْسِ بنِ صَنْعَاءِ ابنِ سَبَأِ الْأَصْفَرِ بنِ كَعْبِ بنِ زَيْدِ بنِ سَهْلِ بنِ عَمْرِو بنِ قَيْسِ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ جُشَمِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ وَاثِلِ بنِ عَوْفِ بنِ حَمِيرِ بنِ قَطَنِ بنِ عَوْفِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أَيْمَنِ بنِ حَمِيرِ بنِ سَبَأِ . وهو كما ترى يختلف عما هنا . وعند ابن الكلبي : =

وهو العَرَجُ نَجِجٌ ، وقال الأَبْرَهِيُّ : وهو من علماء حير بالنسب وهو منسوب إلى أَبْرَهَةَ بن الصَّبَّاحِ الحَنْبَرِيِّ فِي خَيْرِ الْأَذْنَى الْبِدْوَةِ بِذِكْرِهِ خَيْرٌ ، وعلى هذا القول تَصَحُّحُ رواية الخَلَاءِ المنقوطة ، ومن رواه بالخاء المهملة فهو تصغير خَيْرِ تصغير التَّزْخِيمِ ، والعَرَجُ نَجِجٌ فِي لَفٍّ : خَيْرٌ الْعَمَلِيقِ .

حديث ضمام :

فصل : وذكر حديث ضمام بن كَثَلْبَةَ ، وهو الذي قال فِيهِ طَلْحَةُ بن عُبَيْدِ اللَّهِ : جَاءَنَا أَعْرَابِي مِنْ أَهْلِ تَجْدٍ نَأْتِي الرُّأْسَ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ ، وَلَا يَفْقَهُ مَا يَقُولُ ، حَتَّى دَنَا ، فَلِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، الْحَدِيثُ ، رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ عَنْ عَمِّهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ طَلْحَةَ ، وَقَدْ تَرَجَّمْ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ لِمَا فِيهِ مِنْ دُخُولِ الْمُشْرِكِ الْمَسْجِدِ .

وذكر معه حديث الْيَهُودِ حِينَ دَخَلُوا الْمَسْجِدَ ، وَذَكَرُوا أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ ، وَامْرَأَةً زَنِيًّا ، وَقَالَ بِهِ الشَّافِعِيُّ ، وَكَرِهَ مَالِكٌ دُخُولَ الذَّمِّيِّ الْمَسْجِدَ ، وَخَصَّصَ أَبُو حَنِيفَةَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ ، فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فِي الْآيَةِ ، وَتَعَلَّقَ مَالِكٌ بِالْعَلَّةِ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَيْهَا الْآيَةُ ، وَهِيَ التَّنْجِيسُ ، فَهَمَّ الْمَسْجِدَ كُلَّهَا .

== كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن الحميسع . وقد سقط حيدان منه هنا ، ولكن ذكرها في مكان آخر . انظر ٣٦٤ ، ٣٦٥ المحبر .

مول حديث الجارود

فصل : وذكر الجارود العبدي ، وهو بشر بن عمرو بن الممل ، يكنى أبا المنذر ، وقال الحاكم : يكنى أبا غيث وأبا عتاب ، وسمى الجارود ، لأنه أغار على قوم من بكر ، فجردم^(١) قال الشاعر :

ودُسْنَاهُم بِالْخَيْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا جَرَّدَ الْجَارُودُ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ

وذكر في آخر حديث الجارود الغرور بن النعمان بن المنذر ، وكان كسرى حين قتل النعمان صير أمر الجيرة إلى هاني بن قبيصة الشيباني ، ولم يبق لآل المنذر رسم ولا أمر يذكر حتى كانت الردة ، ومات هاني ابن قبيصة فأظهر أهل الردة أمر الغرور بن النعمان ، واسمه : المنذر ، وإنما سمي الغرور ، لأنه غرّ قومه في تلك الردة ، أو غرّوه واستعانوا به على حربهم فقتل هناك ، وزعم وثيمة بن موسى أنه أسلم بعد ارتداده ، والله أعلم .

وفد بني ضيف ونسب صلحة :

فصل : وذكر وفد بني حنيفة ، واسم حنيفة أثال بن بجيم بن سعد بن علي ابن بكر بن وائل مع مسيلة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مسيلة

(١) في اللسان : لأنه فر يايه إلى أخواله من بني شيداز : ذ ، ففشا ذلك الداء في إيل أخواله ، فأهلكها .

ابن مُنَمَّةَ بن كَيْبٍ^(١) بن حُبَيْبِ بن الحارث بن عَبْدِ الحارث بن هِفَانِ بن ذُهَلِ بن الدُّوَلِ بن حَنِيفَةَ يَكْنَى أبا مُنَمَّةَ ، وقيل : أبا هَارُونَ ، وكان يَسْمَى بالرَّحْمَنِ فيما رُوِيَ عن الزُّهْرِيِّ قبل مَوْلِدِ عَبْدِ اللَّهِ وَالِدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقُتِلَ وهو ابن مائة وخَمْسِينَ سَنَةً ، وكانت قُرَيْشٌ حين سمعت بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قال قائلهم : دَقُّ فُوكَ ، إِنَّمَا تَذْكُرُ مُسَيِّلِمَةَ رَحْمَانَ الْيَمَامَةِ ، وكان الرَّحَّالُ الْخَنْفِيُّ^(٢) ، واسمه نَهَارُ بنُ عُنْفُوَةَ ، وَالْمُنْفُوَةُ يَابِسُ الْحَلِيِّ ، وهو نبات ، وذكره أَبُو حَنِيفَةَ ، فقال فيه : عُمْتُوْ بِاللَّيْلِ الْمُثَلَّثَةِ ، وقال : هو يَابِسُ الْحَلِيِّ ، وَالْحَلِيُّ : النَّحْيُ ، وهو نَبْتُ - قدم في وَفْدِ الْيَمَامَةِ على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّنَ وتعلَّم سُوْرًا من الْقُرْآنِ ، فرآه النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوماً جالِسًا مع رجلين من أَصْحَابِهِ ، أَحَدُهُمَا قُرَاتُ بنُ حَيَّانَ ، وَالْآخَرُ : أَبُو هُرَيْرَةَ ، فقال : ضَرَسُ أَحَدِكُمَا فِي النَّارِ مِثْلُ أَحَدِكُمَا فَالْآخَرُ خَائِفٌ حَتَّى ارْتَدَّ الرَّحَّالُ ، وَأَمَّنَ بِمُسَيِّلِمَةَ وشهد زُورًا أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد شَرِكَه معه فِي النُّبُوَّةِ ، ونسب إليه بعض ما تعلَّم من الْقُرْآنِ ، فكان من أَقْوَى أسبابِ الْفِتْنَةِ على بَنِي حَنِيفَةَ ، وقتله زَيْدُ بنُ الْخَطَّابِ يومَ الْيَمَامَةِ ، ثم قتل زَيْدُ بنُ الْخَطَّابِ سَلَمَةَ بنَ صُبَيْحِ الْخَنْفِيِّ ، وكان مُسَيِّلِمَةُ صاحب

(١) في جمهرة ابن حزم : كثير .

(٢) ذكره القساموس بالجيم على وزن شدداد ، وقال : ووم من ضبطه بالحاء .

نِزْوَجاتٍ^(١) يقال : إنه أول من أدخل البيضة في القارورة^(٢) ، وأول من وصل جناح الطائر المقصوص ، وكان يدعى أن ظئبة ثأنيه من الجبل ، فيحلب لبنها ، وقال رجل من بني حنيفة يرثيه :

لَمْ يَنْيَ عَلَيْكَ أَبَا ثَمَامَةَ لَمْ يَنْيَ عَلَى رُكْنِي ثَمَامَةَ
كَمْ آيَةٌ لَكَ فِيهِمْ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمَامَةِ
وَكَذَبَ بَلْ كَانَتْ آيَاتُهُ مَنكُوسَةً ، تَقَلُّ فِي بَثْرِ قَوْمٍ سَأَلُوهُ ذَلِكَ تَبْرُكًا
فَمَلَحَ مَاؤُهَا ، وَمَسَحَ رَأْسَ صَبِيٍّ فَقَرَعَ قَرَعًا فَاخْشَا ، وَدَعَا لِرَجُلٍ
فِي ابْنَيْنِ لَهُ بِالْبَرَكَةِ ، فَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَوَجَدَ أَحَدَهُمَا قَدْ سَقَطَ فِي الْبُيْرِ ، وَالْآخَرُ
قَدْ أَكَلَ الدُّبُّ ، وَمَسَحَ عَلَى عَيْنِي رَجُلٌ لَمْ يَشْفِ بِمَسْحِهِ ، فَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ .

مؤذنا مسيلمة وسجاح :

واسم مؤذنه : حُجَيْرٌ ، وكان أول ما أمر أن يذكر مُسَيْلِمَةَ في الأذان
توقف ، فقال له مُحَكَّمُ بْنُ الطُّفَيْلِ : صرّح حُجَيْرٌ ، فذهبت مثلاً . وأما
سَجَّاحُ التي تَنَدَّبَاتُ في زمانه وتزوجها ، فكان مؤذنها جَنَبَةُ بْنُ طَارِقٍ ،
وقال القُتَيْبِيُّ : اسمه : زُهَيْرُ بْنُ عَمْرٍو ، وقبل : إن شَبِثَ بْنَ رَبِيعٍ أَذِنَ لَهَا
أيضاً ، وتُكْنَى أُمَّ صَادِرٍ ، وكان آخر أمرها أن أسلمت في زمان عُمَرَ ، كل
هذا من كتاب الواقدي وغيره . وكان مُحَكَّمُ بْنُ طُّفَيْلِ الْحَنْفِيّ ، صاحب

(١) النيرنج : أخذ كالسحر وليس به ، وجمعها : نيرنجات ونيارج .

(٢) عمل حين يأتبه طلابنا في معاملهم .

حَرْبِهِ وَمُدَبِّرُ أَمْرِهِ، وَكَانَ أَشْرَفَ مَنْهُ فِي حَنِيفَةٍ، وَيُقَالُ فِيهِ: مُحْكَمٌ وَمُحْكَمٌ،
وَفِيهِ يَقُولُ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ:

يَا مُحْكَمُ بْنُ طُفَيْلٍ قَدْ أُتِيحَ لَكُمْ اللَّهُ دَرُّ أَيْكُمُ حَيَّةُ الْوَادِي
وَقَالَ أَيْضًا:

يَخْطِئُنَ بِالْأَبْدَى حِيَاضُ مُحْكَمٍ

امْرَأَةُ صَبْلَمَةَ:

وَقَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ: أَنْزَلُوا، يَعْنِي وَفَدَ بَنِي حَنِيفَةَ بِدَارِ الْحَارِثِ. الصَّوَابُ:
بَنْتُ الْحَارِثِ، وَاسْمُهَا: كَيْسَةُ بَنْتُ الْحَارِثِ بْنِ كُرَيْزٍ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ،
وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي غَزْوَةِ قُرَيْظَةَ الْكَلَامُ عَلَى كَيْسَةَ: وَكَيْسَةُ بِالْتَّخْفِيفِ، وَأَنَّهُمَا كَانَتِ
امْرَأَةً لِمُسَيْلِمَةَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ أَنْزَلَهُمْ بِدَارِهَا وَكَانَتْ تَحْتَ مُسَيْلِمَةَ،
ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ، وَذَكَرْنَا هُنَا أَنَّ الصَّوَابَ مَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ
أَنَّ اسْمَ تِلْكَ الْمَرْأَةِ زَيْنَبُ بَنْتُ الْحَارِثِ، كَذَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْ ابْنِ
إِسْحَاقَ، وَالْمَذْكُورَةُ هَاهُنَا كَيْسَةُ بَنْتُ الْحَارِثِ، وَلَمَّا هُوَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَطَبَ، فَقَالَ: أُرَيْتُ فِي بَدْيِ السَّوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ
فَكَرِهْتُهُمَا، فَفَنَخَضْتُ فِيهِمَا فَطَارَا فَأَوَّلَتْهُمَا كَذَابُ الْيَمَامَةِ وَالْقَنْبُوسِ، صَاحِبِ
صَنْمَاءَ، فَأَمَّا مُسَيْلِمَةُ فَقَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَأَفْنَى قَوْمَهُ قَتْلًا وَسَبْيًا.

مسعود القنسي:

وَأَمَّا مَسْعُودُ بْنُ كَثْمٍ الْقَنْبُوسِيُّ، وَهَنْسٌ مِنْ مَذْهَبِ جَعْفَرٍ، فَاتَّبَعَتْهُ قَبَائِلُ مِنْ

مَذْحِجَ وَالْبَيْنِ عَلَى أَمْرِهِ ، وَغَلَبَ عَلَى صَنْعَاءَ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ذُو الْحِجَارِ ،
وَيَلْقَبُ : عَيْهَلَةَ ، وَكَانَ يَدْعَى أَنْ سَحِيقًا وَشَرِيقًا بِأَنِيَانِهِ بِالْوَحَى ، وَيَقُولُ :
هَذَا مَلَكٌ يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِي ، فِي خَدْعِ كَثِيرَةٍ يُزَخْرِفُ بِهَا ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ
مَالِكِ بْنِ عَنَسٍ ، وَبَنُو عَنَسٍ جُشَمٌ وَجُشَمٌ وَمَالِكٌ وَعَامِرٌ وَعَمْرُو ، وَعَزِيزٌ
وَمُعَاوِيَةُ وَعَتِيكَةُ وَشَهَابٌ وَالْقَرْيَةُ وَيَامٌ ^(١) وَمِنْ وَلَدِ يَامَ بْنِ عَنَسٍ عَمَّارٌ
ابْنُ يَامِرٍ ، وَأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ وَحُوَيْرِثُ ابْنَا يَامِرِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَالِكٍ ، قَتَلَهُ قَبْرُوزُ
الدَّيْلَمِيِّ ، وَقَيْسُ بْنُ مَكْشُوحٍ وَدَاوُدُ بْنُ رَجُلٍ مِنَ الْأَبْنَاءِ دَخَلُوا عَلَيْهِ مِنْ
سِرْبٍ صَنَعَتْهُ لَهُمْ امْرَأَةٌ كَانَتْ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَبْنَاءِ ، فَوَجَدُوهُ سَكْرَانًا
لَا يَقِفُ مِنَ الْخَمْرِ ، فَخَبَطُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ :

ضَلَّ نَبِيٌّ مَاتَ وَهُوَ سَكْرَانٌ وَالنَّاسُ تَلْقَى جُلُومَهُمْ كَالذَّبَّانِ
النُّورِ وَالنَّارِ لَدَيْهِمْ سَيَّانٌ

ذَكَرَهُ الدُّوَلَابِيُّ ، وَزَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَتَهُ سَقَتْهُ
الْبَنْجَ فِي شَرَابِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَهِيَ الَّتِي اخْتَفَرَتْ السَّرْبَ لِلدَّخُولِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ
اغْتَمَصَهَا ، لِأَنَّهُ كَانَتْ مِنْ أَجْلِ النِّسَاءِ ، وَكَانَتْ مُسْلِمَةً صَالِحَةً ، وَكَانَتْ تُحَدِّثُ
عَنْهُ أَنَّهُ لَا يَنْفَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَاسْمُهَا التَّمْرُزُبَاةُ ، وَفِي صُورَةٍ قَتَلَهُ اخْتِلَافٌ .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُرِيتُ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَفَنَخْتُمُهُمَا فَعَطَارًا ،
قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّعْبِيرِ : تَأْوِيلُ نَفْعِهِ لَهَا أَنَّهُمَا بَرِيحَتَا قَتِيلَا ، لِأَنَّهُ لَمْ يَفْزُهَا

(١) فِي الْجُمُورَةِ هَمْ : سَعْدُ الْأَكْبَرِ وَسَعْدُ الْأَصْغَرِ ، وَعَمْرُو ، وَعَامِرٌ وَمُعَاوِيَةُ ،
وَعَزِيزٌ وَعَتِيكُ وَشَهَابٌ وَمَالِكٌ وَيَامٌ وَجُشَمٌ وَالْقَرْيَةُ .

بنفسه ، وتأويل الذهب أنه زُخْرُفٌ ، فدل لفظه على زَخْرَقَتِها ، وكذبهما ،
ودل الإسْوَارَان بلفظهما على مِلْكَيْن لأن الأساورة هم الملوك ، وبمعناها على
التضييق عليه لكون السَّوَارِ مُضَيَّقًا على الذَّرَاع .

زبد الخيل :

فصل : وذكر زيد الخيل ، وهو زَيْدُ بْنُ مُهْمَلِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُنْهَبٍ ،
يكنى : أبا مُسْكِنِ الطَّائِي ، واسم طَيِّءٍ أَدَدٌ ، وقيل له : زَيْدُ الْخَيْلِ لِمَنْ
أَقْرَسَ ، كانت له ، لها أسماء أعلام ذهب عن حفظها الآن ^(١) .

وذكر قوله صلى الله عليه وسلم : إِنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ مُحَى الْمَدِينَةِ .

أسماء الحمي :

قال الراوى : وَلَمْ يُسَمَّ بِاسْمِ الْحُمَى ، وَلَا أَمَّ مِلْدَمَ ، سماها باسم آخر
ذهب عنى ، والاسم الذى ذهب عن الراوى مِنْ أَسْمَاءِ الْحُمَى ، هو أم كَلْبَةٍ ،
ذكر لى أن أبا عُبَيْدَةَ ذكره فى مَقَاتِلِ الْفَرَسَانِ ، ولم أره ، ولكن رأيت
البَكْرِى ذكره فى باب أفرده من أسماء البلاد ، ولها أيضا اسمٌ سَوَى هذه
الأسماء ذكره ابن دُرَيْدٍ فى الْجُمُهرَةِ ، قال : سَهَاطٍ ، من أسماء الْحُمَى على وزن

(١) ضبط منب فى السمد بوزن منبر ، ويقول البكرى : « ولما سمى زيد
الخيل لكثرة خيله ، لأنه لم يكن لاحد من قومه ، ولا لكثير من العرب إلا
الفرس والفرسان ، وكانت لزبد خيل كثيرة ، فالتى ذكر منها فى شعره ستة :
المطال والسكيت والورد والسكامل وذهول ، « ولاحق . »

رَفَاشٍ ، وأما أمِ مَلَدَمَ ، فيقال بالدَّالِ ، وبالدَّالِ وبكسر الميم وفتحها ، وهو [من] اللدم وهو شدة الضرب ، ويحتمل أن يكون أم كُتْلَبَة هذا الاسم مُعَيَّرًا من كُتْلَبَة بضم الكاف ، والكُتْلَبَةُ شِدَّةُ الرُّعْدَةِ ، وكُتْلَبُ البَرْدِ شدائده ، فهذه أم كُتْلَبَة بالهاء ، وهى الحُمَى ، وأما أم كُتْلَبِ ، فتنجزة لها نَوْرٌ حَسَنٌ ، وهى إذا حُرِّكَتْ أَنتَنُ شَيْءٌ ، وزعم أبو حنيفة أن الغنم إذا مستها لم تستطع أن تقرب الغنم ليلتها ذلك من شِدَّةِ إغتنائها .

غير زبد في رواية أخرى :

وذكر في خبر زيد الخليل في رواية أبي على البغدادي ما هذا نَعْنُهُ : خَرَجَ قَمَرٌ مِنْ طَيٍّ يَرِيدُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ وَفُودًا ، وَمَعَهُمْ زَيْدُ الْخَلِيلِ ، وَوَزَرَ بْنِ سُدُوسٍ النَّبْهَانِيَّ وَقَبِيصَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ إِجُوزِ بْنِ الْجُرَيْمِيِّ ، وَهُوَ النَّصْرَانِي ، وَمَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَيْبَرِيِّ بْنِ أَفْلَتَ بْنِ سُلَيْسَةَ وَقَعَيْنِ بْنِ خُلَيْفِ الطَّرِيفِيِّ رَجُلٍ مِنْ جَدِيلَةَ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي بَوْلَانَ ، فَعَقَلُوا رِوَا حِلْمَهُمْ بِفَنَاءِ الْمَسْجِدِ ، وَدَخَلُوا ، فَجَلَسُوا قَرِيبًا مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَيْثُ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ ، فَلَمَّا نَظَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَيْهِمْ ، قَالَ : إِنِّي خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْمَرْءِ ، وَلَاتِهَا ، وَمَنْ الْجَمَلُ الْأَسْوَدُ الَّذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمِمَّا حَازَتْ مَنَاعٌ ^(١) ، مِنْ كُلِّ ضَارَّةٍ غَيْرِ نَفَّاعٍ ، فَقَامَ زَيْدُ الْخَلِيلِ ، فَكَانَ مِنْ أَعْظَمِهِمْ خَلْقًا وَأَخْسَنِهِمْ وَجْهًا وَشَعْرًا ، وَكَانَ يَرْكَبُ الْفَرَسَ الْعَظِيمَ الطَّوِيلَ

(١) في معجم البكري : مناع : هضبة في جبال طى ، أو هو اسم لاجأ ، سمى بذلك لامتاعهم فيه من ملوك العرب والمعجم .

فَتَخَطَّ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ كَأَنَّهُ حِمَارٌ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آتَى بِكَ مِنْ سَهْلِكَ وَحَزَنِكَ ، وَسَهَّلَ قَلْبَكَ لِلْإِيمَانِ ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَى يَدِهِ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا زَيْدُ الْخَيْلِ بْنِ مُهْمِلٍ ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، فَقَالَ لَهُ : بَلْ أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْلِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا زَيْدُ مَا خُبِّرْتُ عَنْ رَجُلٍ شَيْئًا قَطَّ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا خُبِّرْتُ عَنْهُ غَيْرَكَ ، فَبَايَعَهُ ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَكُتِبَ لَهُ كِتَابًا عَلَى مَا أَرَادَ ، وَأُطْعِمَهُ قُرَى كَثِيرَةً ، مِنْهَا : قَيْدٌ ، وَكُتِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَوْمِهِ إِلَّا وَزَرَ بْنِ سُدُوسٍ ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَرَى رَجُلًا لَيْسَ مِثْلُكَ رَقَابَ الْعَرَبِ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَمْلِكُ رَقَبَتِي عَرَبِيٌّ أَبَدًا ، ثُمَّ لَحِقَ بِالشَّامِ ، وَتَنَقَّصَ وَحَلَقَ رَأْسَهُ ، فَلَمَّا قَامَ زَيْدٌ مِنْ هِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : أَيُّ فِتْنَةٍ لَمْ تَدْرِكْهُ أَمْ كُتِبَتْهُ ، يَعْنِي : الْخَمْسَ ، وَيُقَالُ : بَلْ قَالَ : إِنْ نَجَا مِنْ آجَامِ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ زَيْدٌ حِينَ انْصَرَفَ :

أَتَيْتُ بَآجَامَ الْمَدِينَةِ أَرْبَعًا وَعَشْرًا يُغْنِي فَوْقَهَا اللَّيْلَ طَائِرٌ فَلَمَّا قَضَتْ أَصْحَابُهَا كُلُّ بَغِيَّةٍ وَحَطَّ كِتَابًا فِي الصَّحِيفَةِ سَاطِرٌ شَدَّدَتْ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَشَلِيلَهَا مِنَ الدَّرْسِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْبَطْنِ ضَامِرُ الدَّرْسِ : الْجَرْبُ . وَالشُّعْرَاءُ : ذُبَابٌ . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ فِي حَدِيثِهِ : وَأَهْدَى زَيْدٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْذُومًا وَالرَّسُوبَ ، وَكَانَا سَيفَيْنِ لِحَصْنِهِ بِلَى الْفَلَسِ^(١) ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) الْفَلَسُ بِضَمِّ الْفَاءِ وَاللَّامِ ، أَوْ سَكُونِهَا أَوْ بَفَتْحِ الْفَاءِ وَسَكُونِ الْلَّامِ هُوَ :

(م ٢٩ — الرُّوسُ الْأَفْ ج ٧)

ما قَدَّمَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ يُفَضِّلُهُ قَوْمُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا يُقَالُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ زَيْدٍ، فَإِنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ مُحَى الْمَدِينَةِ فَلَا مَرَّ مَا هُوَ. وَقَوْلُهُ:

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَوْ مَرَضْتُ لَمَادَنِي عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يُبْرِ مَنْهِن يَمْهَدِ

وبعده:

فَلَيْتَ اللَّوَاتِي عُدْنَنِي لَمْ يَعْدَنَنِي وَلَيْتَ اللَّوَاتِي غَبْنَ عَنِّي شُهُدِي

قدوم عدى بن حاتم

وهو عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ حَاشِرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ ابْنِ عَدِيٍّ^(١) بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ جَرُولٍ بْنِ ثَعْلٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْقَوْثِ بْنِ طَيْءٍ. يَكْنَى أَبُو ظَرِيفٍ^(٢)، وَحَدِيثُ إِسْلَامِهِ صَحِيحٌ مُجِيبٌ خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَأَخْتُهُ الَّتِي ذَكَرَ إِسْلَامُهَا أَحْسَبُ اسْمَهَا سَفَانَةَ، لِأَنِّي وَجَدْتُ فِي خَبَرٍ عَنْ امْرَأَةٍ حَاتِمٌ تَذَكَّرَ فِيهِ مِنْ سَخَائِهِ قَالَتْ: فَأَخَذَ حَاتِمٌ عَدِيًّا يُعَلِّقُهُ مِنَ الْجُوعِ، وَأَخَذَتْ أَنَا سَفَانَةَ، وَلَا يَعْرِفُ لَعَدِيٍّ وَلَدًا نَقْرَضُ عَقْبَهُ، وَلِحَاتِمٍ عَقْبٌ مِنْ قَبْلِ

== صنم طيء الذي بعث النبي ﷺ ص، علياً لخدمته سنة تسع. وكان آنفاً أحمر في وسط أجأ كأنه تمثال إنسان. وأخذ سيفين مشهورين يقال لهما المخدم ورسوب كان الجارث بن أبي شمر الفسلي قدده إياهما. أنظر الطبري ص ١٧٧ ج ٣ ط المعارف، ولسان العرب مادة خذم والمراد.

(١) في إمتاع الأسماع بعد عدى: ابن أخزم بن أبي أخزم بن ربيعة بن ثعل بن جرول.

(٢) في الإصابة: طريف.

عبد الله بن حاتم، ذكره القُتَيْبِيُّ، ولا يعرف له بنتٌ إِلَّا سَفَّانَةُ، فهي إذاً هذه المذكورة في السيرة والله أعلم، وأم حاتم: عِنْبَةُ^(١) بنتُ عَفِيفٍ [بن عمرو^(٢) ابن عبد القيس] كانت من أكرم الناس وهي التي تقول:

لَعَمْرِي لَقَدْ مَاعَضَيْتُ الْجَوْعُ عَضَّةً فَأَلَيْتُ إِلَّا أَحْرِمَ الدَّهْرَ جَائِعاً^(٣)
وَالسَّفَّانَةَ: الدَّرَّةَ، وبها كان يُكْنَى حاتم.

حديث فروة «مغى قرو»

وذكر ابن إسحاق حديث فروة وقوله:

طَرَقْتُ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْحَابِي وَالرُّومَ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقَرْوَانَ^(٤)

لِلْقَرْوَانُ: يجوز أن يكون تَجْمَعُ قَرَوٌ، وهو حوض الماء مثل صِنَوَانٍ،

(١) قال عنها القائل: غنية بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس. وقال البكري: وصواب اسمها عنبه... وقد تصحف في عامة الكتب بعنبه وغنية. ص ٢٣ - ٢ ط ٢ الأمال و ص ١٣ - ٣ سمط اللآلي.

(٢) الزيادة من الأمال المسكان السابق.

(٣) في الأمال ألا أمنع، وقد حجر أهلها عليها لإتلافها ط لها في الكرم، فلما ظنوا أنها قد وجدت لم ذلك أعطوها صرمة من لبها. لجاءتها هرازية، فأعطتها إياها، ثم أشدت هذا البيت، وبعده:

فقولاً لهذا اللائم اليوم أعفى فإن أنت لم تفعل فعض الأصابع
فاذا عسيتم أن تقولوا لا غنمكم سوى عدلكم أو عدل من كان مانعاً
ولا ما ترون الخاق إلا طيعة فكيف بتركى يا بن أم الطبايع
ص ٢٤ - ٣ الأمال ط ١.

(٤) هذا البيت ليس في السيرة.

ويجوز أن يكون جمع : قرى مثل صليب وصلبان . وأصح ما قيل في القرو وإنه
حويض من خشب تُسقى فيه الدواب ، وتبلغ فيه الكلاب ، وفي المثل : ما فيها
لأعى قرو ، أى : (١) ما في الدار حيوان ، وأراد : بلاعى قرو ، لأعق قرو ، وقلب
القاف الأولى باء للتضعيف .

إبدال آخر حرف في اسم الفاعل :

وحسن ذلك أنه اسم فاعل ، وقد يُبدلون من آخر حرف في اسم الفاعل باء ،
وإن لم يكن ثم تضييف ، كقولهم في الخامس : خاميهم ، وفي سادسهم ساديهم ،
وكذلك إلى العاشر ، ونحو منه : ما أنشد سيبيويه .

ولضفادى جمه نقائق (٢)

أى لضفادع جمه ، وأنشد :

مِنَ الثَّعَالِي وَوَحْزٍ مِنْ أَرَانِيهَا (٣)

(١) في الأصل : قروانى .

(٢) في الأصل : جبه . وأول البيت :

ومنهل ليس له حوازيق

وقيل : إن صانع البيت : خلف الأحمر . والحوازيق الجماعات . والجم : جمع
جمه ، وهى معظم الماء ومجتمعه . ص ٣٤٤ - ١ كتاب سيبيويه .

(٣) البيت لرجل من بني يشكر . وأوله :

لما أشارير من لحم تتمره

والأشارير : جمع إشراة وهى القطعة من اللحم يجفف اللادخار . وتتمره :

تجففه . والبيت في وصف عقاب المصدر السابق ، .

أراد الثعالبَ وأرانيها ، وإذا كان هذا معروفاً فلأعي قرؤي أحق أن
يقلب آخره بآء كراهة اجتماع قافين .

وذكر قدوم وفد كندة ، وفيه قوله عليه السلام : لا تقفوا أمنا ، ولا ننتفي
من أيمننا ، وفي هذا ما يدل على أن الأشعث قد أصاب في بعض قوله : نحن وأنث
بنو آكل الزمار ، وذلك أن جدات النبي صلى الله عليه وسلم من هي
من ذلك القبيل ، منهم : دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث السكندري
المذكور ، وهي أم كلاب بن مرة ، وقيل : بل هي جدة كلاب أم أمه هند ،
وقد ذكر ابن إسحاق ههنا هذه ، وأنها ولدت كلاباً .

قدوم وفد بني الحارث بن كعب

ذكر فيهم يزيد بن عبد المدان ، واسم عبد المدان عمرو بن الدبان ،
والدبان اسمه : يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب
ابن الحارث بن كعب الحارثي .

وذكر فيهم أيضاً ذا الفضة ، واسمه الحصين بن يزيد بن شداد الحارثي ،
وقيل له : ذو الفضة ، لفضة كانت في حلقه لا يكاد يبين منها ، وذكره عمر
ابن الخطاب يوماً ، فقال : لا تزاد امرأة في صداقها على كذا وكذا ، ولو كانت
بنت ذى الفضة .

وذكر فيهم عمرو بن عبد الله الضبائي ، وهو ضباب بكسر الصاد في بني
الحارث بن كعب بن مذحج ، وضباب أيضاً في قرينش وهو ابن حبيش

ابن عَبدِ بنِ مَحيصِ بنِ عامرِ أخو حَجَرِ بنِ عَبدِ ، وفي حَجَرِ وَحُجَيْرِ
يقول الشاعر :

أَنْدَبْتُ أَنْ غَوَاةً مِنْ بَنِي حَجَرٍ وَمِنْ حُجَيْرٍ بَلَا ذَنْبٍ أَرَاغُونِي
أَغْنُوا بَنِي حَجَرٍ عَنَّا غَوَاةَكُمْ وَيَا حُجَيْرُ إِلَيْكُمْ لَا تُبْزَوْنِي
وَالضَّبَابُ فِي بَنِي عامرِ بنِ صَمْعَمَةَ ، وَهُم ضِبَابٌ وَمُضِبٌّ وَحِشَلٌ وَحُسَيْلٌ
بنو معاوية بنِ كَلَابِ ، وَأَمَّا الضَّبَابُ بِالْفَتْحِ ، فَنَسَبُ الْغَايَةِ الدُّبْيَانِي
ضِبَابُ بْنُ رَبِيعِ بْنِ غَيْظٍ ، وَأَمَّا الضَّبَابُ بِالضَّمِّ فَرَبِيعٌ وَمَنْجَا^(١) ابْنَا ضُهَابِ
مَنْ بَنِي بَكْرِ ، ذَكَرَهُ الدَّارِقُطْنِي .

وفود رفاعه :

فصل : وذكر وفود رفاعه الضببي ، وأنه أهدى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم غلاماً ، وذلك الغلام هو الذي يقال له : مِدْعَمٌ ، وقع ذكره
في الموطأ^(٢) .

وذكر وفد همدان ، ومالك بن نَمَطٍ الْهَمْدَانِي الذي يقال له ذُو الْمِشْعَارِ ،
وَكُنْيَتُهُ : أَبُو ثَوْرٍ وقع في النُّسخة ، وفي أكثر النُّسخ : وَأَبُو ثَوْرٍ بِالْوَاوِ ،
كَأَنَّهُ غَيْرُهُ ، وَالصَّوَابُ سَقُوطُ الْوَاوِ ، لِأَنَّهُ هُوَ هُوَ ، وَقَدْ يَخْرُجُ إِثْبَاتُ الْوَاوِ عَلَى

(١) في القاموس : والمنجى للفعول : سيف وامن .

(٢) وقع ذكره أيضاً في الصحيحين من طريق سالم مولى ابن مطيع عن أبي هريرة
في فتح خير . وفيه أن مدعماً أصابه سهم عاتق فقتله .

إخبار هو، كأنه قال : وهو أبو نور ذو المشعار، وقد ذكره ابن قتيبة ، فقال في غرب الحديث : مالك ذو المشعار ، وذكره أبو عمر فقال : هو ذو المشعار يكنى : أبانور ، وفي الكتاب الذي كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا كتاب من محمد رسول الله إلى خلاف خارف وبام وأهل جناب الهضب وحفاف الرمل مع وإفدها ذى المشعار مالك بن نمط ، فهذا كله يدل على أن الواو في قوله : وأبو نور ذو المشعار لا معنى له .

وقوله : عليهم مقطعات الخبرات : المقطعات من الثياب في تفسير أبي عبيد ، هي القصار ، واحتج بحديث ابن عباس في صلاة الضحى إذا انقطعت الظلال ، أى : قصرت ، ويقولهم في الأراجيز : مقطعات ، وخطأه ابن قتيبة في هذا التأويل ، وقال : إنما المقطعات الثياب المخيطة كالقمص ونحوها ، سئيت بذلك ، لأنها تقطع وتفصل ثم تحاط^(١) ، واحتج بحديث رواه عن بعض ولده عبد الملك بن مروان ، وفيه أنه خرج وعليه مقطعات يجرها ، فقال له شيخ من بني أمية : لقد رأيت أبك ، وكان مشعراً أغبر جرار لثيابه ، فقال له الفتى : لقد هممت بتقصيرها ، فتمنى قول الشاعر في أهلك :

قَصِير الثِّيَابِ فَأَحِشْ عِنْدَ صَيِّفِهِ لَشَرِّ قُرَيْشٍ^(٢) فِي قُرَيْشٍ مُرَكَّبًا

(١) في شرح السيرة لأبي ذر : مقطعات : ثياب وشئ يصنع بالين . والمبس خشب تصنع منه الرحال التي تكون على ظهر الإبل .

(٢) في السمت : عند بيته وشر قريش . والقصة أن هشام بن عبد الملك خرج وهو سوقاً إلى بيت المقدس ، فرى بدمشق ، فلقبه محمد بن الضحاك بن قيس =

والظاهرُ في قوله عليهم مُقَطَّعاتُ الخبرَات ما قاله ابن قُتَيْبَةَ ، ولا معنى لوصفها بالقِصَرِ في هذا الموطنِ . والمَهْرِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَهْرَةَ بن حِيدَان ^(١) ابن الحُفَافِ بن قُضَاعَةَ ^(٢) . والأَرْحَبِيَّةُ : مَنْسُوبَةٌ إِلَى أَرْحَبَ بَطْنٍ من هَمْدَانَ . ويأمُّهُ هو يأمُّ بن أَصْبَى ، وَخَارِفُ بن الحَارِثِ بَطْنَانِ من هَمْدَانَ يُنسَبُ إِلَى يَامٍ : زُبَيْدُ [بن الحَارِثِ بن عبد الكَرِيمِ] الأَيْمِيُّ الْمُحَدَّثُ ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ يَقُولُونَ فِيهِ : الأَيْمِيُّ . والفِرَاعُ : مَاعِلَا من الأَرْضِ . وَالْوِهَاطُ : مَا انْخَفَضَ مِنْهَا ، وَاحِدُهَا : وَهْطٌ . وَانْفَلَحَ : اسْمُ جَبَلٍ . وَالصَّلْعُ : الأَرْضُ لِلنِّسَاءِ . وَانْقَفَيْدُ : وَلَدُ النَّعَامَةِ . وَالْهَجَفُ : الضَّخْمُ .

وذكر حديث عمرو بن معدٍ يكرب ، وقيس بن مكشوح .

== الفهرى ، وهو والها يومئذ ، وعلى هشام ثياب يحرها ، فقال له : أمارأيت أمير المؤمنين عبد الملك يعرض له بجر ثيابه ؟ فقال هشام : بلى ، قال : فكيف رأيته ؟ قال مهجراً مشمراً ، قال : فإياك أنت ؟ قال : فعات هذا لقول الشاعر . ثم ذكر البيت . أنظر ص ١٦٥ سطح اللالى ، وص ١٧٤ > ٦ الحيوان للجاحظ .

(١) فى الأصل : المهديّة ومهدة بن حيران وهو خطأ وهو فى الاشتقاق : مهرة بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وصوابه حيدان بن عمرو بن الحاف ، وكذا فى جملة الأنساب لابن السكيت ، وفى الجمهرة لابن حزم ، أنظر ص ٥٥٢ الاشتقاق . ص ٥٢ فلائد الجمان للقلقشندي ولكنهم فى كتابه نهاية الأرب مهرة بين حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ص ٢٤٧ وأنظر ص ١٢٤ الجمهرة لابن حزم وص ٢٩٦ ج ٢ نهاية الأرب للنويرى .

(٢) ابن الحارث بن عبد الكرم زيادة من لباب الأنساب ، وأصبى كما ورد فى اللباب ابن رافع بن مالك بن حسم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان .

حجة الوداع

تجهز الرسول واستعماله على المدينة أبا دجانة

قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة ، تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة .

قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي ، ويقال : سباع ابن عُرْقُطَةَ الغفاري .

وذكر في الشعر :

تُلَاقِي شَذْبَتًا شَثْنًا لـ بَرَّائِنِ نَاشِزًا قَعْدَةً^(١)

أُلْفَيْتُ بَحْطَ الشَّيْنِخِ أَبِي بَحْرٍ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ قَالَ : قَالَ الْقَاضِي : لَا أَعْرِفُ شَذْبَتًا الْآنَ ، وَلَعَلَّهُ تُلَاقِي شَرَّ نَبْتًا^(٢) ، وَجَزَمَ تُلَاقِي لَمَّا فِي قَوْلِهِ :

فَلَوْ لَا قَيْدَتْنِي مِنْ قُوَّةِ الشَّرِّطِ ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ : إِنْ لَا قَيْدَتْنِي تُلَاقِي .

(١) في السيرة : كَتَدَهُ

(٢) الغليظ الكفيع والرجلين والأشد .

ما أمر به الرسول عائشة في حيضها

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : لا يذكروا ولا يذكروا الناس إلا الحج ، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدي وأشراف من أشراف الناس ، أمر الناس أن يحلوا بعمره ، إلا من ساق الهدي ؛ قالت : وحضت ذلك اليوم ، فدخل علي وأنا أبكي ، فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نفست ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لو ددت أني لم أخرج معكم عامي في هذا السفر ؛ فقال : لا تهوين ذلك ، فإنك تقضين كل ما يقضى الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، فحل كل من كان لاهدي معه ، وحل نسائه بعمره ، فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير ، فطرح في بيتي ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الحصبه ، بعث بي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن أبي بكر فأعمرني من التمنيم ، مكان عمرتي التي فاتتني .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن حفصة بنت عمر ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يحلن بعمره ، قلن : فما يمنعك يا رسول الله أن تحل معنا ؟ فقال : إني أهديت ولبذت ، فلا أحل حتى أنحر هدي .

• • • • •

موافاة عليّ في قفوله من إيمان رسول الله في الحج

به ما أمر الرسول علياً من أمور الحج

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نعيم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث علياً رضي الله عنه إلى نجران ، فلقيه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ، فوجدها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحل بعمره فحلنا . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره : قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انطلق فطف بالبيت ، وحل كما حل بأصحابك . قال : يا رسول الله إني أهلت كما أهلت ، فقال : ارجع فاحلل كما حل أصحابك ؛ قال : يا رسول الله ، إني قلت حين أحرمت : اللهم إني أهل بما أهل به نبيك وعبادك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فهل معك من هدى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغ من الحج ، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما .

شكاً علياً بجنده إلى الرسول لا انتزاعه عنهم حلال من بز الإيم

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، قال : لما أقبل على رضي الله عنه من اليمن ليلتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجل إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، واستخلف على جُنْدِهِ الَّذِينَ مَعَهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَعَمِدَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَكَسَا كُلَّ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ حُلَّةً مِنَ الْبَزِّ الَّتِي كَانَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَلَمَّا دَنَا جَيْشُهُ خَرَجَ لِيَلْقَاهُمْ ، فَإِذَا عَلَيْهِمُ الْخُلَلُ ؛ قَالَ : وَيْلَكَ ! مَا هَذَا ؟ قَالَ : كَسَوْتُ الْقَوْمَ لِيَتَجَمَّلُوا بِهِ إِذَا قَدِمُوا فِي النَّاسِ ، قَالَ : وَيْلَكَ ! انْزِعْ قَبْلَ أَنْ تَنْهَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَانْزِعَ الْخُلَلُ مِنَ النَّاسِ ، فَرَدَّهَا فِي الْبَزِّ ، قَالَ : وَأُظْهِرَ الْجَيْشَ شُكْوَاهُ لِمَا صُنِعَ بِهِمْ .

قال ابن إسحاق : فُخِذَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ حَزْمٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عُجْرَةَ عَنْ عَمَّتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ كَعْبٍ ، وَكَانَتْ عِنْدَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : اشْتَكَى النَّاسُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا خُطِيبًا ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَشْكُوا عَلِيًّا ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَخْشَنُ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، أَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مِنْ أَنْ يَشْكَى .

خطبة الرسول في حجة الوداع

قال ابن إسحاق : ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حُجَّهِ ، فَأَرَى النَّاسَ مَنَاسِكَهُمْ ، وَأَعْلَمَهُمْ سُنَنَ حُجَّتِهِمْ ، وَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَتَهُ الَّتِي بَيَّنَّ فِيهَا مَا بَيَّنَّ ، فُحَمِدَ اللَّهُ وَأُنِىَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا قَوْلِي ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لِمَلِي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا ، أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَإِنَّا نَسْتَلْقُونَ رَبَّكُمْ ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ،

.....

وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنّه عليها ، وإن كلّ ربّاً موضوعٌ ، ولكن لکم رُؤوس أموالکم ، لا تظلمون ولا تظلمون . قضی الله أنه لا ربّاً ، وإن ربّاً عبّاس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن کل دمٍ کان فی الجاهلیة موضوع ، وإن أوّل دماءکم أضاع دمُ ابن ربیعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مُسترضعاً فی بنی لیث ، فقتلته هذیل فهو أوّل ما أبداً به من دماء الجاهلیة . أما بعد أيها الناس ، فإن الشیطان قد یئس من أن یُعبد بأرضکم هذه أبداً ، ولكنّه إن یطعم فیما سوى ذلك فقد رضى به مما تحمقرون من أعمالکم ، فاحذروه على دینکم ، أيها الناس : إن النّسیّ زیادة فی السّکفر ، یضلّ به الذّین کفروا ، یُخلّونه عاماً ویحرّمونه عاماً ، لیواطئوا عدّة ماحرم الله ، فیحلّوا ما حرم الله ، ویحرّموا ما حلّ الله . وإن الزّمان قد استدار کهیئته یومَ خلق الله السموات والأرض ، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرّمٌ ، ثلاثة متوالية ، ورجب مُقَرَّرٌ ، الذی بین مُجادی وشعبان . أما بعد أيها الناس ، فإن لکم على نساءکم حقّاً ، ولهنّ علیکم حقّاً ، لکم علیهنّ أن لا یوطئن فرشکم أحداً تکرهونه ، وعلیهنّ أن لا یأتین بفاحشة مبیّنة ، فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لکم أن تهجروهنّ فی المضاجع وتضربوهنّ ضرباً غیر مُبرّح ، فإن انتهین فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خیراً ، فإنهنّ عندکم عوانٍ لا یملکن لأنفسهنّ شیئاً ، وإنکم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بکلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولی ، فإنی قد بلغت ، وقد ترک

فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيّناً ، كتاب الله وسنة نبيه .
أيها الناس ، اسمعوا قولي واعتقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن
المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ،
فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟
فذكر لي أن الناس قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
اللهم اشهد .

اسم العصارخ بكلام الرسول وما كان يردده

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه
عباد قال : كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بعرفة ، ربيعة بن أمية بن خلف . قال : يقول له رسول الله صلى الله
عليه وسلم : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
هلا تدرون أي شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول :
قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم
كحرمة شهركم هذا ؛ ثم يقول : قل : يا أيها الناس ، إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أي بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ، قال :
فيقولون . البلد الحرام ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم
وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة بلدكم هذا . قال : ثم يقول : قل : يا أيها
الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أي يوم هذا ؟
قال : فيقوله لهم . فيقولون : يوم الحج الأكبر ؛ قال : فيقول : قل لهم :
إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا .

رواية ابن خارجة عما سمعه من الرسول في حجة الوداع

قال ابن إسحاق : حدثني ليث بن أبي سلمة عن شهر بن حوشب الأشعري ، عن عمرو بن خارجة قال : بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لناها ليقع على رأسي ، فسمعتة وهو يقول : أيها الناس ، إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه ، وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراس ، وللعاهر الحجر ، ومن أدعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

بعض تعليم الرسول في الحج

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبل الذي هو عليه ، وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على فزح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر عتي قال : هذا المنحر ، وكل منى منحر . ففضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ، وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما قرأ الله عليهم من حجهم : من للموقف ، ورعى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجهم ، وما حرم عليهم ، فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبحج بعدها .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق : ثم قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بمِيقَةِ ذِي الْحِجَّةِ والحَرَمِ وضُفَرٍ ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه ، وأمره أن يُوَطِّئَ التحليل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

خروج رسول الله إلى الملوك

تذكير الرسول قومه بما حدث للحواريين

حين اختلفوا على عيسى

قال ابن هشام : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إلى الملوك رسلاً من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثني من أئمتي به عن أبي بكر الهذلي قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عُمرته التي صدَّ عنها يوم الحديبية ، فقال : أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رحمة وكأفة ، فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ؛ فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضى وسلم ، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فسكره وجهه وتناقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتناقلون وكل واحد منهم يتكلم بِلُغَةِ الْأُمَّةِ التي بُعث إليها .

أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتاباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، ملك الروم ؛ وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، ملك الحبشة ، وبعث حاطب ابن أبي بلتعة إلى المقوقس ، ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جعفر وعبيد ابن أبي الجندى الأزديين ، ملكي عمان ، وبعث سليط بن عمرو ، أحد بني عامر بن لؤي ، إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن علي الحنفيين ، ملكي اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ، ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الفسائي ، ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الفسائي ، وبعث المهاجر بن أبي أمية الخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحنفي ، ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نسيت سليطاً وثمامة وهوذة والمنذر .

رواية ابن حبيب عن بعث الرسول رسله

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري : أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب

والمعجم ؛ وما قال لأصحابه حين بينهم . قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه ؛ وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثني رحمة وكافة ؛ فأذوا عني يرحمكم الله ؛ ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، قالوا : وكيف يارسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من قرَّب به فأحبَّ وسلم ، وأما من بعد به فسكره وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم .

أسماء رسل عيسى

قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع ، الذين كانوا بعدم في الأرض : بطرُسُ الحواريُّ ، ومعه بولس ، وكان بولس من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين ، إلى رومية ، وأندرائس ومفتا إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس ، وثوماس إلى أرض بابل ، من أرض المشرق ؛ وفيلبس إلى أرض قرطاجنة ، وهي إفريقية ، ويحنس ، إلى إفسوس ، قرية الفتيحة ، أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أوراشليم ، وهي إيلياء ، قرية بيت المقدس ، وابن تلماء إلى الأعرابية ، وهي أرض الحجاز ، وسيمون إلى أرض اللبر ، ويهوذا ، ولم يكن من الحواريين ، جعل مكان يودس .

.....

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال حدثنا ريباذ بن عبد الله البسكاني عن محمد بن إسحاق المطالي : وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ، منها غزوة ودّان ، وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ، من ناحية رَضَوَى ، ثم غزوة العُشَيْرَة ، من بطن بَدْنِيع ، ثم غزوة بدر الأولى ، بطلب كُرْز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التى قتل الله فيها صناديد قُرَيْش ، ثم غزوة بنى سُلَيْم ، حتى بلغ الكُدْر ، ثم غزوة السَّوْبِق ، بطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غَطَفَان ، وهى غزوة ذى أَمِر ، ثم غزوة بَحْرَان ، معدن بالحجاز ، ثم غزوة أُحُدٍ ، ثم غزوة حَمْرَاءِ الْأَسَد ، ثم غزوة بنى النَّضِير ، ثم غزوة ذات الرِّقَاع من نَحْل . ثم غزوة بدر الآخِرَة ، ثم غزوة دُومَة الجَنْدَل ، ثم غزوة الخَنْدَق ، ثم غزوة بنى قُرَيْظَة ، ثم غزوة بنى لُحْيَان ، من هُدَيْل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى المصْطَلِق من خُرَاعَة ، ثم غزوة الحُدَيْبِيَّة ، لا يريد قتالا ، فصده المشركون ، ثم غزوة خَيْبَر ، ثم غزوة القِضَاء ، ثم غزوة الفَتْح ، ثم غزوة حُنَيْن ، ثم غزوة الطَّائِف ثم غزوة تَبُوك . قاتل منها فى تسع غزوات : بدر ، وأُحُد ، والخَنْدَق ، وقُرَيْظَة ، والمصْطَلِق ، وخَيْبَر ، والفَتْح وحُنَيْن ، والطَّائِف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانياً وثلاثين ، من بين بعثٍ وسريةٍ : غزوةُ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ أَصْفَلٍ مِنْ ثَنِيَّةِ ذِي الْمَرْوَةِ ، ثم غزوةُ حَمْزَةَ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَاحِلَ الْبَحْرِ ، مِنْ نَاحِيَةِ الْمَيْصِ : وَبَعْضُ النَّاسِ يَقْدَمُ غَزْوَةَ حَمْزَةَ قَبْلَ غَزْوَةِ عُبَيْدَةَ ؛ وَغَزْوَةُ سَمْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ الْخَزْرَازِيِّ ، وَغَزْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جَحْشٍ نَخْلَةَ ، وَغَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْقَرَكَةِ ، وَغَزْوَةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ، وَغَزْوَةُ مَرْثَدَ بْنِ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ الرَّجِيعِ ، وَغَزْوَةُ الْمُنْذِرِ بْنِ هَمْرٍ وَبَنِي مَعُونَةَ ، وَغَزْوَةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ذَا الْقَعَصَةِ ، مِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ ، وَغَزْوَةُ هَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ثُرَيْبَةَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ ، وَغَزْوَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْيَمَنِ ، وَغَزْوَةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيِّ ، كَلْبَ لَيْثٍ ، السَّكْدِيدِ ، فَأَصَابَ بَنِي الْمَلُوحِ .

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بنى الملوح

شأن ابن البرصاء

وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثني عن مسلم بن عبد الله بن خُبَيْبٍ الْجُهَنِيِّ ، عَنْ الْمُنْذِرِ ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ مَكِيثٍ الْجُهَنِيِّ ، قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَالِبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيَّ ، كَلْبَ بْنَ عَوْفٍ بْنِ لَيْثٍ ، فِي سَرِيَةٍ كُنْتُ فِيهَا ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَنْ الْعَارَةَ عَلَى بَنِي الْمَلُوحِ ، وَهُمْ بِالْكَدِيدِ ، فَخَرَجْنَا ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِقُدَيْدٍ لَقِينَا الْحَارِثَ

.

ابن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثي ، فأخذناه ، فقال : إني جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا له : إن تك مسلماً فلن يضريك رباط ليلة ، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشدناه رباطاً ، ثم خلفنا عليه رجلاً من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازك فاحتر رأسه .

بلاء ابن مكيث في هذه الغزوة

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكدبد عند غروب الشمس ، فكنا في ناحية الوادي ، وبعثني أصحابي ربيعة لهم ، فخرجت حتى آتيت تلاً مشرفاً على الحاضر ، فأسندت فيه ، فعلوت على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إني لمنبطح على التل ، إذ خرج رجل منهم من خيائه ، فقال لامرأته : إني لأرى على التل سواداً ما رأيته في أول يوم ، فانظري إلى أوعيتك هل تنقدين منها شيئاً ، لا تكون الكلاب جرّت بعضها ، قال : فنظرت ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئاً ، قال : فناوليني قوسي وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهماً ، فوالله ما أخطأ جنبي ، فأنزعه ، فأضعه ، وثبت مكانه ، قال : ثم أرسل الآخر ، فوضعه في منكبتي ، فأنزعه فأضعه ، وثبت مكانه ، فقال لامرأته : لو كان ربيعة لقوم لقد تحرك ، لقد خالطه سهمي لا أبالك ، إذا أصبحت فابقيهما ، فخذيهما ، لا يعضفهما على الكلاب . قال : ثم دخل .

نجاء المسلمين بالنعم

قال : وأمنه لنهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان في وجه السحر شدنا

عليهم الغارة ، قال : فقتلنا ، واستغنينا النعم ، وخرج صريخ القوم ، فجاءنا دهم لا قبل لنا به ، ومضينا بالنعم ، ومَرَرْنَا بِابْنِ الْبَرَاءِ وصاحبه ، فاحتملناها معنا ، قال : وأدركنا القوم حتى قَرِوا منا ، قال : فابتننا وبينهم إلا وادى قديد ، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من غير سحابة نراها ولا مطر ، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يُجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنا لنسوقُ نعمهم ، ما يستطيع منهم رجل أن يُجيز إلينا ، ونحن نَحْدُوها سِرا ، حتى نُقْتَنام ، فلم يقدرُوا على طلبنا .

شعار المسلمين في هذه الغزوة

قال : قدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من أسلم ، عن رجل منهم : أن شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة : أَمِيتْ أَمِيتْ . فقال راجزٌ من المسلمين وهو يَحْدُوها :

أَبِي أَبُو الْقَاسِمِ أَنْ تَعَزَّبِي فِي خَضِيلِ تَبَانِهِ مُقْلَوَابِ
صُنْفِرِ أَعَالِيهِ كَلَوْنِ الْمُدْهَبِ

قال ابن هشام : ويروى : « كلون الذهب » .

ثم خبر الغزاة ، وعدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبُعوث .

تعريف بعدة غزوات

قال ابن إسحاق : وغزوة على بن أبي طالب رضى الله عنه بنى عبد الله

ابن سعد من أهل قَذَك ، وغزوة أبي التَّوْجاء السُّلَمِيَّ أرض بني سُليم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عُكاشة بن مِخْصَن الغَمَرَة ، وغزوة أبي سَلَمَة ابن عبد الأسد قَطَنًا ، ماء من مِياه بني أسد ، من ناحية نَجْد ، قُتِلَ بها مسمود ابن عُرْوَة ، وغزوة محمد بن مَسْلَمَة أخى بني حارثة ، القَرَطَاء من هَوَازِن ، وغزوة بَشِير بن سَعْدِ بن مُرَّة بَقَذَك ، وغزوة بَشِير بن سعد ناحية خَيْبَر ، وغزوة زيد بن حارثة الجُومَ من أرض بني سُليم ، وغزوة زيد بن حارثة جُدَام ، من أرض خُشَيْن .

قال ابن هشام : عن نفسه ، والشافعي عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق : من أرض حِمْيَر .

غزوة زيد بن حارثة إلى جدام

سليم

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثني من لا أتهم ، عن رجال من جُدَام كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجُدَامِي ، لما قَدِمَ على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن قَدِمَ دِحْيَةُ بن خليفة السَّكَلِيُّ من عند قَيْصَرِ صاحب الروم ، حين بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليه ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بوادي من أودينهم يقال له سَنَار ، أغار على دِحْيَةَ بن خليفة الهنيدُ بن عُوص ، وابنه عُوص بن الهنيد الصُّلَمِيَّان . والضَّمِيمُ : بطن من جُدَام ، فأصابا

كل شيء كان معه ، فبلغ ذلك قومًا من الضَّبْيَب ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بنى الضَّبْيَب الثُّمَان بن أبي جمال ، حتى لقوهم ، فانتلوا ، وانتبى يومئذ قُرَّة بن أشقر الصَّفَاوِي ثم الصَّلَمِي ، فقال : أنا ابن لُبَي ، وربي الثُّمَان بن أبي جمال بينهم ، فأصاب زكيتي ، فقال حين أصابه : خذها وأنا ابن لُبَي ، وكانت له أم تُدعى لُبَي ، وقد كان حسان بن مَلَّة الضَّبْيَبِي قد صحب دِحْيَةَ بن خليفة قبل ذلك ، فملمه أم الكتاب .

قال ابن هشام : ويقال : قُرَّة بن أشقر الصَّفَاوِي ، وحَيَّان بن مَلَّة .

تمكن المسلمين من الكفار

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن رجال من جُذَام ، قال : فاستنقذوا ما كان في يد الهنيد وابنه ، فردوه على دِحْيَةَ ، فخرج دحية ، حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاء دم الهنيد وابنه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذي هاج غزوة زيد جُذَام ، وبعث معه جيشًا ، وقد وَجَّهَتْ غَطَفَانُ من جُذَام ووائِلُ ومن كان من سَلَامَانَ وسعد بن هُذَيْم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزلوا الحرة ، حرَّة الرِّجْلَاء ، ورفاعة بن زيد بكراع رِبَّة ، لم يعلم ، ومعه ناس من بنى الضَّبْيَب ، وسائر بنى الضَّبْيَب بوادي مَدَّان ، من ناحية الحرة ، مما يسيل مُشْرِقًا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقص من قِبَل الحرة ،

جَمَعُوا مَا وَجَدُوا مِنْ مَالٍ أَوْ نَاسٍ ، وَقَتَلُوا الْهَنْئِيدَ وَابْنَهُ وَرَجُلَيْنِ مِنْ
بَنِي الْأَحْنَفِ .

قال ابن هشام : من بني الأحنف .

شأن حسان وأنيف ابني ملة

قال ابن إسحاق في حديثه : ورجلان من بني الخصيب . فلما سمعت
بذلك بنو الضبطين والجيش بغياء مَدَانٍ ركب نفرٌ منهم ، وكان فيمن ركب
مَعَهُمْ حَسَّانُ بْنُ مِلَّةٍ ، عَلَى فَرَسٍ لِسُؤَيْدِ بْنِ زَيْدٍ ، يُقَالُ لَهَا الْعَجَاجَةُ ، وَأُنَيْفُ
ابْنِ مِلَّةٍ عَلَى فَرَسٍ لِمِلَّةٍ يُقَالُ لَهَا : رِغَالٌ ، وَأَبُو زَيْدٍ بْنُ عَمْرِو عَلَى فَرَسٍ يُقَالُ
لَهَا شَمِيرٌ ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الْجَيْشِ ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ وَحَسَّانُ لِأُنَيْفِ
ابْنِ مِلَّةٍ : كُفَّ عَنَّا وَانصِرْفْ ، فَإِنَّا نَخْشَى لِسَانَكَ ، فَوَقَفَ عَنْهُمَا فَلَمْ يَبْجُدَا
مِنْهُ حَتَّى جَعَلَتْ فَرَسُهُ تَبْعَثُ بِيَدَيْهَا وَتَوَثَّبُ ، فَقَالَ : لَأَنَا أَضْنُ بِالرَّجُلَيْنِ مِنْكَ
بِالْفَرَسَيْنِ ، فَأَرْخِي لِمَا ، حَتَّى أَدْرِكَهُمَا ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا إِذَا قَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ
فَكُفَّ عَنَّا لِسَانَكَ ، وَلَا تَشَأْمُنَا الْيَوْمَ ، فَتَوَاصَوْا أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ مِنْهُمْ إِلَّا حَسَّانُ
ابْنُ مِلَّةٍ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ كَلِمَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَدْ عَرَفَهَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ،
إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ قَالَ : بُورِي أَوْ ثُورِي ، فَلَمَّا بَرَزُوا عَلَى
الْجَيْشِ ، أَقْبَلَ الْقَوْمُ يَبْتَدِرُونَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ حَسَّانُ : إِنَّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ ، وَكَانَ
أَوَّلُ مَنْ لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ أَدَمٍ ، فَأَقْبَلَ يَسْأَلُهُمْ ، فَقَالَ أُنَيْفُ : بُورِي ،
فَقَالَ حَسَّانُ : مَهْلًا ، فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ حَسَّانُ : إِنَّا قَوْمٌ
مُسْلِمُونَ ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : فَاقْرَءُوا أُمَّ الْكِتَابِ ، فَقَرَأَهَا حَسَّانُ ، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ

حارثة : نادوا في الجيش : أن الله قد حرّم علينا ثمرة القوم التي جاءوا منها إلا من ختر .

قدومهم على الرسول وشعر أبي جمال

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حسان بن ملة ، وهي امرأة أبي وزر بن عدي بن أمية بن الضبيّب في الأسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأخذت بحقوقه ، فقالت أمّ القزّز الصلّمية : أنظفون بينناكم وتذرون أمهاتكم ؟ فقال أحد بني التلصيب : إنما بنو الضبيّب وسخروا ألسنتهم سائر اليوم ، فسميها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، ففككت يداها من حقوقه ، وقال لها : اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكنه ، فوجعوا ، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه ، فأنسوا في أهلهم ، واستمتعوا ذوداً لسويد بن زيد ، فلما شربوا عتقهم ، ركبوا إلى رفاعه بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعه بن زيد تلك الليلة ، أبو زيد بن عمرو ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبعجة بن زيد ، وبرذع بن زيد ، وعلبة بن زيد ، ومخربة بن عدي ، وأنيف بن ملة ، وحسان بن ملة ، حتى صبحوا رفاعه بن زيد بكرأع ربة ، بظهر الحرة على بئر هناك من حرة لينى ، فقال له حسان بن ملة : إلك لجالس نخل المغزى ونساء جذام أسارى قد غرّها كتابك الذي جئت به ، فعدا رفاعه ابن زيد يحمل له ، فجعل يشد عليه رحله وهو يقول :

هل أنتَ حيّ أو تُنادى حياً

ثم غدا وهم معه بأبيّة بن صفارة أخى الخصبىّ المقتول ، مبكرين من ظهر الحرّة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لا تُنذِخوا إِبْلكُمْ ، فَتُقَطَّعَ أَيْدِيَهُنَّ ، فزولوا عنهنّ وهن قيام ؛ فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ، ألاح إليهم بيده : أن تعالوا من وراء الناس ؛ فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق ، قام رجل من الناس فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء قوم سحرة ، فردّدها مرتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يَحْذُنَا في يومه هذا إلا خيراً . ثم دفع رفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان كتبه له . فقال : دونك يا رسول الله قديماً كتابه ، حديثاً غدره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا غلام ، وأعلن ؛ فلما قرأ كتابه استخبره فأخبرهم الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع بالقتلى ؟ (ثلاث مرّات) . فقال رفاعة : أنت يا رسول الله أعلم ، لا نحرّم عليك حلالاً ، ولا نُحِلُّ لك حراماً ، فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حيّاً ، ومن قُتِل فهو تحت قدسي هذه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا عليّ فقال له عليّ رضي الله عنه : إن زيد ألن يُطِيعني يا رسول الله ، قال : فخذ سيفي هذا ، فأعطاه سيفه ، فقال عليّ : ليس لي يا رسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لشعبلية بن عمرو ، يقال له مِكْحَال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقه من إبل أبي وبرة ، يُقال لها : الشَّير ، فأنزلوه عنها ، فقال : يا عليّ ، ماشائي ؟ فقال : ما لهم ، عَرَفُوهُ فأخذوه ، ثم ساروا فلقوا الجيش بزيّفاء الفحاحتين ، فأخذوا ما في أيديهم ،

حتى كانوا ينزعون لبيد المرأة من تحت الرجل ، فقال أبو جمال حين فرغوا
من شأنهم :

وَعَاذِلْهُ وَلَمْ تَنْفِذْ بِطَبِّهِ وَلَوْلَا نَحْنُ حُشٌّ بِهَا السَّيْرِ
تُدَافِعُ فِي الْأَسَارَى بِابْتِنَائِهَا وَلَا يُرْجَى لَهَا عِثْقُ يَسِيرِ
وَلَوْ وَكَلْتَ إِلَى عُمُوسٍ وَأَوْسٍ تَخَارَ بِهَا عَنِ الْعِثْقِ الْأُمُورُ
وَلَوْ شَهِدْتَ رَكَابِنَا بِمَضَرِّهِ تُحَاذِرُ أَنْ يُعْلِلَ بِهَا الْمَسِيرُ
وَرَدْنَا مَاءَ يَثْرِبَ عَنْ حِفَاطِ لَرَبْعٍ إِنَّهُ قَرَبَ ضَرِيرُ
بِكُلِّ مُجَرَّبٍ كَالسَّيْدِ نَهْدٍ عَلَى أَقْتَادٍ نَاجِيَةٍ صَبُورُ
فِدَى لِأَبِي سُلَيْمَى كُلِّ جَيْشٍ يَيْثَرِبَ إِذْ تَنَاطَلَتِ النُّجُورُ
غَدَاةَ تَرَى الْمُجَرَّبَ مُسْتَكِينًا خِلَافَ الْقَوْمِ هَامَتُهُ تَدُورُ

قال ابن هشام : قوله : ﴿ وَلَا يُرْجَى لَهَا عِثْقُ يَسِيرٍ ﴾ . وقوله : ﴿ عَنْ
الْعِثْقِ الْأُمُورُ ﴾ عن غير ابن إسحاق .

تَمَّتِ الْفَرَاةُ ، وَهَدْنَا إِلَى تَفْصِيلِ ذِكْرِ السَّرَايَا وَالْبُعُوثِ .

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضاً الطرف من ناحية نخل .
من طريق العراق .

غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة ومصاب أم قرفة

بعض من أصيب بها

وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادى القرى ، أتى به بنى فزارة ، فأصيب بها ناس من أصحابه ، وارتث زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب ورد بن عمرو ابن مَدَاش ، وكان أحد بنى سعد بن هذيل ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن هشام : سعد بن هذيم .

معاودة زيد لهم

قال ابن إسحاق : فلما قَدِمَ زيد بن حارثة آلى أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة ؛ فلما استقبل من حِراحتة بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة فى جيش ، فقتلهم بوادى القرى ، وأصاب فيهم ، وقتل قَيْسُ بنُ المُسَحَّرِ اليَمُمرى مَسْعَدَةَ بنَ حَكَمَةَ بنِ مالِك بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بدر ، وأسیرت أم قِرْفَةَ فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كانت عجوزاً كبيرة عند مالِك بن حُذَيْفَةَ بن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مَسْعَدَةَ ، فأمر زيد بن حارثة قَيْسَ بنَ المُسَحَّرِ أن يَقْتُلَ أم قِرْفَةَ ، فقتلها قتلاً عنيفاً ؛ ثم قَدِمُوا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قِرْفَةَ ، وبابن مَسْعَدَةَ .

شأن أم قرفة

وكانت بنت أم قِرْفَةَ لِسَلَمَةَ بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ،

وكانت في بيت شرف من قومها ؛ كانت العرب تقول : لو كنت أعز من أم
قرقة ما زدت . فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة ، فوهبها له ، فأهداها
خلاله حزن بن وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

شعر ابن المسحر في قتل مسعدة

قتال قيس بن المسحر في قتل مسعدة :

سَمَيْتُ بَوْرِدٍ مِثْلَ سَعْنَى ابْنِ أُمِّهِ وَإِنِّي بَوْرِدٌ فِي الْحَيَاةِ لَثَائِرُ
كَرَرْتُ عَلَيْهِ الْمَهْرَ لَمَّا رَأَيْتُهُ عَلَى بَطَالٍ مِنْ آلِ بَدْرِ مُغَاوِرُ
فَرَكَبْتُ فِيهِ قَعَضِيًّا كَأَنَّهُ شِهَابٌ بِمَعْرَاةٍ يُدَاكِي لِنَاطِرِ

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام

وغزوة عبد الله بن رواحة خير مرتين : إحداهما التي أصاب فيها اليسير
بن رزام . قال ابن هشام : ويقال ابن رازم .

مقتل اليسير

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه ، منهم عبد الله بن أنيس ، حليف بني
سليمة ، فلما قدموا عليه كلّموه ، وقرّبوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم استملاك وأكرمك ، فلم يزالوا به ، حتى خرج

مهمهم في نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره ، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر ، على ستة أميال ، ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطن له عبد الله بن أنيس ، وهو يريد السيف ، فاقتحم به ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليسير بمخروش في يده من شوحط ، فأثمه ، ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلاً واحداً أفلت على رجله ؛ فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل على شجته ، فلم تقح ولم تؤذ .

غزوة ابن عتيك خيبر

وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر ، فأصاب بها أبارافع بن أبي الحقيق .

غزوة عبد الله بن أنيس

لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي

مقتل ابن نبيح

وغزوة عبد الله بن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلة أو بمرنة ، يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ليفزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال عبد الله

ابن أنيس : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه قد بلغني أن ابن سفيان بن أبي نعيم الهذلي يجمع لي الناس ليفزوني ، وهو بنخله أو بمرنة ، فإنه فاقتله قلت : يا رسول الله ، انعمته لي حتى أعرفه . قل : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قسرة . قال : فخرجت متوشحاً سيفي ، حتى دُفعت إليه وهو في ظم من يرتاد لمن منزلاً ، وحيث كان وقت العصر ؛ فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القسرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ، أومئ برأسي ، فلما انتهيت إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أجل ، إني لفي ذلك . قال فمشيت معه شيئاً ، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظمائه منكباتاً عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني ، أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يا رسول الله . قال : صدقت .

إهداء الرسول عصا لابن أنيس

ثم قام بي ، فأدخلني بيته ، فأعطاني عصاً ، فقال : أمسك هذه العصا عندك يا هبة الله بن أنيس . قال : فخرجت بهلم على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرني أن أمسكها عندي . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسأله لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتني

هذه القصص؟ قال : آية بيني وبينك يوم القيامة . إن أقل الناس المتخضرون يومئذ ، قال : فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمت في كفنه ، ثم دفننا جميعاً .

شعر ابن أنيس في قتله ابن نبيح

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أنيس في ذلك :

تَرَكْتُ ابْنَ نُؤَيْرٍ كَالْحَوَارِ وَحَوْلَهُ نَوَاحٍ تُفَرِّي كُلَّ جَنَبٍ مُقَدِّدٍ
تَنَاوَلْتَهُ وَالظُّعْنُ خَلْفِي وَخَلْفَهُ بَأْسِيصٌ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَنَّدٍ
عَجُومٍ لِهَامِ الدَّارِ عَيْنَ كَانَهُ شِهَابٌ غَصَى مِنْ مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدٍ
أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَنْجُمُ رَأْسَهُ أَنَا ابْنُ أَنْيَسٍ فَارِسًا غَيْرَ مُقَدِّدٍ
أَنَا ابْنُ الْهَيِّ لَمْ يُنْزِلِ الدَّهْرُ قَدْرَهُ رَحِيبٌ فِئَاءِ الدَّارِ غَيْرُ مُزَنَّدٍ
وَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا بِصُرْبَةٍ مَاجِدٍ حَنِيفٌ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَكُنْتُ إِذَا مَمَّ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللَّسَانِ وَبِالْيَدِ
تَمَّتْ لِلْفَرَاةِ ، وَعُدْنَا إِلَى خَيْرِ الْعَمُوثِ .

غزوات آخر

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله ابن رواحة مؤننة من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعاً ، وغزوة كعب بن عمير الغفاري ذات أطلاق ، من أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً . وغزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن العنبر من بني تميم .

غزوة عيثة بن حصن بن الغنبر من بني تميم

وعد الرسول عائشة بإعطائها سبياً منهم لتعتقه

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناساً ، وسبي منهم أناساً .

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إن كهل رَقَبَةً من ولد إسماعيل . قال : هذا سَبْيُ بني الغنبر يقدّم الآن ، فتمطيك منهم إنساناً فتعتقينه .

بعض من سبي وبعض من قتل وشعر سلمى في ذلك

قال ابن إسحاق : فلما قَدِمَ بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ركب فيهم وفد من بني تميم ، حتى قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم ربيعة بن رُفيع ، وسبرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد ، ووزدان بن مُحَرِّز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وفِراس ابن حابس ؛ فكلّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فأعتق بعضاً ، وأفدى بعضاً ، وكان ممن قُتل يومئذ من بني الغنبر : عبدُ الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشَدَّاد بن فِرَاس ، وحنظلة بن دارم ، وكلاء ممن سَبَى من نساءهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكلاس بنت أريّ ونَجْوة بنت نهد ، ومُجمِعة بنت قيس ، وعمرّة بنت مَطَر . فقالت في ذلك اليوم سلمى بنت عَتَّاب :

لَعَمْرِي لَقْد لَاقْتُ عَدِيَّ بْنَ جَنْدَبٍ مِنْ الشَّرِّ مَهْوَاً شَدِيداً كَثُودَهَا
تَكْتَفِيهَا الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَغُيِّبَ عَنْهَا عِزُّهَا وَجُدُودَهَا

شعر الفرزدق في ذلك

قال ابن هشام : وقال الفرزدق في ذلك :

وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ قَامَ ابْنُ حَابِسٍ بِخُطَّةٍ سَوَّارٍ إِلَى الْمَجْدِ حَازِمٍ -
لَهُ أُطْلِقَ الْأَشْرَى الَّتِي فِي حِبَالِهِ مُغْلَلَةً أَعْنَأَقَهَا فِي الشَّكَاكِمِ -
كَتَبْتُ أُمَّهَاتِ الْخُلَافَةِ عَلَيْهِمْ غِلَاءَ الْمُفَادِي أَوْ سِيَاهَ الْقَاسِمِ -
وهذه الأبيات في قصيدة له . وعدى بن جندب من بني العنبر ، والعنبر
ابن عمرو بن تميم .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بني مرة

مقتل مرداس

قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كتاب ليث - أرض
بني مرة ، فأصاب بها مرداس بن نهيك ، حليفاً لهم من الحُرقة ، من جهينة ،
قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن هشام : الحُرقة ، فيما حدثني عُبَيْدَة .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال : أدركته

• • • • •

أنا ورجل من الأنصار ، فلما شهِرنا عليه السلاح ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله .
 قال : فلم نَنزِعْ عنه حتى قتلناه ؛ فلما قَدِمْنَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أخبرناه خبره ؛ فقال يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت :
 يا رسول الله ، إنه إنما قالها نعوذاً بها من القتل قال : فن لك بها يا أسامة ؟
 قال : فوالذي بعثه بالحق ما زال يردّها عليّ حتى لوددت أن ماضى من
 إسلامي لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ؛ قال : قلت :
 أنظرني يا رسول الله ، إني أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً ،
 قال : تقول بعدى يا أسامة ؛ قال : قلت بعدك .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل

إرسال عمرو ثم إمداده

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني عُذرة ، وكان من
 حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه يستنفر العرب إلى الشام وذلك
 أن أمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بليّ . فبعثه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إليهم يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام ، يُقال له
 السِّلْسَل . وبذلك سميت تلك الغزوة ، غزوة ذات السلاسل ؛ فلما كان عليه
 خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يئتمده ، فبعث إليه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أبا عُبَيْدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر
 وعمر ؛ وقال لأبي عُبَيْدة حين وجهه : لا تختلفا ؛ فخرج أبو عُبَيْدة حتى إذا قَدِمَ
 عليه ، قال له عمرو : إنما جئت ددألى ، قال أبو عُبَيْدة : لا ، ولكنى على

ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلا ليناسهلا ، هيناً عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لي ، فقال أبو عبيدة . يا عمرو ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : لا تختلفا ، وإنك إن عصيتني أطعته ، قال : فإني الأمير عليك ، وأنت مدد لي ، قال : فدونك . فصلى عمرو بالناس .

وصية أبي بكر رافع بن رافع

قال : وكان من الحديث في هذه الغزاة ، أني رافع بن أبي رافع الطائي ، وهو رافع بن عبيدة ، كان يحدث فيما يلقى عن نفسه ، قال : كنت امرأ نصرانياً ، وسميت مَرْجِس ، فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرَّمْل ، كنت أدق النساء في بيض النعام ينواح الرمل في الجاهلية ، ثم أغير على إبل الناس ، فإذا أضلها الرمل غلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبني فيه ، حتى أمرت بذلك الماء الذي خيأت في بيض النعام فأستخرج به ، فأشرب منه ، فلما أصلمت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال فقلت : والله لأختارن نفسي صاحباً ، قال : فصحبت أبا بكر ، قال : فكنت معه في رحله ، قال : وكانت عليه عباءة له قد كية ، فكان إذا نزلنا بسطها ، وإذا ركبنا لبسها ، ثم شگها عليه بخلال له ، قال : وذلك الذي له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفاراً : نحن نباع ذا العباءة ! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال : قلت : يا أبا بكر ، إنا صاحبك لينفعني الله بك ، فانصحنى وعلمني ، قال : لو لم تسألني ذلك لفعلت ، قال : أملك أن توحد الله ولا تشرك به شيئاً ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتي الزكاة ،

.....

وتصوم رمضان ، وتمج هذا البيت ، وتقتل من الجنابة ، ولا تأمّر على رجل من المسلمين أبداً . قال : قالت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فإني أرجو أن لا أشرك بالله أحداً أبداً ، وأما الصلاة فلن أتركها أبداً إن شاء الله ، وأما الزكاة فإن بك لي مال أو دها إن شاء الله ، وأما رمضان فلن أتركه أبداً إن شاء الله ، وأما الحج فلن أستطع أحج إن شاء الله تعالى ، وأما الجنابة فساغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلم تنهاني عنها ؟ قال : إنك إنما استجهدتني لأجهدك ، وسأخبرك عن ذلك ، إن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً ، فلما دخلوا فيه كانوا عواذ لله وجيرانه ، وفي ذمته ، فإياك لا تخفّر الله في جيرانه ، فينبطك الله في خفرتة ، فإن أحدكم يخفّر في جاره ، فيظل ناتبا عضله ، غضبا لجاره أن أصيب له شاة أو بدير ، فإله أشد غضبا لجاره . قال : ففارقت على ذلك .

قال : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر أبو بكر على الناس ، قال : قدّمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتني عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ، قال : فما حلك على أن تلي أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك أبداً ، خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة .

• • • • •

تقسيم عوف الأشجعي الجزور بين قوم

قال ابن إسحاق : أخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه حدث عن عوف ابن مالك الأشجعي ، قال : كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فصحبت أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم على جزور لهم قد نحرّوها ، وهم لا يقتلون على أن يُعضّوها ، قال : وكنت امرأً كَبِيقًا جازرًا ، قال : قُلت : أتعطونني منها عَشِيرًا على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشفرتين ، فجزأتها مكاني ، وأخذت منها جزءًا ، فحملته إلى أصحابي ، فاطبّخناه فأكلناه . فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أتى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ، فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيآن مافي بطونهما من ذلك ؛ قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجنّته وهو يصلي في بيته ؛ قال : قُلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قال : أعوفُ بن مالك ؟ قال : قلت : نعم ، بأبي أنت وأمي ، قال أصحاب الجزور ؟ ولم يزدني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئًا .

غزوة ابن أبي حذرر بطن إصم وقتل عامر

ابن الأضبط الأشجعي

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القَعْقَاع بن عبد الله بن أبي حذرر ، عن أبيه عبد الله بن أبي حذرر ، قال : بَعَثْنَا

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى إصم في نفر من المسلمين ، فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي ومُحَلَّم بن جَنَامَةَ بن قَيْس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إصم ، مرَّ بنا عامر بن الأَضْبَط الأشجعي ، على قَمُود له ، ومعه مُتَبِع له ووطب من لبن . قال : فلما مرَّ بنا سلم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحل عليه مُحَلَّم بن جَنَامَةَ ، فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره وأخذ متبِعَه . قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر ، نزل فينا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ، تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ النساء : ٩٤ . . . إلى آخر الآية .

قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ لهذا الحديث .

ابن حابس وابن حصن

يختصمان في دم ابن الأضبط إلى الرسول

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد ابن ضَمِيرَةَ بن سعد السُلَميَّ يحدث عن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده ، وكانا شهدا حُبَيْنًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم عد إلى ظل شجرة ، فجلس تحتها ، وهو بمُحَنِّين ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بدر ، يختصمان

في عامر بن أضيظ الأشجعي : عُيِّنَ يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غَطَفَان ، والأقرع بن حابس يدفع عن محمَّد بن جَنَامَة ، لـمـكانه من خُندف ، فتداولوا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نسمع ، فسمعنا عُيَيْنَة بن حِصْن وهو يقول والله يارسول الله لأدعه حتى أذيق نساءه من الحرقة مثل ما أذاق نساءي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا ، وهو يأبى عليه ، إذ قام رجل من بني ليث ، يقال له : مُـكَيْثِر ، قصير مجموع - قال ابن هشام : مُـكَيْثِل - فقال : والله يارسول الله ما وجدت لهذا القتل شهباً في غرة الإسلام إلا كنتم وردت فرُميت أولاها ، ففترت أخراها ، أسنن اليوم ، وغير غداً . قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده . فقال : بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال : فقبلوا الدية . قال : ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فقام رجل آدم ضرب طويل ، عليه حُلَّة له ، قد كان تهباً للقتل فيها : حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا محمَّد بن جَنَامَة ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم قال : اللهم لا تغفر لحمَّ بن جَنَامَة نلانا . قال : فقام وهو يتلقى دمه بفضل رده . قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا نرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له ، وأما ما ظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا .

موت محم وما حدث له

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : أُمِنْتَهُ بِاللَّهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ ! ثُمَّ قَالَ لَهُ الْقَاتِلَةُ لَاتِي قَالَ : قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا مَكَثَ مُحَمَّدٌ بْنُ جَنَامَةٍ إِلَّا سَبْعًا حَتَّى مَاتَ ، فَلَفَظْتَهُ - وَالَّذِي نَفْسُ الْحَسَنِ بِيَدِهِ - الْأَرْضُ ، ثُمَّ عَادُوا لَهُ ، فَلَفَظْتَهُ الْأَرْضُ ، ثُمَّ عَادُوا فَلَفَظْتَهُ ؛ فَلَمَّا غُلِبَ قَوْمُهُ عَمِدُوا إِلَى صُدَّيْنِ ، فَسَطَّحُوهُ بَيْنَهُمَا ثُمَّ رَضَّوْهُ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ حَتَّى وَارَوْهُ . قَالَ : فَبَاغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ الْأَرْضُ لَتَطَّابِقُ عَلَيَّ مِنْ هُوْشَرٍ مِنْهُ ، وَلَكِنْ اللَّهُ أَرَادَ أَنْ يَمِطَكُمْ فِي حُرْمٍ مَا يَنْبَغُ بِمَا أَرَأَكُمْ مِنْهُ .

دية بن الأضبط

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث : أن عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ وَقَيْسًا حِينَ قَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ وَخَلَاهُم ، يَامَعْشَرَ قَيْسٍ ، مَنَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَتِيلًا يَسْتَصْلِحُ بِهِ النَّاسُ ، أَفَأَمَنْتُمْ أَنْ يَلْعَنَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَلْعَنَكُمْ اللَّهُ بِلَعْنَتِهِ ، أَوْ أَنْ يَفْضَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِفَضْبِهِ ؟ وَاللَّهِ الَّذِي نَفْسُ الْأَقْرَعِ بِيَدِهِ لَتُسَلِّمُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَصْنَعَنَّ فِيهِ مَا أَرَادَ ، أَوْ لَاتَيْنِ بِخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَشْهَدُونَ بِاللَّهِ كُلُّهُمْ . اقْتُلْ صَاحِبَكُمْ كَافِرًا ، مَا صَلَّى قَطْ ، فَلَا تُطْلَنَ دَمُهُ ؛ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ ، قَبِلُوا الدِّيَةَ .

قال ابن هشام : محمٌ في هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق ، وهو محم
ابن جثامة بن قيس اللبي .

قال ابن إسحاق : ما جئتم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبي حدرد لقتل رفاعه بن قيس الجشمي

سبهم

قال ابن إسحاق : وغزوة ابن أبي حدرد الأسلمي الغالبة .

وكان من حديثها فيما بلغني ، عن لا أتهم ، عن ابن أبي حدرد ، قال :
تزوجت امرأة من قومي ، وأصدقتهما مائتي درهم ، قال : فحنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم أسستينه على نيكاحي ؛ فقال : وكم أصدقت ؟ قلت : مائتي
درهم يا رسول الله ، قال : سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن
وادمأزدم ، والله ما عندي ما أعينك به . قال : فلبنتُ أياها ، وأقبل رجل
من بني جُشم بن معاوية ، يقال له : رفاعه بن قيس ، أو قيس بن رفاعه ،
في بطن جُشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيساً على
على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم في جُشم وشرف . قال :
فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معي من المسلمين ، فقال :
اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارقاً عجماء ،

.

لُحْمٍ عَلَيْهَا أَحَدُنَا ، فَوَاللَّهِ مَا قَامَتْ بِهِ ضَعْفًا حَتَّى دَعَمَهَا الرِّجَالُ مِنْ خَلْفِهَا بِأَيْدِيهِمْ ، حَتَّى اسْتَقَلَّتْ وَمَا كَادَتْ ، ثُمَّ قَالَ : تَبَلَّغُوا عَلَيْهَا وَاعْتَقِبُوا هَا .

انتصار المسلمين ونصيب ابن أبي حدود

من فيه استئمان به على الزَّوْجِ

قال : فرجنا ومعتنا ملاحنا من النَّبْلِ وَالسَّيُوفِ ، حَتَّى إِذَا جِئْنَا قَرِيبًا مِنَ الْحَاضِرِ عُشَيْشِيَّةٍ مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ . قَالَ : كَمَنْتُ فِي نَاحِيَةٍ ، وَأَمَرْتُ صَاحِبِي ، فَكُنَّا فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنْ حَاضِرِ الْقَوْمِ ؛ وَقَالَتْ لَهَا : إِذَا سَمِعْتَانِي قَدْ كَبَّرْتُ وَشَدَدْتُ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ فَكَبِّرَا وَشُدَّا مَعِيَ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنَّا لَكَذَلِكَ نَنْتَظِرُ غِرَّةَ الْقَوْمِ ، أَوْ أَنْ نُصِيبَ مِنْهُمْ شَيْئًا . قَالَ : وَقَدْ غَشَيْنَا اللَّيْلَ حَتَّى ذَهَبَتْ فَحْمَةُ الْمِشَاءِ ، وَقَدْ كَانَ لَمْ رَاعٍ قَدْ سَرَّحَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَخَوَّفُوا عَلَيْهِ . قَالَ : فَقَامَ صَاحِبُهُمْ ذَلِكَ رِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ ، فَجَعَلَهُ فِي عُنُقِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا تَبِيعَنَّ أَثَرُ رَاعِيْنَا هَذَا ، وَلَقَدْ أَصَابَهُ شَرٌّ ، فَقَالَ لَهُ نَفَرٌ مَعَهُ : وَاللَّهِ لَا تَذْهَبْ ، نَحْنُ نَكْفِيكَ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ إِلَّا أَنَا ؛ قَالُوا : فَنَحْنُ مَعَكَ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَتَّبِعُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ . قَالَ : وَخَرَجَ حَتَّى يَمْرُبِي . قَالَ : فَلَمَّا أُمَكَّنِي نَفَحْتَهُ بِسَهْمِي ، فَوَضَعْتُهُ فِي فُؤَادِهِ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمُ ، وَوَثَبْتُ إِلَيْهِ ، فَاحْتَرَزْتُ رَأْسَهُ . قَالَ . وَشَدَدْتُ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ ، وَكَبَّرْتُ ، وَشَدَّ صَاحِبَايَ وَكَبَّرَا . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا النِّجَاءُ مِنْ فِيهِ ، عِنْدَكَ ، عِنْدَكَ ، بِكُلِّ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ نَسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ ، وَمَا خَفَ مَعَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ . قَالَ : وَاسْتَقْنَا إِبِلًا عَظِيمَةً ، وَغَنَمًا كَثِيرَةً ، فَجِئْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال : وجئت برأسه أحمله معي . قال : فأعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بغيراً في صدقي ، فجمعتُ إلى أهلي .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

شيء من وعظ الرسول لقومه

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا آتهم عن عطاء بن أبي رباح ، قال : سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال الإمامة من خلف الرجل إذا اغتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو سعيد الخدري ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل فتى من الأنصار ، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس ، فقال : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، أي المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقاً ؛ قال : فتأي المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكراً للموت ، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكبت الفتى ، وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا معشر المهاجرين ، خمسُ خصال إذا نزل بكم وأعوذ بالله أن تُدركوهن : إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُؤمنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع ، التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ؛ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور الشيطان ؛

ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ، فلولا البهائم ما مطروا ؛ وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سُلط عليهم عدو من غيرهم ، فأخذ بعض ما كان في أيديهم ؛ وما لم ينحكم أنتم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم .

تأثير ابن عوف واعتمائه

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتم بعامة من كرايس سوداء ، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ثم نقضها ، ثم عتمه بها ، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوها من ذلك ، ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتم ، فإنه أحسن وأعز ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء . فدفعه إليه حميد الله تعالى ، وصلى على نفسه ، ثم قال : خذ يابن عوف ، اغزوا جميعاً في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم . فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء .

قال ابن هشام : فخرج إلى دومة الجندل .

غزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر

نقاد الطعام وخبر دابة البحر

قال ابن إسحاق : وحدثني عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت ، عن أبيه ، عن جده عباد بن الصامت ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

سَرِيَّةً إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ ، عَلَيْهِمْ أَبُو مُعْبِيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَزُوْدُهُمْ جَرَابًا مِنْ تَمْرٍ ، فَحَمَلُ يَفُوْتُهُمْ إِيَّاهُ ، حَتَّى صَارَ إِلَى أَنْ يَمُدَّهُ عَلَيْهِمْ عِدْدًا . قَالَ : ثُمَّ نَفِدَ التَّمْرُ ، حَتَّى كَانَ يَعْطَى كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَةً . قَالَ : فَقَسَمْنَا يَوْمًا بَيْنَنَا . قَالَ : فَتَقَسَّصْتُ تَمْرَةً عَنْ رَجُلٍ ، فَوَجَدْنَا فَقْدَهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ . قَالَ : فَلَمَّا جَهَدْنَا الْجُلُوعَ أَخْرَجَ اللَّهُ لَنَا دَابَّةً مِنَ الْبَحْرِ ، فَأَصْبَحْنَا مِنْ لَحْمِهَا وَوَدَّ كُفَاهَا ، وَأَقْنَعْنَا عَلَيْهَا عَشْرِينَ لَيْلَةً ، حَتَّى سَمِعْنَا وَابْتَلْنَا ، وَأَخَذَ أَمِيرُنَا ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهَا ، فَوَضَعَهَا عَلَى طَرِيقِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَجْسِمٍ بَعِيرٍ مَعْنَا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ أَجْسِمُ رَجُلٍ مَنَا . قَالَ : فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَخَرَجَ مِنْ تَحْتِهَا وَمَا مَسَّتْ رَأْسَهُ . قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرْنَاهُ خَبَرَهَا ، وَسَأَلْنَاهُ عَمَّا صَنَعْنَا فِي ذَلِكَ مِنْ أَكْلِنَا إِيَّاهُ ، فَقَالَ : رَزَقَ رِزْقَكُمْوهُ اللَّهُ .

بعث عمرو بن أمية الضمري لقتال أبي سفيان بن حرب وما صنع في طريقه

قدومه مكة وتعرف القوم عليه

قال ابن هشام : وما لم يذكره ابن إسحاق من بُعُوثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَرَّايَاهُ بِمَثُ عُمَرُو بْنِ أُمَيَّةِ الضَّمْرِيِّ ، بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا حَدَّثَنِي مِنْ أَتَقَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، بَعْدَ مَقْتَلِ خُبَيْبِ بْنِ عَدَى وَأَصْحَابِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ، وَبَعَثَ مَعَهُ جُبَّارَ ابْنِ صَخْرٍ الْأَنْصَارِيَّ فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا مَكَّةَ وَحَبَسَا جَلِيلَهُمَا بِشُعْبٍ مِنْ شُعَابِ

يَأْجِجُ ، ثُمَّ دَخَلَ مَكَّةَ لَيْلًا ، فَقَالَ جَبَّارُ لَعْمَرُو : لَوْ أَنَا طَعْنَا بِالْبَيْتِ وَصَلَّيْنَا
رَكَعَتَيْنِ ؟ فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا تَعَشَّوْا جَلَسُوا بِأَفْنِيتِهِمْ ، فَقَالَ : كَلَّا ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقَالَ عَمْرُو : طَعْنَا بِالْبَيْتِ ، وَصَلَّيْنَا ، ثُمَّ خَرَجْنَا نُرِيدُ أَبَا سَفْيَانَ ،
فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَمُشِي بِمَكَّةَ إِذْ نَظَرُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَعَرَفَنِي ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ
أُمَيَّةَ : وَاللَّهِ إِنْ قَدِمَا إِلَّا الشَّرَّ ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : أَلْتَجَاءُ ، فَخَرَجْنَا لَمُتَدَّةً ،
حَتَّى أَصْعَدْنَا فِي جَبَلٍ ، وَخَرَجُوا فِي طَلَبِنَا ، حَتَّى إِذَا عَلَوْنَا الْجَبَلَ يَتَسَوَّاءُنَا ،
فَرَجَعْنَا ، فَدَخَلْنَا كَهْمًا فِي الْجَبَلِ ، فَبَقَيْنَا فِيهِ ، وَقَدْ أَخَذْنَا حِجَارَةً قَرْمَنَاهَا دُونَهَا ،
فَلَمَّا أَصْبَحْنَا عَدَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَقُودُ فَرَسًا لَهُ ، وَيُحَلِّي عَلَيْهَا ، فَفَقِشَيْنَا وَنَحْنُ
فِي الْغَارِ ، فَقُلْتُ : إِنْ رَأَيْنَا هَاجَ بَنِي ، فَأَخَذْنَا قَتَلْنَا .

قتله أبا سفيان وهربه

قال : ومعي خنجر قد أعددت لأبي سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على
نذيه ضربة ، وصاح صيحةً أسمع أهل مكة ، وأرجعُ فأدخلُ مكاني ، وجاءه
الناس يشتدون وهو بأخر رمق ، فقالوا : من ضربك ؟ فقال : عمرو بن أمية ،
وغلبه الموت ، فمات مكانه ، ولم يدل على مكاننا ، فاحتملوه . فقلت لصاحبي ،
لما أَمْسَيْنَا : النجاء ، فخرجنا لَيْلًا مِنْ مَكَّةَ نُرِيدُ الْمَدِينَةَ ، فَمَرَرْنَا بِالْحَرَسِ وَهُمْ
يَحْرُسُونَ جِيْفَةَ خُبَيْبِ بْنِ عَدَى ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ أَشْبَهَ
بِمِثْلَةِ عَمْرُو بْنِ أُمَيَّةَ ، لَوْلَا أَنَّهُ بِالْمَدِينَةِ لَقَاتَ هُوَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ ، قَالَ :
فَلَمَّا حَازَى الْخَشْبَةَ شَدَّ عَلَيْهَا ، فَأَخَذَهَا فَاحْتَمَلَهَا ، وَخَرَجَا شَدًّا ، وَخَرَجُوا
وَرَاءَهُ حَتَّى آتَى جُرْفًا بِمَهَبِطِ مَسِيلِ يَأْجِجِ ، فَرَمَى بِالْخَشْبَةِ فِي الْجُرْفِ ،

فَمِنْهُمْ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، قَالَ : وَقُلْتُ لِمَا جِي : النَّجَاءُ النِّجَاءُ ، حَتَّى
تَأْتِيَ بِمِيرِكَ فَتَقْعِدَ عَلَيْهِ ، فَإِنِ سَأَشْغَلَ عَنْكَ الْقَوْمَ ، وَكَانَ الْأَنْصَارُ
لَا رُجْلَةَ لَهُ .

قتله بكرىا في غار

قَالَ : وَمَضَيْتُ حَتَّى أَخْرَجَ عَلَى ضَجْنَانِ ثُمَّ أَوَيْتُ إِلَى جَبَلٍ ، فَأَدْخَلَ
كَهْفًا ، فَبَيْنَا أَنَا فِيهِ ، إِذْ دَخَلَ عَلَى شَيْخٍ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ أَمُورٌ ، فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ ،
فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ ؟ فَقُلْتُ : مَنْ بَنَى بَكْرٍ ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَنْ بَنَى بَكْرٍ ،
فَقُلْتُ : مَرَحِبًا ، فَاضْطَجِعْ ، ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ ، فَقَالَ :

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَا دَانَ لِإِدِينِ الْمُسْلِمِينَ
فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : سَتَعْلَمُ ، فَأَمَلَيْتُهُ ، حَتَّى إِذَا نَامَ أَخَذْتُ قَوْسِي ، فَجَعَلْتُ
سَيْتَهَا فِي عَيْنِهِ الصَّحِيحَةِ ، ثُمَّ تَحَامَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغْتُ الْعَظَمَ ، ثُمَّ خَرَجْتُ
النِّجَاءَ ، حَتَّى جِئْتُ الْقَرْجَ ، ثُمَّ سَلَكْتُ رَكُوبَةَ ، حَتَّى إِذَا هَبَطْتُ النَّقِيعَ
إِذَا رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، كَانَتْ قُرَيْشٌ بَعْثَتُهُمَا عَيْنًا إِلَى الْمَدِينَةِ
يَنْظُرَانِ وَيَتَحَسَّسَانِ ، فَقُلْتُ : اسْتَأْذِنَا ، فَأَبَيَا ، فَأَرَى أَحَدَهُمَا بِسَهْمٍ فَأَقْتَلُهُ ،
وَاسْتَأْذِنَ الْآخَرُ ، فَأَوْثَقْتُهُ رِبَاطًا ، وَقَدِمْتُ بِهِ الْمَدِينَةَ .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين

بعثه هو وضميرة وقصة السبي

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَسَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى مَدِينٍ . ذَكَرَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
حَسَنِ بْنِ حَسَنِ ، عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ اللَّهُ ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضَمِيرَة
مولى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سَبِيًّا من
أهل مِثْناء ، وهى السواحل ، وفيها جُمَاع من الناس ، فبيعوا ، ففُرِقَ بينهم ،
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقال : ما لهم ؟ فقيل :
بارسول الله ، فُرقَ بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبعيهم
إلا جِيعًا .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبي علفك

سبب نفاق أبي علفك

قال ابن إسحاق : وغزوة سالم بن عمير لقتل أبي علفك ، أحد بني عمرو
ابن عوف ثم من بني عُبَيْدَة ، وكان قد نَجَمَ نِفَاقُهُ ، حين قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحارث بن سُويْد بن صامت ، فقال :

لَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا وَمَا إِن أَرَى مِنْ النَّاسِ دَارًا وَلَا تَجْمَعَا
أَبْرَءُ عُهُودًا وَأَوْفَى لَيْتَن يُمَاقِدُ فِيهِمْ إِذَا مَا دَعَا
مِنْ أَوْلَادِ قَبِيلَةٍ فِي جَمْعِهِمْ يَهْدُ الْجِبَالَ وَلَمْ يَخْضَمَا
فَصَدَّعَهُمْ رَاكِبٌ جَاءَهُمْ حَالًا حَرَامٌ لَشَى مَعَا
فَلَوْ أَنَّ بِالْإِزِّ صَدَّقُومُ أَوْ الْمَلِكُ تَابَعُومُ نُبْعَا

.....

قتل ابن عمير له وشعر المزيرية

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم
ابن عمير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكّائين ، فقتله ، فقالت
أمامة المزيرية في ذلك :

تُكَذِّبُ دِينَ اللَّهَ وَالْهَرَّةَ أَحَدًا لِعَمْرٍو الَّذِي أَمْنَاكَ أَنْ يَنْسُرَ مَا يُمْنِي
حَبْلَكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طَمَعَةً أَبَا عَفْكَ خُذْهَا عَلَى كَبِيرِ السَّنِ

غزوة عمير بن عدى الخطمي لقتل عصماء بنت مروان

تفاتها وشعرها في ذلك

وغزوة عمير بن عدى الخطمي عصماء بنت مروان ، وهي من بنى أمية
ابن زيد ، فلما قُتِلَ أَبُو عَفْكَ نَافَقَتْ ، فَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ الْفَضِيلِ
عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : وَكَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي خَطْمَةَ ، وَيُقَالُ لَهُ يُزَيْدُ بْنُ زَيْدٍ
فَقَالَتْ تَعْيِبَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ :

بَاسَتْ بَنِي مَالِكٍ وَالنَّبِيَّتِ وَعَوَفٍ وَهَاسَتْ بَنِي الْخَزَرَجِ
أَطَقْتُمْ أَتَاوَى مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْهِجِ
تُرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرَّهْوسِ كَمَا يُرْتَجَى مَرَقَ الْمُتَضَجِ
أَلَا أَيْفَ يَنْبَغِي غِرَةً فَيَقْطَعُ مِنْ أَمَلِ الْمُرْتَجَى

شعر حسان في الرد عليها

قال : فأجابها حسان بن ثابت ، فقال :

بَنُو وَائِلٍ وَبَنُو وَاقِفٍ وَخَطْمَةُ دُونَ بَنِي الْخَزَرَجِ
مَتَى مَادَعَتْ سَفْهًا وَنَمَحَا بِمَوَلَاتِهَا وَالْمَنَاسِيَا تَجِي
فَهَزَّتْ قِي مَاجِدًا عِرْقَهُ كَرِيمُ الدَّخِيلِ وَالْمَخْرَجِ
فَقَصَّرَجَهَا مِنْ تَجْمِيعِ الدِّمَا ، بَسَدَ الْهُدُوءِ فَلَمْ يَخْرُجِ

خروج الخطمي لقتلها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك ، أَلَا آخِذٌ لِي مِنْ ابْنَةِ
مَرْوَانَ ؟ فَمَسِمَحَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ
الْخَطْمِيُّ ، وَهُوَ عِنْدَهُ ؛ فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَرَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِهَا فَقَتَلَهَا ،
ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي
قَدْ قَتَلْتُهَا . قَالَ نَصَرْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَا عُمَيْرُ ، فَقَالَ : هَلْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : لَا يَنْقَطِعُ فِيهَا عَظْرَانٌ .

شأن بنى خطمة

فرجع عُمَيْرٌ إِلَى قَوْمِهِ ، وَبَنُو خَطْمَةَ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ مُوْجِهَةٌ فِي شَأْنِ بِنْتِ
مَرْوَانَ ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ بَنُونَ خَمْسَةَ رِجَالٍ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ مِنْ عِنْدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : يَا بَنِي خَطْمَةَ ، أَنَا قَتَلْتُ ابْنَةَ مَرْوَانَ ،

.....

فكيدوني جميعاً ثم لا تنظروُن . فذلك اليومُ أوّلُ ماعزِ الإسلامِ في دارِ
بنى خَطْمَةَ ، وكان يستخفى بإسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أوّلَ من أسلم
من بنى خَطْمَةَ عُمَيْرُ بْنُ عَدَى ، وهو الذي يُدعى للقارىء ، وعبد الله بن أوس ،
ابن ثابت ، وأسلم ، يوم قُتِلَت ابنة مروان ، رجال من بنى خَطْمَةَ ، لما رأوا
وخزيمَةَ من عزِّ الإسلامِ .

أَسْرُ ثُمَامَةَ بْنِ أَثَالِ الْخَنْفِيِّ وَإِسْلَامِهِ

والسرية التي أسرت ثُمَامَةَ بْنَ أَثَالِ الْخَنْفِيِّ

إِسْلَامُهُ

بلغنّى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه قال : خرجت خمل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت رجلاً من بنى حَنَيفَةَ ، لا يشعرون
من هو ، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتدرون من
أخذتم ، هذا ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالِ الْخَنْفِيِّ ، أحسنوا إسلامه . ورجع رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابشروا به
إليه ، وأمر بِلِقْحَتِهِ أَنْ يُغْدَى عَلَيْهِ بِهَا وَيُرَاحَ ، فجعل لا يقع من ثُمَامَةَ موقماً
ويأتيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيقول أسلم يا ثُمَامَةَ ، فيقول : إنيها يا محمد ،
إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن ترد الفداء فسَلْ ماشئت ، فسكت ما شاء الله أن يمكث ،
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يوماً : أطلقوا ثُمَامَةَ ، فلما أطلقوه خرج حتى
أتى البقيع ، فتطهر فأحسن طهوره ، ثم أقبل فهاجع للنبي صلى الله عليه وسلم

على الإسلام ؛ فلما أمسى جاءوه بما جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وبالأقحى فلم يُصب من حلابها إلا يسيرا ، فعجب المسلمون من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : ممّ تعجبون ؟ أمين رجل أكل أوّل النهار في مِعى كافر ، وأكل آخر النهار في مِعى مسلم ! إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل في مِعى واحد .

خروجه إلى مكة وقصته مع قريش

قال ابن هشام : فبلغني أنه خرج مُعتبرا ، حتى إذا كان ببطن مكة لقي ، فكان أول من دخل مكة يُلبّي ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اخترت علينا ، فلما قدموه ليضربوا عنقه ؛ قال قائل منهم : دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم ، فخلّوه ، فقال الحنفى في ذلك :

وَمِنَّا الَّذِي آتَى بِمَكَّةَ مُنْهَلًا بَرَغَمَ أَبِي سُفْيَانَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ

حدثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغض الوجوه إليّ ، ولقد أصبح وهو أحب الوجوه إليّ . وقال في الدين والبلاد مثل ذلك .

ثم خرج معتبرا ، فلما قدم مكة ، قالوا : أصبوت بأمام ؟ فقال : لا ، ولكني أتيت خير الدين ، دين محمد ، ولا والله لا اتصل إليكم حبة من اليمامة حتى بأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى اليمامة ، فمَنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك

تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ،
والأبناء بالجوع ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يخلى بينهم
وبين الحمل .

سرية علقمة بن مجزز

سبب إرسال علقمة

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزز .
لما قُتل وقاص بن مجزز المذلي يوم ذي قرد ، سأل علقمة بن مجزز
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه في آثار القوم ، ليدرك ثأره فيهم .

دعابة ابن حذافة مع جيشه

فذكر عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن
الحكم بن ثوبان ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم علقمة بن مجزز - قال أبو سعيد الخدري : وأنا فيهم - حتى إذا
بلغنا رأس غزأتنا أو كُنَّا ببعض الطريق ، أذن لطائفة من الجيش ، واستعمل
عليهم عبد الله بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وكانت فيه دُعابة ، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ، ثم قال
للقوم : أليس لي عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أفأنا آمركم بشيء
إلا فماتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا توابتم

.....

في هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجز ، حتى ظن أنهم واثبون فيها . فقال لهم : اجلسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدموا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمركم بمعضية منهم فلا تطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه ولم يأتوا كيداً .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يساراً

شان يسار

حدثني بعض أهل العلم ، عن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة محارب وفي ثعلبة عبداً يقال له يسار ، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في لقاح له كانت ترعى في ناحية الجلاء ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيس كعبة من بجيلة ، فاستوبشوا ، وطحلوا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

قتل البجليين وتنكيل الرسول بهم

فلما صحوا وانظوت بطونهم ، عدوا على راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسار ، فذبحوه وعرزوا الشوك في عينيه ، واستاقوا اللقاح . فبث رسول الله

.....

صلى الله عليه وسلم في آثارهم كُرُز بن جابر ، فَلَاحِقَهُمْ ، فَاتَى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم مَرَجِعَهُ مِنْ غَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ،
وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ .

غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن

وغزوة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن غزاها مرتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو اللدني : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي بن أبي طالب إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد في جُند آخر ، وقال :
إِنَّ التَّقِيْمَا فَالْأَمِيرُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

وقد ذكر ابن إسحاق بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي حَدِيثِهِ ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ فِي عِدَّةِ
الْبِعُوثِ وَالسَّرَايَا ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْعِدَّةُ فِي قَوْلِهِ تِسْعَةً وَثَلَاثِينَ .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

وهو آخر البعث

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ
ابْنَ حَارِثَةَ إِلَى الشَّامِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُوَلِّيَ الْخَيْلَ تُخُومَ الْبُلْقَامِ وَالْدَارُومِ ، مِنْ أَرْضِ
فِلَسْطِينَ فَتَجَبِّزَ النَّاسَ ، وَأَوْعَبَ مَعَ أَسَامَةَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بدء الشكوى

قال ابن إسحاق : فبينما الناس على ذلك ابتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بقیة من صفر ، أو فى أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدى به من ذلك ، فيما ذكرلى ، أنه خرج إلى بقیة النرقدة ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدى بوجهه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن عمر ، عن عبيد بن جبير ، مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مؤييبة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : يا أبا مؤييبة ، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلقى معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم بأهل المقابر ، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، ينبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ؛ ثم أقبل على ، فقال : يا أبا مؤييبة ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة . قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، نخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، قال : لا والله يا أبا مؤييبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ،

.

ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعه الذي قبضه الله فيه .

تريضه في بيت عائشة

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه . قالت : ثم قال : وما ضرك لو مت قبل ، فممت عليك وكفنتك ، وصليت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكانني بك ، لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي ، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فقبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقام به وجهه ، وهو يدور على نسائه حتى استمر به وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي ، فأذن له .

حجة الوداع

ذكر فيها حديث عائشة وقولها : فأهلاًنا بالحج وما نذكر إلا أمر الحج ، وهذا يدل على أنهم أفردوا ، وقد بين ذلك جابر في حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أفرد الحج ، وهذا هو الصحيح في حديث جابر^(١) ، وقد روى

(١) يقول الإمام ابن القيم : « وإنما قلنا إنه أحرم قارناً لبضعة وعشرين حديثاً صحيحة صريحة في ذلك ، ثم ساق - رضي الله عنه - اثنين وعشرين حديثاً =

من طَرُقَ فيها لَيْنٌ عن جابر أنه قال قَرَنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين الحُجِّ والمُعَمَّرَةِ ، وطافَ لهما طَوَافًا واحدًا ، وسعى لهما سَفْيًا واحدًا ، رواه الدَّارَقُطَنِي ^(١) ، وروى أيضًا أن جابرًا قال : حجَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ حِجَّاتٍ ، حِجَّتَيْنِ قَبْلَ الهجرة ، وحِجَّةً التي قَرَنَها بِمُعَمَّرَتِهِ ^(٢) ، وأما حديثُ ابنِ عباسٍ فصحيحٌ ، وقال فيه : طافَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن حجته ومُعَمَّرَتِهِ طَوَافًا واحدًا ، وقد اختلفَ عن عَلِيٍّ ، فروى عنه أنه طافَ عنهما طَوَافَيْنِ ، ولم يَختلفَ عنه أنه كان قارِنًا ، وكذلك حديثُ عثمان بنِ حُصَيْنٍ ، في أنه عليه السلام كان قارِنًا ، وأما حديثُ أنسٍ فصَرَّحَ فيه بأنه كان قارِنًا ، وقال : ما تَمُدُّونَا إِلَّا صَنِيعًا نَا سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يصرخُ بهم - أجمعين ^(٣) - يعني الحُجَّ والمُعَمَّرَةَ ، فاختلفت الروايات في إحرام

== يستدل بها على أنه صلى الله عليه وسلم أحرم قارِنًا لا مفردًا ، ثم نقل عن شيخه الإمام ابن تيمية ما يؤكد به أن الأحاديث في هذا متفقة لا مختلفة ، وإن بدت بطواهرها مختلفة . فراجعهُ فهو فصل رائع متع للامام الجليل ٣٦٩ وما بعدها ١٠ زاد المعاد .

(١) ورواه أحمد والترمذي . وفيه الحجاج بن أرطاة . وحديثه كما يقول ابن القيم لا ينزل عن درجة الحسن ما لم ينفرد بشيء ، أو يخالف الثقات .
(٢) رواه الترمذي ثم قال : وهذا حديث غريب من حديث سفيان . قال : وسألت محمدًا - يعني البخاري - عن هذا فلم يعرفه من حديث الثوري ، وفي رواية : لا يعد بهذا الحديث محفوظًا . وإنما يروى عن الثوري عن أبي إسحاق السبعمي عن مجاهد مرسلًا .

(٣) وفي رواية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليكن حجاً وعمرة ، وحديث أنس في الصحيحين .

رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ترى : هل كان مُفْرِداً أو قَارِناً ، أو مُتَمَتِّعاً ، وكلها صِحَاحٌ إِلَّا مَنْ قَالَ : كَانَ مُتَمَتِّعاً ، وأراد به أنه أَهْلُ بَعْمُرَةٍ ، وأما مَنْ قَالَ : تَمَتَّعَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أَي : أَسْرَ بالتمتع ، وَفَسَخَ الْحَجَّ بِالْعُمْرَةِ ، فقد يصح هذا التأويلُ ، ويصح أيضاً أن يُقَالَ تَمَتَّعَ إِذَا قَرَنَ ، لأنَّ الْقِرَانَ ضَرْبٌ مِنَ الْمُتَمَتِّعِ لِمَا فِيهِ مِنْ إِسْقَاطِ أَحَدِ السَّفَرَيْنِ . والذي يرفع الإشكالَ حديثُ البخاري أنه أَهْلُ بِالْحَجِّ ، فلما كَانَ بِالْعَقِيقِ أَنَاءَ جَبْرِيلَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ بِهَذَا الْوَادِي الْبَارِكِ ، فَقُل : كَبَيْتُكَ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ مَعاً ، فَقَدْ صَارَ قَارِناً بَعْدَ أَنْ كَانَ مُفْرِداً ، وَصَحَّ الْقَوْلَانِ جَمِيعاً ، وَأَمْرُهُ لِأَصْحَابِهِ أَنْ يَفْسَخُوا الْحَجَّ بِالْعُمْرَةِ خُصُوصاً لَهُمْ ، وَلَيْسَ لغيرِهِمْ أَنْ يَفْعَلَهُ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِئَذْهَبَ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَمْرُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي تَحْرِيمِهِمُ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ ، فَكَانُوا يَرُونَ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ، وَيَقُولُونَ : إِذَا بَرَأَ الدَّبْرَ ^(١) ، وَعَقَا الْأَثْرَ ، وَانْسَلَخَ صَفَرُ حَلَّتِ الْعُمْرَةُ لِمَنْ اعْتَمَرَ ، وَلَمْ يَفْسَخْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّهَ كَمَا فَعَلَ أَصْحَابُهُ ، لِأَنَّهُ سَاقِ الْهَدْيِ ، وَقَلَّدهُ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ وَقَالَ حِينَ رَأَى أَصْحَابَهُ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمْ خِلَافُهُ : لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَجْعَلْتُهَا عُمْرَةً ، وَلَمَّا سَفَتُ الْهَدْيَ ^(٢) ، قَالَ شَيْخُنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّمَا نَدِمَ عَلَى تَرْكِ

(١) الدبر : الجرح الذي يكون في ظهر البعير . . وقيل : هو أن يقرح خف البعير .

(٢) في صحيح البخاري عن ابن عباس قال : د أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي د ص ، في حجة الوداع ، وأمللنا ، فلما قدمنا مكة قال رسول الله =

ماهو أسهل ، وأزفق ، لأعلى ترك ما هو أفضل ، وأوفق ، وذلك لما رأى من كثرة أهله لأصحابه لما ألقته ، ولم يكن ساق الهدي معه من أصحابه إلا طلحة

== صلى الله عليه وسلم اجعلوا إلهالكُم بالحج عمرة إلا من قلده الهدي ، ويعلق الإمام ابن القيم على هذا الحديث : ورواية السنن له : ونحن نشهد الله علينا أنا لو أحرمنا بحج لأينا فرضاً علينا فسندنا إلى عمرة فمأخذاً من غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتباعاً لأمره : فوالله ما ندخ هذا في حياته ولا بعده ، ولا صبح حرف واحد يعارضه ولا خص به أصحابه دون من بعدهم ، بل أجرى الله سبحانه وتعالى على لسان راقية أن يسأله : هل ذلك مختص بهم ؟ فأجاب بأن ذلك كان لابد الإبه . قل ندري ما تقدم على هذه الأحاديث ، ص ٤٢٦ ، ٣٠٠ . زاد المعاد . وفي هذا رد على السوي في زعمه أن فسخ الحج بالعمرة كان خصوصاً لأصحاب النبي . ولقد قال سلمة بن شبيب لأحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله كل أمرت عندي حين إلا تلة واحدة قال : وما هي : قال تقول بفسخ الحج إلى العمرة ، فقال : يا سلمة كنت أرى لك عقلاً عندي في ذلك أحد عشر حديثاً صحاحاً عن رسول الله و ص ، أتركها لقولك ؟ المصدر السابق . ويقول : الإمام ابن القيم أيضاً عن الذين غلطوا في حج النبي و ص ، : ووم في حجه خمس طوائف :

الطائفة الأولى التي قالت : حج حجاً مفرداً لم يعتمر معه . الثانية : من قال : حج متمتعاً متمتعاً حل منه ، ثم أحرم بعده بالحج كما قاله القاضي أبو يعلى وغيره . الثالثة : من قال حج متمتعاً لم يحل منه لأجل سوق الهدي ، ولم يكن قارناً كما قاله أبو محمد بن قدامة صاحب المغنى .

الرابعة : من قال حج قارناً قرناً طاف له طوافين وسما له سبعين . الخامسة : من قال : حج حجاً مفرداً . اعتمر بعده من التعميم . ثم بين رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أحرم قارناً وساق الأدلة بالأحاديث . كما قال : حصل الترجيح لرواية من روى القرآن لوجوه عشرة ثم ذكر هذه الوجوه وزاد عليها خمسة أوجه أنظر ص ٣٨٢ ، ٣٩٠ ، زاد المعاد .

ابن عُبَيْدِ اللَّهِ ، فلم يَحِلَّ حتى نَحَرَ ، وَعَلَى أَيْضاً أُنِي مِنَ الْيَمَنِ وساق المدي فلم يَحِلَّ - إِلَّا بِاخْتِلَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقوله عليه السلام في خُطْبَةِ الْوَدَاعِ : وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَن رَبِيعَةَ كَانَتْ تُحْرِمُ فِي رَمَضَانَ ، وَتُسَمِّيهِ : رَجَبًا مِنْ رَجَبِ الرَّجُلِ وَرَجَبُتُهُ إِذَا عَظُمَتْهُ ، وَرَجَبْتُ النَّخْلَةَ إِذَا دَعَمَتْهَا ^(١) ، فَبَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ رَجَبُ مُضَرَ لَا رَجَبُ رَبِيعَةَ ، وَأَنَّهُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ^(٢) وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ قَوْلُهُ : إِنْ الزَّيْمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ ، وَتَقَدَّمَ اسْمُ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمُسْتَرْضِعِ فِي هُذَيْلٍ ، وَأَنَّ اسْمَهُ آدَمُ ، وَقِيلَ : تَمَامٌ ، وَكَانَ سَبَبَ قَتْلِهِ حَرْبُ كَانَتْ بَيْنَ قَبَائِلِ هُذَيْلٍ تَقَاذَفُوا فِيهَا بِالْحِجَارَةِ فَأَصَابَ الطِّفْلَ حَجَرٌ وَهُوَ يَحْبُو بَيْنَ الْبُيُوتِ ، كَذَلِكَ ذَكَرَ الزُّبَيْرُ .

بعث أسامة

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَامَةَ عَلَى جَيْشٍ كَثِيفٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَغِيرَ عَلَى أَبْنِي صِهَابَا ، وَأَنْ يَحْرِقَ ، وَأَبْنَاءُ ، هِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي عِنْدَ مُؤْتَةَ حَيْثُ

(١) الرَجَبُ أَنْ يَبْنَى تَحْتَ النَّخْلَةِ دَكَانَ تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ .

(٢) يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ : أَضَافَ رَجَبًا إِلَى مُضَرَ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْظُمُونَهُ خِلَافَ غَيْرِهِمْ ، فَكَانَهُمْ اخْتَصَمُوا بِهِ . وَقَوْلُهُ : بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ تَأْكِيدٌ لِلْيَاسَنِ ، وَإِبْضَاحٌ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَنْسُبُونَهُ وَيُؤْخِرُونَهُ مِنْ شَهْرِ إِلَى شَهْرٍ ، فَيَتَحَوَّلُ عَنْ مَوْضِعِهِ الْمُخْتَصَمِ بِهِ ، فَبَيْنَ لَهُمْ أَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ لَا مَا كَانُوا يَسْمُونَهُ عَلَى حِسَابِ النَّسَبِ .

قَتِلَ أَبُوهُ زَيْدٌ ، وَلِذَلِكَ أَمَرَهُ عَلَى حَدِّائَةِ سِنِّهِ لِيُذْرِكَ نَأْرَهُ ، وَطَعَنَ فِي إِمَارَتِهِ أَهْلُ الرِّيبِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنَّمَا تَخْلِقُ بِالْإِمَارَةِ ، وَإِن كَانَ أَبُوهُ تَخْلِيقًا بِهَا ^(١) ، وَإِنَّمَا طَعَنُوا فِي إِمْرَتِهِ ، لِأَنَّهُ مَوْلَى مَعَ حَدِّائَةِ سِنِّهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا كَانَ ابْنُ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْوَدَ الْجِلْدَةِ ، وَكَانَ أَبُوهُ أَيْبُضَ صَافِي الْبَيَاضِ ، نَزَعَ فِي اللَّوْنِ إِلَى أُمِّهِ بَرَكَةَ ، وَهِيَ أُمُّ الْيَمَنِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُهَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ وَيَسَّحُ خَشَمَهُ ، وَهُوَ صَغِيرٌ بِشُوبَةٍ ، وَعَثَرَ يَوْمًا فَأَصَابَهُ جَرَحٌ فِي رَأْسِهِ ، فَجَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسُ دَمَهُ وَيَمُجُّهُ ، وَيَقُولُ : لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً لَخَلِّينَاهَا ، حَتَّى يُرْغَبَ قَتْلُهَا ، وَكَانَ يَسْمَى الْحُبَّ مِنَ الْحُبِّ ^(٢) .

عدة الغزوات :

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ عِدَّةَ الْغَزَوَاتِ ، وَهِيَ سِتُّ وَعِشْرُونَ ، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : كَانَتْ سَبْعًا وَعِشْرِينَ ، وَإِنَّمَا جَاءَ الْخِلَافُ ، لِأَنَّ غَزْوَةَ خَيْبَرَ انْصَلَتْ بِغَزْوَةِ وَادِي الْقُرَى ، فَجَمَعَهَا بَعْضُهُمْ غَزْوَةً وَاحِدَةً ، وَأَمَّا الْبَعُوثُ وَالسَّرَايَا فَتَقِيلُ : هِيَ سِتُّ وَثَلَاثُونَ كَمَا فِي السِّكَاكِ ، وَقِيلَ : ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ وَهُوَ قَوْلُ الْوَاقِدِيِّ ،

(١) رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ ، وَمِنْ طَرِيقِهِ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ رَأَى ، بَعَثَ بِمَثَا وَأَمَرَ عَلَيْهِمَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَطَعَنَ النَّاسَ فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنْ تَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ كَانَ خَلِيفًا لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ ، وَإِنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ بَعْدَهُ .

(٢) لَهَا . الْحُبُّ مِنَ الْحُبِّ .

ونسب المسعودي إلى بضمهم أنَّ البُعُوثَ والسَّرايا كانت ستين . قاتل
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في تسع غزوات ، وقال الواقدي : قاتل
في إحدى عشرة غزوة ، منها الغابة ووادي القرى والله أعلم .

إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

المحاربون :

ذكر فيه إرسال عيسى بن مريم الخواريين ، وأصبح ما قيل في معنى
الخواريين أن الخواريَّ هو الخُلصانُ ، أي الخالصُ الصافي من كل شيء ،
ومنه الخواريُّ ، والخور : وقول المفسرين هو : الخُلصانُ كلمة فصيحة ،
أنشد أبو حنيفة :

خَلِيلِيَّ خُلصَانِيَّ لم يُبقِ حُبُّها من القلب إِلَّا عَوْدًا سَبِيحًا لها^(١)
قال : والعَوْدُ ما لم تُدرِكْهُ الماشية لارتفاعه ، أو لأنه بأهداف ، فكانه
مقد عاذ منها .

معنى المسيح ونهايته :

وأصبح ما قيل في معنى المسيح على كثرة الأقوال في ذلك أنه الصَّديق

(١) البيت الكيت . وروايته في اللسان : خليلي ، و : سينالها . بدلًا من :
خليلي ، و : سيبا لها . والعوذ : ما عيذ به من شجر أو غيره وما لم يرق : مع
إلى الأغصان . ومنعه الشجر من أن يرمى من ذلك . وقيل : هي أشياء تكون
في غلظ لا ينالها المال . اللسان .

(م ٣٣ — الروض الأنف ج ٧)

بلغتهم ، ثم عَرَّبَتْهُ الْعَرَبُ . وكان لإرسالُ الْمَسِيحِ للحواريين بعد ما رُفِعَ وصُلبَ الذي شُبِّهَ به ، فجاءت مريمُ الصَّدِيقَةُ والمرأةُ التي كانت مَجْنُونَةً ، فأبرأها المسيحُ ، وقعدتا عندَ الجذعِ تَبْكِيَانِ ، وقد أصابَ أُمَّهُ من الحزنِ عليه ما لا يعلمُ علمه إلا اللهُ ، فأهبطَ إليهما ، وقال : عَلى مَ تَبْكِيَانِ ؟ فقالتا : عليك ، فقال لى لم أَفْعَلْ ، ولم أَصَابْ ، ولكن الله رَدَّنِي وَكَرِهَنِي ، رَشَّبَهُ عَلَيْهِمْ فى أُمْرِى ، أبلغا عَنِ الْخَوَارِيِيِّنَ أُمْرِى ، أَن يَلْقَوْنِي فى مَوْضِعٍ كَذَا لَيْلًا ، فجاء الْخَوَارِيِيُّونَ ذلكَ المَوْضِعَ ، فإذا الْجَبَلُ قد اشتعلَ نوراً لنزوله به ، ثم أمرهم أَن يَدْعُوا النَّاسَ إلى دينِهِ وعبادةِ رَبِّهِمْ ، فوجههم إلى الأُمَمِ التى ذكرَ ابنُ إِسْحَاقَ وغيره ، ثم كَسَى كُنُوسَةَ الْمَلَائِكَةِ ، فَمَرَجَ مَعَهُمْ ، فَصَارَ مَلَكِيًّا إِنْسِيًّا سَمَائِيًّا أَرْضِيًّا^(١) .

فصل : وذكر فى الأُمَمِ : الأُمَمَةُ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ النَّاسَ ، وَهُمْ مِنَ الْأَسَاوِدَةِ فِيمَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِي .

أَسْطُورَةُ زُرَيْب :

وذكر فى الْخَوَارِيِيِّنَ زُرَيْبَ بْنَ بَرَثُمَيْلِي^(٢) وهو الذى عاش إلى زمن .

- (١) قصة مخترعة لا ينسبها إلى الحقِّ سندٌ صحيح . ولكنها فى كتب المسيحيين والحقِّ الثابت الذى لا ريب . فيه أنهم ما قتلوه وما صابوه ، ولكن شبه لهم .
(٢) فى الإصابة ترملا وترملى . وفى سفر أعمال الرسل من العهد الجديد : برثولماوس بدون زريب وسند قصة زريب سند ضعيف . وعند ابنِ حاتم ، أن صاحبه هو جعونة بن نضلة ، وعند غيره نضلة بن معاوية .

عُمَرَ وَسَمِعَ نَضْلَةَ بْنِ معاويةَ أَذَانَهُ فِي الْجَبَلِ فَكَلَّمَهُ ، فَإِذَا رَجُلٌ عَظِيمُ الْخَلْقِ رَأْسُهُ كَدُورُ
الرَّحَى ، فَسَأَلَ نَضْلَةَ وَالْجَيْشَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَالُوا : قُبِضَ ، وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالُوا : قُبِضَ ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ عَنْ عُمَرَ ، فَقَالُوا :
هُوَ حَيٌّ ، وَنَحْنُ جَيْشُهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَقْرَبُوهَ مِنِّي السَّلَامَ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَبْلُغُوا عَنْهُ
وَصَايَا كَثِيرَةً ، وَأَنْ يُنْهَضَرَ النَّاسَ مِنْ خِصَالٍ إِذَا ظَهَرَتْ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ، فَقَدْ قَرُبَ
الْأَمْرُ ، وَمِنْهَا لَبَسَ الْحَرِيرَ ، وَشَرَبَ الْخَمْرَ ، وَأَنْ يَكْتَفِيَ الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ
وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ ^(١) .

وَذَكَرَ فِيهَا أَيْضًا الْمَعَارِفَ وَالْقِيَانَ وَأَشْيَاءَ غَيْرَ هَذِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : مَنْ أَنْتَ
يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ زُرَيْبُ بْنُ بَرْثُمَلَةَ حَوْرَائِيُّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَاكَ
اللَّهُ أَنْ يُخَيِّتَنِي ، حَتَّى أَرَى أُمَّةً مُحَمَّدٌ ، أَوْ نَحْوَ هَذَا الْكَلَامِ ، وَقَدْ أَرَدْتُ الْخُلُوصَ
إِلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ أُسْتَطِعْ ، حَالُ بَيْتِي وَبَيْنَهُ الْكُفَّارُ .

وَذَكَرَ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ طَرِيقِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا أَنَّ
عُمَرَ قَالَ لِنَضْلَةَ إِنْ لَقَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : إِنْ بِذَلِكَ الْجَبَلُ وَصِيًّا مِنْ أَوْصِيَاءِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْخَبَرُ هَذَا
مَشْهُورٌ عَنْهُ ، وَفِيهِ طَوْلٌ فَاخْتَصَرْنَاهُ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ الْآنَ حَيٌّ . وَمَنْ قَالَ : إِنْ
اتَّخِضَ وَإِلْيَاسَ قَدْ مَاتَا ، فَمَنْ أَصْلُهُ أَيْضًا أَنْ زُرَيْبًا قَدْ مَاتَ ، لِأَنَّهُمْ يَحْتَجُونَ

(١) كل هذا سندُه ضعيف كما قرر الحافظ في الفتح . والعجب أن يفتري
في بعض الروايات أنه سيقى إلى نزول عيسى !!

بالحديث الصحيح : إلى رأس مائة سنة ، لا يبقى على الأرض ممن هو عليها
أحد^(١) .

رسول إلى النجاشي وقيصر :

فصل : وذكر إرسال عمرو بن أمية إلى النجاشي ، وقد قدمنا ذكر ما قال
وما قيل له ، وكذلك ذكرنا خبر سليط مع هوزة ، وما قال له ، وخبر عبد الله بن
حذافة مع كسرى ، وكلامه معه ، ونذكر هنا بقية الإرسال ، وكلامهم
فمنهم : دحية بن خليفة الكلبي ، فقدم دحية على قيصر ، وقد ذكرنا معنى
هذا الاسم ، أعني اسم دحية ، واسم قيصر فيما مضى من الكتاب ، فلما قدم
دحية على قيصر ، قال له : « يا قيصر أرسلني إليك من هو خير منك ، والذي
أرسله هو خير منه ومنك ، فاسمع بذل ، ثم أجب بنصح ، فإنك إن لم تذل
لم تفهم ، وإن لم تنصح لم تُنصف ، قال : هات ، قال : هل تعلم أكان المسيح
يُصلَّى ؟ قال : نعم ، قال : فإني أدعوك إلى من كان للمسيح يُصلَّى له ، وأدعوك

(١) وعلى هذا أجمع الأئمة . فقد كان صاحب موسى عبداً صالحاً بشراً ،
والبشر لا يخلدون في الدنيا . وإلياس كذلك .

كلمة عن الحوارين : ما ذكر في السيرة عنهم مستمد من أسفار المسيحيين وبين
اتهامهم في السيرة وأسمائهم في الأسفار اختلاف يسير . ولست أدري كيف يعمل
من يولس تاباً طيباً ؟ وهو الذي افترى أصول المسيحية المثلثة المأولة لعبد الله
ورسوله عيسى وعاش يمجّد اليهودية وحدها بأحقادها !!

أنظر رسائله في العهد الجديد .

إلى من دَبَّرَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْمَسِيحَ فِي بطن أمه ، وأدعوك إلى هذا
النبي الأُمِّي الذي بشر به موسى ، وبشر به عيسى بن مَرْيَم بعده ، وعندك
من ذلك أَمَارَةٌ مِنْ عِلْمِ تَكْفِي مِنَ الْعِيَانِ وَتَشْفِي مِنَ الْخَلْبِ ، فَإِنْ أَجَبْتَ كَانَتْ
لَكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ، وَإِلَّا ذَهَبَتْ عَنْكَ الْآخِرَةُ وَشُورِكَتْ فِي الدُّنْيَا ، وَاعْلَمْ
أَنَّ لَكَ رَبًّا يَفْصِمُ الْجَبَابِرَةَ ، وَيَغَيِّرُ النِّعَمَ ، فَأَخَذَ قَيْصَرُ الْكِتَابَ فَوَضَعَهُ
عَلَى عَيْنَيْهِ وَرَأْسِهِ وَقَبَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا رَكْتُ كِتَابًا إِلَّا وَقَرَأْتُهُ ، وَلَا عَالَمًا
إِلَّا سَأَلْتُهُ ، فَمَا رَأَيْتُ إِلَّا خَيْرًا ، فَأَمْسَيْتُ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ كَانَ الْمَسِيحُ يُصَلِّي لَهُ ،
فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُجِيبَكَ الْيَوْمَ بِأَمْرٍ أَرَى غَدًا مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ ، فَأَرْجِعْ عَنْهُ ،
فِيضِرُّنِي ذَلِكَ ، وَلَا يَنْفَعُنِي ، أَقِمْ حَتَّى أَنْظُرَ ، فَلَمْ يَأْبَثْ أَنْ أَتَاهُ وَفَاةُ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفِي غَزْوَةِ تَبُوكَ بَقِيَّةُ حَدِيثِ قَيْصَرَ ، فَانْظُرْ هُنَاكَ .

رسوله إلى المقوقس :

وَأَمَّا حَاطِبٌ فَقَدِمَ عَلَى الْمَقَوْقَسِ ، وَاسْمُهُ : جُرْبَنْجُ بْنُ مِينَاءَ ^(١) ، فَقَالَ لَهُ :
« إِنَّكَ قَدْ كَانَتْ رَجُلٌ قَبْلَكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ الرَّبُّ الْأَعْلَى ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ ،
وَالْأُولَى ، فَانْتَقَمَ بِهِ ، ثُمَّ انْتَقَمَ مِنْهُ ، فَأَعْتَبِرْ بِذِكْرِكَ ، وَلَا تَعْتَبِرْ بِكَ غَيْرُكَ ،
قَالَ : هَاتِ ، قَالَ : إِنْ لَكَ دِينًا أَنْ تَدْعَهُ إِلَّا مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَهُوَ
الْإِسْلَامُ ^(٢) ، السَّكَافِي بِهِ اللَّهُ فَقَدْ مَسَرَّاهُ . إِنْ هَذَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) ابن مينا بن قرقوب . وفي الإصابة : ومنهم من لم يذكر مينا كما جزم به
أبو عمر الكندي في أمراء مصر .

(٢) في المواهب : قَالَ : إِنْ لَنَا دِينًا لَنْ نَدْعَهُ إِلَّا مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، فَقَالَ

حاطب : ندعوك لله إلى دين الله وهو الإسلام

دعا الناس ، فكان أشدهم عليه قريش ، وأعداهم له يهود ، وأقربهم منه
النصارى ، واتمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد -
صلى الله عليه وسلم- ومادعاونا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة
إلى الإنجيل ، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته فخلق عليهم أن يطيعوه ،
فأت من أدركه هذا النبي ، ولسنا نهابك عن دين المسيح ، ولكن نأمرك
به « قال المقوقس : « إني قد نظرت في أمر هذا النبي ، فوجدته لا يأمر
بمزهود فيه ، ولا ينهى إلا عن مرغوب عنه ، ولم أجده بالساخر الصالح ،
ولا الكاذب الكاذب ، ووجدت معه آله^(١) النبوة بإخراج الخبيث والإخبار
بالنجوى^(٢) ، وسأناظر فأهدي للنبي صلى الله عليه وسلم أم إبراهيم القبطية ،
واسمها : مارية بنت شمعون ، واختها معها ، واسمها سيرين وهي أم عبد الرحمن

(١) في شرح المواهب : كذا في العميون ، أي : علامتها ، عبر عنها بالآلة .
لأنها سبب في تحقيقها ، وإظهارها . وفي الروض : آية . وهي العلامة بلا تكلف ،
غير أن الروض كما ترى ذكر آله فلعل صاحب المواهب كان يطلع على نسخة
أخرى .

(٢) يقال : إن المقوقس علم هذا من الأخبار الواردة عليه بذلك قبل كتابة
النبي إليه . فقد ذكر الواقدي أن المخيرة بن شعبة لقي المقوقس ، وسأله
عن النبي ، فلما أجابه بما أجابه به قال : هذا نبي مرسل إلى الناس كافة ، ولو أعاب
القبط والروم لا تبعوه . وعند ابن عبد الحكم أنه أخذ كتاب النبي د ص ، رخصه
إلى صدره ، وقال : هذا زمان النبي الذي نجد نفعه في كتاب الله ، وحفظ الكتاب
في حق من عاج . وقد ورد أن الكسوة كانت عشرين ثوباً . وانظر ص ٥٤ وما بعدها
كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم .

ابن حنّان بن ثابت^(١)، وغلاماً اسمه مابور^(٢)، وبغلة اسمها دُلْدُلٌ، وكِسْوَةٌ،
وقد حاكم قَوَارِيرَ كان يشرب فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وكان به^(٣).

سروته إلى المنذر بن ساوى :

وأما العلاء بن الحضرمي ، فقدم على المنذر بن ساوى^(٤) فقال له :
« يا مُنْذِرُ إنك عظيمُ العقل في الدنيا ، فلا تَصُغُرَنَّ عن الآخرة ، إن هذه
المَجُوسِيَّةُ شر دين أبس فيها تَكْرُمُ العرب ، ولا علم أهل الكتاب ،
يُنْكِرُونَ ما يُسْتَحْيَا من نِكَاحه ، ويأكلون ما يُتَكْرَّمُ على أكله ، ويمبدون

(١) وقيل إنه دص ، وهما الجهم بن قيس ، وقيل لمحمد بن مسلمة ، وقيل لدحية
ابن خليفة .

(٢) كان مابور خصياً ، ولم يعلو بأمره بادية الأمر ، فصارت يدخل على مارية ،
كما كان من عاداتهم ببلاد مصر ؛ فحمل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ، حتى قيل
لأنه الذي أمر النبي علياً بقتله ، فوجده خصياً فتركه . والحديث في صحيح مسلم
من طريق حماد بن مسلمة البداية لابن كثير ، ص ٢٧٣ ص ٤ ، وقد تقدم الكلام
عن هذا .

(٣) ورد أن الكسوة كانت عشرين ثوباً من القباطي كما ورد أنه أهدى إليه
سحاراً اسمه : يعفور ، وعلاء من بنها وألف مثقال ذهباً وخفين ساذجين أسريدين
وأقرأ ما كتبه المقوقس في كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٤٧ .

(٤) ابن الأختس بن بيان بن عمرو بن عبد الله بن زبد بن عبد الله بن دارم
القمي الدارمي العبدي ، لأنه من ولد عبد الله بن دارم - وأولاهم فيه - إلى زيعة بن
الرسول دص ، بعث جبراً مع حاطب ، فجبر من القبط . وهو رسول المقوقس
يمارية إلى النبي دص ، كما جاء في الإصابة والاستيعاب .

في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ، واستَ بعديم عقلٍ ، ولا رأيٍ ، فانظر : هل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تصدقه ، ولن لا يخون أن لا تأمنه ، ولن لا يخلف أن لا تثق به ، فإن كان هذا هكذا ، فهو هذا النبي الأُمِّي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول : ليت ما أمر به نهي عنه ، أو ما نهى عنه أمر به ، أو ليتَه زاد في عقوبه ، أو نقص من عقابه ، إن كل ذلك منه على أُمّية أهل العقل وفكر أهل البصر .

فقال المنذرُ : قد نظرتُ في هذه الأمر الذي في يدي ، فوجدته للدنيا دون الآخرة ، ونظرت في دينكم ، فوجدته للآخرة والدنيا ، فما يمنعني من قبول دين فيه أمانة الحياة وراحة الموت ، ولقد عجبت أُمس ، ممن يقبله ، وعجبت اليوم ممن برّؤه ، وإن من أعظام من جاء به أن يُعظّم رسوله ، وسأنظر .

مفتاح الجنة :

فصل : وما وقع في السيرة في حديث القلاء قولُ النبي عليه السلام له : إذا سُئِلَتْ عن مِفْتَاحِ الجنة فقل : مِفْتَاحُهَا : لا إله إلا الله ، وفي البخاري : قيل لوهب : أليس مِفْتَاحُ الجنة لا إله إلا الله ؟ فقال : بلى ، ولكن ليس من مِفْتَاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمِفْتَاح له أسنان فُتِحَ لك ، وإلا لم يُفْتَحْ لك ، وفي رواية غيره : أن ابن عباس ذكر له قول وهب ، فقال : صدق وهب ، وأنا أخبركم عن الأسنان ما هي ، فذكر الصلاة والزكاة وشرائع الإسلام .

عمرو والجلندي :

وأما عمرو بن العاصي ، فقدم على الجلندي^(١) ، فقال له : يا جلندي إنك وإن كنت مناً بعيداً ، فإنك من الله غير بعيد ، إن الذي تفرد بخلقك أدخل أن تفرد بعبادتك ، وأن لا تشرك به من لم يُشركه فيك ، واعلم أنه يميتك الذي أحياك ، ومُعيدك الذي بدأك ، فانظر في هذا النبي الأمي الذي جاء بالدنيا والآخرة ، فإن كان يريد به أجراً فامنه ، أو يبل به هوى فدعه ، ثم انظر فيما يحي به : هل يشبه ما يحي به الناس ، فإن كان يشبهه ، فله العيان ، وتخير عليه في الخبر ، وإن كان لا يشبهه فاقبل ما قال ، وخف ما وعد ، قال الجلندي : إنه والله لقد دأى على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أوّل من أخذ به ، ولا ينهى عن شر إلا كان أوّل تارك له ، وأنه يغلب فلا ينظر ، ويُنقلب فلا يعجز^(٢) وأنه يفي بالعهود ، ويُنجز المواعيد ، وأنه لا يزال سيراً قد أطلع عليه يساوي فيه أهله ، وأشهد أنه نبي^(٣) .

(١) ضبطه الجوهري بفتح اللام ، وجمعه القاموس من أوامه ، وقد ضبطه الحافظ في الفتح والإصابة بضبط الجوهري غير مبال بضبط شيخه صاحب القاموس ، وفي السيرة أنه أرسله إلى ابنه الجلندي . وأما وثيقة فيذكر في كتاب الردة عن ابن إسحاق أنه أرسل إلى الجلندي .

(٢) في الإصابة . فلا يعجز .

(٣) في الإصابة أنه أشهد أياتاً هي :

من الحق ثوب والنصيح نصيح
جلندي عمان في عمان يصيح
ينادي بها في الواديين فصيح

أتاني عمرو بالتي ليس بعدها
فقلت له : ما زدت أن جئت بالتي
فيا عمرو قد أسلت لله جهرة

شجاع ومبينة :

وأما شجاع بن وهب ، فقدم على جبلة بن الأيهم ، وهو جبلة بن الأيهم ابن الحارث بن أبي شمر ، وجبلة ، وهو الذي أسلم ثم تنصّر من أجل لطمّة حاكم فيها إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان طوله اثنتي عشرة شبراً ، وكان يسمح برجليه الأرض ، وهو راكب ، فقال له : يا جبلة إن قومك يقولوا هذا النبي الأمي من داره إلى دارهم ، يعني : الأنصار ، فأؤوه ، ومنعوه ، وإن هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك ، ولكنك ملكك الشام وجاورت بها الروم ، ولو جاورت كسرى دنت بدين القرس ملك العراق ، وقد أفرّ بهذا النبي الأمي من أهل دينك من إن فضّلناه عليك لم يُغضبك ، وإن فضّلناك عليه لم يرضك ، فإن أسلمت أظاعتك الشام وهابتك الروم ، وإن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا ولك الآخرة ، وكنت قد استقبلت المساجد بالبيع ، والأذان بالغانوس ، والجمع بالشمازين^(١) ، والقبلة بالصايب ، وكان معاً عند الله خير وأبقى ، فقال له جبلة : إني والله لو ددت أن الناس أجمعوا على هذا النبي الأمي اجتمعهم على خلق السموات والأرض ، ولقد سرتني اجتماع قومي له ، وأعجبتني قتله أهل الأوثان واليهود ، واستبقاؤه النصارى ، ولقد دعاني قيصر إلى قتال أصحابه يوم مؤتة ، فأبيت عليه ، فانتدب مالك بن نافلة

(١) عيد صليبي يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح يحتفل فيه بحمل السعف

تذكرى لدخول المسيح - كما قيل - بيت المقدس

من سعد المشيرة فقتله الله ، ولسكنى است أرى حقاً ينفعه ، ولا باطلا يضُرُّه .
والذى يَمُدُّنى إليه أقوى من الذى يَحْتَلِجُنِى عنه ، وسأُنظر .

المراهجر وابن كلال :

وأما المَهاجرُ بن أبى أمية ، فقدم على الحارث بن عبد كلال ، وقل له :
يا حارثُ ! إنك كنت أول من عَرَضَ عليه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ،
فخُطِّتْ عنه ، وأنت أعظمُ الملوك قَدْرًا ، فإذا نظرت في غلبة الملوك ، فانظر
في غالب الملوك ، وإذا سَرَّكَ يومك فَخَفْ غَدَكَ ، وقد كان قبلك ملوك ذهبت
آثارُها وبقيت أخبارُها ، عاشوا طويلاً ، وأملوا بعيداً وزوّدوا قليلاً ، منهم
من أدركه الموت ، ومنهم من أكلته النِّقَمُ ، وإني أدعوك إلى الرب الذى إن
أردت الهدى لم يَمْنَعَكَ ، وإن أَرادك لم يَمْنَعِهِ منك أحدٌ ، وأدعوك إلى النبيِّ
الأميِّ الذى ليس له شيء أحسن مما يأمر به ، ولا أقيح مما ينهى عنه ، وعلم
أن لك رباً يُمَيِّتُ الحى ويُنحِى الميت ، ويعلم خائفة الأعين ، وما تُخْفِى
الصُّدُورُ ، فقال الحارث : قد كان هذا النبي عَرَضَ نفسه على فُخُطِّتْ عنه ، وكان
ذُخْرًا لمن صار إليه ، وكان أمرُه أمراً سَبَقَ ، فحضره اليأسُ وغاب عنه الطَّمَعُ ،
ولم يكن لى قرابة أحتمله عليها ، ولا لى فيه هوى أتبعه له ، غير أنى أرى
أمراً لم يوسوسه الكذب ، ولم يسند له الباطل . له بدءٌ سار ، وعاقبة نافعة ،
وسأُنظر . ومما قاله دحية بن خليفة فى قدومه على قيصر :

ألا هل أناها على نأيهما فإنى قدِمتُ على قيصر
فقد رته بصــــلالة المسية ح وكانت من الجواهر الأخر

وتدبِيرِ رَبِّكَ أَمْرَ السَّما ۖ والأَرْضِ فَأَغْصَىٰ ولم يُنْكِرِ
وقلت : تَقَرَّ بِبُشْرَى الْمَسِيحِ ۖ ج ، فقال : سأَنْظُرُ ، قلت : انْظُرِ
فَكَادَ يُقِرُّ بِأَمْرِ الرِّسُولِ ۖ لِي فَالَ إِلَى الْبَدَلِ الْأَعْوَرِ
فَشَكََّ وَجَاشَتْ لَهُ نَفْسُهُ وَجَاشَتْ نَفْسُ بَنِي الْأَصْفَرِ
عَلَى وَضْعِهِ بِمَدِيْنَةِ الْكُتَا ۖ بَ عَلَى الرَّأْسِ وَالْأَعْيُنِ وَالْمَنْخَرِ
فَأَصْبَحَ قَيْنَصَرُ مِنْ أَمْرِهِ ۖ بِمَنْزِلَةِ الْفَرَسِ الْأَشْقَرِ

يريد بالفرس الأشقر مثلاً للعرب يقولون :

أَشْقَرُ إِنِّي بَيِّتَقْدَمُ بَنَحْرٍ وَإِنِّي بَيِّتَأْخِرُ مُبَعْقَرٍ
وقال الشاعر في هذا المعنى :

وَهَلْ كُنْتُ^(١) إِلَّا مِثْلَ سَيْقَةِ الْعِيدِ

إِنِ اسْتَقْدَمْتُ تَحَرَّ ، وَإِنِّي جَبَّاتُ عَقْرِ

وفي حديث دِحْيَةَ مِنْ رِوَايَةِ الْحَارِثِ فِي مُسْنَدِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : مَنْ يَنْطَلِقَ بِكَتَابِي هَذَا إِلَى قَيْنَصَرَ وَلَهُ الْجَنَّةُ ، فَقَالُوا : وَإِن لَمْ يَقْتُلْ بِأَرْسَلِ اللَّهُ؟ قَالَ : وَإِن لَمْ يَقْتُلْ ، فَاَنْطَلِقْ بِهِ رَجُلٌ يَعْنِي دِحْيَةَ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثُ

غزوة عمر :

فصل : وَذَكَرَ غَزْوَةَ عُمَرَ إِلَى تَرْبَةَ ، وَهِيَ تَرْبَةُ بَفَتْحِ الرِّاءِ أَرْضُ

١ - رَوَاهُ الْلسَانُ فِي حَادِثِي جَبَا وَسُوقِ بَدُونِ نَسَبَةٍ : وَهَلْ أَنَا ، وَفِي جَبَا

نَحْرٍ ، وَفِي سُوقٍ : نَجْرٍ

كانت تُخْشَعَم وفيها ساء المثل: صادف بطنه بطنُ ثَرْسَبَةٍ (١)، يريدون الشَّبَع
وَالْخَصْبَ. قال البكري: وكذلك: عُرْنَةُ بفتح الراء بمعنى التي عند عُرْفَةٍ.

ذكر غزوة ذات السلاسل

وَالسَّلَاسِلُ: مِيَاهُ واحِدُهَا سَنَسَلٌ (٢) وَأَنْ عَمَرُو بن العاصي كان الأميرَ
يَوْمَئِذٍ، وكان عليه السلامُ أمره أَنْ يسيرَ إلى بَيْلَى، وأن أم أبيه العاصي كانت
من بَيْلَى: واسمُها: سَلَمَى فيما ذكر الزبير (٣)، وأما أم عمرو، فهي لَيْلَى
تُلقَّبُ بالنَّابِغَةِ سُمِّيَتْ من بنى جِلَّانَ بن عَنقَرَةَ بن رَبِيعَةَ (٤).

وذكر في هذه السَّريَّةِ صُحْبَةَ رَافِعِ بن أبي رافع لأبي بكر، وهو رافع بن عُمَيْرَةَ
ويقال فيه: ابن عُمَيْر (٥)، وهو الذي كَلِمَةُ الذُّبِّ، وله شعر مشهورٌ في تَسْلِيمِ

(١) في معجم البكري: عرف بطنى بطن تربة، يضرب للرجل يصير إلى الأمر
الجلّى، وأول من قاله عامر بن مالك أبو براء.

(٢) في المراصد، السلاسل: جمع سلسلة ماء بأرض جذام، سميت به غزوة
ذات السلاسل. وفي معجم البكري ذات السلاسل جمع سلسلة رمل بالبادية ثم ذكر
رواية ابن إسحاق، ثم قال: والسلاسل في غير هذه الرواية ماء لجذام، وبه سميت
تلك الغزوة: ذات السلاسل.

(٣) أنظر ص ٤٠٨ من كتاب نسب قريش.

(٤) في نسب قريش: وأمه سبية من عنزة ص ٤٠٩. وفي الإصابة: أمه
النابغة من بنى عنزة بفتح المبهلة والنون.

(٥) في الإصابة: رافع بن عمرو بن جابر بن حارثة بن عمرو بن ع حصن، ويقال:
ابن عميرة. وقد ينسب لجدّه، وقيل هو رافع بن أبي رافع عده بعضهم في التابعين
مثل ابن سعد والعجلي.

الذئب له (١)، وكان الذئب قد أغار على غنمه فاتبعه ، فقال له الذئب : ألا أدلك على ما هو خير لك ، قد بعث نبي الله ، وهو يدعو إلى الله ، فالتق به ، ففعل ذلك . رافع وأسلم .

وذكر في حديثه مع أبي بكر أنه أطعمه وعمر لحم جزور ، كان قد أخذ منها عشرين على أن يُجزئها لأهلها ، فقام أبو بكر وهرم فتممها ما كلاً ، وقال : أَتُطْعِمُنَا مِثْلَ هَذَا ، وذلك ، والله أعلم أنهما كرها أجره مجهولة ، لأن العشر واحد الأعشار على غير (٢) قياس ، يقال : بُرْمَةٌ أَعْشَارٌ إِذَا انْكَسَرَتْ . ويجوز أن يكون العشر بمعنى العشر كلثنين بمعنى الثمن ، ولكنه عاملهم عليه قبل إخراج الجزور من جلدها ، وقبل النظر إليها ، أو يكونا كرها جزارة (٣) الجزار على كل حال والله أعلم .

مرفقة :

وذكر غزوة غالب بن عبد الله وقتله مرداس بن نهيك من الحرقية .

(١) منه :

فلا أن سمعت الذئب نادى يبشرني بأحد من قريب فآلفت النبي يقول قولاً صدوقاً ليس بالقول الكذب وليس للقصة سند يعتد به ، ولهذا لم يأت بها حديث واحد يحتملها أهل الحديث ولا ريب في أنها أسطورة .

(٢) في اللسان : «وأعشار الجذور : الانصباء ، والعشر : قطعة تنكسر من القدح أو البرمة كأنها قطعة من عشر قطع . والجمع أعشار ، وقدح أعشار ، .
(٣) إن كانت بكسر الجيم فهي حرقه الجزار ، وإن كانت بضمها فهي ما يأخذه الجزار من الذبيحة عن أجرته .

وقال ابن هشام : الحُرْقَة فيما ذكر أبو عبيدة وقال ابن حبيب : في بَشَكْر حُرْقَة .
ابن ثعلبة ، وحُرْقَة بن مالك كلاهما من بنى حبيب بن كعب بن يَشَكْر ،
وفي قضاة : حُرْقَة^(١) بن جذيمة بن نهد ، وفي تميم حُرْقَة بن زيد بن مالك
ابن حنظلة ، وقال القاضي أبو الوليد : هـكذا وقعت هذه الأسماء كلها بالثاقف ،
وذكرها الدارقطني كلها بالفاء .

أنساب :

وذكر غزوة محمد بن مسلمة إلى القرطاء ، وهم بنو قرط وقربط ، وقربط
بنو أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وذكر حيان بن ملة ، وهو حسان بن ملة ، وكذلك قاله في موضع آخر
من الكتاب ، وهو قول ابن هشام .

وذكر سعد بن هذيم ، وإنما هو سعد بن زيد بن ليث بن سويد بن أسلم
ابن أخاف بن قضاة ، وإنما نسب إلى هذيم ، لأن هذيمًا حصنه ، وهو
عبد حبشي .

(١) في القاموس ضبطها بسكون الراء ، والحرقه بالضم اسم ، من الأتراق ، وحى
من قضاة ، ولهمزة بفت النعمان بن المنذر . والحرقتان - بفتح الراء والفاء - تيم
وسعد ابنا قيس بن ثعلبة بن المنذر بن عكابة ، وفي اللسان ضبط حرقى تيم وسعد
مكرر الراء . وقال : والحرقه بفتح الراء - حى من العرب .

حديث أم قرفة

التي جرى فيها الليل : أُمْنَعُ من أُمِّ قِرْفَةَ ، لأنها كانت يُعَلَّقُ في بيتها
خمسون سَيْفًا [لخمسین فارساً ^(١)] كُلُّهُمْ لما ذُو محرم ، واسمها فاطمة بنت حَذِيفَةَ
ابن بَذْرِ ^(٢) كُنِيَتْ بأبْنِها قِرْفَةَ ، قَتَلَهُ النَّبِيُّ عليه السلام فيما ذكر الواقدي .
وذكر أن سائر بنيتها ، وهم تِسْمَةُ قُتِلُوا مع طَلْحَةَ بنِ بُرَاحَةَ في الردفِ
وم حَكَمَةُ وَخَرَشَةُ وَجَبَلَةُ وَشُرَيْكُ وَالْأَنْوَارُ وَحُصَيْنٌ وذكر باقيهم .
وذكر أن قِرْفَةَ قُتِلَتْ يوم بُرَاحَةَ أيضاً ^(٣) ، وذكر عن عبدالله بن جعفر
أنه أنكر ذلك ، وهو الصحيح كافي هذا الكتاب ، وذكر الدَّوْلَابِيُّ أن زيدَ
ابن حارثة حين قتلها ربطها بفرسين ، ثم رَكَّضَ بها حتى ماتت ، وذلك لسببها
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر المرأة التي سألتها رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سَلَمَةَ وهي بنت أُمِّ قِرْفَةَ ، وفي مصنف أبي داود ، وخرجه مسلم
أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لِسَلَمَةَ : هَبْ لِي الْمَرْأَةَ بِسَلَمَةَ ، اللَّهُ أَبُوكَ ،
فَقَالَ : هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدَى بِهَا أُسِيرًا كَانَ فِي قَرِيشٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وهذه
الرواية أصح ، وأحسن من رواية ابن إسحاق ، فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وَهَبَهَا لِخَالِهِ بِمَكَّةَ ، وهو حَزَنُ بن أَبِي وَهْبٍ بن عَائِذٍ بنِ عِمْرَانَ
ابن نَحْرُومَ ، وفاطمة جدة النبي صلى الله عليه وسلم أم أبيه هي بنت عمرو بن

(١) الزيادة من مجمع الامثال للميداني .

(٢) وفي السيرة والامتناع للمقريزي : بنت ربيعة بن بدر .

(٣) وقيل إن قاتلها هو قيس بن المسحر أو المحمر اليعمرى ص ٢٧٠
الامتناع للمقريزي .

عائذ ، فهذه الخنثولة التي ذكر ، وقُتل عبد الرحمن بن حزن بالهامة شهيداً .
وحزن هذا هو جدُّ سميد بن المسيَّب بن حزن ، ومسعدة الذي ذكر في هذا
الحديث أنه قتل هو ابن حَكَمَةَ بن حُذَيْفَةَ بن بدر ، وسَلَمَةُ الذي كانت
عنده الجارية ، قيل : هو سَلَمَةُ بن الأكوع ، واسم الأكوع : سِنَانٌ ، وقيل :
هو سَلَمَةُ بن سَلَامَةَ بن وَفْشٍ ، قاله الزبير .

غزوة أبي هريرة :

وذكر غزوة أبي حَذَرْدٍ ، واسمه : سُلَعة بن عُثَيْر ، وقيل : عُيَيْدَة
ابن عامر .

وذكر قَتْلَ مُحَلِّم بن جَنَامَةَ ، وخبره في غير رواية ابن إسحاق أن مُحَلِّمَ
ابن جَنَامَةَ مات بحمص في إمارة ابن الزُّبَيْر ، ولما الذي نَزَلَتْ فيه الآية :
(إِنِ اتَّبَعَ إِلَيْكُمْ السَّلَامُ) والاختلاف فيه شديد ، فقد قيل اسمه قُلَيْبٌ (١) وقيل
وهو مُحَلِّم كما تقدم ، وقيل نزلت في المِقْدَاد بن عَمْرٍو ، وقيل في أَسَامَةَ ، وقيل
في أبي الدَّرْدَاءِ ، واختلاف أيضاً في التَّمْتُول فقيل : مِرْدَاس بن نَهْيَك ، وقيل :
عامر الأَضْبَط ، والله أعلم . كل هذا مذكور في التفسير والمسنَدات .

عمامة بن أمثال :

وذكر ابن إسحاق عِمَامَةَ بن أُمِّالِ الحِمْيَرِيَّ وإسلامه ، وقد خرَّج أهلُ

(١) وقيل قلب . ويقول ابن حجر في الإصابة : والذي يظهر أن كلا منهما
تصحيف وإنما هو غالب اليقين . . .

الحديث حديث إسلامه ، وفيه قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : **إِنْ تَقُتِلْ ، تَقُتِلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ تُرِدِ الْمَالَ تُنْعِطَهُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ أَكَلَةٌ مِنْ جَزْوَرٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دَمِ ثَمَامَةٍ ، فَأُطْلِقَهُ ، فَتَطَهَّرَ وَأَسْلَمَ ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَنَفَعَ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ كَثِيرًا ، وَقَامَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا حَيِّدًا حِينَ ارْتَدَّتِ الْيَمَامَةُ مَعَ مُسَيْلِمَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا ، وَقَالَ : يَا بَنِي حَنِيفَةَ أَيْنَ عَزَمَتْ عَقُولُكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ حَمْدُ اللَّهِ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ أَيْنَ هَذَا مِنْ بَاضِفَدَعٍ يَهْدِي كَمَا^(١) تَهْدِي بَنَةُ لَا الشَّرَابِ تُكَدِّرِينَ ، وَلَا الْمَاءُ تَمْنَعِينَ^(٢) ، بَمَا كَانَ يَهْدِي بِهِ مُسَيْلِمَةُ ، فَأَطَاعَهُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، وَانْحَاذُوا إِلَى السَّلَامِينَ ، فَفَتَّ ذَلِكَ فِي أَعْضَادِ حَنِيفَةَ . وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّمَنْ يَا كُلِّ**

(١) فِي الرَّوَايَةِ : كَمْ .

(٢) وَزَادُوا فِيهَا لِسَبِّ إِلَيْهِ : أَهْلَكَ فِي الْمَاءِ وَأَسْفَلَكَ فِي الْعَالَمِينَ ، وَقَدْ نَسَبَ إِلَى مُسَيْلِمَةَ كَثِيرٍ مِنْ هَذَا الْهَذْيَانِ الَّذِي أَوْفَى أَنَّهُ مَا جَازَ عَلَى عَقُولِ أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ هَاشُوا عَصْرَهُ بِمَزَاسِطِهِمْ مَعَهُ الْحَقْدَ ، فَلَمَّ كَانَ صَحِيحًا فَإِنَّمَا تَرَاءَ وَابْتِغَادِيَّةَ مَحَاوَلَةٍ مِنْهُمْ لِهَدْيَةِ سَعَارِ الْأَحْقَادِ الَّتِي تَضُرُّهُمْ فِي أَعْمَاقِهِمْ ، وَإِلَّا فَنَ الَّذِي يَصْدُقُ هَذَا هَذَا . **وَإِنَّا أَطَعْنَاكَ الْجَوَاهِرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَهَاجِرَ ، إِنْ مَبْغُضُكَ لِفَاجِرَ ، أَرَأَيْتَ إِنَّا أَطَعْنَاكَ أَهْلَاهُمْ . وَخَذَ لِنَفْسِكَ وَبَادِرَ : وَاسْذَرِ أَنْ تَحْرُضَ أَوْ تَكْثُرَ ، مِنْ ذَا الَّذِي يَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْهَذْيَانِ يَخْذَعُ أَحَدًا عَنْ جَلَالِ الْحَقِيقَةِ الْعَالِيَا وَمِنْ جَلَالِ الْأَعْظَمِ فِي قَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ (إِنَّا أَطَعْنَاكَ الْكُوْثَرُ)** إِذَا أَنْظَرَ ص ١٤ - ١٥ الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ لِأَحَدِ بْنِ زَيْنٍ دَسْلَانَ فَقَدْ حَشَدَ فِيهِ طَائِفَةٌ مِنْ هَذْيَانِ حَقَائِقِهِ .

في مِثْي واحدٍ [والكافرُ يأكل في سبعة أمعاء] ^(١) الحديث، وقال: أبو عُبَيْدٍ هو أبو بَصْرَةَ الْغِفَارِي، وفي مسند ابن أبي شَيْبَةَ أَنَّهُ جَهَنَّمِي [بن مسعود ابن سعد بن حرام] ^(٢) الْغِفَارِي، وفي الدلائل أن اسمه نَضْلَةٌ، وقد أُمِينَا في معنى قوله: يأكل في سَبْعَةِ أُمْعَاءَ نَحْوًا مِنْ كُرَّاسَةٍ رَدَدْنَا فِيهِ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ مَخْصُوصٌ بِرَجُلٍ وَاحِدٍ، وَبَيَّنَّا مَعْنَى الْأَكْلِ وَالسَّبْعَةِ الْأُمْعَاءِ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ وَرَدَّ عَلَى سَبَبٍ خَاصٍّ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ عَامٌ، وَأَتَيْنَا فِي ذَلِكَ بِمَا فِيهِ شِفَاءٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ^(٣)، وَقَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: ذَا ذِمٍّ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ: ذَا ذِمٍّ بِالذَّالِ الْمَجْمُوعَةِ ^(٤).

ما زاده ابن هشام بمالم يذكركه ابن إسحاق

وذكر الشيخُ الحافظُ أبو بَحرٍ سُفْيَانُ بْنُ الْعَاصِي رَحِمَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ،

(١) متفق عليه ورأه أحمد وأبو حنيفة وابن ماجه عن ابن عمر، وأحمد ومسلم عز جابر، والبخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه عن أبي هريرة، ومسلم وابن ماجه عن أبي موسى، والجامع لأئمة ذهبوا على .

(٢) ابن سعيد وقيل ابن قيس شهد بيعة الرضوان .

(٣) يقول ابن الأثير عن الحديث: وهذا مثل ضربه للؤمن وزهده في الدنيا، والكافر وحرمه عليها، رابض معناه كثرة الأكل دون الانساع في الدنيا، ولهذا قبل الرغب شؤم، لأنه يدل صاحبه على اقتحام النار، وقيل: هو تخصيص المؤمن ونحو ما يجره الشيع من القسوة وطاعة الشجرة، ووصف الكافر بكثرة الأكل اعتلاط على المؤثر. وتأكيده لما رسم له، وقيل: هو خاص في رجل بعينه، كان يأكل كثيراً، فاسلم، فذل أكله. والمعنى واحد الأمعاء وهي المصارين.

(٤) ذا ذم . أي من هو مطالب بدم، أو صاحب دم مطلوب، ويروى: وذا ذم أي ذا ذمأم وحرمة في قومه، وإذا فقد ذمة وفي له .

قال : نقلت من حاشية نسخة من كتاب السَّير منسوبة بسامع أبي سَعِيد عبد الرحيم بن عَبْدِ اللَّهِ بن عَبْدِ الرحيم وأخوَيْهِ مُحَمَّدٌ وأحمد ابني عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه : وجدت بخط أخي قول ابن هشام : هذا مما لم يذكره ابن إسحاق هو غَلَطَ منه ، قد ذكره ابن إسحاق عن جَعْفَر بن عَمْرٍو بن أُمَيَّة عن عَمْرٍو بن أُمَيَّة فيما حدث أسَدٌ عن يحيى بن زَكْرِيَّا عن ابن إسحاق ، والفاضل في الحاشية : وجدت بخط أخي هو أبو بَكْر بن عبد الله بن عبد الرحيم . وفي الكتاب المذكور قولُ أبي بكر المذكور في غزوة الطائف بعد قوله : فولدت له داود بن أبي مُرَّة . إل هاهنا انتهى سماعي من أخي ، وما بقي من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه .

عن غريب بن عدي :

وذكر سريرة عَمْرٍو بن أُمَيَّة وحلته الحَبِيب بن عَدِيٍّ من خشبته التي صُلب فيها ، وفي مسند ابن أبي شَيْبَةَ زيادةٌ حَسَنَةٌ أنهما حين حُلَاة من الخشب العَقَمَتَهُ الأرضُ .

وذكر ابنُ هشامٍ مَقْتَلَ الْعَصَاء بنت مَرْوان ، وفي خبرها قال صلى الله عليه وسلم : لا يَنْتَطِيعُ فيها عَنَزَانِ ، وكانت تَسُبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلها بمُلها على ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَذَرٌ . قال الدَّارُقُطْنِيُّ : من هاهنا يقوم أصلُ التَّسْجِيلِ في الفقه ، لأنه قد أشهد على نفسه بإمضاء الحُكْمِ ، ووقع في مُصَنَّفِ حَمَادِ بن سَلَمَةَ أنها كانت يهودية ،

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

أمهات المؤمنين

أسمائهن

قال ابن هشام : وكنّ تسماً : عائشة بنت أبي بكر ، وحفصة بنت عمر ابن الخطاب ، وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، وأمّ سلمة بنت أبي أمية ابن المغيرة ، وسودة بنت زمّة بن قيس ، وزينب بنت جحش بن رثاب ، وميمونة بنت الحارث بن حزن ، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، وصفية بنت حيي بن أخطب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم .

زواجه بخديجة

وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة : خديجة بنت خويلد ، وهي أول من تزوج ، وزوجه إياها أبوها خويلد بن أسد ،

وكانت تطرح المحائير في مسجد في حمة ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها ، وقال : لا يَنْطَاحُ فيها عِزَّانٌ^(١) .

(١) أي لا يلتقي فيها اثنا عشر حمة ، لأن النطاح من شأن النبوس ، والكباش لا اعنوز ، وهو إشارة إلى قضية محمودة لا يجرى فيها خلاف ونواح . ابن الأثير .

ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك ، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ، حليف بني عبد الدار ، فولدت له هند بن أبي هالة ، وزينب بنت أبي هالة ، وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله ، وجارية .

قال ابن هشام : جارية من الجوارى ، تزوجها صفي بن أبي رقاعة .

زواجه بمائشة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير غيرها ، وزوجه إياها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

زواجه بسودة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وزوجه إياها سليل بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود ابن نصر بن مالك بن حسل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

.....

قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطاً
جواباً حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت .
وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر
ابن مالك بن حسل .

زواجه بزینب بنت جحش

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رثاب
الأسدية . زوجته إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله
صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فففيها أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ
مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾ .

زو بأم سلمة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة
الخزومية ، واسمها هند ؛ زوجته إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها ، وأصدقها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فراشاً حشوه ليف ، وقدها وصحفة ، ومجشدة ؛
وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد ، واسمها عبد الله ، فولدت له سلمة
بومر وزينب ورقية .

زواجه بحفصة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزوجه

.

إياها أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي .

زواجه بأم حبيبة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ، واسمها رملة بنت أبي سفيان بن حرب ، زوجها إياها خالد بن سعيد بن العاص . وها بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة دينار ، وهو الذي كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي .

زواجه بجويرية

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية ، كانت في سبايا بني المصطلق من خزاعة ، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس الأنصاري ، فكاتبها على نفسها ، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستمينا في كتابتها ، فقال لها : هل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أفضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ، ومعه جويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديمة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء ، فرغب في بيعين منها ، ففنيهما في شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران الاذان غيبت بالعقيق في شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، صلى الله عليك ، فوالله ما أطع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له ونس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربع مائة درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عم لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت ابن قيس ، فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها أربع مائة درهم .

زواجه بصفية

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حي بن أخطب ،

سبأها من خيبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولية ،
حافيا شحم ولا لحم ، كان سويقاً وتمراً ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن
أبى الحقيق .

زواجه بيمونة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بيمونة بنت الحارث بن حزن
ابن بحير بن هزَم بن رُوَيْبِة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ،
عزوجه إياها العباس بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند أبى رُهم بن عبد العزى بن أبى قيس
ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ؛ ويقال : إنها التى
وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم
انتهت إليها وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه الله ورسوله ؛ فأنزل
الله تبارك وتعالى : ﴿ وَامْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ .

ويقال : إن التى وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ،
ويقال أم شريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بنى متقد بن عمرو بن معيص
ابن عامر بن لؤى ، ويقال : بل هى امرأة من بنى سامة بن لؤى ، فأرجأها
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زواجه زينب بنت خزيمة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحارث بن

عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أمّ للسالكين ، لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، زوجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالي ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله هند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عبيدة هند جهم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمها .

عدهن وشأن الرسول مهن

فهم هؤلاء اللاتي بنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ، بنات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة . وتوفى عن تسع . قد ذكرناهن في أول هذا الحديث ؛ وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها فوجد بها بياضاً ، فتمتها وردّها إلى أهلها ، وعمرة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة عهد بكفر ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعازت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : منيغ عائذ الله ، فردّها إلى أهلها ، ويقال : إن التي استعازت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها ، فقالت : إنا قوم نوثني ولا نأقني ؛ فردّها . رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

تسمية القرشيات منهن

القرشيات من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ست : خديجة بنت خويلد

ابن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ؛
وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم
ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ؛ وحفصة بنت عمرو بن الخطاب بن
نقيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن
كعب بن لؤى ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس
ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وأم سلمة
بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة
ابن كعب بن لؤى ؛ وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود
ابن نصر بن مالك بن حبل بن عامر بن لؤى .

تسمية المريات وغيرهن

والمريات وغيرهن سبع : زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن
مخبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه ؛ وميمونة
بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هزيم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن
عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن
خصفة بن قيس بن عيلان ؛ وزينب بنت خزيمه بن الحلوث بن عبد الله بن عمرو
ابن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ، وجويرية بنت
الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، ثم المصطلقية ، وأسماء بنت النعمان الكندية ؛
وعمرة بنت يزيد السكلبية .

غير المرييات

ومن غير المرييات : صفية بنت حيي بن أخطب ، من بنى النضير .

تمريض رسول الله في بيت عائشة

محيته إلى بيت عائشة

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر ، عاصباً رأسه ، تخطأ قدماه ، حتى دخل بيتي . قال عبيد الله ، سجدت هذا الحديث عبد الله بن العباس ، فقال : هل تدري من الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا ، قال : علي بن أبي طالب .

شدة المرض وصب الماء عليه

ثم غمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجعه ، فقال همز يقولوا : على سبع قرب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . قالت : فأقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم حسبكم .

كلمة للنبي واختصاصه أبا بكر بالذكر

قال ابن إسحاق : وقال الزهري : حدثني أيوب بن بشير : أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم خرج عاصباً رأسه حتى جالس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبداً من عباد الله خيّر الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر ، وعرف أن نفسه يريد ، فسكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رسلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب الالافظة في المسجد ، فسدوها إلا بيت أبي بكر ، فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندى يداً منه .

قال ابن هشام : ويروى : إلا باب أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبي سعيد بن الملقى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ في كلامه هذا : فإنى لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن حبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

أمر الرسول بإفناذ بعث أسامة

وقال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس في بعث أسامة بن زيد ، وهو في وجعه ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة : أمر غلاماً حدثاً على جيلة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلم يردني ثمن قلمي في إمارته لقد قلمت في إمارة أبيه من قبله ، وإنه خلّيق للإمارة ، وإن كان أبوه خلّيقاً لها .

قال : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكشف الناس في جهازهم ، واستعزّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرف ، من المدينة على فرسخ ، ف ضرب به عسكره ، وتنازع إليه الناس ، وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصية الرسول بالأنصار

وقال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ : يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيراً ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عييتي التي أوتيت إليها ، فأحسنوا إلى مُحْسِنِهِمْ ، وتجاوزوا عن مُسِيئِهِمْ .

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتنازع به وجمعه ، حتى عُزِر .

شأن اللدود

قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نسائه : أم سلمة ، وميمونة ، ونسائم

من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عميس ، وعنده العباس عمه ، فأجمعوا أن يلدّوه ، وقال العباس : لألدّنه . قال : فلدّوه ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ صَنَعَ هَذَا بِي ؟ قالوا : يا رسول الله ، عمك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم تعلمن ذلك ؟ فقال عمه العباس : نخشيتنا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقدفني به ، لا يبق في البيت أحدٌ إلّا لدّ إلّا عمي ، فلقد لدّت ميمونة وإنها لصائمة ، لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لهم بما صنعوا به .

دعاء الرسول لأسامة بالإشارة

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما نُقِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أُضْمِتَ فلا يتكلّم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على ، فأعرف أنه يدعولي .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهري : حدثني عبيد بن عبد الله ابن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعهُ يقول : إن الله لم يقبض نبياً حتى يُخَيَّرَهُ . قالت : فلما حضر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت :

حققت : إذا والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا : إن عبدا لم يقبض
سحقى يُخَيَّر .

صلاة أبي بكر بالناس

قال الزهري : وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر ، أن عائشة قالت :
لما استُئِيز برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس .
قالت : قلت : يا نبي الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير
الهماء إذا قرأ القرآن ، قال : مروه فليصل بالناس . قالت : فقلت بمثل قوله ،
فقال : إنكن صواحب يوسف فمروه فليصل بالناس ، قالت : فوالله ما أقول
ذلك إلا أني كنت أحب أن يُصْرَف ذلك عن أبي بكر ، وعرفت أن الناس
لا يُحِبُّون رجلا قام مقامه أبداً ، وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان ،
فكنت أحب أن يُصْرَف ذلك عن أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب : حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأسود
ابن المطلب بن أسد ، قال : لما استُئِيز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا
حنده في نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مُرُوا مَنْ يَصلي
بالناس . قال : فخرجت فإذا عمر في الناس . وكان أبو بكر غائبا ؛ قلت :
ثم يامر فصل بالناس . قال : فقام ، فلما كبر ، سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم صوته ، وكان عمر رجلا مَجْهَرًا ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : فإين أبو بكر ؟ يابى الله ذلك والمسلمون ، يابى الله ذلك والمسلمون .

قال فُبِعْثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس .
قال : قال عبد الله بن زمرة : قال لى عمر : ويحك ، ماذا صنع بى يابن زمعة .
والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك .
ولولا ذلك ما صليت بالناس . قال : قلت : والله ما أمرنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك ، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة .
بالناس .

اليوم الذى قبض الله فيه نبيه

قال ابن إسحاق : وقال الزهري : حدثنى أنس بن مالك : أنه لما كان
يوم الاثنين الذى قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الناس .
وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فقام على باب عائشة ، فسكاد المسلمون يفتنون فى صلاتهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحاً به ، وتفرجوا ، فأشار إليهم أن اثبتوا
على صلاتكم ؛ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً لما رأى من
هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه .
تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أفرق من وجهه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالشنع .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن
محمد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة :

.....

أين أبو بكر ؟ يأتي الله ذلك والمسلمون . فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته ،
لم يشك المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ،
ولكنه قال عند وفاته : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن
أتركهم فقد تركهم من هو خير مني . فعرف الناس أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يستخلف أحداً ، وكان عمر غير متهم على أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة ، قال :
لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه إلى
الصبح ، وأبو بكر يصلي بالناس ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فنكص عن مُصَلَّاه ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ظميره ، وقال : صل بالناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
جنبه ، فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس ،
فكلّمهم رافعاً صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس ،
سُعِرَت النار ، وأقبات الفتن كقطع الليل النظيم ، وإني والله ما نمتُكون على
شيء ، إني لم أحلّ إلا ما أحلّ القرآن ، ولم أحرّم إلا ما حرّم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر :
يا نبي الله إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب ، واليوم يوم
بنت خارجة ، أفأنتها ؟ قال : نعم ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وخرج أبو بكر إلى أهله بالشتح .

ن العشاباس وعلى

قال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عباس . قال : خرج يومئذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً ، قال ، فأخذ العباس بيده ، ثم قال : يا علي ، أنت والله عبد المصطفى بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه . وإن كان في غيرنا ، أمرناه فأوصى بنا الناس . قال : فقال له علي : إني والله لا أفعل ، والله لئن مُنعتنا لا يؤتينا بعد .

فُتُوِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبيل الوفاة

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع في حجرى ، فدخل علي رجل من آل أبي بكر ، وفي يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه في يده نظراً عرفت أنه يريد ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، أحب أن أعطيك هذا

السَّوَاكُ ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فضمته له حتى لَبِنْتَهُ ، ثم أعطيته إِيَّاهُ ، قالت : فَاسْتَنَّ بِهِ كَأَشَدِّ مَا رَأَيْتُهُ يَسْتَنُّ بِسِوَاكِ قُطٍّ ، ثم وضعه ، ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَّقِلُ فِي حَجْرِي ، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ ، فَإِذَا بَصَرُهُ قَدْ شَخَّصَ ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت : قُتِلْتُ : خُبِّرْتُ فَأَخْبَرْتُ وَالَّذِي بَيْنَكَ بِالْحَقِّ . قالت : وَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد . قال : سمعت عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرَى وَنَحْرَى وَفِي دَوْلَتِي ، لَمْ أَظَلْ فِيهِ أَحَدًا ، فَمِنْ سَفَهِي وَحَسَدَاتِي سِنِي أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ وَهُوَ فِي حَجْرِي ، ثُمَّ وَضَعْتُ رَأْسَهُ عَلَى وَسَادَةٍ ، وَفَتَّ أَلْتَدِمُ مَعَ النِّسَاءِ ، وَأَضْرَبُ وَجْهِي .

مقالة عمر بعد وفاة الرسول

قال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : لما تُوُفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ مُعَرٌّ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : إِنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُتَنَاقِضِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تُوُفِيَ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ ، وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى ابْنُ عِمْرَانَ ، فَقَدْ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ قِيلَ قَدْ مَاتَ ؛ وَوَاللَّهِ لِيرْجَعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا رَجَعَ مُوسَى ، فَلْيَقْطَعُنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ زَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ .

موقف أبي بكر بعد وفاة الرسول

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُسَجًى في ناحية البيت ، عليه بُرْد حَبْرَة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، أما المَوْتَةُ التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها مَوْتَةٌ أَبَدًا . قال : ثم ردَّ البُرْد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : على رسلك يا عمر ، أنصت ، فأني إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْمَلِكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَإِنَّهُ يَبْصُرُ اللَّهَ شَيْئًا ، وَسَيُجْزَى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

قال : فوالله لساكن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبي بكر ، فإنما هي في أفواههم ؛ قال :

حَقَّقَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا ، فَتَقَرَّرْتُ
حَتَّى وَقَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُنِي رِجْلَايَ ، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ .

أمر سقيفة بني ساعدة

تفرق الكلمة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْحَاذَ هَذَا
الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَاعْتَزَلَ عَلَى بْنِ
أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَطَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ ، وَانْحَاذَ بَقِيَّةُ
الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَانْحَاذَ مَعَهُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ،
فَآتَى آتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَقَالَ : إِنْ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ
فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، قَدْ انْحَاذُوا إِلَيْهِ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ بِأَمْرِ النَّاسِ حَاجَةٌ
فَأَدْرِكُوا قَبْلَ أَنْ يَتَّفَقَ أَمْرُهُمْ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ لَمْ يُفْرَغْ
مِنْ أَمْرِهِ قَدْ أَغْلَقَ دُونَهُ الْبَابَ أَهْلُهُ . قَالَ عُمَرُ : قَتَلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ : انْطَلَقْتُ بَنَاتِي
إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، حَتَّى نَنْظُرَ مَا مِمَّ عَلَيْهِ .

ابن عوف ومشورته على عمر بشأنبيعة أبي بكر

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ السَّقِيفَةِ حِينَ اجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَنْصَارُ ،
أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، حَدَّثَنِي عَنْ ابْنِ شِهَابِ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ

ابن عوف قال : وكنت في منزله بنى أنتظره ، وهو عند عمر في آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدني في منزله بنى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن ، قال ابن عباس ، فقال لي عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايت فلانا ، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا قتلته قتلت . قال : فغضب عمر ، فقال : إني إن شاء الله لقائم المشية في الناس ، فحذروهم هؤلاء الذين يريدون أن ينصبوا أسرم ، قال عبد الرحمن : قلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم مجمع رِباع الناس وغوغاهم ، وإنهم هم الذين يظلمون على قُربك ، حين تقوم في الناس ، وإني أخشى أن تقوم فتقول مقالة يعطربها أولئك عنك كل معاير ، ولا يبوها ، ولا يضموها على مواضعها ، فأهل حتى تقدم المدينة فلينها دار الشعة ، وتخلص بأهل الثقة وأشرف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكنا ، فيبى أهل الفقه مقاتلك ، ويضموها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقوم بالمدينة .

خطبة عمر عند بيعة أبي بكر

قال ابن عباس : فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة ، فلما كان يوم الجمعة مجلت الرواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر جلست حذوه تمس رُكبتى ركبته ، فلم أنشب أن خرج عمرُ إلى الخطاب ، فلما رأيته مقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : أيقوان المشية على هذا

للنبر مقالة لم يقامها منذ استخاف ؛ قال : فأنكر على سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقول بما لم يقل قبيله ، فجلس عمر على النبر ، فلما سكت المؤذنون ، قام فأتى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فإني قاتل لكم اليوم مقدلة قد قدر لي أن أقولها ، ولا أدري أعلما بين يدي أجلى ، فمن عظمها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشي أن لا يبعثها فلا يحمل لأحد أن يكذب علي ؛ إن الله بعث محمداً ، وأنزل عليه الكتاب ، فذكر أن ما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعظمناها ووعينناها ، ورحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا بعده ، فأخشي إن طال بالناس زمان أن يقول قاتل : والله ما نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء ، وإذا قامت البينة ، أو كان الحليل أو الاعتراف ؛ ثم إننا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : ﴿ لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ﴾ إلا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما أطروا عيسى بن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله » ؛ ثم إنه قد بلغني أن فـ لانا قال : إن الله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، فلا يفرن امرأ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتنة قتلت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وفق شرها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، فمن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا تبعه له هو ولا الذي بايعه كفرة أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة ، وتخلف عنا علي بن أبي طالب

هو الزبير بن العوام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا توأمهم حتى لقينا منهم رجلاً صالحاً ، فذكر لنا ما تأملوا عليه القوم ، وقال : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قال : فلا عليكم أن لا تقر بوم يا معشر المهاجرين ، اقضوا أمركم : قال : قلت : والله لنأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم رجلٌ مُزَمِّلٌ . فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عُبادة ، فقلت : ماله ؟ قالوا : وجميع . فلما جلسنا تشهد خطيبهم ، فأتاني على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دُفَّتْ دافّة من قومكم ، قال . وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ، وينصبونا الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زوّرت في نفسى مقالة . فأتيتهم ، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ، وكنت أدارى منه بعض الخلد ، فقال أبو بكر : على رسلك يا عمر ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها . في بديهة ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت ؛ قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحق من قريش ، سم أوسط العرب نسباً وداراً ؛ وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين ؛ فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدي ويدي أبي عُبَيْدة بن الجراح ، وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنق ، لا يُقرَّبُنِي ذلك إلى إنهم ، أحبّ إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر .

قال قائل من الأنصار : أنا جُذِلُها المُحَكِّكُ وَعُذِّقُها المُرَجَّبُ ،
 حمنا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش . قال : فكثرت الألفاظ ، وارتفعت الأصوات ،
 حتى تخوفت الاختلاف ، فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ،
 فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا على سعد بن عُبادة ،
 فقال قائل منهم : فقام سعد بن عُبادة : قال : فقلت : قتل الله سعد بن عُبادة .

تعريف بالرجلين اللذين اتقيا أبا بكر وعمر

في طريقهما إلى السقيفة

قال ابن إسحاق : قال الزهري : أخبرني عروة بن الزبير أن أحد الرجلين
 اللذين آقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة ، والآخر
 معن بن عدي ، أخو بني العجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذي بلغنا أنه
 قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله عز وجل لهم : تَرْفِئُهُ رِجَالٌ
 يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ؟ قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : نعم المرء منهم عويم بن ساعدة ؛ وأما معن بن عدي ، فبلغنا أن الناس
 بكوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجل ، وقلوا :
 والله لو ددنا أنا متنا قبله ، إنا نخشى أن نفقتن بعده . قال معن بن عدي :
 لكني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقته حياً ؛ فقتل معن
 يوم البعثة شهيداً في خلافة أبي بكر ، يوم مُسَمِّية الكذاب .

خطبة عمر قبل أبي بكر عند البيعة العامة

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، قال : حدثني أنس بن مالك ، قال :

.....

لما بويح أبو بكر في السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ،
فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ،
إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت عما وجدتها في كتاب الله ،
ولا كانت عهداً عهداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكني قد كنت
أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدُّ أمرنا ؛ يقول : يكون آخرنا
وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ،
فإن اعتصمتم به هذاكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ،
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثاني اثنين إذا هما في الغار ، فقوموا
فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة للعامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبي بكر

فتكلم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال :
أما بعد أيها الناس ، فإني قد وليت عليكم واست بخيركم ، فإن أحسنت
فأعينوني ؛ وإن أسأت فتقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف
فيكم قوى عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندي
حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم
الله بالذل ، ولا تشمع الفاحشة في قوم قط إلا أعظمهم الله بالبلاء ؛ أطيعوني ما أطعت
الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم
يرحمكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عائد إلى حاجة له ، توفي يده الدرة وماله غيري ، قال : وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشياً . قدمه بديرته ، قال : إذ التفت إلي ، فقال : يا ابن عباس ، هل تدري ما كان حملني على مقاتلي التي قلت حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ؛ قال : فإنه والله ، إن كان الذي حملني على ذلك إلا أنني كنت أقرأ هذه الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۖ ﴾ ، فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتي في أُمَّته حتى يشهد عليها بآخِر أعمالها ، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

من تولى غسل الرسول

قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس وقثم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم الذين ولوا غسله ، وأن أوس بن خويلد ، أحد بني عوف بن الخزرج ، قال لعلي بن أبي طالب : أنشدك الله

.....

يا على وحفظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل فجلس ، وحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسندته على بن أبي طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقم يلبونته معه وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعلى يُغسله ، قد أسندته إلى صدره ، وعليه قيضه يدلسكه به من ورائه ، لا يُفضي بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى يقول : بأبي أنت وأمي ، ما أطيبك حياً وميتاً ! ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما يرى من الميت .

كيف غسل الرسول ؟

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه . فقالوا : والله ما ندري ، أنجرّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرّد موتانا ، أو نغسله وغليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا أتى الله عليهم النوم ، حتى مامتهم رجل إلا ذقنه في صدره ، ثم كلمهم مُكَلِّم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسلوه وعليه قيضه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم .

تكفين الرسول

قال ابن إسحاق : فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ ثَوْبَيْنِ صَحَارِيَيْنِ وَبُرْدَ حَبِيرَةٍ ، أَدْرَجَ فِيهَا إِدْرَاجًا ،
كَما حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ
الْحُسَيْنِ وَالزَّهْرِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ .

حفر القبر

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَحْفَرُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ
أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ يَضْرَحُ كَهْرَ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَكَانَ أَبُو طَاخِةَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ هُوَ
الَّذِي يَحْفَرُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ يَلْحَدُ ، فَدَعَا الْعَبَّاسَ رَجَائِنَ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا :
اذْهَبْ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَالْآخِرُ اذْهَبْ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ . اللَّهُمَّ خِرْ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدَ صَاحِبَ أَبِي طَلْحَةَ أَبَا طَلْحَةَ ، فَجَاءَ بِهِ ،
فَلَحَدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

دفن الرسول والصلاة عليه

فلما فُرِغَ مِنْ جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الثَّلَاثَةِ ، وَضَعَهُ فِي سَرِيرِهِ .
فِي بَيْتِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ . فَقَالَ قَاتِلٌ : نَدَفْنُهُ فِي مَسْجِدِهِ .
وَقَالَ قَاتِلٌ : بَلْ نَدَفْنُهُ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ ، فَرَفَعَ فَرَشَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تَوُفِّيَ عَلَيْهِ ، فَخَفَرُ لَهُ تَحْتَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ أَرْسَالًا ، دَخَلَ الرِّجَالُ ، حَتَّى

.....

إِذَا فَرَّغُوا أُدْخِلَ النِّسَاءَ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ النِّسَاءَ أُدْخِلَ الصَّبِيَّانَ . وَلَمْ يَوْمِ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ .

ثُمَّ دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَسْطِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ .

دفن الرسول

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ امْرَأَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُصَاوِمَةَ ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسَدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : جُوفِيَ اللَّيْلُ مِنْ لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ .

من توفن لى د الرسول

وَكَانَ الَّذِينَ نَزَلُوا فِي قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَثَمَمُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَشُقْرَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَدْ قَالَ أَوْسُ بْنُ حَوَالَةَ لِمَوْلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ : يَا عَلِيُّ ، أُنْشِدْكَ اللَّهَ ، وَحَفَظَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْزِلْ ، فَتَزَلْ مَعَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ كَانَ مَوْلَاهُ شُقْرَانُ حِينَ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُفْرَتِهِ وَبَنَى عَلَيْهِ سَقْدًا أَخَذَ قَطِيفَةً ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبِسُهَا وَيَقْتَرِشُهَا ، دَفَنَهَا فِي الْقَبْرِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَلْبِسُهَا أَحَدٌ بَعْدَكَ أَبَدًا .

قال : فَدُفِنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أحدث الناس عهداً بالرسول

وقد كان المغيرة بن شعبه يدعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أخذت خاتمي ، فألقيته في القبر ، وقلت : إن خاتمي سقط مني ، وإنما طرحته عهداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهداً به صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن مِقْسَم ، أبي المقاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاة عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل علي أخته أم هانئ ، بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فسكب له غسل ، فطاف غسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه ؟ قال : أظنّ المغيرة ابن شعبه يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا : أجل ، من ذلك جئنا نسألك ؟ قال : كذب ، قال : أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم فثمّ بن عباس .

خميصة الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان علي رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة سوداء حين اشتد به وجعه ، قالت : فهو يضمها مرة على

وجبه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذرُ من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : لا يترك بحزيرة العرب دينان .

افتتان المسلمين بعد موت الرسول

قال ابن إسحاق : ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغني ، تقول : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، واشترأبت لليهودية والضميرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشائبة ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبي بكر .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك حتى خافهم عتّاب بن أسيد ، فتواري ، فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فن رابنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به ، وظهر عتّاب بن أسيد .

فهذا المقام الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لعمر بن الخطاب : إنه عسى أن يقوم مقاماً لاتذمه .

شعر حسان بن ثابت في مرثيته الرسول

وقال حسان بن ثابت يبيكي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنا ابن هشام ، عن أبي زيد الأنصاري :

بَطَيِّبَةً رَسَمَ لِلرَّسُولِ وَمَعَهُدُ	مُنِيرٌ وَقَدْ تَغْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمِدُ
وَلَا تَمْتَحِي الْآبَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ	بِهَا مَنْبَرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آثَارِ وَبَاقِي مَعَالِمِ	وَرَنْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجَرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا	مَنْ اللَّهُ نُورٌ يُسْقِطُ نُورَهُ وَيُوقِدُ
مَعَارِفُ لَمْ تَطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا	أَتَاهَا الْبَيْتُ فَلَا يَمْنَحُهَا تَجَدُّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسَمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ	وَقَبْرَآ بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحِدُ
ظَلَّتْ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَأَسْعِدْتُ	عُيُونَ وَمَثَلَهَا مِنْ الْجَفْنِ تُسْعِدُ
يَذْكُرُنَ آلَاءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى	لَهَا مُخَصِّيًا نَفْسِي فَتَنْفَسِي تَبْلُدُ
مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحَدُ	فَظَلَّتْ لِآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدُّ
وَمَا بَلَغْتُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ	وَلَسَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ
أَطَالَتْ وَقُوقًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جُهِدَهَا	عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحَدُ
فَبُورِكَتْ بِأَقْبَرِ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ	بِلَادُ نَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
وَبُورِكَ أَحَدٌ مِنْكَ ضَمْنُ طَيِّبَا	عَلَيْهِ بَنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدُ
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنِ	عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْمَدُ
لَقَدْ غَيَّبُوا أَحْمَلًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً	عَشِيَّةَ عَلَوُهُ النَّزَى لَا يُوسَدُ

.....

وراحوا بحزنٍ ليس فيهم نبيهم
 يسكون من تبكى السماوات يومه
 وهل عدلت يوماً رزية هالك
 تقطع فيه منزل الوحي عنهم
 يدل على الرحمن من يقتدى به
 إمام لهم يهديهم الحق جاهداً
 عفو عن الزلات يقبل عذرهم
 وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله
 قبيناً في نعمة الله بينهم
 عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى
 عطوف عليهم لا يثني جناحه
 قبيناً في ذلك الثور إذ غدا
 فأصبح محموداً إلى الله راجعاً
 وأمست بلاد الحرم وحشاً بقاعها
 قفراً سوى معمورة اللحد ضافها
 ومسجده فالموحشات لفقده
 وبالجمرة الكبرى له تم أوحشت
 قبكي رسول الله ياعين عبدة
 ومالك لا تبكين ذا النعمة التي
 وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
 ومن قد بكت الأرض فأناس أكد
 رزية يوم مات فيه محمد
 وقد كان ذا نور يغور ويوجد
 وينفذ من هول الخزايا ويرشد
 معلم صدق إن يطيعوه يستعدوا
 وإن يحسنوا فإله بالخير أجود
 فن عنده تيسير ما يتشدد
 دليل به نهج الطريقة يقصد
 حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
 إلى كنف يحنو عليهم ويمهد
 إلى نورهم سهم من الموت مقصد
 يسكيه حق المرسلات ويحمد
 لفيمة ما كانت من الوحي تعهد
 فقيد يسكيه بلاط وغرفد
 خلا له فيه مقام ومقعد
 ديار وعرضات وربع ومولد
 ولا أعرفتك الدهر دمك يحمد
 على الناس منها سابع يتمد

• • • • •

فُجُودِي عَلَيْهِ بِاللُّمُوعِ وَأَعُولِي لَقَعْدِ الذِّي لَا مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوجَدُ
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بِفِدَا ذِمَّةٍ وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يَنْفَكُ
وَأَبْدَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَنَالِدٍ إِذَا ضَنَّ مِنْطَلَهُ بِمَا كَانَ يُقَلَّدُ
وَأَكْرَمَ صِيَتَا فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا بِسُودُ
وَأَمْنَعَ ذُرُورَاتٍ وَأَنْبَتَ فِي الْمَلَا دَعَائِمَ عِزِّ شَاهِقَاتِ تَشِيدُ
وَأَنْبَتَ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبَتَا وَعُودًا غِذَاءُ الْزُّنْ قَامُودِ أَغِيدُ
رَبَاهُ وَلَيْدًا فَاسْتَمَّ تَمَامُهُ عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبِّ مَجْدُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ فَلَا الْعِلْمُ مُخْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ
أَقُولُ وَلَا يُبْلَقَى لِقَوْلِي عَائِبٌ مِنْ النَّاسِ إِلَّا عَارِضُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
وَلَيْسَ هَوَايَ نَارِغًا عَنْ تَنَاهِيهِ لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلَدُ
مَعَ الْمُضْطَنِّ أَرْجُو بَذَاكَ جِوَارُهُ وَفِي تَنْبِيلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسَى وَأَجْهَدُ

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَبْضَاءُ، يَبْكِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَمَّا كَحِلَّتْ مَا قِيَمًا بِكَحْلِ الْأَزْمَدِ
جَزَعًا عَلَى التَّهْدِي أَصْبَحَ نَاوِيَا يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَقَى لَا تَنْبَعِدِ
وَجْهِي بِعَيْكَ التَّرَبُّ لَمْ يَنْبِي لَيْتَنِي عُمِيْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْفَرْقَدِ
بَابِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدَتْ وَقَاتَهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي
فَظَلَّتْ بَعْدَ وَقَاتِهِ مُتَبَلِّدَا مُتَلَدَا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُولَدِ

أُأَقِيمُ بِعَمْدِكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا
فَتَقُومُ سَاعَتُنَا فَتَلْقَى طَيِّبًا
يَا بَكْرَ أَمَنَةِ الْمُبَارَكِ بِكْرُهَا
نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
يَا رَبِّ فَاجْعَلْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَاصْنَعْ لَنَا
وَاللَّهُ أَسْمَعُ مَا نَقِيْتُ بِهَا إِلَيْكَ
يَا وَبِحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ
ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَاصْبَحُوا
وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ
وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ
صَلَّى الْإِلَهُ وَمَنْ يَخُفْ بِعَرْشِهِ
يَا لَيْتَنِي صُبَّخْتُ سَمَّ الْأَسْوَدِ
فِي رُوحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدِ
مُخَضًّا ضَرَابُهُ كَرِيمِ الْمُخْتَدِ
وَلَدَنَّهُ مُخَصَّنَةً بِسَعْدِ الْأَسْعَدِ
مَنْ يُهْدِي لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي
فِي جَنَّةٍ تَنْتَنِي عِيُونُ الْحُسَدِ
يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالشُّودِ
إِلَّا بِكَ نَتُّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
بَعْدَ الْمُقَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ
سُودًا وَجُوهُهُمْ كَلَوْنِ الْإِنْمِدِ
وَفُضُولَ نِعْمَتِهِ بِنَا لَمْ تَجْحَدِ
أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مَشْهَدِ
وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نَبِّ الْمَسَاكِينِ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ
مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي
أَمْ مَنْ نُعَاتِبُ لَا تَخْشَى جِنَادَتَهُ
كَانَ الضُّيَاءُ وَكَانَ النُّورَ نَتَّبَعُهُ
مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمْ سَحَرًا
وَرَزَقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤْنِسُوا الْعَطْرَا
إِذَا اللِّسَانُ عَتَا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثَرَا
بَعْدَ الْإِلَهِ وَكَانَ السَّمْعُ وَالْبَصَرَا

فَلْيَنْدَنَا يَوْمَ وَارِزِهِ بِمُحَدِّدِهِ وَغَيْبِهِ وَالْقَوَا فَوْقَهُ التَّدَرَا
لَمْ يَتْرُكْ اللَّهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا وَلَمْ يَمِشْ بَعْدَهُ أَتَى وَلَا ذَكَرَا
ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي النَّجَّارِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَدِ قُدِرَا
وَأَقْتَسِمَ النَّاسُ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَبَدَّدُوهُ جِهَارًا بَيْنَهُمْ هَدَرَا

وقال حسان بن ثابت يبيكي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً :

آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِنِّي أَلِيَّةَ بَرٍّ غَيْرَ إِفْنَادِ
تَاللهِ مَا سَحَّتْ أَشْيٌ وَلَا وَضَعَتْ مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيَّ الْأُمَّةِ الْهَادِي
وَلَا بَرًّا اللهُ خَلَقًا مِنْ بَرِّيَّةِ أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادِ
مِنَ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ مُبَارَكِ الْأَمْرِ ذَا عَدْلِ وَإِزْشَادِ
أَمْسَى نَسَاؤُكَ عَطْلَنَ الْبُيُوتَ فَمَا يَفْضِرُ بَنَ فَوْقَ قَهَا سِتْرِ بِلَوْنَادِ
مِثْلَ الرَّوَاحِبِ يَلْبَسُنَ الْمَبَاذِلَ قَدْ أَقْبَنَ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النُّعْمَةِ الْبَادِي
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِلَى كُنْتُ فِي نَهَرٍ أَصْبَحْتُ مِنْهُ كُنْثَى الْمُفْرَدِ الْعَادِي

قال ابن هشام : عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق .

ذكر أزواج النبي عليه السلام

مدرجة رضي الله عنها :

قد تقدم في مواضع من هذا الكتاب نبذ كافية من التعريف بهن ، و ذكر هاهنا خديجة ، وأنها كانت عند أبي هالة ، وكانت قبله عند عتيق ابن عائذ^(١) ، قال ابن أبي خيثمة : ولدت لعتيق عبد مناف ، وكان اسم أبي هالة هند بن زُرارة بن النباش^(٢) وقيل : بل أبو هالة هو زُرارة ، وابنه هند ، مات هند في طاعون البصرة .

عن عائشة :

وما نزيده هنا في ذكر عائشة ، أنها كانت تُكْنَى أمَّ عَبْدِ اللَّهِ ، روى ابن الأعرابي في المعجم حديثاً مرفوعاً أنها أسقطت جفينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم - فسُمِّي : عبد الله ، فكانت تُكْنَى به ، وهذا الحديث يدور على داود بن المحبر وهو ضعيف ، وأصح منه حديث أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : تَكْنِي بَابِ أَخِيكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، ويروى

(١) وقيل : عابد .

(٢) وقيل اسمه : النباش بن زُرارة كما جزم أبو عبيد ، وقدمه منطلقاً . وقيل مالك كما حكاه الزبير بن بكار والدارقطني . وصدر به في الفتح . . هذا وبعضهم يقول إن عتيقا تزوجها بعد أبي هالة . أما ما ذكره السهيلي فهو قوله قتادة وابن شهاب وابن إسحاق .

بابك عبد الله بن الزبير ، لأنها كانت قد استوثقت من أبويته ، فكان في حيزها يدهوها ، أمّا ، ذكره ابن إسحاق وغيره ، وأصح ما روى في فضلها على النساء قوله عليه السلام : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام ، وأراد الثريد باللحم ، كذا رواه معمر في جامعه مفسراً عن قتادة ، وأبان رفعه ، فقال فيه كفضل الثريد باللحم ، ووجه التفضيل من هذا الحديث أنه قال في حديث آخر : سيّد إدام الدنيا والآخرة الأحجم ، مع أن الثريد إذا أطلق لفظه ، فهو ثريد اللحم ، وأنشد سيّبويه :

إذا ما أُنْخِزُ تَأْدِمُهُ بِلَحْمٍ فَذَكَ أَمَانَةُ اللَّهِ الثَّرِيدُ (٣)

خديجة وعائشة ومريم :

ولولا ما تقدم من الحديث المخصّص لخديجة بالفضل عليها حيث قال : والله ما أبدلني الله خيراً منها ، لقلنا بتفضيلها على خديجة ، وعلى نساء العالمين ، وكذلك القول في مريم الصديقة ، فإنها عند كثير من العلماء نبيّة نزل عليها جبريل عليه السلام بالوحى ، ولا يُفضّل على الأنبياء غيرهم ، ومن قال : لم تكن نبيّة ، وجعل قوله تعالى : ﴿ اصطفاك على نساء العالمين ﴾ مخصوصاً بعالم زمانها ، فمن قوله : إن عائشة وخديجة أفضل منها ، وكذلك يقولون في سائر أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهن أفضل نساء العالمين ،

(٣) ص ٤٣٤ - ١ - ١٤٤ ، كتاب سيبويه . ويقال : إن النحويين هم الذين وضعوا هذا البيت :

ونزعوا في تصحيح هذا المذهب بما يطول ذكره والله أعلم ، وفي مسند البزار
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في فاطمة هي سيّدة نساء أهل الجنة
إلا مريم .

أم سلمة :

وذكر أم سلمة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقها مِجَشَّة ، وهي
الرّاحي ، ومنه سمي الجشيش . وذكر مع المِجَشَّة أشياء لانعرف قيمتها ، منها جَفَنَةٌ
وقِراش . وفي مسند البزار ذكر قيمتها ، قال أنس : أصدقها متاعاً قيمته عشرة
درهم ، قال البزار : ويروى أربعون درهما .

جويرية

وذكر جُوَيْرِيَّة بنت الحارث بن أبي ضَرَارٍ ، وكانت قبله عند مُسَايِعِ
ابن صفوان الخزاعي^(١) وقال : أسلم الحارث ، وأسلم ابنه ، ولم يُسمَّهما ، وهما
الحارث بن الحارث وعمرو بن الحارث ، ذكره البخاري .

زينب بنت جحش :

وذكر زينب بنت جَحَشٍ ، وأن أخاها أبا أحمد هو الذي أنكحها من
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا خلاف ما ثبت في الحديث أنها
كانت تفخر على صَوَّاحِبِها ، وتقول : زَوَّجَكُنَّ أَهْلُكُنَّ من رسول الله صلى الله

(١) قتل كافراً يوم المريسيع كما جزم به ابن أبي خيثمة والواقدي .

عليه وسلم وزوجني رب العالمين من فوق سبع سموات^(١) وفي حديث آخر أنه لما نزلت الآية ﴿وَزَوَّجْنَا كُهَا﴾ قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل عليها بغير إذن^(٢) ولم يذكر ابن إسحاق في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم شراف بنت خليفة أخت ربيعة بن خليفة الكلبي ، وذكرها غيره ، ولم يُتَمِّمْ عنده إلا يسيراً حتى ماتت^(٣) وكذلك العالمة^(٤) بنت ظبيان [بن عمرو بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب] ذكرها غيره في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك وسنى بنت الصلت^(٥) تزوجها ثم خلى سبيلها ، ويقال فيها : سناً بنت أسماء بنت الصلت . ومنهن أسماء بنت الثممان بن الجون الكندي^(٦) اتفقوا على تزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها ، واختلفوا ، في سبب فراق النبي صلى الله عليه وسلم لها . وكذلك قيل في : شراف بنت

(١) أخرجه الترمذي وصححه من حديث أنس

(٢) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي ، وقد حدث هذا بعد انقضاء عدتها .

(٣) وجزم ابن عبد البر . أنها ماتت في الطريق قبل وصولها إليه .

(٤) ويقال : إنه طلقها وقد رواه ابن سعد عن هشام الكلبي عن رجل من بني

بكر ، وقد قيل إنه طلقها لأنه رأى بها بياضاً ، والله أعلم . والزائدة في نسبها

عن ابن حبيب في المحبر ص ٩٣ .

(٥) وقيل : سنى بفتح السين وتخفيف النون ، وسماها قتادة أسماء أما ابن حبيب

في المحبر فيقول إنها بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن خريم بن سمالك

ابن عوف السلمي . ويقولون : إنها ماتت قبل أن تصل إليه .

(٦) وقيل أسماء بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن كندى

ابن الجرن . وبعضهم يجعل أسماء هذه وأسماء بنت كعب الجونية امرأة واحدة .

ولكن ابن حبيب وغيره فرق بينهما .

خليفة : إنها هلكت قبل أن يدخل بها، فإله أعلم .

وذكر خَوَلَة ، ويقال فيها خَوَيْلَة ، ذُكرت فيمن تزوجهم النبي عليه السلام ، ويقال : هي التي وَهَبَتْ نفسها للنبي عليه السلام ^(١) .

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر خروجه صلى الله عليه وسلم في مرضه إلى المسجد ، وأن أبا بكر كان الإمام ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتم به ، وهذا الحديث مُرْسَلٌ في السيرة ، والمعروف في الصَّحَاح أن أبا بكر كان يُصَلِّي بِصَلَاةِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناسُ يَصَلُّون بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ ، ولكن قد رُوِيَ عن أَنَسٍ من طريقٍ مُتَّصِلٍ أن أبا بكر كان الإمام يومئذ ، واختلف فيه عن عائشة رضي الله عنها ، وروى الدَّارَقُطْنِيُّ من طريق المغيرة بن شُعْبَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ما مات نبي حتى يَؤْتَهُ رجلٌ من أُمَّته ^(١) ، وذكر

(١) ويقال إنها أم شريك القرشية العامرية ، واسمها : غزبة بضم الغين وفتح الزاي وتشديد الياء - بنت جابر بن عوف من بني عامر بن لؤي . وقيل : غزبة بنت داود بن عوف . وقيل : هي أم شريك غزبة الانصارية من بني النجار ، وفي الصفوة لابن الجوزي هي أم شريك غزبة بنت جابر الدوسية . قال : والأكثرون على أنها التي رهب نفسها له صلى الله عليه وسلم . فلم يقبلها لكبر سنها . وما ذكره السبيل موقوف ابن قتيبة في المعارف . وقيل إن اللاتي وهبن أنفسهن : أم شريك وخولة ليلى بنت الحطيم ولم يدخل بهن وميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة أم المساكين . وانظر زاد المعاد ص ٥١ إلى ص ٥٨ = ١ عن أزواج النبي ص ، وكذلك شرح المواهب اللدنية = ٣ من ص ٢١٦ إلى ص ٢٧١ .

(١) أخرجه ابن سعد عن محمد بن إبراهيم .

أبو عمر هذا الحديث إلا أنه ساقه عن ربيعة بن عبد الرحمن مُرسلاً ،
وقد أسنده للبزار أيضاً من طريق ابن الزبير عن محمد بن بكر ،
وفي مراسيل الحسن البصري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرض
عشرة أيام صلى أبو بكر بالناس تسعة أيام منها ، ثم خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اليوم العاشر منها يهادي بين رجلين أسامة والفضل بن عباس
حتى صلى خلف أبي بكر ، رواه الدارقطني . ففي هذا الحديث أنه مريض عشرة
أيام ، وهو غريب ، وفيه أن أحد الرجلين كان أسامة ، والمعروف عن
ابن عباس أنه كان علي بن أبي طالب ، وفيه صلاته عليه السلام خلف أبي بكر .

حديث العباس :

فصل : وذكر حديث العباس ، وأنه قال : لأُدَّئِه ، فلدَّؤِه ، وحسبوا أن
به ذات الجنب^(١) ، ففي هذا الحديث أن العباس حضره ولده مع من لدَّ .
وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يَبْقَيْنَ أحدٌ بالبيت
إلا لدَّ^(٢) إلا عَمَى العباس ، فإنه لم يَشْهَدْكم ، وهذه أصح من رواية ابن اسحاق

(١) ذر الجنب الذي يشكى جنبه إلا أن ذو للمذكر ، وذات للمؤنث ،
وصارت ذات الجنب علماً لها ، وإن كانت في الأصل صفة مضافة . والادود
من الأدوية ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم ، ولديدا الفم : جانباه .
ولدوه : فعلوا به ذلك .

(٢) يقول ابن الأثير : إنه فعل ذلك عقوبة لهم لأنهم لدوه بعير إذنه .

وإنما لآذوه لأنه عليه السلام قد قال في القُسط^(١) : فيه سبعةُ أشْفِيَةٍ يُبْلِثُ به من ذات الجنب ، وَيُسْعَطُ به من العُدْرَةِ ، ولم يذكر الخُمْسَةَ . قال ابنُ شَهَابٍ : فنحن نستعمله في أذْوِيتِنَا كُلِّهَا لعلنا نصيبُها ، والآذود في جانبِ الفم من داخلِهِ يُجملُ هناك الدَّواء ويُحكُّ بالإصْبَعِ قليلاً .

وقوله : في ذات الجنبِ : ذاك داء ما كان الله ليَقْذِفَنِي به ، وقال في هذا الحديث من رواية الطبري له : أنا أكرم على الله من أن يَقْذِفَنِي بها ، وفي رواية أخرى : وهى من الشيطان ، وما كان الله لِيُسَلِّطَهَا عَلَيَّ . وهذا يدل على أنها من سَيِّئِ الأَسْقَامِ التي تعوَّذُ النبيُّ عليه السلام منها في دعائه حيث يقول : اللهم إني أعوذ بك من الجنون والجذام وسَيِّئِ الأَسْقَامِ ، وإن كان صاحبها من الشهداء السَّبعة ، ولكنه عليه السلام قد تعوذ من الفَرْقِ والحَرْقِ ، مع قوله عليه السلام : الفَرِيقُ شَهِيدٌ ، والحَرْبِيقُ شَهِيدٌ . وقد ذكر أن أسماء بنت عُمَيْسٍ هى التي لَدَّتْهُ فَاللهُ أعلم . والوجع الذى كان بالنبي عليه السلام فَلَدٌ هو الوجع الذى يُسَمَّى خَاصِرَةً ، وقد جاء ذكره في كتاب التَّذْوِيرِ من المَوْطَأِ ، قال فيه : فأصابتنى خَاصِرَةٌ ، قالت عائشة : وكثيراً ما كان يصيبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الخَاصِرَةُ . قالت ولا تَهْتَدِي لاسم الخَاصِرَةِ ، ونقول : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عِرْقٌ في السَّكَلِيَّةِ . وفي مُسْنَدِ الحارث بن أبي أسامة يرفعه إلى النبي عليه السلام ، قال : الخَاصِرَةُ عِرْقٌ في السَّكَلِيَّةِ إذا

(١) القسط : عقار معروف في الادوية طيب الريح ، يبخر به النساء والاطفال .

تحرك وَجَعَ صاحِبِهِ دَوَائِلُهُ الْعَمَلُ بِالنَّسَاءِ الْمُحَرَّقِ ، وَهُوَ حَدِيثٌ يَرْوِيهِ
عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ دُرَّةَ ، وَعَبْدِ الرَّحِيمِ الضَّعِيفُ مَذْكُورٌ
عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ فِي الضَّعْفَاءِ ، وَلَكِنْ قَدْ رَوَتْ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ .

وَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هَذَا يَوْمُ بَنَاتِ خَارِجَةَ يَارَسُولَ اللَّهِ . بَنَتْ
خَارِجَةَ اسْمُهَا : حَبِيبَةُ ، وَقِيلَ مِلْكِيَّةٌ ، وَخَارِجَةُ هُوَ ابْنُ زَيْدٍ بْنُ أَبِي زُهَيْرٍ ،
وَابْنُ خَارِجَةَ هُوَ زَيْدُ بْنُ خَارِجَةَ الَّذِي تَسَكَّمُ بِمَدِّ النَّوْتِ فِيمَا رَوَى ثِقَاتُ أَهْلِ
الْحَدِيثِ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَاتَ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ ، فَلَمَّا سَمِعَ عَلَيْهِ
تَمِيمُوا جَنَاجِلَةً فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ تَسَكَّمُ ، فَقَالَ : أُنَحِّدُ أُنَحِّدُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ
صَدَقَ صَدَقَ ، وَأَبُو بَكْرٍ الْعَدِيُّ الضَّعِيفُ فِي نَفْسِهِ الْقَوِيُّ فِي أَمْرِ اللَّهِ
فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، صَدَقَ صَدَقَ ، عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، الْقَوِيُّ الْأَمِينُ فِي الْكِتَابِ
الْأَوَّلِ صَدَقَ صَدَقَ ، عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ عَلَى مِنْهَاجِهِمْ مَضَتْ أَرْبَعٌ وَبَقِيَتْ
سَلْتَانَتَانِ ، أُنْتُ الْفَتْنُ ، وَأَكَلَ الشَّدِيدُ الضَّعِيفَ ، وَقَامَتِ السَّاعَةُ وَسَيَأْتِيكُمْ
خَيْرٌ بِثَرٍّ أَرِيْسٍ ، وَمَا بَثَرُ أَرِيْسٍ ^(١) . قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : ثُمَّ هَلَكَ رَجُلٌ مِنْ
بَنِي خَطْمَةِ فَسُحِّي بِثَوْبٍ ، فَسَمِعُوا جَنَاجِلَةً فِي صَدْرِهِ ثُمَّ تَسَكَّمُ ، فَقَالَ : إِنْ
أَخَابَنِي الْخَارِثُ بْنُ تَخْزَرَجٍ صَدَقَ صَدَقَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ وَقَدْ عَرَضَ مِثْلُ هَذِهِ الْتَقَةِ لَرَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ أَخِي رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ ، قَالَ :
رَبِيعِي : مَاتَ أَخِي فَجَعَلْنَاهُ ، وَجَلَسْنَا عَنْدَهُ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ كَشَفَ
النُّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، قَاتَ : سُبْحَانَ اللَّهِ !! أَيْمَدَ النَّوْتُ ؟

(١) بَثَرُ قَرْيَةٍ مِنْ مَسْجِدِ قُبَاءَ .

قال: إني لقيت رَبِّي فَمَلَأَنِي رَوْحَ وَرِيحَانٍ ، وَرَبٌّ غَيْرُ غَضَبَانَ ، وَكَسَانِي نِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ مُسْنَدِي وَإِسْتَبْرَقِي؛ أَمْرُ عَوَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِنَّهُ قَدْ أَفْسَمَ أَنْ لَا يَبْرَحَ حَتَّى آتِيَهُ وَأَدْرِكَهُ ، وَإِنْ الْأَمْرُ أَهْوَنُ مَا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ فَلَا تَتَغَبَّرُوا ، ثُمَّ وَاللَّهِ كَأَنَّمَا كَانَتْ نَفْسُهُ حَصَاةً فَأُلْقِيَتْ فِي طَسْتٍ (١) .

آخر كلمة تسكلم بها عليه السلام :

فصل : وذكر أن آخر كلمة تسكلم بها عليه السلام : اللهم الرفيق الأعلى ، وهذا مُتَرَجِّعٌ مِنْ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ فَمِنْ هَذَا هُوَ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى ، وَلَمْ يَقُلِ الرَّفِيقَ ، لِمَا قَدَّمَاهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ بِمَا حَسَنَ ذَلِكَ ، مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَهَا عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَمِنْ هَذِهِ آخِرُ كَلِمَةِ تَسْكَامٍ بِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهِيَ تَنْتَضِمُ مَعْنَى التَّوْحِيدِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ كَلَامِ الْمُؤْمِنِ ، لِأَنَّهُ قَالَ : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ وَهُمْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَهُمْ أَهْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ثُمَّ بَيَّنَّ فِي الْآيَةِ الْمُنْتَدِمَةِ مَنْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَذَكَرَهُمْ ، وَهُمْ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ خَيْرٌ فَاخْتَارَ ، وَبَعْضُ الرِّوَاةِ يَقُولُ عَنْ عَائِشَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : فَأَشَارَ

(١) لا تصح في هذه القصة إلا أحاديث من ، وإما أن يكون وراءها هوى لشيم الذكاء ، وإما أن تكون إغواء عميقة ، أفاق بعدها زيد . فقال ما رأى في غيبوبة . ولا فإن هدى القرآن والسنة في جانب . وهذا في الجانب الآخر .

بِأَصْبَحِهِ ، وَقَالَ : فِي الرِّفِيقِ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ قَالَ : اللَّهُمَّ الرِّفِيقُ ^(١) ،
وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ ، يَرِيدُ : التَّوْحِيدَ ، فَقَدْ دَخَلَ بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ ، وَلَوْ لَمْ يُشِرْ ، وَلَكِنْ ذَكَرْنَا هَذَا لِثَلَاثِ اقْوَالٍ
الْقَائِلُ : لَمْ يَكُنْ آخِرَ كَلَامِهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ
وَهُوَ مُسْتَرْضِعٌ عِنْدَ حَلِيمَةٍ أَنْ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، رَأَيْتُ ذَلِكَ فِي بَعْضِ كُتُبِ
الْمَوَاقِدِيِّ .

وَأَمَّا آخِرُ مَا أَوْصَى بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَأَن يَقَالَ : الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
حَرِّكَ بِهَا لِسَانَهُ وَمَا يَكَادُ بَيِّنُ ، وَفِي قَوْلِهِ : مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ قَوْلَانِ : قِيلَ :
أَرَادَ الرِّفْقَ بِالْمَمْلُوكِ ، وَقِيلَ : أَرَادَ الزَّكَاةَ ، لِأَنَّهَا فِي الْقُرْآنِ مَقْرُونَةٌ بِالصَّلَاةِ ،
وَهِيَ مِنْ مِلْكِ الْيَمِينِ ، قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ .

وَقَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَمِنْ سَنَنِى وَحَدَاثَةِ سَنَى أَنَّهُ قُبِضَ
فِي حِجْرِي فَوَضَعَتْ رَأْسَهُ عَلَى الْوِسَادَةِ ، وَقَدْ أَلْتَدِمُ مَعَ النِّسَاءِ . الْإِلْتِدَامُ :
خَرْبُ الْخَلْدِ بِالْيَدِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ هَذَا فِي التَّحْرِيمِ ، لِأَنَّ التَّحْرِيمَ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى
الشَّرَاحِ وَالنُّوْحِ ، وَلُمِنَ الْخَارِقَةِ وَالْحَالِقَةِ وَالصَّالِقَةِ وَهِيَ الرَّافِعَةُ لَصَوْنِهَا ،

(١) فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ : كَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا : اللَّهُمَّ فِي
الرِّفِيقِ الْأَعْلَى . وَفِي أُخْرَى أَنَّهُ سَمِعَتْهُ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي
وَالْحَقْنِي بِالرِّفِيقِ الْأَعْلَى .

ولم يذكر اللّذم^(١) لكنه ، وإن لم يذكره ، فإنه مكروه في حال المصيبة ، وتركه أحد إلا على أحمد صلى الله عليه وسلم :

فَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَصَائِبِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِابْنِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ^(٢)

مَنْ نُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ؟ :

واتفقوا أنه تُؤْفَى - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين إلا شيئاً ذكره..
ابن قتيبة في المعارف : الأزيعاء^(٣) ، قالوا كلهم : وفي ربيع الأول ، غير أنهم

(١) ما نظن أن سيدة في مثل دين عائشة رضى الله عنها وتقواها وأخذها الكتاب بقوة يلزم المصاب عقلاً ، فيدفعها إلى افتراء فعل الجاهلية . هذا وقد روى ابن مسعود أن رسول الله ، ص ، قال : « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية ، البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه . وهل الدم إلا العلم ؟ قد تبكى ، وتطيل البكاء . أما أن تلطم ، ومع النساء ؟ وفى بيت قدسته روح النبوة ؟ أما هذا ، فلا يجوز تصويره ولا قوله .

(٢) ذاك شعر ليس بينه وبين هدى السنة رحم . فالصبر محمود في كل مصيبة . ترى أكان صبر أبى بكر على وفاة خليفه ، ص ، كان غير حميد ؟ والجاذع لا يمكن أن يسمى حامداً ، إنما هو زخرف من القول . وأجل من هذا قول القائل :

اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها نوب تنوب اليوم تسكن في غد
وإذا أتتك مصيبة تشقى بها فاذكر مصابك بالنبي محمد

(٣) قال ابن قتيبة أولاً : قبض الله عز وجل رسوله ، ص ، يوم الاثنين وقرآن . ذلك كان في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة . ثم قال : ويقال =

قالوا ، أو قال أكثرهم في الثاني عشر من ربيع ، ولا يصح أن يكون توفي صلى الله عليه وسلم إلا في الثاني من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة ، وهو التاسع من ذي الحجة ، فدخل ذو الحجة يوم الخميس ، فكان المحرم إما الجمعة وإما السبت ، فإن كان الجمعة ، فقد كان صفرًا إما السبت وإما الأحد ، فإن كان السبت ، فقد كان ربيعًا الأحد أو الاثنين ، وكيفما دارت الحال على هذا الحساب ، فلم يكن الثاني عشر من ربيع يوم الاثنين بوجه ، ولا الأربعاء أيضًا^(١) كما قال القتيبي ، وذكر الطبري عن ابن الكلبي وأبي مخنف أنه توفي في الثاني من ربيع الأول^(٢) ، وهذا القول وإن كان خلاف أهل الجمهور فإنه لا يبعد أن كانت الثلاثة الأشهر التي قبله كلها من تسعة وعشرين ، فتدبره ، فإنه صحيح ، ولم أر أحداً تنظن له ، وقد رأيت للخوارزمي أنه توفي عليه السلام في أول يوم من ربيع الأول ، وهذا أقرب في القياس بما ذكر الطبري عن ابن الكلبي وأبي مخنف .

== إنه ولد يوم الاثنين ، وبعث يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين ، ودفن ليلة الأربعاء في حجرة عائشة ، وفيها قبض ، ص ٥٥ المعارف .

(١) يذكر في المعارف أنه دفن يوم الأربعاء ، أما الوفاة فذكر أنها كانت يوم الاثنين فليس تمت خلاف . ويصح الحاكم أنه دفن يوم الاثنين عند الزوال . أما ابن عبد البر فيقول : أكر الآثار على أنه دفن يوم الثلاثاء .

(٢) وقد صححه ابن حزم وغيره .

السواك :

فصل : وذكر عن عائشة رضى الله عنها أنها تناولته السواك حين رآته ينظر إليه ، فاستأذنه به ^(١) ، وفيه من الفقه : التَّنَظُّفُ والتَّطَهُّرُ للموت ، ولذلك يُسْتَحَبُّ الاستِحْدَادُ لمن اسْتَشْعَرَ القَتْلَ أو الموتَ كما فعل حُبَيْبٌ ، لأنَّ الميْتَ قَادِمٌ عَلَى رَبِّهِ ، كما أَنَّ للصَّلى مُنَاجَ رَبِّهِ ، فالنَّظَافَةُ من شَأْنِهِمَا ، وفي الحديث : إِنْ اللهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ، خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَإِنْ كَانَ مَمْلُوكَ السِّنْدِ ، فَإِنْ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ ، وَلَيْسَ النَّظِيفُ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ ، وَلَكِنَّهُ حَسَنٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، لِازْدِوَاجِ الْكَلَامِ ، وَلِقُرْبِ مَعْنَى النَّظَافَةِ مِنْ مَعْنَى الْقُدُسِ ، وَمِنْ أَسْمَاءِهِ سُبْحَانَهُ : الْقُدُّوسُ ، وَكَانَ السَّوَاكُ لِلذِّكْرِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ حَسْبِ نَحْلٍ فِيمَا رَوَى بَعْضُهُمْ ، وَالْعَرَبُ تَسْتَاكُ بِالتَّسْيِيبِ ^(٢) ، وَكَانَ أَحَبَّ السَّوَاكِ إِلَى رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صُرْعُ الْأَرَاكِ ، وَاحِدُهَا صَرِيعٌ ، وَهُوَ قَضِيبٌ يَنْطَوِي مِنَ الْأَرَاكِ حَتَّى يَبْلُغَ التَّرَابَ ، فَيَبْقَى فِي ظِلِّهَا فَهُوَ الْأَيْزُ مِنْ قَرَعِهَا .

وَمَا رَوَى مِنْ قَوْلِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - فِي مَعْنَى قَوْلِهَا : بَيْنَ سَخْرِي وَنَحْرِي ، أَنَّهَا قَالَتْ : قَبِضَ رَسُولُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ حَاقِنَتِي

(١) كَانَ سَوَاكُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ كَمَا وَرَدَ فِي الْبُخَارِيِّ . وَكَانَ السَّوَاكُ مِنْ جَرِيدَةِ رَطْبَةٍ . تَقُولُ عَائِشَةُ : إِنْ مِنْ نَعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَى أَنْ اللهُ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ . دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَبَيَّدهُ سَوَاكُ رَأَى أَنَا مُسْنَدَةَ رَسُولِ اللهِ ، أَخْبَرَ الْحَدِيثَ .

(٢) سَبَقَ الْكَلَامُ عَنِ السَّوَاكِ كَمَا وَرَدَ فِي الْبُخَارِيِّ .

وَدَاقِنَتِي ، فَالْحَاقِنَةُ الثُّغْرَةُ^(١) ، وَالدَّاقِنَةُ : تَحْتَ الدَّقْنِ ، وَيُقَالُ لَهَا : الثُّنُونَةُ
أَيْضًا . وَرَوَى أَيْضًا : بَيْنَ شَجَرِي - بِالشَّيْنِ وَالْجِيمِ - وَتَحْرِي ، وَسَمِلَ عُمَارَةُ بْنُ
عَقِيلٍ عَنْ مَعْنَاهُ ، فَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ ، وَضَمَّهَا إِلَى نَحْرِهِ .
وَعُسِّلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قُبِضَ مِنْ بَيْتْرِ لَسَعِدِ بْنِ خَنْمَشَةَ يُقَالُ لَهَا بَيْتَرُ
الْفَرَسِ .

كرامات ومعجزات :

فصل : وَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَلَّمُوا حِينَ أَرَادُوا نَزْعَ قَبِيضِهِ لَلْفُضْلِ ، وَكَلَّمَهُمْ سَمِعَ
الصَّوْتَ ، وَلَمْ يَرِ الشَّخْصَ ، وَذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) ، وَمِنْ
آيَاتِ نُبُوَّتِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَقَدْ كَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَرَامَاتٌ وَمُعْجِزَاتٌ^(٣)
فِي حَيَاتِهِ ، وَقَبْلَ مَوْلَاهُ وَبَعْدَ مَوْتِهِ . وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ أَبُو عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّهْمِيدِ
مِنْ طُرُقِ صِحَاحٍ : أَنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ سَمِعُوا وَهُوَ مُسَجِّى بَيْنَهُمْ قَائِلًا يَقُولُ :
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّ فِي اللَّهِ عِوَضًا مِنْ كُلِّ تَالِفٍ ،
وَخَلَقًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ ، وَعِزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ ، فَاصْبِرُوا وَاحْتَسِبُوا ، إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ ، وَهُوَ حَسْبُنَا ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ . قَالَ : فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ اتَّخَضَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِينًا وَعَلَيْهِ^(٤) . وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ الْفُضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يُفَسِّلُهُ

(١) أَوْ هِيَ كَمَا عَرَّفَهَا ابْنُ الْأَثِيرِ : لَوْ هَدَا الْمُنْخَفِضَةُ بَيْنَ التَّرْقُوتَيْنِ مِنَ الْحَلْقِ .

(٢) الرِّوَايَةُ تَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ أَلْقَى عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا ذُقْنُهُ فِي صَدْرِهِ .
فَهِيَ إِذَا رُؤِيَ وَنَدَّ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ وَابَيْهَقِي .

(٣) قُلْتُ مِنْ قَبْلِ : لَسَمَ مَا مِنْ بِهِ اللَّهُ عَلَى رَسُلِهِ تَأْيِيدًا لَهُمْ : آيَاتُ .

(٤) وَصَاحِبُ مُوسَى هَذَا قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِ بِمِائَاتِ السَّنِينَ .

هو وعلى ، فجعل الفضل وهو يصب الماء يقول : أرخني أرخني ، فإني أجد شيئاً يقتزل على ظنري . ومنها أنه عليه السلام لم يظهر منه شيء مما يظهر من الموتى ، ولا تغيرت له رائحة ، وقد طال مكثه في البيت . قبل أن يدفن ، وكان موته في شهر أيلول ، فكان طيباً حياً وميتاً ، وإن كان عمه العباس قد قال لعل : إن ابن أخى مات لاشك ، وهو من بنى آدم يأمن كما يأمنون^(١) ، فواروه . وكان مما زاد العباس يقيناً بموته عليه السلام أنه كان قد رأى قبل ذلك يبسيرا كأن القمر رُفِعَ من الأرض إلى السماء بأشطان ، فقصّها على نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : هو ابن أخيك . وروى يونس بن بكير في السيرة أن أم سلمة قالت : وضعت يدي على صدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ميت فمرّت على مجمع لا آكل ولا أتوضأ إلا وجدت ريح المسك من يدي ، وفي روايته أيضاً : أن علياً نودى ، وهو يُفسّله أن ارفع طرفك إلى السماء . وفيها أيضاً أن علياً والفضل حين انتميا في الغسل إلى أسفله سمعوا منادياً يقول : لا تكشِفُوا عَوْرَةَ نَبِيِّكُمْ عليه السلام .

موازاة بين عمر وبين أبي بكر :

وأما جَزَعُ عمر رضى الله عنه وقوله : والله ما مات رسول الله صلى الله عليه

(١) لا ريب في أن العباس صدر في كلمته هذه عن يقين الإيمان بشرية محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خاتم النبيين ، وأن عظمته تتجلى فيما صدر عنه في حياته لا فيما ينسب إلى هذا الجسد المسجى وليس فيما روى هنا حديث عند أصحاب الصحيح .

وسلم ، وَاَيُّزَجَمَنَّ كَمَا رَجَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى كَلَّمَهُ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ .
 وَذَكَرَهُ بِالْآيَةِ ، فَهَمَّ حَتَّى سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَمَا كَانَ مِنْ تَبَيَّاتٍ جَاشٍ .
 أَبِي بَكْرٍ وَقَوْنَهُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ ^(١) ، فَقَبِيهَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 مِنْ شِدَّةِ التَّأَلُّهِ ، وَتَمَثَّلَ الْقَلْبُ بِالْإِلَهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ،
 فَإِنْ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ . وَمِنْ قُوَّةِ
 تَأَلُّهِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ أَجْمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
 رَدِّ جَيْشِ أُسَامَةَ حِينَ رَأَوْا الرُّدَّةَ قَدْ اسْتَعْرَتْ نَارُهَا ، وَخَافُوا عَلَى نِسَاءِ
 الْمَدِينَةِ وَذُرَارِيهَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ لَمَبَتِ الْكِلَابُ بِمَخَالِخِ نِسَاءِ الْمَدِينَةِ ،
 مَا رَدَدْتُ جَيْشًا أَنْفَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَلَّمَهُ عُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ ،
 وَسَالَمَهُ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ ، وَكَانَ أَشَدَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ أَنْ يُخَالِفَ رَأْيَهُ رَأَى سَالِمًا ،
 فَكَلَّمُوهُ أَنْ يَدْعَ لِلْعَرَبِ زَكَاةَ ذَلِكَ الْعَامِ تَأْلَفًا لَهُمْ حَتَّى يَتِمَّ لَهُ الْأَمْرُ ، فَقَدْ
 كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَأَلَّفُهُمْ ، وَكَلَّمَهُ عُمَرُ أَنْ يُؤَوِّيَ مَكَانَ
 أُسَامَةَ مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْهُ ، وَأَجْلَدُ ، فَأَخَذَ بِلَحْيَةِ عُمَرَ ، وَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ الْخَطْلَبِ
 أَتَأْمُرُنِي أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ حَالٍ عَقْدًا عَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 وَاللَّهُ لَأَنْ أُخِيرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَتَخْطِفَنِي الطَّيْرُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ

(١) مَا أَجَلَ مَا عَبَّرَتْ بِهِ عَائِشَةُ عَنْ مَوْقِفَيْهَا حِينَ قَالَتْ - كَارِوْدِي الْبَخَارِي -
 وَفَا كَانَتْ مِنْ خُطْبَتَيْهَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلَّا نَفَعَ اللَّهُ بِهَا ، لَقَدْ خُوفَ عَمْرُ النَّاسِ ،
 وَإِنْ فُهِمَ لِنَفَاقَا ، فَرَدَّمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ ، ثُمَّ لَقِيَ أَبَا بَكْرٍ النَّاسِ الْهَدْيَ ، وَعَرَفَهُمْ
 الْحَقُّ الَّذِي عَلَيْهِمْ ،

أَمَّا لَيْسَ كُمْ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ ، وَقَالَ لَهُمْ : وَاللَّهِ لَوْ أَفْرَدْتُ مِنْ جَمِيعِكُمْ لِقَاتِلَهُمْ
وَحَدَى حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي ، وَلَوْ مَنْعُونِي عِقَالًا ، لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ ، أَوْ فِي شَيْءٍ
أَنْتُمْ ، إِنْ وَعَدَ اللَّهُ تَلَقُّوا . وَإِنْ قَوْلُهُ أَصْدَقُ ، وَلِيُظْهِرَنَّ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ ، وَلَوْ كَرِهَ
الشُّرَكَاءُ . ثُمَّ خَرَجَ وَحْدَهُ إِلَى ذِي الْقَعَصَةِ ^(١) حَتَّى اتَّبَعُوهُ ، وَسَمِعَ الصَّوْتَ بَيْنَ
يَدَيْهِ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ إِلَّا إِنْ الْخَلِيفَةَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْكُمْ الْهَرَبُ الْهَرَبُ ، حَتَّى انْصَلَّ
الصَّوْتُ مِنْ يَوْمِهِ بِيَلَادِ حَمِيرٍ ، وَكَذَلِكَ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَانَ
يُلَوِّحُ الْفَرْقُ فِي الثَّغْلَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ حِينَ
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ تَخْفِضُ مِنْ صَوْتِكَ بَعْنِي فِي صَلَاةٍ .
الْأَيْل ، فَقَالَ : قَدْ أَسَمِعْتُ مَنْ تَأَجَّجْتُ ، وَقَالَ : لِلْفَارُوقِ : سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ تَرْفَعُ
مِنْ صَوْتِكَ ، فَقَالَ : كَيْ أَطْرُدَ الشَّيْطَانَ ، وَأَوْقُظَ الْوَسْطَانَ . قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ
ابْنُ هَوَازِنِ الْقَشِيرِيُّ ^(٢) ، وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ : انْظُرُوا إِلَى فَضْلِ الصَّدِّيقِ عَلَى
الْفَارُوقِ ، هَذَا فِي مَقَامِ الْمُجَاهَدَةِ ، وَهَذَا فِي بَسَاطَةِ الْمَشَاهِدَةِ ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ
مِنْهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَقَاتِلَهُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَهُوَ مَعَهُ
فِي الْقَرِيشِ ، وَكَذَلِكَ فِي أَمْرِ الصَّدَقَةِ حِينَ رَغِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - فِيهَا ، فَجَاءَ عُمَرُ بِنِصْفِ مَالِهِ ، وَجَاءَ الصَّدِّيقُ بِجَمِيعِ مَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ
النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا بَقِيتَ لِأَهْلِكَ ؟ قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَهُ فِي قَسَمِ
النِّقْيَةِ حِينَ سَوَّى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ : هُمْ إِخْوَةٌ ، أَبُومُ الْإِسْلَامِ ، فَهَمَّ فِي هَذَا

(١) مكان على بربد من المدينة . وهناك غيره ، فانظر المشترك وضعاً لياقوت .

(٢) هو صاحب الرسالة القشيرية التي درس فيها من التصوف نزغات صارفة

من الحق .

النبي أسوة، وأجور أهل السوابق على الله. وفضل عمر في قسم النبي بعضهم على بعض على حسب سوابقهم، ثم قال في آخر عمره: لنن بقيت إلى قاييل لأُسويين بين الناس، وأراد الرجوع إلى أبي بكر، ذكره أبو عبيد رضي الله عنه، وعن جميع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

ما حدث للصحابة عقب وفاة صلى الله عليه وسلم :

ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها وذيرها من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قُض، وارتفعت الرثّة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الللائكة، دُهِشَ الناس، وطاشت عقولهم وأنعموا، واختطوا، فمنهم من خيل، ومنهم من أضحيت، ومنهم من أقعد إلى أرض، فكان عمر من خيل وجعل يصيح، ويخاف: ما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان مَعَنَ أخرس عثمان بن عفان حتى جعل يذقب به ويُنجا، ولا يستطيع كلاما، وكان ممن أقعد: علي، رضي الله عنه، فلم يستطع حراكا، وأما عبيد الله بن أبي نيس، فأضني حتى مات كدأ، وبلغ الخبير أبا بكر رضي الله عنه، وهو بالشُّنَج^(١)، فجاء وعينه نهـلـان، وزقارته تتردد في صدره، وغصصه ترتفع كقطع الجرة، وهو في ذلك رضوان الله عليه، جلد العقل والعمالة، حتى دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأكب عليه، وكشف وجهه ومسحه وقبل جبينه، وجعل يبكى، ويقول: بأبي

(١) ضبطها البكري بضم النون وغيره بسكونها.

أنت وأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وانقطع لموتك ما لم يَنْقَطِعْ لموتِ أَحَدٍ من الأنبياء من النبوة ، فَعَظُمْتَ من الصِّفَةِ ، وَجَلَّتْ عن البُكَاءِ ، وَخَصِمَتْ حتى صِرْتَ مَسَلَّةً ، وَعَمَتْ حتى صِرْنَا فِيكِ سَوَاءً ، وَلَوْ أَنَّ مَوْتَكَ كَانَ اخْتِيَارًا لَجَدْنَا لِمَوْتِكَ بِالنَّفُوسِ ، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الْبُكَاءِ لَأَنْفَذْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّنُونِ ، فَأَمَّا مَا لَا نَسْتَطِيعُ نَفْيَهُ فَكَمَدٌ وَإِدْنَا فُ بِتَحَالُفَانِ لَا يَبْرَحَانِ ، اللَّهُمَّ أَبْلِغْهُ عَنَّا ، إِذْ كُرْنَا بِأَحْمَدٍ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَلَنَكُنْ مِنْ بَالِكَ (١) ، فَلَوْلَا مَا خَلَقْتَ مِنَ السَّكِينَةِ ، لَمْ نَقُمْ لِمَا خَلَقْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ ، اللَّهُمَّ أَبْلِغْ نَبِيَّكَ عَنَّا ، وَاحْفَظْهُ فِينَا ، ثُمَّ خَرَجَ لِمَا قَضَى النَّاسُ عَمْرَاهُمَ ، وَقَامَ خَطِيبًا فِيهِمْ بِمُخْطَبَةٍ جُلُّهَا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخَاتَمُ أَنْبِيَائِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ ، وَأَنَّ الدِّينَ كَمَا شَرَعَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ الْقَوْلَ كَمَا قَالَ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ يَتَّبِعُ مُحَمَّدًا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَتَّبِعُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَدَّمَ لَكُمْ فِي أَمْرِهِ ، فَلَا تَدْعُوهُ جِزْعًا ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا عِنْدَهُ عَلَى مَا عِنْدَكُمْ ، وَقَبَضَهُ إِلَى ثَوَابِهِ ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ كِتَابَهُ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِمَا عَرَفَ ، وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا أَنْكَرَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ وَلَا يَشْمَلَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ وَلَا يَلْقَيْتَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ، وَعَاجِلُوا

(١) لَا يَقُولُ هَذِهِ أَبُو بَكْرٍ .

الشيطانَ بِالْخَزْيِ تُفْجِرُوه ، وَلَا تَسْتَنْظِرُوهُ قَبْلَ حَقِّكُمْ . فلما فرغ من خطبته ، قال : يَا عُمَرُ أَنْتَ الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُ عَلَى بَابِ نَبِيِّ اللَّهِ ، وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ : مَا مَاتَ نَبِيُّ اللَّهِ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ يَوْمَ كَذَا : كَذَا ، وَكَذَا ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِلَهُم مَيِّتُونَ ﴾ فقال عمر : وَاللَّهِ لَسْكَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ الْآنَ لِمَا نَزَلَ بِنَاءُ أَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ لَا يَمُوتُ ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ صلواتُ اللَّهِ على رسوله ، وعند اللَّهِ تَحْتَسِبُ رسوله . وقال عمر فيما كَانَ مِنْهُ :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّكَ مَيِّتٌ وَلَكِنَّمَا أَبْدَى الَّذِي قَلَبْتَهُ الْجَزَعُ (١)
وَقُلْتُ يَفِيبُ الْوَحْيُ عَنَّا لَفَقْدِهِ كَمَا غَابَ مُوسَى ، ثُمَّ يَرْجِعُ كَلَرَجَعٍ
وَكُنْ هَوَايَ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ وَلَيْسَ لِحَيٍّ فِي بَقَا مَيِّتٍ طَمَعُ
فَلَمَّا كَشَفْنَا الْبُرْدَ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ إِذَا الْأَمْرُ بِالْجَزَعِ الْمَوْهَبِ قَدْ وَقَعَ
فَلَمْ تَكُ لِي عِنْدَ الْمُصِيبَةِ حِيلَةٌ أَرَدْتُ بِهَا أَهْلَ الشَّمَانَةِ وَالْقَدَحِ
سِرْوَى آذَنَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَمَا آذَنَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِهِ يَقَعُ
وَقَدْ قُلْتُ مِنْ بَعْدِ الْمَثَالَةِ قَوْلَةً لَهَا فِي خُلُوقِ الشَّامِتِينَ بِهِ بَشَعُ
فَلَا إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ إِلَى أَجَلٍ وَافٍ بِهِ الْوَقْتُ فَانْقَطَعَ
نَدِينَ عَلَى الْعَمَلَاتِ مِنْهَا بِدِينِهِ وَنَمَطِي الَّذِي أُعْطِيَ ، وَنَمْنَعُ مَا مَنَعُ

(١) جزم بدون سبب . وليس في الشعر راحة من عمر .

ووليت مخزوناً بعين سَخِيْفَةٍ أَكْفَكِفُ دَمْعِي وَالْفَوَازِدُ قَدْ انْصَدَعَتْ
وقلت لمعني: كُلِّ دَمْعٍ ذَخْرَتُهُ مُجْجُودِي بِهِ إِنْ الشَّيْءُ لَهُ دُفْعٌ

وفي هذا الخبر أن عمر قال: فَعَقِرْتُ إِلَى الْأَرْضِ، بَعْنَى حِينَ قَالَ لَهُ
أَبُو بَكْرٍ مَا قَالَ، يُقَالُ: عَقَرَ الرَّجُلُ إِذَا سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ قَامَتِهِ، وَحُكْمُهُ
يَقْقُوبُ عَقَرَ بِالْقَاءِ كَأَنَّهُ مِنَ الْعَفْرِ وَهُوَ التُّرَابُ، وَصَوَّبَ ابْنُ كَيْسَانَ
الرَّوَابِيتَيْنِ، وَقَالَتْ مَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
فَلَوْ نَزَلَ بِالْجَبَالِ الثَّمَمُ مَانَزِلَ أَبِي لَهَاضٍ، ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ وَاشْتَرَّابُ النِّفَاقِ،
فَمَا اخْتَلَفُوا فِي نُقْطَةٍ إِلَّا طَارَ أَبِي بِحُظَّهَا وَغَنَّاها، وَيُرْوَى فِي مُبْقَطَةٍ بِالْبَاءِ، قَالَهُ
الْهَرَوِيُّ فِي الْغَرَبِيِّينَ، وَفَسَرَهُ بِاللَّامَةِ^(١)، وَنَحْوُهَا، وَاسْتَشْهَدَ بِالْحَدِيثِ
فِي النَّهْيِ عَنِ بَقْطِ الْأَرْضِ، وَهُوَ أَنْ يُقَطَعَ شَجَرُهَا فَتَتَخَذَ بُقْعًا لِلزَّرْعِ،
وَبَقْطُهَا ضَرْبٌ مِنَ الْمُخَاَبَرَةِ قَدْ فُسِّرَ.

كيف صلى على جنازته عليه السلام؟

ذكر ابن إسحاق وغيره أن المسلمين صَلُّوا عَلَيْهِ أَفْذَاذًا، لَا يَوْمُئِثُ مِنْهُمْ أَحَدٌ،
كَلَّمَا جَاءَتْ طَائِفَةٌ صَلَّتْ عَلَيْهِ، وَهَذَا خُصُوصٌ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَلَا يَكُونُ هَذَا الْفِعْلُ إِلَّا عَنْ تَوْكِيفٍ^(٢)، وَكَذَلِكَ رَوَى أَنَّهُ أَوْصَى بِذَلِكَ،

(١) فِي اللِّسَانِ: الْبَقْعَةُ: الْبُقْعَةُ مِنْ بَقِيعِ الْأَرْضِ أَوْ الْفَرْقَةِ مِنَ النَّاسِ.

(٢) حَدَّثَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ. وَيَقُولُ الْحَافِظُ فِي الْمَفْتَحِ،
إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ضَمِيرَةَ.. وَعَنْ أَبِي عَسِيْبٍ==

ذكره الطَّبْرِيُّ مُسْنَدًا ، ووجه الفقه فيه أن الله تبارك وتعالى افترض الصلاة عليه بقوله : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وحكم هذه الصلاة التي تضمنتها الآية ألا تكون بإمام ، والصلاة عليه عند موته داخلة في لفظ الآية ، وهي مُتَنَاوِلَةٌ لها ، وللصلاة عليه على كل حال ، وأيضاً فإن الرب تبارك وتعالى ، قد أخبر أنه يُصَلَّى عليه وملائكته ، فإذا كان الرب تعالى هو المصلّي والملائكة قبل المؤمنين ، وجب أن تكون صلاة المؤمنين تَبَعاً لصلاة الملائكة ، وأن تكون الملائكة هم الإمام ، والحديث الذي ذكرته عن الطَّبْرِيِّ فيه طول ، وقد رَوَاهُ الْبَزَّازُ أيضاً من طريق مُرَّةٍ عن ابن مسعود ، وفيه أنه حين جمع أهله في بيت عائشة - رضى الله عنها - أنهم قالوا : فمن يُصَلِّي عليك يا رسول الله ؟

== عند أحد أنه شهد الصلاة على رسول الله ص ، فقال : كيف نصلى عليك ؟ قال . ادخلوا أرسالا . وعن جابر وابن عباس أيضاً عند الطبراني ، وفي إسناده حد المنعم ابن إدريس وهو كذاب ، وفيه قال البزار : إنه موضوع . وعن ابن مسعود عند الحاكم بسند واه . وعن نبيط بن شريط عند البيهقي وذكره مالك بلاغا وفي الحديث أن الصلاة كانت عليه فرادى ، الرجال ، ثم النساء ، ثم الصبيان . قال ابن عبد البر : صلاة الناس عليه أفراداً يجمع عليه عند أهل السير ، وجماعة أهل العقل لا يختلفون فيه ، ورواه ابن دحية بأن ابن القصار - كى الخلاف فيه ، هل صلوا عليه الصلاة الممهودة أريدوا فقط ، وهل صلوا فرادى أو جماعة .. قال ابن دحية : والصحيح أن المسلمين صلوا عليه أفراداً لا يؤمهم أحد . وبه جزم الشافعي ، قال : وذلك لعظم رسول الله ص ، بأبي هو وأمي ، وتنافسهم في ألا يتولى الإمامة عليه في الصلاة واحد . قال ابن دحية : كان المصلون عليه ثلاثون ألفاً . أنظر نيل الأقطار ص ٤١ - ٤٢ ط ١٣٥٧ ، والخمسة نص للسيوطي ص ٢٩٤ ط دار الكتب الحديثة بتحقيق الاستاذ محمد خليل هراس .

قال : قَبَلًا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ خَيْرًا ، فَبَكَيْنَا وَبَكَى النَّبِيُّ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال : إِذَا غَسَلْتُمُونِي ، وَكَفَّيْتُمُونِي ، فَضَمُّونِي عَلَى سَرِيرِي
فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ، ثُمَّ اخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً ، فَإِنْ أَوَّلَ مَنْ يَصَلِّي
عَلَى جَلِيسِي وَخَلِيلِي جَبْرِيلُ ، ثُمَّ مِيكَائِيلُ ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ ، ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ مَعَ
جُنُودِهِ ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْمَعِهَا ، ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ ، فَصَلُّوا عَلَيَّ
وَسَلِّمُوا ، تَسْلِيمًا ، وَلَا تُؤْذُونِي بِتَرْكِ كَيْفِيَّةٍ ، وَلَا ضَجَّةٍ ، وَلَا رَنَّةٍ ، وَلْيَبْدَأْ بِالصَّلَاةِ
عَلَى رِجَالِ بَيْتِي ثُمَّ نِسَائِهِمْ ، وَأَنْتُمْ بَعْدَ اقْرَؤُوا أَنْفُسَكُمْ السَّلَامَ مِنِّي ، وَمَنْ غَابَ
مِنْ أَصْحَابِي فَاقْرَءُوهُ مِنِّي السَّلَامَ ، وَمَنْ تَابِعَكُمْ بَعْدِي عَلَى دِينِي ، فَاقْرَءُوهُ مِنِّي
السَّلَامَ ، فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ سَلَّمْتُ عَلَى مَنْ تَابَعَنِي عَلَى دِينِي مِنَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ، قُلْتُ : فَمَنْ يُدْخِلُكَ قَبْرِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَهْلِي مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ
يُرُونَكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ^(١) .

مَوْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ مُطْلَبٌ طَالِحٌ :

فَقُصِّلَ : وَكَانَ مَوْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطْبًا كَالِحًا ، وَرُزْزًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ
قَادِحًا ، كَادَتْ تُهْدِلُهُ الْجِبَالُ ، وَتَرْجُفُ الْأَرْضُ ، وَتَسْكُفُ النَّيِّرَاتُ ،
لَا نَقْطَاعَ خَبَرِ السَّمَاءِ ، وَفَقْدَ مَنْ لَا عِوَاضَ مِنْهُ ، مَعَ مَا آذَنَ بِهِ مَوْتُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
مِنَ الْفِتَنِ الشَّعْمِ ، وَالْخُودَاتِ الْوُحْمِ ، وَالْكُرْبِ الْمَذَلَّةِ ، وَالْمُزَاهِرِ

(١) لَا أَدْرِي كَيْفَ يَعْتَمَدُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي لَمْ يَخْرُجْهُ أَحَدٌ مِنَ أَصْحَابِ
الصَّحِيحِ وَالَّذِي طَعَنَ فِيهِ نَقْدَةُ الْحَدِيثِ ؟

الْمُضِلَّةُ ، فَلَوْلَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ السَّكِينَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ،
وَأَسْرَجَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ الْيَقِينِ ، وَشَرَحَ لَهُ صُدُورَهُمْ مِنْ فَهْمِ كِتَابِهِ الْمُبِينِ
لَا نَقَصَتْ الظُّهُورُ ، وَضَاقَتْ عَنِ الْكَرْبِ الصُّدُورُ ، وَلَمَّا قَامَ الْجَزَعُ عَنْ تَذْيِيرِ
الْأُمُورِ ، فَقَدْ كَانَ الشَّيْطَانُ أَطْلَعَ إِلَيْهِمْ رَأْسَهُ ، وَمَدَّ إِلَى إِيغْوَاهُمْ مَطْلَمَتَهُ ،
فَأَوْقَدَ نَارَ الشَّنَآنِ ، وَنَصَبَ رَايَةَ الْخِلَافِ ، وَلَكِنْ أَبِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ، وَيُعْلَى كَامَتُهُ ، وَيُنْجِزَ مَوْعِدَهُ ، فَأُطْفِئَ نَارَ الرَّدَّةِ ، وَحَسَمَ
قَادَةَ الْخِلَافِ وَالْفِتْنَةِ عَلَى يَدِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ :
لَوْلَا أَبُو بَكْرٍ لَهْلَكَتْ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ نَبِيِّهَا ، وَلَقَدْ كَانَ مَنْ قَدَّمَ الْمَدِينَةَ
يَوْمَئِذٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا أَشْرَفُوا عَلَيْهَا سَمِعُوا لِأَهْلِهَا ضَجِيجًا ، وَلِلْبُكَاءِ فِي جَمِيعِ
أَرْجَائِهَا عَجِيجًا ، حَتَّى صَحِلَتِ الْخُلُوقُ ، وَزُرِفَتِ الدَّمُوعُ ، وَحَقَّ لَهُمْ ذَلِكَ ،
وَلِنْ بَعْدِهِمْ ، كَمَا رَوَى عَنْ أَبِي ذُوئَيْبٍ التُّهَذَلِيُّ ، وَاسْمُهُ : خُوَيْلِدُ بْنُ خَالِدٍ ،
وَقِيلَ ابْنُ مُحَرَّثٍ ^(١) قَالَ : بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيلٌ
فَاسْتَشْفَرْتُ حُرْنَ نَاوَبَتْ بِأَطْوَلِ لَيْلَةٍ لَا يَنْجَابُ دَيْجُورُهَا ، وَلَا يَطْلُعُ نُورُهَا ،
فَظَلَّتْ أَقَاسِي طَوْلَهَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ قُرْبُ السَّحَرِ أَغْفَيْتُ ، فَمَتَفَ بِي هَاتِفٌ ،
وَهُوَ يَقُولُ :

خَطْبُ أَجَلٍ أَنَاخَ بِالْإِسْلَامِ بَيْنَ النَّخِيلِ وَمَعْقِدِ الْآطَامِ
قَبِضِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَعْيُونُنَا تُذَرِّي الدَّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ

(١) هو شاعر جاهلي إسلامي مات أيام عثمان ، وعامة شعره في إسلامه ، وحضر
سقيفة بن ساعدة .

قال أبو قُؤَيْبٍ : فَوَيْتَ من نَوَى فَرَعًا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أَرَ إلَّا سَمَدَ الدَّاجِجِ ، فتفاءلت به ذُبْحًا يقع في العَرَبِ ، وعلمت أن النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - قد قُبِضَ ، وهو ميت من عَمَاتِهِ ، فركبت ناقتي وسرت ، فلما أصبحتُ سَلَبْتُ شَيْئًا أَزْجُرُ بِهِ ، فَقَنَّ لِي شَيْئَهُمْ ، يَعْنِي : الْقُنْفُذَ قد قُبِضَ عَلَى صَلٍّ ، يَعْنِي : الْحَيَّةَ ، فَهِيَ تَلْقَوِي عَلَيْهِ ، وَالشَّيْئَهُمْ يَقْضُمُهَا حَتَّى أَكَلَهَا ، فَزَجَرْتُ ذَلِكَ ، وَقُلْتُ : شَيْئُهُمْ شَيْءٌ مِنْهُمْ ، وَالتَّوَّاءُ الصَّلُّ التَّوَّاءُ النَّاسُ عَنِ الْحَقِّ عَلَى الْقَائِمِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نَمَّ أَكَلُ الشَّيْئِهِمْ إِبَّاهَا غَلْبَةُ الْقَائِمِ بَعْدَهُ عَلَى الْأَمْرِ . فَحَثَّيْتُ نَاقَتِي ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْعَابَةِ زَجَرْتُ الطَّائِرَ فَأَخْبَرَنِي بِوَفَاتِهِ ، وَنَعَبَ غُرَابٌ سَارِحٌ فَنَطَقَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَتَمَوَّذْتُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا عَنَّا لِي فِي طَرِيقِي ، وَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَلَهَا ضَجِيجٌ بِالْبُكَاءِ كَضَجِيجِ الْحُجَّاجِ ، إِذَا أَهَلُّوا بِالْإِحْرَامِ ، فَقُلْتُ : مَهْ ؟ فَقَالُوا : قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخُفْتُ الْمَسْجِدَ فَوَجَدْتُهُ خَالِيًا ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَصْنَبْتُ بَابَهُ مُرْتَجِمًا ، وَقِيلَ هُوَ مُسَجَّى قَدْ خَلَا بِهِ أَهْلُهُ ، فَقُلْتُ : أَيْنَ النَّاسُ ؟ فَقِيلَ : فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، صَارُوا إِلَى الْأَنْصَارِ ، فَخُفْتُ إِلَى السَّقِيفَةِ فَأَصْنَبْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ وَسَلَامًا وَجَمَاعَةً مِنْ قُرَيْشٍ ، وَرَأَيْتُ الْأَنْصَارَ فِيهِمْ سَمْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، وَفِيهِمْ شَعْرَاوَهُمْ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَمَلَأُ مِنْهُمْ ، فَأَوَيْتُ إِلَى فُرَيْشٍ ، وَتَكَلَّمْتُ الْأَنْصَارُ ، فَأَطَالُوا الْخُطَابَ وَأَكْثَرُوا الصَّوَابَ وَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلِلَّهِ دَرُّهُ مِنْ رَجُلٍ لَا يُطِيلُ الْكَلَامَ . وَيَعْلَمُ مَوَاضِعَ فَصْلِ الْخُطَابِ ، وَاللَّهُ لَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَا يَسْمَعُهُ سَامِعٌ إِلَّا انْقَادَ لَهُ . وَهُوَ لِي بِهِ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَعْدَهُ دُونَ كَلَامِهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ ،

فبايعه وبايعوه ، ورجع أبو بكر ، ورجعت معه . قال أبو ذؤيب : فشهدت
الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنه ، ثم أشد أبو ذؤيب
بيكي النبي صلى الله عليه وسلم :

لما رأيتُ الناسَ في عَسلانِهِم من بين مَلْحُودٍ له ومُضَرَّجٍ
مُتَبَادِرِينَ لِشَرَجَةٍ بِأَكْثَمِهِم نَصَّ الرِّقَابِ لِقَدِّ أَبْيَضِ أَرْوَجِ
فَهناكَ صرْتُ إلى المَومِ ، وَمَنْ يَدِيتُ جَارَ المَومِ بَيْتَ غَيْرِ مُرَوَّحِ
كَسَفَتْ لِمَصْرَعِهِ النُّجُومُ وَبَدَرُهَا وَتَزَعَزَعَتْ أَطْلَامُ بَطْنِ الأَبْطَحِ
وَتَزَعَزَعَتْ أَجْبَالُ يَثْرِبَ كُلِّهَا وَنَحِيلُهَا لِحُلُولِ خَطْبِ مُفْدِحِ
وَلَقَدْ زَجَرْتُ الطَّيْرَ قَبْلَ وفاته بِمُصَابِهِ ، وَزَجَرْتُ سَعْدَ الأَذْبَحِ
وَقَالَ أبو سَفْيَانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ بيكي رسولَ الله صلى الله عليه
وسلم :

أَرِقْتُ فَباتَ لَيْلِي لا يَزُولُ وَلَيْلُ أَخِي المَصِيبَةِ فِيهِ طُولُ
وَأَسْعَدَنِي البُكَاءُ وَذاكَ فِما أَصِيبَ المَسْلُومَ بِهِ قَلِيلُ
لَقَدْ عَظُمَتْ مَصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ عَشِيَّةَ قِيلَ : قَدْ قُبِضَ الرِّسُولُ
وَأَضَعْتُ أَرْضُنَا عِما عَرَاها نَكَادَ بَناءُ جِوانِبِها تَمِيلُ
فَقَدَّنا الوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فِما يَرُوحُ بِهِ وَيَقْدُودُ جَبْرَيْلُ
وَذاكَ أَحَقُّ ما سَأَلْتُ عَلَيْهِ نَفُوسُ النِّاسِ أَوْ كَرَبْتَ تَسِيلُ
فَما كانَ يَجْلُو الشُّكَّ عَنَّا بِما يُوحَى إِلَيْهِ وما يَقُولُ

وَيَهْدِينَا فَلَا نَخْشَى ضَلَالًا عَلَيْنَا وَالرَّسُولُ لَنَا دَلِيلٌ
أَفَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فَذَلِكَ عَذْرُ وَإِنْ لَمْ تَجْزَعِي ، ذَاكَ السَّبِيلُ
قَبْرِ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرٍ وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ
وَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدُفِنَ وَرَجَعَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ
إِلَى رَحَالِهِمْ وَرَجَعَتْ فَاطِمَةُ إِلَى بَيْتِهَا اجْتَمَعَ إِلَيْهَا نِسَاؤُهَا ، فَقَالَتْ :

اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْقَمَرُ أَنْ
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ أَسْفَا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجَفَانِ
فَلَيْبَنُكَ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلَتَبَنُكَ مَقَرُّ وَكُلُّ يَمَانٍ
وَلَيْبَنُكَ الطُّوْدُ الْعَظِيمُ جَوْءُ وَالْبَيْتِ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ
يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ الْمُبَارَكِ ضَوْؤُهُ صَلَّى عَلَيْكَ مُنَزَّلُ الْقُرْآنِ
[نَفْسِي فِدَاؤُكَ مَا لِرَأْسِكَ مَا نَلَا مَا وَصَّدُوكَ وَسَادَةُ الْوَسْثَانِ]

الروايات المتفاوتة في كفن:

فصل : وأما الاختلاف في كفنه عليه السلام كم ثوباً كان ، وفي الدين أدخلوه قبره ونزلوا فيه ، فكثير ، وأصح ما روى في كفن أنه كُفِّنَ في ثَلَاثَةِ أثوابٍ بيضٍ سَحْوَلِيَّةٍ (١) ، وكانت تلك الأثواب من كُرْسُفٍ (٢) ، وكذلك قيضه عليه السلام كان من قُطْنٍ ، ووقع في السيرة من غير رواية البُكَّائِي أنها كانت إزاراً ورداء ، ولُفَاقَةً ، وهو موجود في كتب الحديث وفي الشروحات ، وكانت اللَّبْنُ التي نُضِدَّت عليه في قبره تَسْمَعُ كَلِمَاتٍ .

وذكر ابن إسحاق فيمن أَلْخَذَهُ شُقْرَانُ مَوْلَاهُ ، واسمه : صالح ، وشهد بداراً ، وهو عبد قبل أن يُعْتَقَ ، فلم يُسَمِّهِمْ لَهُ ، انقرض عقبه فلا عَقِبَ لَهُ .

وذكر ابن إسحاق مَرَّانِي حَسَّانَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وليس فيها ما يُشْكَلُ فَتَشْرُحُهُ ، وقد رثاه كثير من الشعراء وغيرهم ، وأكثرهم

(١) بضم السين والحاء ، وبفتح السين أشهر نسبة إلى سحول قرية باليمن . قال ابن الأعرابي : وهي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من قطن . وقال ابن قتيبة ثياب بيض ، ولم يخصها بالقطن ، وفي رواية البخاري : سحول بدون نسبة . وهو جمع سحل ، والسحل : أثواب الأبيض النقي ، وقيل هي بالضم نسبة إلى القرية ، وبالفتح نسبة إلى القصار لأنه يسحل الثياب ، أي ينقيها . وكونه كُفِّنَ في ثلاثة أثواب بيض سحوالية جدد يمانية ليس فيها قبص ولا حمالة أدرج فيها لإدراجاً هو من رواية الجماعة .

(٢) القطن .

أخفهم المصابُ عن القول ، وأعجزتهم الصَّفةُ عن التَّأْيِينِ ، ولن يبلغ بالإطناب
في مَدْح ولا رثاء في كُنْه محاسنه عليه السلام ولا قَدْر مصيبة فقدِه على أهل
الإسلام ، فصلى الله عليه وعلى آله صلاةٌ تتصل مَدَى اللَّيْلِ والأَيَّام ، وأحله
أعلى مراتب الرحمة والرضوان والإكرام ، وجزاه عنا أَفْضَلَ ما جَزَى به نَبِيًّا
عن أمته ، ولا خالف بنا عن مِلَّتِهِ ، إنه وَلِيُّ الطَّوْلِ والأَفْضَلِ والإنعام ، وهو
حسبنا ونعم الوكيلُ ، والحمد لله رب العالمين .

« تم الكتاب بحمد الله رب العالمين »

وكان الفراغ من تحقيقه في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين

صباح يوم الاثنين ٢٧ من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ - ١٨ من

نوفمبر سنة ١٩٦٨ م بمدينة الزهراء بوادي حوف

خاتمة

الحمد لله رب العالمين

بهذا الحمد الذى يمحى به القلب ، وتفيض الحياة ، ويتجاوب الوجود ،
أختم على فى هذا الكتاب الذى يتناول سيرة أقدس وأنبل حياة بشرية ،
كانت للناس نوراً وحياة ورحمة ، حياة خاتم النبیین محمد « صلوات الله وسلامه
عليه » الذى بعثه الله لأمته ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب
والحكمة ، يحقق ما وعد به الله ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، إيماناً ،
وخلقاً ، وسلوكاً فى الحياة ، وتحكماً لهدى القرآن فى شئون الحياة .

وشهد الله لقد بذلتُ من الجهد ما أمك ، وحاولت أن أقوم بما هو
مفروض على نحو هذا الكتاب « الروض الأثف » الذى سيطر على المعارف
الإسلامية قروناً متطلولات .

فهو فوق كونه شرحاً وتحقيقاً لسيرة ابن هشام ، يضم بين دفتيه كل أثر
للثقافة الشاملة ، التى كان الإمام السهيلي عليها فى عصره ، والتى بسببها كان
مصدراً لأمثال هؤلاء الأعلام « الإمام ابن القيم ، والإمام الحافظ ابن حجر
المستقلانى ، وابن منظور » فى لسان العرب .

الكتاب سيرة ، وتاريخ ، وفقه ، وعقيدة ، ونحو ، وأدب . والسهيلي إمام
كبير فى كل ذلك .

وقد حاولتُ جهدى تحقيق كل مسائله بالرجوع إلى نفس مصادره التى عنها أخذ ، أو بالرجوع إلى الكتب التى عنه أخذت ونقدت ، حتى استوى الكتاب على هذه الصورة للشرق المشرق التى صوّبت ما كان من أخطاء كثيرة فى طبعته الأولى .

ولقد كان فى طبعته الأولى جزءين فى مجلد ، وهما فى سبعة أجزاء كبار ، تجمع بين سيرة ابن هشام ، وبين « الروض الأنف » وبين تحقيقى للروض . ومثل هذه الكتب الجادة التى تمثل تراثنا الفكرى الإسلامى أصدق تمثيل ، لا يقبل عليها الناشر ككثيراً . ولكن صاحب « دار الكتب الحديثة » أقدم على هذا ، مصابراً الزمن الذى قضيته فى تحقيق الكتاب ومقداره ثلاث سنوات ، استغرقت فيها اليوم كله إلا قليلاً . ولقد كنت حين أقبل على الكتاب أضرع إلى الله أن يلمنى الصواب فيما أكتب ، وأضرع إليه الآن سبحانه أن يكون قد استجاب دعائى .

وفى السهلى مس من أشعرية ، كان يعتمد به أحياناً عن السلفية ، فلم تمنعنا إمامته الكبرى عن نقده ، وبيان الصواب فى المسألة .

ولقد قمتُ بتصحيح تجارب طبع ثلاثة أجزاء من الكتاب ، ثم انتدبتُ لتدريس مادة العقيدة الإسلامية فى قسم الدراسات الإسلامية العليا بكلية الشريعة ، فى مكة المكرمة ، حرسها الله ، وكلاًها برعايته وحفظه ، فوكلت الدار إلى الأخ « محمود غام غيث » تصحيح تجارب الطبع فى بقية الأجزاء ، والله يجزيه على ما قدم أحسن وأطيب الجزاء .

وأخيراً وبعد حمد الله وشكره أشكر الشاب الكريم « أحمد حمدى شعبان »

صاحب دار النصر للطباعة ، والإخوة العاملين في الدار ، على هذا الجهد الكريم
السخي ، الذي بذلوه في طبع الكتاب .

وجزى الله صاحب «دار الكتب الحديثة» على ما ينشر من كتب الخير
والحق والموسوعات الإسلامية الجادة .

وصل الله وسلم وبارك على خاتم النبيين محمد .

والحمد لله رب العالمين .

مكة المكرمة ٣٠ من ربيع الأول سنة ١٣٩٠
٥ يونيو سنة ١٩٧٠

عبد الرحمن عبد الوهاب الوكيل

أستاذ العقيدة الإسلامية
في قسم الدراسات العليا
بكلية الشريعة

فهرس

الجزء السابع من الروض الأثف

ص	ص
٢١	٥ مقدمة الجزء السابع
٢٢	٧ عمرة القضاء في ذي القعدة سنة
٢٣	سبع دس، (١)
٢٤	١٠ ذكر غزوة مؤتة في جمادى الأولى
٢٥	سنة ثمان ومقتل جعفر وزيد
٢٦	وعبد الله بن رواحة دس،
٢٧	١٤ لقاء الروم دس،
٢٨	١٤ مقتل ابن حارثة دس،
٢٩	١٤ إمارة جعفر ومقتله دس،
٣٠	١٥ استشهاده جعفر وابن رواحة دس،
٣١	١٦ عمل خالد دس،
٣٢	١٦ تنبؤ الرسول بما حدث دس،
٣٣	١٧ حزن الرسول على جعفر دس،
٣٤	١٨ كاهنة حدش دس،
٣٥	١٩ كيف تلقى الجيش دس،
٣٦	١٩ شعر فليس في الاعتذار عن تقمقر
٣٧	خالد دس،
٣٨	٢٠ شعر حسازي بكاء قتل مؤتة دس،
٣٩	
٤٠	
٤١	
٤٢	
٤٣	
٤٤	
٤٥	
٤٦	
٤٧	
٤٨	
٤٩	
٥٠	

(١) س رمز عن السيرة . و د ن . له رمز عن النحو والفظة . و ش رمز عن الشرح . أما الروض فبدون رمز .

ص	ص
٦٥ عرض الجيش س	٤٢ طعام التعزية وغيرها
٦٦ أبو سفيان يحذر أهل مكة س	٤٣ من شعر حسان في رثاء جعفر
٦٦ وصول النبي ص إلى ذي طوى س	٤٥ حول شعر كعب
٦٧ لإسلام والد أبي بكر س	٤٦ الاستسقاء للقبور عند العرب
٦٨ جيوش المسلمين تدخل مكة س	٤٧ من شعر حسان في رثاء جعفر
٦٨ المهاجرون وسعد س	٤٩ ذكر الأسباب الموجبة المسير
٦٨ كيف دخل الجيش مكة ؟ س	إلى مكة ، وذكر فتح مكة في شهر
٦٩ الذين تعرضوا للمسلمين س	رمضان سنة ثمان س
٧٠ شعار المسلمين يوم الفتح س	٥١ شعر تميم في الاعتذار من فراره
٧١ من أمر الرسول بقتلهم س	عن منبه س
٧٣ أم هانئ تؤمن رجلين س	٥٢ شعر الأخرز في الحرب بين كنانة
٧٤ طواف الرسول بالكعبة س	وخزاعة س
٧٤ خطبته على باب الكعبة س	٥٣ بدبل يرد على الأخرز س
٧٥ إقرار الرسول عثمان بن طلحة على	٥٣ شعر حسان في الحرب بين كنانة
السدانة س	وخزاعة س
٧٥ طمس الصور التي بالبيت س	٥٤ شعر عمرو الخزازي للرسول
٧٦ دخول الكعبة والصلاة فيها س	يستنصره ورده عليه س
٧٦ لإسلام عتاب والحارث بن هشام س	٥٥ ابن ورقاء يشكو إلى الرسول
٧٧ خراش وابن الأنوع س	بالمدينة س
٧٨ بين أبي شريح وابن سعد س	٥٦ أبو سفيان يحاول المصالحة س
٧٩ أول من ودي يوم الفتح س	٥٧ الرسول ص بعد فتح مكة س
٨٠ بدء فتح مكة	٥٨ حسان يحرص الناس س
٨٠ حول شعر تميم	٥٨ كتاب حاطب إلى قريش س
٨١ حول شعر الأخرز	٦٠ خروج الرسول في رمضان س
٨٢ حول شعر بدبل	٦٢ قصة لإسلام أبي سفيان على يد
	العباس س

ن	ص
١٠٩ أم هاني.	٨٤ حول شعر عمرو بن سالم
١٠٩ عبد الله بن سعد	٨٥ ما قال عمر لأبي سفيان ومعناه
١١٠ نميلة	٨٥ شرح قول فاطمة لأبي سفيان
١١٠ عن ابن نقيذ والتمتيز	٨٦ حاطب بن أبي بلتعة وما كان في كتابه
١١١ عن الديات في خطبة الرسول	٨٧ تصنيف هشيم الحناخ
١١٢ الصلاة في الكعبة	٨٧ تفسير (تلقون إليهم بالمودة)
١١٤ كسر الأصنام من	٨٨ قتل الجاسوس
١١٤ قصة إسلام فضالة من	٨٩ عن عبد الله بن أبي أمية
١١٥ أمان الرسول لصفوان بن أمية من	٨٩ عن أبي سفيان بن الحارث وابنه
١١٦ إسلام عكرمة وصفوان من	وقصيده
١١٦ إسلام ابن الزبير وشعره في	٩٠ وزن فعل (ن . ل)
ذلك من	٩٢ عود إلى أبي سفيان
١١٨ بقاء هبيرة على كفره وشعره في	٩٢ عن إسلام سفيان بن حرب
إسلام زوجه أم هاني من	٩٥ قول هند عن أبي سفيان
١١٩ عمدة من شهد فتح مكة من	٩٥ إسلام أبي قحافة
المسلمين من	٩٥ حكم الخضاب
١١٩ شعر حسان في فتح مكة من	٩٨ كداء وكدى
١٢١ شعر أنس بن زعيم في الاعتذار	٩٨ موقف إبراهيم بكداء
إلى الرسول عما قال ابن سالم من	٩٩ موقف الرسول دس من سعد
١٢٢ شعر بديل في الرد على ابن زعيم دس	١٠١ خنيس بن خالد
١٢٢ شعر بجير في يوم الفتح من	١٠٣ حول : لماذا ومرمجة
١٢٣ شعر ابن مرداس في فتح مكة من	١٠٣ حول رجزي حماس
١٢٣ إسلام عباس بن مرداس من	١٠٥ طرف من أحكام أرض مكة
١٢٤ شعر جمعة في يوم الفتح من	١٠٦ الهدل القليل
١٢٤ شعر بجيد في يوم الفتح من	١٠٦ هل تميد الكعبة طاصياً ؟
	١٠٨ صلاة الفتح

- ١٢٥ مسير خالد بن الوليد بعد الفتح
إلى بني جذيمة من كنانة ومسير
على لتلافى خطا خالد س
- ١٢٦ براءة الرسل ص من عم -
خالد س
- ١٢٨ الاعتذار عن خالد س
- ١٢٨ بين خالد وبين ابن عوف س
- ١٢٩ بين فريش وبين جذيمة س
- ١٢٩ شعر سلمى فيما بين جذيمة
وفريش س
- ١٣٠ شعر ابن مرداس في الرد على
سلمى س
- ١٣٠ الحجاب يرد على سلمى س
- ١٣١ حديث ابن أبي حذرد يوم
الفتح س
- ١٣٢ شعر جذيمي في الفتح س
- ١٣٢ رهب يرد على الجذيمي س
- ١٣٣ شعر علام جذمي هارب أمام
خالد س
- ١٣٣ ارتعاز بن مساحق حين سمعوا
بخالد س
- ١٣٤ مسير خالد بن الوليد لخدم
العزيز س
- ١٣٥ عن إسلام أبي سفيان وصاحبيه
- ١٣٦ الحنفاء بنت أبي جهل
- ١٣٧ إسلام الحارث بن همام
- ١٣٨ إسلام بنت أبي جهل
- ١٣٩ هند بنت عتبة
- ١٤٠ عمرو بن سعيد لأعمرو بن الزبير
- ١٤١ أم حكيم بنت الحارث
- ١٤٢ دم ربيعة بن الحارث
- ١٤٢ حول التخيير بين القصاص وبين
الدية
- ١٤٤ انتهى عن اشتغال الصباء والاحتباء
- ١٤٥ شعر ابن الزبير
- ١٤٦ حول شعر حسان
- ١٥١ معنى التهليل في شركا
- ١٥١ يلطم أريظم من ل ،
- ١٥٣ حول شعر أنس بن سليم
- ١٥٤ حول شعر بجرير بن زهير
- ١٥٥ عباس بن مرداس والذين
حرموا الخمر
- ١٥٨ شعر جمدة
- ١٥٨ سرية خالد إلى بني خزيمة
- ١٦٠ شعر أبي حذرد
- ١٦١ غزوة حنين في سنة ثمان بعد
الفتح د س ،
- ١٦٥ قصيدة ابن مرداس د س ،
- ١٦٦ ذات أنواط د س ،
- ١٦٦ ثبات الرسول د س ،
- ١٦٧ الذين ثبتوا د س ،
- ١٦٨ الشجاعة بالمسلمين د س ،
- ١٦٨ شعر حسان في هجاء كعدة د س ،

ص	ص
١٩٦ هوازني يذ كر اسلام قومه «س»	١٦٩ شية يحاول قتل الرسول «س»
١٩٧ جشمية توثي أخويها	١٦٩ في الانتصار بعد الهزيمة
١٩٧ أبو ثواب يهجو قريشاً	١٧٠ رأي أم سليم
١٩٨ ابن وهب يرد على ابن أبي ثواب	١٧١ شعر مالك بن عوف في الهزيمة
١٩٨ شعر خديج في يوم حنين	١٧٢ من قتل قتيلاه سلبه
١٩٩ ذكر عزوة حنين	١٧٣ نزول الملائكة
٢٠٠ ابن الصمة والحفساء	١٧٣ هزيمة المشركين من أهل حنين
٢٠١ مالك بن عوف وابن حذرد	١٧٥ رائية ابن مرداس
٢٠٢ حول قصيدة عباس التونية	١٧٧ مصرع دريد
٢٠٣ سعد ودهمان	١٧٨ مصرع أبي عامر الأشعري
٢٠٦ أنا ابن عبد المطلب	١٧٩ حال بني رثاب في المعركة
٢٠٧ شية ومحاولة قتل الرسول «س»	١٧٩ موقف قوم مالك بن عوف
٢٠٧ أم سليم والفرار يوم حنين	١٨١ شعر سلمة في فزارة
٢٠٩ حول رجز مالك	١٨١ عود إلى حديث مصرع أبي عامر
٢١١ السلب للقاتل	١٨٢ النهي عن قتل الضعفاء
٢١٢ نزول الملائكة	١٨٢ شأن الشياطين وبجاد
٢١٣ حول قصيدة ابن مرداس	١٨٣ شهداء يوم حنين
٢١٤ جمع أخ وابن دن «ل»	١٨٤ سبايا حنين يجمعون
٢١٥ من وصف الزبير	١٨٤ شعر بجير يوم حنين
٢١٥ من أحكام القتال	١٨٥ شعر لعباس بن مرداس يوم حنين
٢١٦ حكم رفع اليد في العطاء	١٨٥ ابن عفيف يرد على ابن مرداس
٢١٦ الحفنة وشاهة الوجوه	١٨٦ شعر آخر لعباس بن مرداس
٢١٧ نداء أصحاب الشجرة	١٩٣ شعر خنضم في يوم حنين
٢١٨ الضحاك بن سفيان	١٩٤ رثاء أبي خراش لابن العجوة
٢١٨ قصيدة ابن مرداس المينية	١٩٥ ابن عوف يعتذر عن قراره

ص	ص
٢٤٠ قصيدة بجير في حنين والطائف	٢١٩ شعر عباس الكافي
٢٤١ أمر أموال هوازن وسباباما	٢٢٠ الداء والداء و ز . ل .
وعطايا المؤلفات قلوبهم منها ،	٢٢٠ شعر عباس القافى
ولانعام رسول الله ص فيها ص	٢٢٥ القصيدة الراوية
٢٥١ شعر حسان في حرمان الانصار	٢٢٦ قصيدة عباس السنية
٢٥٤ عمرة الرسول من الجعرانة	٢٢٧ قصيدة عباس الميمية
واستخلافه عتاب بن أسيد على	٢٢٨ حول قصيدة ضمضم بن الحارث
على مكة وحج عتاب بالمسلمين	٢٢٩ شعر أبي خراش
سنة ثمان . اعثار الرسول واستخلافه	٢٣٠ من شعر مالك بن عوف
ابن أسيد على مكة ص	٢٣١ ذكر غزوة الطائف بعد حنين
٢٥٥ وقت العمرة ص	في سنة ثمان . ص .
٢٥٥ أمر كعب بن زهير بعد الانصراف	٢٣١ شعر كعب
عن الطائف ص	٢٣٣ كنانة يرد على كعب
٢٥٧ قدريم كعب على الرسول وقصيدة	٢٣٣ قصيدة شداد في المسير إلى
الامية ص	الطائف
٢٦٢ استرضاء كعب الانصار بمدحه	٢٣٣ الطريق إلى الطائف
إياهم ص	٢٣٥ أول من رمى بالمنجنيق
٢٦٣ غزوة الطائف	٢٣٥ يوم الشدة
٢٦٦ آلات الحرب في الطائف	٢٣٥ بين ابي سفيان وثقيف
٢٦٧ حول شعر كعب	٢٣٦ تفسير أبي بكر ارقيا الرسول
٢٦٨ شعر كنانة	٢٣٧ سبب ارتحال المسلمين
٢٦٩ أول من رمى بالمنجنيق في الجاملة	٢٣٧ عينة بن حصن
والإسلام	٢٣٨ العبيد الذين نزلوا من
٢٧٠ غيلان بن سلمة	حصن الطائف
٢٧١ بادية بنت غيلان	٢٣٨ شعر الضحاك وموضوعه
	٢٣٩ الشهداء في يوم الطائف

ص	ص
٢٠٤ غزوة تبوك في رجب سنة تسع	٢٧٤ الخنثون الذين كانوا بالمدينة
النبى لتبوك . س	٢٧٤ عينة
٢٠٤ مدح آخر لكعب	٢٧٤ المبيد الذين نزلوا من حصن
٢٠٥ شأن الجد بن قيس . س	الطائف
٢٠٦ المنافقون المشطون س	٢٧٦ من نسب بجبر بن زهير
٢٠٦ شعر الضحاك في تحريق بيت	٢٧٦ حول شعر بجبر
سويلم س	٢٧٨ دحنا ومسح ظهر آدم
٢٠٧ حض أهل الغنى على النفقة س	٢٧٩ حول قول زهير أبى صرد
٢٠٧ قصة البكائين والمهذرين	١٨١ من أحكام السبايا
والمختطفين س	٢٨٢ حول سبي حنين
٢٠٩ المنافقون المتخلفون س	٢٨٣ إعطاء المؤلفة قلوبهم من الغنائم
١٠٩ إرجاف المنافقين بعلى س	٢٨٤ وصف عجوز ابن حصن
٣١٠ قصة أبى خيشمة س	٢٨٤ الأفرع بن حابس
٢١١ مرور النبى ص بالحجر س	٢٨٥ مالك بن عوف
٣١٣ مقالة ابن الصيت س	٢٨٦ قول النبى ص لمرداس
٣١٤ إبطاء أبى ذر س	٢٨٧ القبلية بين الأفرع وعيينة
٣١٦ تحذيل المنافقين المسلمين وما نزل	٢٨٨ حديث ذو الخويصرة
فيهم س	٢٨٩ شعر حسان فى عتابه س
٣١٧ الصلح مع صاحب أيلة س	٢٨٩ حول عتاب النبى للأنصار
٣١٧ كتاب الرسول لصاحب أيلة س	٢٩٠ جميل بن سراقبة
٣١٧ أكيدر س	٢٩١ شعر بجبر وكعب ابى زهير
٣١٩ حديث وادى المشفق ومائه س	٢٩٤ قصيدة بانث سعاد
٣١٩ قيام الرسول على دفن ذى	٢٩٨ عن القول والقليل إعراباً ومعنى
الجادين س	(ن . ل)
٣٢٠ لم سمى ذو الجادين ؟ س	٣٠٠ عود إلى بانث سعاد

ص	ص
٣٤٥ ما نزل في أهل النفاق	٣٢٠ أبو رهم في تبوك س
٣٤٦ تفسير ابن هشام لبعض الغريب	٣٢١ أمر مسجد الضرار عند القفول
٣٤٦ عود إلى ما نزل في أهل النفاق	من غزوة تبوك س
٣٤٧ ما نزل في ذكر أصحاب	٣٢٣ أمر الثلاثة الذين خلفوا ر أمر
الصدقات	المعذرين في غزوة تبوك س
٣٤٧ ما نزل فيمن آذوا الرسول	٣٢٤ حديث كعب عن التخلف س
٣٤٩ ما نزل بسبب صلاة النبي	٣٣١ أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر
على ابن أبي	رمضان سنة تسع س
٣٥٠ ما نزل في المستأذنين	٣٣٨ حج أبي بكر بالناس سنة تسع
٣٥١ ما نزل فيمن نافع من الأعراب	واختصاص النبي ص على بن
٣٥١ ما نزل في السابقين	أبي طالب بتأدية أول براءة عنه
من المهاجرين والأنصار	وذكر ر براءة والقصص في
٣٥٢ شعر حسان الذي عدد فيه	تفسيرها س
المغازي	٣٤٠ تفسير ابن هشام لبعض المفردات
٣٥٧ ذكر سنة تسع وتسميتها سنة	٣٤٢ اختصاص الرسول عليا بتأدية
الوفود ونزول سورة الفتح	براة عنه س
٣٥٧ إتياد العرب وإسلامهم	٣٤٢ ما نزل في الأمر بجهاد المشركين س
٣٥٨ غزوة تبوك	٣٤٣ تفسير ابن هشام لبعض الغريب
٣٦٠ إبطاء أبي ذر	٣٤٣ ما نزل في الرد على فريش بادعائهم
٣٦٠ إعراب كلمة وحده (ن. ل)	عمارة البيت
٣٦١ أجأ وسلمي	س
٣٦٢ أ كيدرو الكتاب الذي أرسل إليه	٣٤٣ ما نزل في الأمر بقتال
٣٦٣ الكتاب إلى هرقل	المشركين
٣٦٤ موافقه ص من الهدايا	٣٤٤ ما نزل في أهل الكتابين
٣٦٥ حول قصة البكائين	٣٤٤ ما نزل في النسي
	٣٤٥ ما نزل في تبوك

ص	ص
٣٩٠ إسلامهم وتحويل الرسول إليهم س	٣٦٦ معنى كلمة خس (ن . ل)
٣٩٠ شعر ابن الأعمى في هجاء قيس	٣٦٨ أصحاب مسجد اضرار
بالتحقيره إياه	٣٦٩ عن الثلاثة الذين خلفوا
٣٩١ قصة عامر بن الطفيل وأربد بن	٣٧٠ زاح عن الباطل (ن . ل)
قيس في الرقعة من بني عامر .	٣٧٢ (سلام ثقيف
بعض رجال الوفد	٣٧١ زوج عروة
٣٩١ تدبير عامر للقدور بالرسول	٣٧٣ حول هدم اللات
٣٩٢ موت عامر بدعاء الرسول عليه	٣٧٣ فقه حديث كتاب النبي لثقيف
٣٩٢ موت أربد بصاحقة وما نزل	٣٧٣ وج
فيه وفي عامر	٣٧٤ إلزال سورة براءة
٣٩٣ شعر لبيد في بكاء أربد	٣٧٦ ما نزل في سورة براءة
٣٩٦ قدوم ضمام بن ثعلبة وأفدأ هن	٣٧٧ عن الأجدع بن مالك
بن سعد بن بكر	٣٧٨ إعطاء الجزية عن يد
٣٩٦ سؤاله الرسول أسئلة ثم	٣٧٩ من المذنرين
إسلامه	٣٨٠ قصيدة حسان الميمية
٣٩٨ دعوته قومه للإسلام	٣٨٢ تفسير سورة النصر
٣٩٨ قدوم الجارود في وفد عبد	٣٨٣ قدوم وفد بني تميم ونزل سورة
القيس	الحجرات . رجال الوفد س
٣٩٩ موقفه من قومه في الردة	٣٨٣ شيء عن الحنات
٣٩٩ إسلام ابن ساوي	٣٨٤ سائر رجال الوفد
٤٠٠ قدوم وفد بني حنيفة ومعهم	٣٨٤ صياحهم بالرسول وكلمة عطارد
مسيلمة الكذاب	٣٨٥ كلمة ثابت في الرد على عطارد
٤٠٠ ما كان من الرسول لمسيلمة	٣٨٦ شعر الزبرقان في للمخر بقومه
٤٠١ ارتداده وتنبؤه	٣٨٨ شعر آخر للزبرقان
	٣٨٩ شعر آخر لحسان في الرد على
	الزبرقان

ص	ض
٤١٦ حبس الروم له وشعره في	٤٠١ قدوم زيد الخيل في وفد طي .
س محبسه	إسلامه وموته س
٤١٧ مقتله	٤٠٢ أمر عدى بن حاتم س
٤١٨ إسلام بني الحارث بن كمب على	٤٠٤ إسلام عدى س
يدى خالد بن الوليد لما سار إليهم	٤٠٥ وقوع ما وعده الرسول
دعوة خالد الناس إلى الإسلام	عدياً س
وإسلامهم	٤٠٥ قدوم فروة بن مسيك المرادي س
٤١٩ كتاب الرسول إلى خالد يأمره	٤٠٧ قدوم فروة على الرسول وإسلامه د
بالمجيء	٤٠٧ قدوم عمرو بن معد يكرب في
٤١٩ قدوم خالد مع وفد على	أناس من بني زبيد س
الرسول	٤٠٩ ارتداده وشعره في ذلك س
٤٢٠ حديث وفد مع الرسول	٤٠٩ قدوم الأشعث بن قيس في وفد
٤٢١ بعث الرسول عمرو بن حزم بعده	كندة س
إليهم	٤١١ قدوم صرد بن عبد الله الأزدي
٤٢٢ قدوم رفاعه بن زيد الجذامي	إسلامه س
إسلامه وحمله كتاب الرسول	٤١٢ قتاله أهل جرش س
إلى قومه	٤١٢ إخبار الرسول وأعدى جرش بما
٤٢٣ قدوم وفد همدان . أحماؤهم وكلمة	حدث لقومها س
ابن نمط بين يدى الرسول	٤١٣ إسلام أهل جرش س
٤٢٥ ذكر الكذابين مسيلمة الخثني	٤١٣ قدوم رسول ملوك حير بكتانهم د
والأسود العنفي	٤١٤ كتاب الرسول إليهم س
٤٢٥ زوبا الرسول فيهما	٤١٥ وصية الرسول معاذاً حين بعثه
٤٢٦ حديث الرسول عن الدجالين د	إلى اليمن . بعث الرسول معاذاً
٤٢٦ خروج الأمراء والعمال على	إلى اليمن ونهى من أمره بهما س
٤٢٦ - ٣٩٤ - الدعاء الأنبياء	٤١٦ إسلام فروة بن عمرو الجذامي د

ص	ص
٤٤٥ امرأة مسيلة	الصدقات . الأمراء وأسماء الغمال
٤٤٥ مسعود العنسي	وما مولوه من
٤٤٧ زيد الخيل	٤٢٧ كتاب مسيلة إلى رسول الله
٤٤٧ أسماء الحمي (ن. ل.)	والجواب عنه من
٤٤٨ خبر زيد في رواية أخرى	٤٢٨ قدوم الوفود على رسول الله ص
٤٥٠ قدوم هدي بن حاتم	وبعد عبد القيس
٤٥١ حديث فروة ومعنى قسرو	٤٢٩ شرح صاحب الحلة
٤٥٢ إبدال آخر حرف في اسم الفاعل	٤٣١ لسبب بن الأحم
(ن. ل.)	٤٣١ عن كرسى الله
٤٥٣ قدوم وفد بني الحارث بن كعب	٤٣٣ شعر الزبرقان
٤٥٤ وفود رفاة	٤٣٤ شعر - أن في الرد على الزبرقان
٤٥٧ حجة الوداع . تجهز الرسول	في الميعة والعينة
واستعمله على المدينة أباد جاتس	٤٣٦ شعر آخر لحسان في الرد على
٤٥٨ ما أمر به الرسول عائشة في	الزبرقان
حيضها من	٤٣٦ شرح قول ابن الأحم لابن حاتم
٤٥٩ موافاة على فم فقوله من اليمن	٤٣٦ ما نزل في وفودهم من الحجرات
رسول الله في الحج . ما أمر به	٤٣٧ إن من البيان لجزأ
الرسول علياً من أمور الحج من	٤٣٨ خبر حامر وأريد
٤٥٩ شكاً علياً جنده إلى الرسول	٤٣٩ عن لييد
لأنزاعه عنهم حلالاً من بز	٤٤٠ وفد جرش
اليمن من	٤٤١ حديث ضمام
٤٦٠ خطبة الرسول في حجة الوداع من	٤٤٢ حول حديث الجارود
٤٦٢ اسم الصاروخ بكلام الرسول	٤٤٢ وفد بني حنيفة ولسبب مسيلة
وما كان يردده من	٤٤٤ مؤذناً مسيلة وسجاح

ص	ص
٤٧٣ شأن حسان وأبي عبد الله س	٤٦٣ رواية ابن خزيمة عما سمعه من
٤٧٤ قدوة هم على الرسول وشعر	الرسول في حجة الوداع س
أبي جعال س	٤٦٣ بعض تعليم الرسول في الحبس
٤٧٧ غزوة زيد بن حارثة بن فزارة	٤٦٤ بعث أسامة بن زيد إلى أرض
ومصاب أم قرفة . بعض من	فلسطين س
أصيب بها س	٤٦٤ خروج رسول الله إلى الملوك .
٤٧٧ معاودة زيد لحم س	تذكير الرسول قومه بما حدث
٤٧٧ شأن أم قرفة س	لأحباريين حين اختلفوا على
٤٧٨ شعر ابن المسحوق قتل مسعدة س	عيسى س
٤٧٨ غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير	٤٦٥ أسماء الرسل ومن أرسلوا
ابن رزام س	إليهم س
٤٧٨ مقتل اليسير س	٤٦٥ رواية ابن حبيب عن بعث الرسول
٤٧٩ غزوة ابن عتيك خبير س	رسله س
٤٧٩ غزوة عبد الله بن أبيس لقتل	٤٦٦ أسماء رسل عيسى س
خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي	٤٦٧ ذكر جملة الغزوات س
مقتل ابن نبيح س	٤٦٨ ذكر جملة المرايا والبسوث س
٤٨٠ إهداء الرسول عصا لابن	٤٦٨ خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي
أبيس س	بني الملوخ شأن ابن البرصاء س
٤٨١ شعر ابن أبيس في قتله بن نبيح س	٤٦٩ بلاء ابن بكيت في هذه الغزوة س
٤٨١ غزوات آخر س	٤٦٩ نجاة المسلمين بالنعيم س
٤٨٢ غزوة عيينة بن حصن بن العنبر	٤٧٠ شمار المسلمين في هذه الغزوة س
من بني تميم . بعد الرسول	٤٧٠ تعريف بعدة غزوات س
عائشة بإعطائها سييأ منهم	٤٧١ غزوة زيد بن حارثة إلى جذام -
لتجنته س	سبها س
	٤٧٢ تمكن المسلمين من الكفار س

- ٤٨٢ بعض من سبي وبعض من قتل
وشعر سامي في ذلك س
- ٤٨٣ شعر الفرزدق في ذلك
- ٤٨٣ غزوة غالب بن عبد الله أنض
بني مرة . مقتل مرداس س
- ٤٨٤ غزوة عمرو بن العاص ذات
السلسل . إرسال عمرو ثم
إمداده س
- ٤٨٥ وصية أبي بكر رافع بن رافع
- ٤٨٧ تقسيم عوف الأشجعي الخزور
بين قوم
- ٤٨٧ غزوة ابن أبي حدرد بطن إضم
قتل عامر بن الأضبط الأشجعي
- ٤٨٨ ابن حابس وابن حصن يختصمان
في دم ابن الأضبط إلى الرسول س
- ٤٩٠ موت علم وما حدث له
- ٤٩٠ دية ابن الأضبط
- ٤٩١ غزوة ابن أبي حدرد لقتل رفاعه
ابن قيس الجشمي . سبها س
- ٤٩٢ انتصار المسلمين ونصيب ابن
أبي حدرد من فقه استعان به على
الزواج س
- ٤٩٢ غزوة عبد الرحمن بن عوف
إلى دومة الجندل . شيء من وعظ
الرسول لقومه س
- ٤٩٤ تأميم ابن عوف واعتمامه
- ٤٩٤ غزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى
سيف البحر . نفاذ الطعام وخبر
دابة البحر س
- ٤٩٥ بعث عمرو بن أمية الضمري
لقتال سفيان بن حرب وما صنع
في طريقه . فدومه مكة ونعرف
القوم عليه س
- ٤٩٦ قتله أبا سفيان وهربه
- ٤٩٧ قتله بكرياً في غار
- ٤٩٧ سرية زيد بن حارثة إلى مدائن .
بعثه هو وضميرة وقصة السبي
- ٤٩٨ سرية سالم بن عمير لقتل أبي
عفك . سبب نفاق أبي عفك
- ٤٩٩ قتل ابن عمير له وشعر المزينة
- ٤٩٩ غزوة عمير بن عدى الخطمي لقتل
عصماء بنت مروان . نفاقها
وشعرها في ذلك س
- ٥٠٠ شعر حسان في الرد عليها
- ٥٠٠ خروج الخطمي لقتلها
- ٥٠٠ شأن بني خطمة
- ٥٠١ أسر تمامة بن أمثال الحنفي وإسلامه
والسريرة التي أسرت تمامة بن أمثال
الحنفي . إسلامه س
- ٥٠٢ خروجه إلى مكة وقصته مع
قريش س

ص	ص
٥٢١ عمرو والجلندي	٥٠٣ سرية علقمة بن مبرز . سبب
٥٢٢ شجاع وجبله	إرسال علقمة
٥٢٣ المهاجر وابن كلال	س
٥٢٤ غزوة عمر	٥٠٣ دعاية ابن حذافة مع جيشه س
٥٢٥ ذكر غزوة ذات السلاسل	٥٠٤ سرية كرز بن جابر لقتل البجليين
٥٢٦ حرة	الذين قتلوا يسارا شأن يسارس
٥٢٧ أنساب	٥٠٤ قتل البجليين وتنكيل الرسول
٥٢٨ حديث أم قرفة	س
٥٢٩ غزوة أبي حدر	٥٠٥ غزوة على بن أبي طالب إلى
٥٢٩ ثمامة بن أثال	اليمن س
٥٣٠ ما زاده ابن هشام غالم يذكره	٥٠٥ بعث أسامة بن زيد إلى أرض
ابن إسحاق	فلسطين وهو آخر البعوث
٥٣٢ عن خبيب بن عسى	٥٠٦ ابتداء شكوى رسول الله صلى الله
٥٣٣ ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم	عليه وسلم . بدء الشكوى س
أمهات المؤمنين . أسماؤهن س	٥٠٧ تمر بضعه في بيت عائشة س
٥٣٣ زواجه بخديجة	٥٠٧ حجة الوداع
٥٣٤ بمائشة	٥١١ بعث أسامة
٥٣٤ بسودة	٥١٢ عدة الغزوات
٥٣٥ بزيب بنت جحش	٥١٣ إرسال رسول الله صلى الله عليه
٥٣٥ بأم سلة	وسلم إلى الملوك . الحراريون
٥٣٥ بمحفصة	٥١٣ مني المسيح ونهايته
٥٣٦ بأم حبيبة	٥١٤ أسطورة زريب
٥٣٦ بمجيرة	٥١٦ رسوله إلى النجاشي وقيصر
٥٣٦ بمهبة	٥١٧ رسوله إلى المقوقس
٥٣٨ بميمونة	٥١٩ رسوله إلى المنذر بن ساوى
٥٣٨ بزيب بنت خزيمة	٥٢٠ مفتاح الجنة

ص	ص
٥٤٩	٥٣٩
مقالة عمر بعد وفاة الرسول	عدتهن وشان الرسول
٥٥٠	معهن
موقف أبي بكر بعد وفاة الرسول	س
٥٥١	٥٣٩
أمر سبيعة بنى ساجدة . تفرق	تسمية القرشيات منهن
الكلمة	٥٤٠
٥٥١	تسمية العربيات وغيرهن
ابن عوف وعشورته على عمر	٥٤١
بشار بيعة أبي بكر	غير العربيات
٥٥٢	٥٤١
خطبة عمر عند بيعة أبي بكر	تمريض رسول الله في
٥٥٥	بيت عائشة
تعريف بالرجلين اللذين لقا	٥٤١
أبا بكر وعمر في طريقهما إلى	مجيئه إلى بيت عائشة
السقيفة	٥٤١
٥٥٥	شدة المرض وصب الماء عليه
خطبة عمر قبل أبي بكر عند	٥٤١
البيعة العامة	كلمة النبي واختصاصه أبا بكر
٥٥٦	بالذكر
خطبة أبي بكر	٥٤٢
٥٥٧	أمر الرسول بأنفاذ بعث
جهاز رسول الله (ص) ودفنه	أسامة
من تولى غسل الرسول	٥٤٣
٥٥٨	وصية الرسول بالانصار
كيف غسل الرسول ؟	٥٤٣
٥٥٨	شأن الدود
تكفين الرسول	س
٥٥٩	٥٤٤
حفر القبر	دعاء الرسول لأسامة
٥٥٩	بالإشارة
دفن الرسول والصلاة عليه	٥٤٥
٥٦٠	صلاة أبي بكر بالناس
دفن الرسول	٥٤٦
٥٦٠	اليوم الذي قبض الله فيه
من تولى دفن الرسول	نبيه
٥٦١	٥٤٨
أحدث الناس عهداً بالرسول	شأن العباس وعلى
٥٦١	٥٤٨
خيمعة الرسول	سواك الرسول قبيل الوفاة
٥٦٢	
افتتان المسلمين بعد موت الرسول	
٥٦٣	
شعر حسان بن ثابت في مرثيتكم	
الرسول	

ص	ص
٥٨٠ السواك	٥٦٨ ذكر أزواج الأنبياء عليه السلام
٥٨١ كرامات ومعجزات	٥٦٨ عن عائشة
٥٨٢ موزنة بين عمر وبين أبي بكر	٥٦٩ خديجة وعائشة ومريم
٥٨٥ ما حدث الصحابة عقب وفاته (ص)	٥٧٠ أم سلمة
٥٨٨ كيف صلى على جنازته عليه السلام؟	٥٧٠ جويرية
٥٩٠ موته عليه السلام كان خطباً كاملاً	٥٧٠ زينب بنت جحش
٥٩٥ الاختلاف في كفته	٥٧٢ وفاة رسول الله (ص)
٥٩٧ خاتمة	٥٧٣ حديث العباس
٦٠١ فهرس الجزء السابع	٥٧٦ آخر كلمة تكلم بها عليه السلام
	٥٧٨ متى توفي رسول الله؟

رقم الإيداع ٤٧٠٠ / ١٩٧٠

من دار الكتب الحديثة

إلى روح الأستاذ المحقق رحمه الله

كان الأستاذ رحمه الله قد أرسل لنا آخر أصول هذا الكتاب بعد أن حققها وكتب تعليقاته عليها ، وكانت المكتبة تنتظر بفارغ الصبر عودته من مكة المكرمة ليطلع على نتائج فكره وذوقه ، إذ أن الكتاب كان قد أوشك أن ينتهي العمل فيه ، بل لقد كانت تجارب آخر الكتاب قد روجعت ولم يبق إلا طبعها ، وفي هذه الحال ورد على المكتبة ذلك النبأ الفاجع ، الذي يدعى إلينا رجلاً كنا ندخره - وكان العلم والمسلمون يدخرونه - لجلالته الأهمال ، فمَرَّ المصاب به ، وجلَّ الخطبُ فيه ، وفدحت الفجيرة به ، وليس في طوقنا إلا أن نضرع إلى الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء ، وأن يُسبِّلَ على جدِّه شأيب الرحمة ، ويُلَبِّسَهُ حُلَّ الرضوان ، إنه سبحانه أكرم مسئول ، آمين .